الموسوعة العالمية لسعادة البشرية ١

هذا هو الإسلام

تأليف
محمد مصطفى

ضياء سعيدة

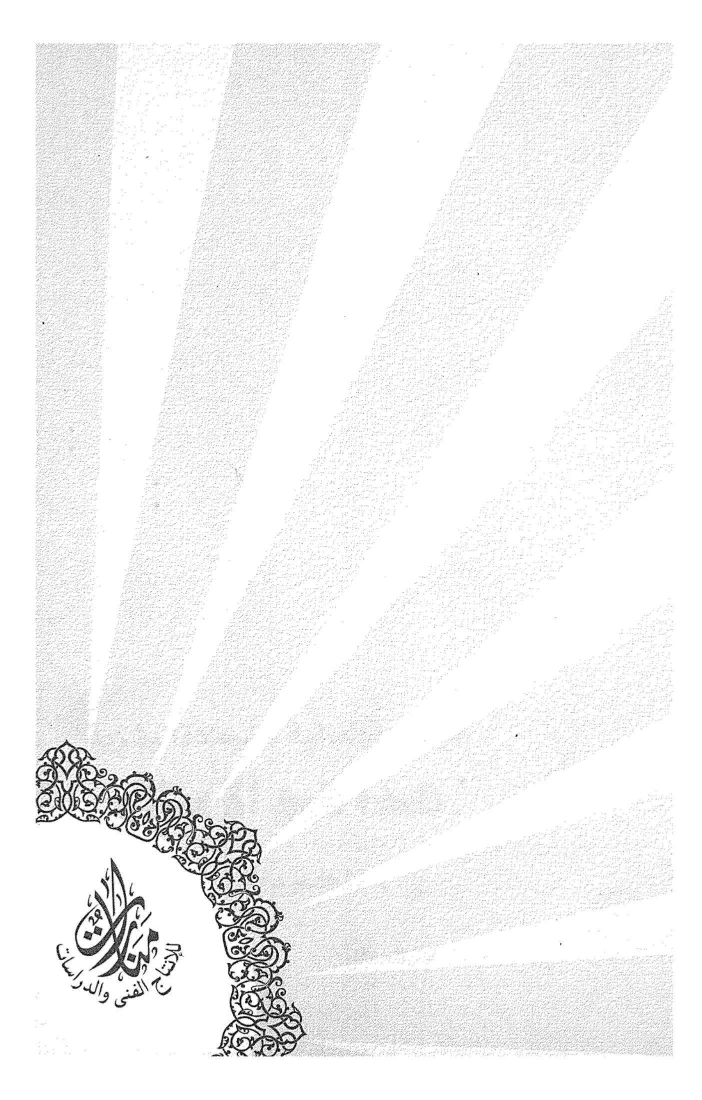
تقديم

أ. د. محمد عمارة

فضيلة الشيخ: عبد الخالق الشريف



٧ شارع أبو القاسم المهدي ـ الحي السابع
مدينة نصر ـ القاهرة ـ ت: ٠١٠/١٤٥٠٣٧٥


مدارات
للإنتاج الفنى والدراسات

الموسوعة العالمية .. لسعادة البشرية

هذا هو الإسلام

الجزء الأول

تأليف: محمد مصطفى عباس

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عباس ، محمد مصطفى
الموسوعة العالمية.. لسعادة البشرية
هذا هو الإسلام - تأليف : محمد مصطفى عباس
تقديم : محمد عمارة ، عبدالخالق الشريف .
ط ٠١ - القاهرة : منارات للإنتاج الفني والدراسات : ٢٠١٠

ط ، س
تدمك ٦ - ٣٥ - ٦٢٥٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - الإسلام - موسوعات
أ - عمارة ، محمد مصطفى (مقدم)
ب - الشريف ، عبدالخالق (مقدم مشارك)
جـ - العنوان ٢١٠,٣

رقم الإيداع : ٥٩٣٥ / ٢٠١٠
التاريخ : ٧ / ٣ / ٢٠١٠

الجزء الأول

الطبعة الثانية
١٤٣١ هـ
٢٠١٠م

صف وإخراج
محمود محمد المتولي عوض حجاز
مصر - المنصورة - مركز طلخا - ميت عنتر
☏ ٢٥٢٩٩٠٧ / ٠٥٠ / ٠٠٢ محمول ٠١٢٧٤٠٣٢١٥

منارات للإنتاج الفني والدراسات
٧ ش أبو القاسم المهدي - من ش الإمام أحمد بن حنبل
الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة
☏ ٠١٠١٤٥٠٣٧٥ .. ٢٢٦٢٤٩٩٨

راجعها خبراء متخصصون

الموسوعة العالمية .. لسعادة البشرية

هذا هو الإسلام

الجزء الأول

تأليف
محمد مصطفى عباس

تقديم
الأستاذ الدكتور : محمد عمارة
فضيلة الشيخ : عبد الخالق الشريف

الطبعة الثانية

منارات للإنتاج الفني والدراسات
مصر


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلــى :

- **رسول الله** ﷺ . . جزاك الله عنا وعن البشرية خير الجزاء . . ولايحسبن أصحابك أنهم استأثروا بك دوننا . . فوالله لنزاحمنهم على الحوض حتى نفوز بك . .

- **العالم كله** . . فقد أرسل الله محمداً ﷺ هدىً ورحمة للعالمين . . وأدعو الله أن تهتدي البشرية لهذا الدين . . ولذا كتبتُ هذه الموسوعة(1) .

- **إخواني المسلمين** : أرجو الخير لكم، أسألكم الدعاء بظهر الغيب، وأدعو الله أن يرحمني بدعائكم، ويقول لكم الْـمَلَكْ : ولكم بمثلها، فلاتنسوني من دعائكم .

- **والديَّ وأساتذتي وكل من ساهم في نشر هذه الموسوعة..** لكم الشكر على النصح والإرشاد . . وجزاؤكم الأوفى من الله تعالى .

- **أولادي : علي ومريم وهاجر ومصطفى وسارة..** أرجو أن تتذكروني، ويدعو لي كل واحد منكم ولو بدعوة بعد كل صلاة، ففي الحديث : **«إنَّ الرجل لَـتُرْفَـع دَرَجَتَـهُ في الجنَّة، فيقول: أنَّـى هذا؟ فيُقال: باستغفار ولَـدِكَ لـك»**(2) .

- **زوجتي** .. احرصي على ألا يخلو طريق الدعوة إلى اللـه عز وجل منـك ومن الأولاد . .

---

(1) الموسوعة : كتاب يجمع معلومات في ميادين المعرفة ، انظر : المعجم الوسيط، مادة : وسع .

(2) رواه البخاري في الأدب من حديث أبي هريرة، باب 19 ، حديث رقم 36 ، وعند الإمام مالك في الموطأ، قرآن 38 ، بلفظ : «إن الرجل ليُرفع بدعاء ولده من بعده»، ص 190 ، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، ورواه ابن ماجة، أدب 1 ، برقم 3660 ، قال في الزوائد : إسناده صحيح، رجاله ثقات .

من أقوالهم ..

- « إن مصير أوروبا كلها إلى الإسلام.. إن لم يكن ديناً وعقيدة، فسلوكاً ومنهاجاً وأخلاقاً ، وإن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية » [1].

(المؤرخ الإنجليزي ويلز)

- « لقد كان دين محمد موضع تقدير سام ، لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة، وأرى واجباً أن يُدعى محمد منقذ الإنسانية، وأن رجلاً على شاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث، فسوف ينجح في حل مشكلاته » .

(الفيلسوف الإنجليزي برناند شو)

عن كتاب : تربية الأولاد في الإسلام، لعبدالله ناصح علوان

- « أرجو أن تنجحوا في الاستفادة من دينكم وقوانين شريعتكم، ليس هذا من أجلكم فحسب.. بل من أجل الإنسانية.. إن لديكم مبادئ أصيلة من دينكم فبإمكانكم أن تنجحوا»[2] .

(المستشرق الأمريكي فران فوجال)

- «الإسلام دين أعلى من تطورنا الفكري اليوم » [3] .

(المؤرخ البريطاني : إدوارد كيبون)

---

(١) عن كتاب : «الإسلام شريعة الزمان والمكان» ص٧٩ ، للأستاذ عبدالله ناصح علوان .
(٢) في لقائه مع مجلة (المجتمع) الكويتية العدد (٦٦١) جمادى الآخرة عام ١٤٠٤ هـ .
(٣) مجلة كلمات ، العدد الثالث ، ديسمبر ٢٠٠٧م ، تصدر عن المدينة للإعلام والنشر ، مصر .

■ « فكانت أوروبا الأميَّة تعج بالجهل والحرمان، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم، وراية الثقافة في العالم»[1].

(لين بول في كتابه «العرب في أسبانيا»)

■ « وسواءٌ كُفَّ الكيد المجنون لدين الله أو ازداد الكيد ضراوة[2] فسوف يعود الإنسان إلى الله ».

(الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله)

■ « هذا دين يجب أن يُعرف أنه لا يموت.. إنه باقٍ إلى قيام الساعة، وعندما ينتظر أعداؤه أن تُشَيِّع جنازته يبدأ شروق شمسه من جديد»[3].

(الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله)

■ « جريمة قتل عَمْد أن ننتمي لهذا الدين ولا نعمل له »[4].

(الأستاذ علي مطر)

■ وأقول : « ما أصاب من مصيبةٍ إلا في غياب منهج الله عز وجل.. ولا نجاة منها إلا في العودة إليه ».

(١) الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله ناصح علوان، ص ٨٠ .
(٢) ضراوة : شدة وجرأة عليه ، انظر : المعجم الوسيط ، مادة : ضرىٰ .
(٣) مجلة الأزهر ، شعبان ١٤٢٨هـ ـ أغسطس ٢٠٠٧م، الخط البياني للتاريخ الإسلامي، ص١١٢٧ .
(٤) كتاب : من أطايب الكلام، أ. علي مطر .

تقديم الطبعة الثانية

للأستاذ الدكتور: محمد عمارة

بين يدي هذه الموسوعة

من بين دفتي القرآن الكريم، ومن سوره وآياته، ولدت الأمة الإسلامية، وكل مقوماتها من العقيدة إلى الشريعة إلى منظومة القيم والأخلاق.

ولأن القرآن الكريم منهاج شامل وكامل للدنيا والآخرة.. للدين والدولة.. للفرد والطبقة والأمة.. للذات والآخر، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ (الأنعام)، كان هذا القرآن الكريم المنهاج الذي يُكوّن العقل الموسوعي، الذي لا يسجن طاقاته في التخصص الضيق والجزئي والمحدود، يُكوّن العقل الذي ينظر كيف بدأ الخلق، وكيف كانت المسيرة الإنسانية للأمم والشعوب والحضارات والنبوات والرسالات عبر التاريخ، ليعتبر بالسنن الإلهية التي حكمت الرحلة البشرية عبر هذه القرون.

ثم.. هو العقل الذي لا يعيش في الماضي، مهاجراً إلى قرونه وتجاربه، حبيساً فيها، وإنما هو العقل الذي يستلهم هذا الماضي ومواريثه ليفقه الواقع الحي والمتجدد الذي يعيش فيه.. ومن ثم يمد بصره وبصيرته إلى المستقبل، القريب والبعيد.. ليس - فقط - المستقبل في عالم الشهادة بهذه الحياة، وإنما فيما وراء وما بعد هذه الحياة.. أي أنه العقل الجامع - في موسوعيته -: للبدء.. والمسيرة.. والمصير.

ولهذه الخصيصة الموسوعية للمنهاج القرآني، كانت آيات الوحي الإلهي، التي نزل بها الروح الأمين - جبريل عليه السلام - على قلب الصادق الأمين محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام.. بمثابة (النواة) أو (الحجر) الذي أُلقي به في (البحيرة) لتنداح من حوله الدوائر المتعددة والشاملة لكل مناحي الحياة

ومقوماتها، لقد انداحت من حول هذه (النواة) كل مقومات الدين . . والدولة . . والثقافة . . والمدنية . . والحضارة . . وكل دوائر النور التي أضاءت حياة الإنسان الذي آمن بهذا القرآن الكريم .

وكما أحيا هذا الإنسان الأرض الموات، فازدانت حياته (بالمدنية) التي هي عمران الواقع المادي . . كذلك تهذبت ملكاته الروحية (بالثقافة) التي هي عمران النفس الإنسانية . . ومن (الثقافة) و (المدنية) ومن تراكم معارفها بمرور التاريخ، تكونت الحضارة الإسلامية، التي هي إبداع مدني، أثمره هذا الوحي، وهذا الدين .

وبسبب من هذا المنهاج الموسوعي الذي يثمره الفقه والتدبر لهذا القرآن الكريم تميزت الحياة العلمية والإبداع الفكري في الحضارة الإسلامية (بظاهرة العلماء الموسوعيين)، الذين جمعوا في إبداعاتهم بين (عمق التخصص) وبين (شمولية الموسوعية) فلم تقع عقولهم فريسة (لسجن التخصص)، كما أنها لم تصب بالسطحية، التي تُفهم خطأ من (الموسوعية).

وإذا شئنا أن نضرب بعض الأمثلة على الإبداعات الموسوعية التي أثمرتها عقول علماء هذه الأمة، الذين مَثَّلَ الواحد منهم موسوعة شاملة لمختلف العلوم والفنون . . والذين برئت عقولهم وإبداعاتهم من الفصام النكد بين (عمق التخصص) وبين (الموسوعية) . . فتميزت موسوعيتهم بالشمول لميادين الإبداع في علوم الروح . . في علوم الدين وعلوم الدنيا . . في عالم الشهادة وفي معارف الغيب . . في المنقول والمعقول . . في الفلسفة العقلية ومنظومة القيم والأخلاق .

إذا أردنا أن نضرب بعض الأمثال على هذه القسمة الموسوعية في تراثنا الفكري والعلمي،فسنجد على سبيل المثال :

* **حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١ م)** الذي مَثَّلَ (ظاهرة فكرية) لعلوم عصره . . من الفقه . . إلى الأصول . . إلى الفلسفة . . إلى التصوف وعلم القلوب والسلوك .

* **وأبو الوليد بن رشد** (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) الذي كان الناس يفزعون إلىٰ فتواه في الفقه كما يفزعون إلىٰ فتواه في الطب. . والشارح الأكبر لأرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ م) والمتفرد بالكتابة في فلسفة اختلاف الفقهاء وفي علم الكلام. . والجامع بين علوم المعقول والمنقول (والمقاصد والوسائل) حتىٰ لقد كان فقيه الفلاسفة وفيلسوف الفقهاء.

* **وابن سينا** (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) الذي كان (الشيخ الرئيس) في الشرعي والمدني. . في الإلهيات والطبيعيات. . في التصوف. . وفي النبات والحيوان.

* **والبغدادي - أبو منصور، عبد القاهر** (٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م) الذي جمع بين أصول الدين، والهندسة، والحساب.

* **والخيام، أبو الفتوح، عمر بن إبراهيم** (٥١٥ هـ/ ١١٢١م) الذي كان موسوعة في اللغة. . والشعر. . والفلسفة. . والتصوف. . والفقه. . والتاريخ. . والفلك. . والهندسة. . والرياضيات.

* **والفخر الرازي** (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ/ ١١٥٠ ـ ١٢١٠ م) الذي جمع بين علوم الدين والدنيا. . من التفسير. . إلي الفلسفة. . إلي الكلام. . إلي الأصول. . حتىٰ قال مؤرخوه: (إنه كان أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل).

وغيرهم.. وغيرهم.. آلاف.. وآلاف من العلماء الموسوعيين.

ولم تقف (القسمة الموسوعية) في الحضارة الإسلامية عند إبداع (العقل الموسوعي) وإنما أثمرت ـ أيضاً ـ (فن التأليف الموسوعي) الذي اشتهر به العديد من العلماء، الذين توفروا علىٰ تأليف وتصنيف الموسوعات التي تجمع شتات العلوم والمعارف والفنون والآداب لتزكي وتنمي (القسمة الموسوعية) لدىٰ طلاب العلم والباحثين والقراء والمتأدبين. . فعرفت حضارتنا موسوعات (الطبقات) التي أَرَّخَتْ لحياة العلماء الأعلام وإبداعاتهم في مختلف مناحي العلوم والفنون. . وموسوعات (الخطط) التي أَرَّخَتْ للواقع. . والمكان. . والمؤسسات. . والثروات. . والتجارات. . والخانات. . والرحلات. . وأنماط المعاش والعادات. .

وموسوعات (كشافات المصطلحات) في مختلف ميادين المعارف والعلوم والفنون. وموسوعات (اللغة) وعلومها.. والموسوعات التي توفرت على (علوم القرآن الكريم) و (علوم السنة النبوية الشريفة).

فمن (طبقات) **ابن سعد** (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ / ٧٨٤ ـ ٨٤٥ م).. إلى (الفهرست) **لابن النديم** (٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) ـ إلى (العين) **للخليل بن أحمد** (١٠٠ ـ ١٧٠ هـ / ٧١٨ ـ ٧٨٦ م).. إلى (إحياء علوم الدين) **للغزالي** (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١م).. إلى (العقد الفريد) **لابن عبد ربه** (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ / ٨٦٠ ـ ٩٤٠م).. إلى (الأغاني) **لأبي فرج الأصبهاني** (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ / ٨٩٧ ـ ٩٦٧م).. إلى (التعريفات) **للجرجاني** (٧٤٠ ـ ٨١٦ هـ / ١٣٤٠ ـ ١٤١٣م).. إلى (الكليات) **لأبي البقاء الكفوي** (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤م).. إلى (لسان العرب) **لابن منظور** (٦٣٠ ـ ٧١١هـ / ١٢٣٢ ـ ١٣١١م).. إلى (كشاف اصطلاحات الفنون) **للتهانوي** (١١٥٨هـ / ١٧٤٥م).. إلى (نهاية الأرب في فنون الأدب) **للنويري** (٦٧٧ ـ ٧٧٣هـ / ١٢٧٨ ـ ١٣٣٣م).. إلى (معجم البلدان) و(معجم الأدباء) **لياقوت الحموي** (٥٧٥ ـ ٦٢٦هـ / ١١٨٠ ـ ١٢٢٩م).. إلى (أسد الغابة في معرفة الصحابة) **لابن الأثير** (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ / ١١٦٠ ـ ١٢٢٣م).. إلى (الإصابة في تمييز الصحابة) **لابن حجر العسقلاني** (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ / ١٣٧١ ـ ١٤٤٨م).. إلى (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) **لابن عبد البر** (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ / ٩٧٨ ـ ١٠٧١م).

آلاف.. وآلاف الموسوعات التي أصبحت (فناً) من فنون التأليف في حضارة الإسلام والتي نهضت برسالة (خلق العقلية الموسوعية) لدي طلاب العلم والقراء، وذلك حتى لا يصبح العقل سجيناً للتخصص المحدود.

فبعد عصر التدوين، مر العلم والفكر ـ في حضارتنا ـ بطور (التخصص) الذي انقسم فيه العلم الواحد إلي عدة علوم.. ولقد كانت هذه الموسوعات هي السبيل إلي جمع أطراف المعارف في هذه العلوم، لمساعدة العقل المسلم علي أن يظل متكاملاً، وأن يتمكن طالب العلم الإسلامي من تكوين (العين اللامة) التي تنقذ

العقل من النظرة الأحادية، التي تقيم فصاماً نكداً بين صاحبها وبين مختلف عوالم العلوم والمعارف والفنون والآداب.

وبعد نكبة الغزوة المغولية (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) التي دمرت الكثير من ذخائر المكتبات الإسلامية، في الحواضر التي اجتاحها المغول، والتي أحدثت (شرخاً) في (الذاكرة الإسلامية) قامت الموسوعات - في العصر الأيوبي والمملوكي - بجمع شتات الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية والفنون والآداب، فحفظت للذاكرة الإسلامية التواصل مع المنابع والأصول والجذور.

تلك كانت رسالة الموسوعات في الحضارة الإسلامية : الحفاظ على العقل الموسوعي، الذي يسترشد بالقسمة الموسوعية التي أرسى قواعدها القرآن الكريم في العقل الفردي والجمعي والحضاري لأمة الإسلام.

* * *

أما هذه الموسوعة - التي نقدم بين يديها - فإنها قد جاءت وافية برسالة العنوان الذي تصدر غلافها : (هذا هو الإسلام).

فهي موسوعة اجتهد صاحبها : **الأستاذ محمد مصطفى عباس**.. في أن تكون جامعة لِما لا يستغني عنه القارئ والمثقف المسلم.. فجمعت بين معالم الإسلام في العقيدة.. والشريعة.. والتربية.. والدعوة.. ومنظومة القيم والأخلاق.. وفي العلاقة بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم والعقائد والمذاهب والفلسفات.

ولقد تعودتُ، عندما أقرأ كتاباً.. أو بحثاً.. أو أَهِمُّ بالتقديم لعمل فكري، أن أبدأ بالتعرف على المصادر والمراجع التي استند إليها ونهل منها صاحب هذا العمل الفكري، وذلك لأقيّم (العقل) الذي ألّف الكتاب.. ولأعرف مكانه ومكانته من تيارات الفكر.. التي تتدافع فيها الوسطية مع غلوي الإفراط والتفريط.. والتي تتدافع فيها الإسلامية مع العلمانية والوضعية والزندقة والإلحاد.. فالمصادر والمراجع التي يستخدمها الباحثِ، إنما تمثل (الاختيارات) لهذا الباحث.. وقديماً قال أسلافنا : (اختيار المرء قطعة من عقله).

وبعد هذا الاختيار، يتم سبر الغور لمدى الاستفادة من هذه المصادر والمراجع في هذا العمل الفكري. . وعلي أي نحو كان تعامل الباحث مع ثمرات هذه المصادر والمراجع التي انطلق منها. . ومن ثم، ما هي الثمرات التي تقدمها صفحات العمل الفكري الذي بين أيدينا.

وانطلاقاً من هذا المنهاج،استطيع أن أقول : إننا نقدم للقارئ والمثقف والباحث عملاً فكرياً متميزاً. . يزكي الوسطية الإسلامية. . ويسهم في تكوين العقل المسلم المعاصر على نحو إيجابي وبنَّاء.

لقد اجتهدتْ هذه الموسوعة في أن تعبر تعبيراً دقيقاً عن عنوانها الشامل :

(هذا هو الإسلام).

والله نسأل أن ينفع بها. . إنه ـ سبحانه ـ خير مسئول وأكرم مجيب.

الأستاذ الدكتور: محمد عمارة

صفر ١٤٣١هـ ـ يناير ٢٠١٠م

مقدمة الطبعة الثانية

للمؤلف

ينفرد الإسلام العظيم بخصائص جعلته لازماً لحياة المجتمع الإنساني في كل عصرٍ وظرف.

ولعل خصيصة « الشمولية » من أبرز تلك الخصائص، تلك التي تجعل من تطبيقه أمراً ميسوراً ومأموناً في ذات الوقت، بعد أن عانت البشرية ما عانت من نظريات وحلول أُحادية النظرة.

لم يبق إذن إلا أن يطرح القائمون على أمر الدعوة منهجاً عملياً مستمداً من تعاليم الإسلام، وموظفاً لخصائصه، ومستثمراً لطاقاته.

فكانت هذه الموسوعة ـ المنبثقة من خصائص الإسلام ـ باكورة منهج جديد في التأليف الشامل، وإن كانت في ذات الوقت ـ شأن بواكير الأعمال دائماً ـ في حاجة إلى خطوات لترسيخها وتطويرها وتصفيتها سعياً إلى الكمال.

ولذلك فإني أستنهض همم الباحثين للاتجاه إلى هذا المنهج، واستفراغ الجهد فيه.

وحسب المكتبة الإسلامية ذلك التراث الهائل من الاختصارات والحواشي والشروح والتعليقات التي تجاوزها الزمن، بعد أن عجزت رتابتها عن ملاحقة خطاه اللاهثة.

وإنني إذ أقدم للمكتبة الإسلامية هذه الطبعة الثانية، بعد نفاذ الطبعة الأولى في أقل من أربعة أشهر، فإنني أشكر القراء الكرام الذين قرأوا هذا العمل المتواضع، وأسهموا في نشره.

على أن الشكر - كل الشكر - لأستاذنا الجليل **الدكتور : محمد عمارة** ، الذي لم تَحُلْ ظروفه ومشاغله وأعباؤه كأحد أعمدة الفكر الإسلامي دون التقديم لهذه الطبعة ، فطوّق عنقي بفضلٍ أسأل الله وحده أن يكافئه به ، ويجزيه عني وعن الإسلام خيراً .

والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

المؤلف

محمد مصطفى عباس

تقديم

فضيلة الشيخ: عبد الخالق حسن الشريف

الحمد لله حمداً يليق بجلال قدره وعظيم مقداره، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد:

فقد كتب أحد العلماء كلمة جامعة: «لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها وهي:

١ ـ « إما أن يؤلف عن شيء لم يُسبق إليه يخترعه.

٢ ـ أو شيء ناقص يتممه.

٣ ـ أو شيء مستغلق يشرحه.

٤ ـ أو شيء طويل يختصره دون الإخلال بشيء من معانيه.

٥ ـ أو شيء مختلط يرتبه.

٦ ـ أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه.

٧ ـ أو شيء مفرق يجمعه »(١).

ولما كانت حياة البشر تفتقر إلى العلم لأهميته البالغة، فقد قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشيه وطلبهُ عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربه؛ لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء

---

(١) أستاذي الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد، أطال الله عمره على طاعته وختم له بالحسنى، وبيَّض وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وأظله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وجعله رفيق حبيبه محمد ﷺ في الجنة، كتابه العلم والعلماء في ظل الإسلام، طبعة ١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، ص ١٠٦، وذكر أن قائل هذا هو العالم الأزهري: شمس الدين البابلي (ت ١٠٧٧ هـ) انظر صدارة كتاب دستور الأخلاق في القرآن، ص ١، للدكتور: محمد عبدالله دراز ـ رحمه الله ـ.

والضراء، والزين عند الأخلاق، والقرب عند الغرباء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخلق قادة يقتدي بهم، وأئمة في الخَلْق تقتفي آثارهم، وينتهي إلىٰ رأيهم، وترغب الملائكة في حفهم بأجنحتها تمسحهم، حتىٰ كل رطب ويابس لهم مستغفر، حتىٰ حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمىٰ، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبدمنازل الأحرار ومجالسة الملوك، والدرجات العلىٰ في الدنيا والآخرة، والفكر به يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عز وجل وبه يعبدالله عز وجل وبه، وبه تُوصَل الأرحام، وبه يُعرف الحلال من الحرام، إمام العمل والعمل تابعه، يُلَهمه السعداء، ويُحْرَمُهُ الأشقياء»(١).

قال الشاعر:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمو — علىٰ الهدىٰ لمن استهدىٰ أولاْء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه — والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال آخر:

تعلم فليس المرء يولد عالماً — وليس أخو عِلْمٍ كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده — صغير إذا التفت عليه المحافل(٢)

فضل العلم وفضل البيان:

وإذا أردنا أن نعرف حقيقة العلم فيكفي أن الله جعل العلم صفة من صفاته العلية، قال الله تعالىٰ: ﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾ (النساء: ١٦٦).

مع إدراك أنه سبحانه وتعالىٰ ليس له شبيه أو مثيل في أي صفه من صفاته: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (الشورىٰ)، ولقد تفضل الله

---

(١) أخلاق العلماء للأجري (٣٤، ٣٥).
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١/ ١٥٩).

سبحانه وتعالىٰ علىٰ آدم عليه السلام بالعلم فكانت له ميزة بذلك علىٰ الملائكة: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) ﴾ (البقرة).

كما بين الله سبحانه وتعالىٰ أهمية العلم حين ذكر خلق الإنسان بين علمين: ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ (الرحمن).

ولا ريب أن علم القرآن لا يدانيه علم؛ لأنه كلام الله، حمل للإنسانية أكمل وأتم المناهج ليرشدهم إلىٰ الحقائق، ويأخذها من وحل نفوسها والمادة المسيطرة عليها إلىٰ الإحساس بأسمىٰ ما خُلق الخلق من أجله عبادة لله، وإعمار الأرض، وتحقيق الغاية من استخلافهم علىٰ هذه الأرض، إن القرآن هو الروح والهدىٰ والنور والضياء.

وتقديم الحديث عن القرآن قبل خلق الإنسان أمر بدهي ولكن الذي يلفت النظر إلحاق ذلك بالحديث عن «علمه البيان» لتسير الحياة ويسهل التفاهم بين البشر، إن القدرة علىٰ البيان النى تفضل الله بها علىٰ البشر نجدها ونحن نلحظ الطفل الصغير يسمع ويبصر ثم يحكىٰ ويعبر: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

إن هذا البيان يعبر به الإنسان عن إيمانه بالله، ويطلب به العلم ويعلمه للناس فيزداد أجره، وتؤدىٰ به الحقوق، وتوصل به الأرحام، ولو تخيلنا كيف يمكن أن تعيش البشرية لو حرمت هذه النعمة لأدركنا شيئاً من فضل الله علينا.

وها نحن نجد موسىٰ عليه السلام كليم الله، يرحل في طلب العلم(١)، ويبين لنا القرآن العظيم فضل البيان والتعبير عن حقائق تمس الأمة وليس الفرد وحده وذلك عند حكاية قصة النملة التي عبرت بفصاحة بالغة وبيان دقيق لتنقذ أهلها من جنود سليمان، ما جعله عليه السلام يضحك لذلك(٢)، وها هو الهدهد أيضاً يأتي

---

(١) الآيات في سورة الكهف من ٦٠ : ٨٢، و انظر تفسير سورة الكهف للشيخ عبدالخالق الشريف.

(٢) سورة النمل، الآيات ١٨، ١٩.

من سبأ بنبأ يقين ويتعلم بيان شاف يستدل به على بعد قوم سبأ ـ في هذا الوقت ـ عن عقيدة التوحيد(١)، ونقرأ عن مؤمن آل فرعون(٢)، ومؤمن آل ياسين(٣) وغيرهم، فترى فضل ما آتاهم الله من العلم والبيان.

وهذا جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ قبل وفاته بقليل ليجري حواراً هاماً يجمع فيه أطراف هذا الدين، فماذا قال النبي ﷺ لأصحابه، لقد قال لهم: **«هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»**(٤).

إن البيان فضل من الله يصبح من وهب ذلك صاحب حجة قوية، ولو نظرنا إلى ما أُوتي رسول الله ﷺ من البيان والفصاحة وجوامع العلم لأدركنا أننا أمام بيان بشري معجز، جمعت له أطراف الحكمة، ودقة التعبير، مع الإيجاز الشامل للمعنى، المظهر للحقيقة دون خفاء أو لبس.

ولأهمية البيان قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة فالإنسان يضارع الملك بقوة العلم والنطق والفهم، ويضارع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح(٥).

ولأهمية العلم والبيان قال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**(٦)، وفي بيان قوله تعالى: ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ (آل عمران: ٧٩)، **قال ابن عباس**: هم الفقهاء المعلمون، **وقال مجاهد**: هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره فهم أهل الأمر والنهي وهكذا ندرك أهمية العلم وأهمية البيان.

---

(١) سورة النمل، الآيات ٢٠ : ٢٨ .
(٢) سورة غافر، الآيات من ٢٨ : ٤٥ ، وانظر: عبدالخالق الشريف في واحة القرآن.
(٣) سورة يس، الآيات من ٢٠ : ٢٨ .
(٤) حديث جبريل رواه الإمام البخاري برقم ٥٠ عن أبي هريرة، ورواه الإمام مسلم برقم ١، جـ١، ص ٣٦ يمكن مراجعة المعاني الخاصة بالعلم والعالم والمتعلم الواردة في الحديث، راجع الهداية الربانية شرح الأربعين النووية، جـ٢، الشيخ عبدالخالق الشريف .
(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني، تحقيق د . أبو اليزيد العجمي، ص ٨٦ .
(٦) أخرجه الشيخان، انظر اللؤلؤ والمرجان برقم ٦١٥ .

تعريف العلم:

وليس أعجب مما قاله **الإمام ابن العربي** - رحمه الله - في تعريف العلم حيث قال: «العلم أبين من أن يبين وأنكر على من تصدى لتعريف العلم».

بينما يعرف **الجرجاني** العلم بقوله: «هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع»(١).

ويقول **الغزالي**: «العلم هو معرفة الشيء على ما هو عليه»(٢).

وما جاء أمر القرآن للنبي ﷺ يطلب الزيادة إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه: ١١٤)، ورفع الله قدر العلم والعلماء قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ (الزُمَر: ٩).

والعالم لا يستطيع أن يحيط بكل علم وفن: ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف: ٧٦)، فكل إنسان حتى في فنه المتخصص لابد أن يدرك أن هناك من وهبه الله علماً يفوق ما لديه، ولذا فعلى المرء المؤمن بالله والمدرك لمكانة العلم أن يرجع في كل علم ومن إلى أهله: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ (النحل: ٤٣).

العلم يجلب لصاحبه الخير:

ويستمر أثر العلم ليس فقط في حياة صاحبه بل حتى بعد مماته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**(٣).

العلماء ورثة الأنبياء:

ولقد رغب القرآن في طلب العلم قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ (التوبة: ١٢٢).

---

(١) التعريفات للجرجاني، ص ١٩١ .

(٢) الإحياء للغزالي.

(٣) رواه الإمام مسلم برقم ١٦٣١ .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إنه قدم عليه رجل من المدينة وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: ما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سَلَك طريقاً يطلب به علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ـ إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**»(١).

يحدثنا الإمام ابن قيم الجوزية عن العلم فيقول: «والعلم تركة الأنبياء وتراثهم وأهله عصبتهم ووارثهم، وهو حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض العقول ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين والغي والرشاد والهدىٰ والضلال.

به يُعْرَف الله ويُعبد، ويُذكَر ويُوحَد ويحمد ويمجد وبه اهتدىٰ إليه السالكون ومن طريقه وصل الواصلون ومن، بابه دخل عليه القاصدون.

به تعرف الشرائع والأحكام ويتميز الحلال من الحرام وبه توصل الأرحام وبه تعرف مراضي الحبيب وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب .

وهو إمام والعمل مأموم وهو قائد والعمل تابع وهو الصاحب في القربة والمحدث في الخلوة والأنيس في الوحشة والكاشف عن الشبهة والغني الذي لا فقر علىٰ من ظفر بكنزه والكنف الذي لا ضيعة علىٰ من آوىٰ إلىٰ حرزه.

مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته

---

(١) رواه الإمام الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وأحمد والدارمي، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه.

تعدل بالصيام والقيام - يعني نافلة ، - والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام»(١).

إرشادات نبوية بشأن العلم:

١ - **خير العلم:** قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٢).

٢ - **العلم المطلوب هو العلم النافع:** قال رسول الله ﷺ: **«اسألوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع»**(٣).

٣ - **فضل الغدو إلى العلم،** عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم، بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة»**(٤).

٤ - **التحذير من طلب العلم من أجل الدنيا:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله - عز وجل - لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**(٥).

٥ - **الغاية من العلم:** عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار»**(٦).

٦ - **تحريم كتمان العلم:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سئل عن علم ثم كتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار»**(٧).

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، الإمام ابن قيم الجوزية، ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٢) البخاري برقم ٥٠٢٧ .

(٣) ابن ماجة ٣٨٤٣ ، وإسناده حسن .

(٤) ابن ماجة ٢١٩ ، وسنده حسن كما قال المنذري .

(٥) أبو داود ٣٦٦٤، والحاكم ١/ ٨٥ ، وقال: صحيح سنده، ووافقه الذهبي.

(٦) ابن ماجة ٢٥٤، ورفعه الحاكم (١/ ٨٦) ووافقه الذهبي.

(٧) الترمذي ٢٦٤٩ ، وقال: حديث حسن.

٧ ـ من البلاء الشديد ذهاب العلماء: عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»**(١).

لكل ما سبق اهتم العلماء بالعلم، وصبروا على تحمله، وبذلوا الوقت والعمر في تبليغه، وأوذوا بسبب تمسكهم بالعلم الحق، وفي سبيل ذلك كان:

١ ـ مجالس العلم.

٢ ـ الرحيل في طلب العلم.

٣ ـ الإملاء.

٤ ـ الندوات والمناقشات.

٥ ـ المناظرة.

٦ ـ تأليف الكتب وغيرها.

مناهج التأليف:

والذي ينظر في كتب العلماء والأساتذة الأفاضل يجد أن لهم مناهج مختلفة في التأليف فنجد مثلاً:

١ ـ من جعل لكل موضوع رسالة خاصة تقع في بضع ورقات، مثل رسالة أبي داود إلى أهل مكة.

٢ ـ ومنهم من أهتم بجمع الحديث فقط كما فعل الإمام مسلم.

٣ ـ ومنهم من أضاف إلى متن الحديث عنواناً يكشف عن فهمه لمراد الحديث أو يكشف عن الرأي الذي يذهب إليه كما فعل الإمام البخاري.

٤ ـ ومنهم من أكثر في النقول والآراء المختلفة كما فعل الإمام الطبري في تفسيره.

---

(١) البخاري ١٠٠، ومسلم ٢٦٧٣.

٥ ـ ورأينا مبسوطات تفرد في موضوع لتبين تفاصيله مثل المبسوط للسرخسي والمغني لابن قدامه، والمجموع شرح المهذب للإمام النووي وإن لم يتمه وما أشرنا إليه أمثلة وليس حصراً ويمكن ويمكن بيان بعض مناهج التأليف في الآتي: المختصرات ـ الحواشي ـ المتون ـ المبسوطات.

ولكل فن من هذه الفنون مميزاته فالمتون بحفظها تجمع المسائل المتناثرة في كلمات وجمل قليلة ولذا قيل: «**من حفظ المتون حاز الفنون**»، وأما المبسوطات فهي تتعرض لمحتواها بدراسة مفصلة موضحة الأدلة والبراهين والحجج والمقدمات والنتائج مع عرض للآراء الموافقة أو المخالفة ومناقشتها، ونقل ما قيل من الفريقين، وغالباً ما يذهب إلىٰ الترجيح ولا يتوقف عند حد الموضوع الذي يكتب عنه بل يذهب إلىٰ اللغة فهي أساس الفهم وإلىٰ المستنبط من أي علم آخر أو ما يؤسس عليه من العلوم الأخرىٰ فيناقشها، وهي بذلك للعلماء محل دراسة وفهم واستنباط واجتهاد.

وتأتي المختصرات ليقوم أهلها باختصار ما بسطه عالم في كتاب أو أكثر من كتاب في أوراق قد تصل إلىٰ نصف الأصل أو ربعه أو نحو ذلك بغية تيسير الأمر علىٰ الراغب في الإطلاع السريع.

وجاءت الحواشي بعد ذلك علىٰ المختصرات خاصة إذا كان الاختصار شديداً فتقوم بشرحها وبيان ما أغلق فيها.

وهناك أساليب أخرى في التأليف ومن ذلك:

ـ **النظم**: وهو أن ينظم المؤلف العلم في قالب شعري.

ـ **الأسئلة والأجوبة**، وبهذا الأسلوب يحول المؤلف المادة العلمية إلىٰ أسئلة يتبعها بالإجابة.

ـ ومن أعجب ما رأت عيني رجل ألف خمس كتب في كتاب واحد بطريقة عجيبة علىٰ النحو التالي: أربع أعمدة كل عمود عبارة عن كتاب مستقل في موضوع يختلف عن البقية، وإلىٰ هنا لا عجب فكأنها كتب بعضها إلىٰ جوار بعض ولكن

العجب أنك إذا قرأت الكلمات الموجودة في كل عمود ولكن بعرض الكتاب أعطتك الكتاب الخامس، فسبحان من هدىٰ الإنسان وعلمه، ولكن مما يأسف له أن هذا الكتاب أخذه حبيب عليٰ ولم يأتني به مرة أخرىٰ.

وسائل تيسير العلوم الشريعة:

وفي العصر الحديث ظهرت وسائل لتيسير العلوم الشرعية منها اللوحات والخرائط والتقسيمات والجداول، ومنها ما يتم عليٰ أجهزة الحاسب الآلي والبرمجيات.

وقد وفقني الله تعالىٰ فأخرجتُ بعض علوم مصطلح الحديث عليٰ هيئة لوحة، وكذلك عند تناول بعض العلوم كأصول الفقه وغيره نعرضها عليٰ هيئة لوحات وجداول ومما منّ الله به علينا اختصار لبعض العلوم والسير في كتيبات صغيرة بأسلوب سهل مثل (في صحبة الحبيب ﷺ) فهو كتيب لا يزيد عليٰ ٢٤ صفحة فيه معظم أحداث السيرة، وأخلاق النبي ﷺ، والتعريف بزوجاته وأولاده، وقد أخبرني الذين يقومون عليٰ طباعته أنه تجاوز المليون نسخة، فلله الحمد والشكر ونسأله سبحانه وتعالىٰ القبول.

الموسوعات:

هي عبارة عن كتاب أو مجموعة من الكتب تشتمل عليٰ معلومات مختلفة إما في موضوع أو موضوعات مختلفة، وقد تختلف من حيث من توجه إليهم بحسب التخصص أو الفئة العمرية.

وغالباً ما يقوم بتأليف الموسوعة أو كتابتها كتاب متعددون في تخصصات مختلفة ويقوم عليٰ تحريرها فريق أخر ومن خصائص الموسوعات توثيق ما تشتمل عليه من المعلومات.

والكثير من الموسوعات يتم تجديد أو تحديث أو ملاحقة ما يخص اهتمامها فمثلاً الموسوعة التي تهتم بتراجم العلماء والمفكرين لابد وأنها ستضيف أسماء لم تكن من قبل قد دونت بها كذلك الموسوعات الطبية أو الموسوعات الخاصة بالاكتشافات الحديثة.

والموسوعات منها ما صدر في مجلد واحد، ومنها ما تجاوز مائة مجلد وذلك بحسب الذي جعلت له.

وهناك موسوعات للأطفال وموسوعات للكبار وموسوعات تخاطب الشباب وموسوعات قد تركز على فئة ذات ثقافة متخصصة وموسوعات عامة يستفيد منها كل من رجع إليها.

ويرى أهل التخصص في تحليل أساليب التأليف أن الموسوعة الناجحة هي التي تجيب القارئ عن أسئلة مثل: من؟ وما؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف؟ ولماذا؟ عن الأمر الذي يبحث عنه.

الموسوعات الإسلامية:

وحقيقة الأمر أن الفكر الإسلامي موسوعي بطبيعته، ولذلك رأينا كتابات الأقدمين مشتملة على أمر موسوعي وكاشفة عن فكر موسوعي فمثلاً كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ماذا تجد فيه على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ ترجمة للرواة.

٢ ـ لغة عربية بكل فروعها من البلاغة والنحو والصرف والأدب والشعر والنثر وغير ذلك.

٣ ـ تاريخ: تاريخ الأمم السابقة والأديان الغابرة وغير ذلك من مسائل التاريخ.

٤ ـ جغرافيا: حديث عن البلدان ونشأتها.

٥ ـ سيرة.

٦ ـ كلام في الطب وخلق الإنسان ومراحل نشأته وبعض الأمراض والأدوية.

٧ ـ كلام في الرؤيا والأحلام.

٨ ـ كلام في المنطق والجدل وكذلك علم الكلام.

٩ ـ الفرق والمذاهب.

١٠ ـ الأخلاق.

١١ ـ الجانب الروحاني في الإنسان.

١٢ ـ الغزوات والملاحم.

١٣ ـ الفلك .

١٤ ـ التنجيم.

١٥ ـ الجانب النفسي.

١٦ ـ الجانب التربوي.

١٧ ـ علم البيان.

١٨ ـ علم طبقات الأرض.

١٩ ـ الجانب الاقتصادي.

٢٠ ـ الدولة ونظامها

١٢ ـ القضاء وديوان المظالم.

٢٢ ـ العقوبات والتعزيرات.

هذا وغيره كثير من الفنون والعلوم بالإضافة لما هو متوقع من علماء الشريعة من علوم مثل:

١ ـ القرآن وعلومه.

٢ ـ الحديث وعلومه.

٣ ـ الفقه وأصوله.

والسبب في هذا كله أن الدين الإسلامي دين اهتم بالإنسان في جميع أمور الحياة؛ لذا فقد اعتنى علماء المسلمين بما أرشدهم إليه القرآن، ولكون الإنسان يتصل بكل هذه العلوم.

لو تأثر العالم المسلم بمنهج الإسلام الشمولي والعالمي فإنك تراه يتحدث عن

خلق الإنسان ونفخ الروح وتكوين العظام قبل اللحم، كما يبحث عن البيوع وأنواعها وما يحل وما يحرم فيها، كذلك عن العلاقات الإنسانية من بر الوالدين وصلة الأرحام وحق الجيران وكفالة اليتيم.

لقد أصبحت المعرفة الإنسانية كاملة في ذهن طالب العلم المسلم، ذلك لأن دينه لا يهتم بعلوم الدين فقط من الإيمان بالله والدار الآخرة والبعث والحساب بل يشتمل على علوم الدنيا ويرشد إلى النظر في الكون كله بحثا وتفكيراً وتأليفاً وإبداعاً وغير ذلك.

وإذا نظرنا إلى كتاب مثل (الأغاني) مثلاً: لم يقتصر على الأغنية ومغنيها، وإنما هو موسوعة تاريخية عامة أحاطت بالكثير من أخبار العرب والفرس والرومان في سياق الحديث وهو موسوعة أدبية شاملة استعرضت الشعر العربي ونثره وتراجم الشعراء والخطباء والكتاب والحكام الأمراء والقادة في أغلب أدوارهم التاريخية والأدبية والفنية ثم هو بعد ذلك كتاب حكمة وأمثال وأخلاق لما حوى من القصص والأفكار والشواهد وإن كان صاحبه لم يراع الصحة فيما يورده من أخبار»(١).

العالِم الموسوعي:

والكثير من علماء المسلمين وبخاصة طبقة المجتهدين هم في حقيقة أنفسهم موسوعات علمية كاملة لها بعدها في الكثير من مجالات المعرفة.

إنك حين تقرأ **للإمام ابن قيم الجوزية** وهو يتكلم عن الأجنة والحمل وموعد نفخ الروح تعجب وهو يرجح قولاً على قول كأنه يحرك الأجهزة الحديثة لمعرفة هذا الأمر وعندما تقرأ له في علم الرجال أو التفسير أو الحديث أو الفقه تزداد إعجاباً به كذلك وهو يتكلم عن الطب النبوي والنباتات وغير ذلك كثير.

وهذا الأمر لا تستطيع أن تنتهي عجائبك فيه حسب الآلاف من الأئمة والعلماء ليس في علوم الشريعة فقط بل في العلوم الإنسانية عامة.

وهكذا أعد الإسلام بشموله علماء هم موسوعات علمية.

---

(١) مقالة للأستاذ جعفر الخليلي، من شبكة الاتصال الدولية (الإنترنت).

الموسوعات في العصر الحديث:

اهتم العلماء في العصر الحديث في الكثير من الدول بالموسوعات فنجد **دائرة المعارف** وهي أكثر من نسخة، ونجد **موسوعة الفقه الإسلامي** الصادرة بالكويت، **وموسوعة الفقه الإسلامي المعاصر** التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس، وهناك **موسوعة للأطفال** صدرت عن مؤسسة سفير.

وإذا نظرنا إلى **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** فهو موسوعة في بابه، وهو وإن كان في مجلد واحد ولكنه في مقام مبسوطة كبيرة من حيث المواد اللغوية والألفاظ والعد والترقيم والإحصاء الذي استوعب جمع ألفاظ القرآن الكريم عدا الضمائر والحروف وهذا عمل شاق بالغ الدقة[١].

كما أصدرت الندوة العالمية للشباب الإسلامي **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** اشتمل بحثها عن (١٢٦) فرقة ومذهب وحزب معاصر.

وهذه إشارة عابرة لبعض الموسوعات منها ما قام به عالم وأكثرها كان جهداً من عدد من العلماء.

الموسوعات الإلكترونية:

ومع التطور العلمي وظهور الحاسب الآلي الذي أصبح يسع عشرات بل آلاف المجلدات، ظهرت الموسوعات الإلكترونية سواء كان ذلك في المعلومات العامة أو المعلومات المتخصصة وسواء كان في الشأن الإنساني عامة أم في الأمور الإسلامية، بل وربما في أمور مباحة ومنها ما كان في أمور محرمة ومن ذلك المكتبة الشاملة بإصداراتها المختلفة ومكتبة الفقه الإسلامي والتي تشتمل على أكثر من خمسة آلاف كتاب ومجلد، وترى قرصاً خاصاً بكتب التفسير وأخرى لكتب الحديث، وغير ذلك كثير.

---

(١) العلم والعلماء في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص ١٣٧، ١٣٨.

ما نحن بصدده:

وهذه الموسوعة التي أقدم لها، قامت ـ بعد فضل الله تعالىٰ ـ علىٰ جهد **الأخ محمد مصطفى**، سعىٰ من خلالها أن يقدم الإسلام من جميع جوانبه: عقيدة وأخلاقاً وعبادات ومعاملات، واشتملت علىٰ بعض العلوم المتخصصة كعلم: علوم القرآن، ومصطلح الحديث، وأصول الفقه، كما حوت حديثاً عن الشبهات والسهام التي يقذفها أعداء هذا الدين إليه، وسعىٰ يجيب عنها ويذب عنه، كما أنها لم تهمل أمر تربية الأولاد وجانب الأسرة، وأبرزت أهميته، لقد سعىٰ الكاتب أن تشتمل موسوعته علىٰ الصلاة والصيام والزكاة والحج، وكذلك أمور البيوع والجهاد والأحوال الشخصية والمواريث، ولم ينس في خضم ذلك كله قضية المسلمين الأولىٰ فلسطين ـ نسأل الله أن يحررها ـ.

ولقد حوت هذه الموسوعة الكثير والكثير من الموضوعات، ولقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في تخريج الأحاديث وبيان أقوال العلماء بشأنها، كما جمع الكثير من أقوال العلماء في الموضوعات المختلفة توثيقاً وبياناً مما جعله يرجع إلىٰ الكثير من المراجع المتخصصة وهو في سبيل ذلك بذل جهداً كبيراً.

ومما يُمدح به **الأخ محمد مصطفى** ـ قبول النصيحة وحسن المناقشة والأدب الجم مع إخوانه الذين قدموا له النصيحة والمشورة، فجزاه الله خيراً وزاده من فضله.

لقد جمع **الأخ الفاضل** الكثير من المعلومات التي بثها العلماء في مؤلفاتهم القديمة والحديثة، وتوخىٰ دقة المعلومة وتوثيقها في أسلوب ربما جنح إلىٰ الإسهاب في بعض الأحيان لشعوره بأهمية هذا الأمر خاصة في جانب تربية الأولاد والعلاقة بين الزوجين، والأمراض الخلقية المتفشية في المجتمع، وربما ذهب أسلوبه إلىٰ الإيجاز الشديد في مثل المواريث فالحديث عنها لكثرة تفريعاتها ومسائلها يحتاج إلىٰ مجلد مستقل ولكنه اهتم بعد الأمور الأساسية بالقضايا المعاصرة.

وكما سبق القول فإن لكل زمان كتابه يهتمون ببيان الأهم في زمانهم بأسلوب يناسب هذا الزمان ولئن كان هذا الزمان يميل إلىٰ القصاصات السريعة والمشاهدة

والسماع أكثر من القراءة لكن سيظل لكل فن يرغب منه بهذه الموسوعة بأسلوبها وما حوت ستجد من يهتم بها ويستفيد منه، ولقد أسعدني الأخ **محمد مصطفى** بالاطلاع على موسوعته فقرأت الكثير منها، وكانت مشاورات وحوارات معه، دخل على نفسي السرور وأنا أرى من يسعى بكل جهده ووقته لخدمة هذا الدين القيم، وإنني إذ أقدم لهذا العمل الطيب أسأل الله تعالى أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسنات الكاتب وأهله ومحبيه، وكل من ساهم في إخراج هذه الموسوعة، وأسأل الله أن يجعل لها القبول في قلوب عباده، وأن ينفع بها ويجعلها سبباً لهداية خلقه، إنه ولي ذلك والقادر عليه . . . آمين .

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه : أبو الحسن

عبدالخالق بن حسن عبدالوهاب الشريف

مُقَدِّمَة

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾ (الحج).

أحمد الله تعالى على النعم التي أنعم بها على البشرية، وأعظم النِّعَم هي نعمةُ الإسلام والإيمان به، فالحمد لله عليها وكفى بها نعمة.. أما بعد:

هذه الموسوعة دعوةٌ للناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وانتماءاتهم وأخلاقهم واهتماماتهم الفكرية، أرجو أن يقفوا على حقيقة الإسلام كاملة غير منقوصة ولا مشوهة، وأرجو أن يشاهدوا مَدَنِيَّتَهُ وحضارته الراقية، وأرجو أن يلتقي على صفحاتها كُلٌّ مِنْ:

- **المؤمن**.. ليجد فيها العقيدةالصافية بطريقة عملية، والتوحيد من دون مصطلحات صعبة، أو تقسيمات كثيرة، أو مسميات لاحصر لها.
- **والملحد**.. ليجد فيها قدرة الله تعالى، وعظيم خَلْقِهِ من دون فلسفات، «فالبعرة[1] تدل على البعير، وَالْقَدَمُ تدل على المسير».
- **وأهل الكتاب**[2].. ليعلموا كيف احترم الإسلام دياناتهم وشرائعهم، وأخبرنا بأخبارهم، وأمرنا بالإيمان برسلهم وكتبهم، فلولا الإسلام ما كان هناك ذِكرٌ صحيح لهم ولكتبهم!!

---

(١) البعرة: رجيع ذوات الخف وذوات الظِّلْف، المعجم الوسيط، جزء أول، ص ٦٥.

(٢) أهل الكتاب: اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم، انظر: المعجم الوجيز، وتفسير ابن كثير في سورة آل عمران، الآية ٦٤، ص ٢٨٩، مختصر ابن كثير، طبعة دار الصابوني.

■ **الدعاة - وكذا الخطباء والوعاظ** - ليستفيدوا من الموسوعة في دعوتهم إلى الله، وكيفية عرض الإسلام لكي يترابط المجتمع ويتماسك.

■ **حديث العهد بالالتزام** . . ليجد فيها كل ما يريده عن الإسلام، في مادة سهلة يسيرة، تعينه في طريق الهداية والرشاد، «فمنذ سنوات جاء أحد الأمريكان ليمكث في مصر فترة من الزمن يتعلم فيها الإسلام، واتصل بالهيئات التي تمثل الإسلام، فبلغت الحيرة منتهاها حينما أرادت هذه الهيئات اختيار كتاب يتعلم من خلاله الإسلام»(١) .

■ **الفِرَق العاملة للإسلام من أبناء الصحوة الإسلامية** . . ليجدوا ما يجمع شتاتها، ويجعل عملها يصب في اتجاه واحد وهو الإسلام العظيم، وأنها لا تخدم بتفرقها إلا الشيطان وأعوانه، وليعلموا أننا أبناء دين واحد، وإلهنا واحد، وكتابنا واحد، وقِبلتنا واحدة.

■ **المتطلع إلى المدنية والحضارة** . . ليعلم أن هذا الدين دعا إلى المدنية والحضارة، وأن هذا الدين أصل الرقي والتقدم.

■ **المرأة** . . لتعلم مكانتها السامية، ونعمة الشريعة عليها، وما ضمنته لها من مكاسب وحقوق كثيراً ما فاقت حقوق الرجل نفسه، مع احتفاظها بدورها المرموق في الحياة.

■ **المربون** . . ليستفيدوا في عملهم التربوي مع الكبار والصغار . . وليغرسوا الهمة في أبناء الأمة، كي يحيوا حياة كريمة عزيزة.

إن هذه الموسوعة عامة لجميع المسلمين، فليس في المسلمين رجل دين، ولكن كلنا مكلفون بالتبليغ، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ (الأنعام: ١٩)، ولقول رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(٢) .

---

(١) أوروبا والإسلام، د. عبدالحليم محمود، ص ٢١، طبعة المكتب الفني للنشر، ١٣٧٨هـ - مارس ١٩٥٩م، أما تفصيل هذه الواقعة فسيأتي في الفصل الأول من هذه الموسوعة إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، رقم ٥٠، الترمذي، علم ١٣، و الدارمي مقدمة رقم ٤٦، وأحمد بن حنبل، جزء ٢ من حديث عبد الله بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»، حديث حسن صحيح.

فكرة الموسوعة:

كانت بداية فكرة هذه الموسوعة ليلة الإثنين التاسع والعشرين من رمضان المعظم الموافق الثاني والعشرين من مارس عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين في جوار الكعبة المشرفة، في حرم الله الآمن، ثم بدأتُ البحث والتجميع بعون الله وفضله، وكلما حللتُ ضيفاً على حرم الله الآمن آخذ في الكتابة والمراجعة والتنقيح، وقد كُتِبَ بعضها في الروضة المشرفة، في الحرم المدني بطيبة، على صاحبها أزكى الصلاة، وأتم التسليم.

وعلى هذا فقد اجتمع لهذه الموسوعة شرفُ المكان، حيث كُتِبَتْ في أشرف البقاع (الحرم المكي والمدني)، وَشَرَفُ الزمان، حيث كُتبت في شهر رمضان.

ومن السهل اليسير أن تكتب في موضوع واحد، ولكن من الصعب الشاق أن تكتب في موضوعات متعددة ـ كهذه الموسوعة ـ، ولكن كلما ذكرتُ توفيق الله وعنايته يسَّر لي هذا الأمر مع شرفيِّ الزمان والمكان، فأجدُ الأفكار تنساب سهلة ميسرة، فلله الحمد والمنة.

الهدف من الموسوعة:

إن العمل بدون هدف هو مضيعة للوقت، ومخالفة لسنة اللَّه سبحانه وتعالى في الكون، فقد خلقنا الله وحدد لنا الهدف في الحياة فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج).

وأهداف هذه الموسوعة مُرَتَّبَةٌ حسب ترتيب أبوابها ليعم النفع، فكل باب له هدف يُسلم إلى الباب الذي بعده، حتى تبني جوانب الشخصية الإنسانية بناءً سليماً تصل به في نهايتها إلى القمة..

ومن أهدافها ـ أيضاً ـ :

١ ـ تيسير (١) العلوم الإسلامية للعامة من الناس، والبعد عن المصطلحات المعقدة خاصة في مجال العقيدة، انطلاقاً من قول الله تعالىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ (القمر : ٢٢).

٢ ـ بيان كيف يساهم الإسلام في وضع حلول للمشكلات التي تعاني منها البشرية، سواء كانت مشكلات أخلاقية . . اقتصادية . . صحية، أو مشكلات فقر وحرمان وجهل.

٣ ـ إرشاد وتوجيه إلىٰ كيفية التعامل مع الفقه عن طريق عرض القواعد والأسس في حالة الأمور الخلافية.

٤ ـ صد الهجمة الشرسة علىٰ الإسلام والمسلمين من الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا الأغاليط، أو أنصاف الحقائق، ولا يعرفون حقيقة الإسلام في العقائد والأخلاق والمدنية والحضارة، وتوجيه البشرية إلىٰ وسائل بقائها، وتحذيرها من عوامل فنائها :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فحاجة البشرية مُلِحَّة إلىٰ الإسلام وتعاليمه.

٥ ـ المحافظة علىٰ قيمة الأسرة وخاصة بعد ازدياد معاول هدمها ومحاولة إزالة كيانها، وذلك من خلال التركيز علىٰ برامج لإعداد المرأة المسلمة ثقافة وأخلاقاً، والتركيز علىٰ برامج تربوية مهمة للأطفال، لأن كل طفل ينشأ صالحاً هو ذخر عالمي عام، وكل طفل ينشأ طالحاً هو عبء عالمي عام.

٦ ـ صياغة فكر الأمة، وذلك عن طريق صياغة فكر دعاتها، لذلك حرصنا من خلال الموسوعة علىٰ إعداد دعاة مُصلحين، وتوجيههم إلىٰ كيفية تقويم الخطاب الديني، وعمل برامج لهم.

---

(١) يقول د. عبدالحليم محمود في كتابه أوروبا والإسلام : «الإسلام إذن بحاجة إلىٰ عرضه عرضاً سهلاً ميسراً قوياً، وبأساليب متنوعة وصور مختلفة».

٧ ـ التركيز دائماً على الجانب العملي بدلاً من النظري، وذلك من خلال توصيات عملية في نهاية كل قيمة من قيم الموسوعة.

منهج الموسوعة:

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كثرت عليَّ شرائع الإسلام، فقل لي في الإسلام قولاً لا أسأل أحداً عنه بعدك، فقال له النبي ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» (١)، فهذا الحديث (شمول بإيجاز) شمول لا يترك شيئاً، وإيجاز لا يخل.

أسلوبي في الموسوعة: اعتمدتُ في الموسوعة الآتي:

١ ـ عدم الإيجاز المخل، ولا التطويل الممل، وتجنبت الإسهاب قدر المستطاع لتعم الفائدة، فكثرة الكلام يُنسِي بعضه بعضاً، وكلما كانت الْجُمَلُ سهلة قصيرة كان ذلك أدعى لفهمها وحفظها وتطبيقها.

٢ ـ اعتمدت الأسلوب المنطقي من حيث وضع المقدمات، واستخلاص النتائج محددة واضحة، لسهولة الاستيعاب والانطلاق إلى التنفيذ العملي، فكل مبحث يُسلِّم إلى ما بعده، وكل فصل مرتبط بما قبله.

٣ ـ اعتمدتُ في الخطاب لكل شريحة مهنية أو عمرية ما يناسبها، فقد قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «ما أنت بمحدث قوم بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم»، وربما أعدنا كتابة بعض العبارات لفائدتها في الموضعين، وحتى تُحفظ وتكون واقعاً عملياً ملموساً.

٤ ـ اقتصرتُ في جميع المواضع على المطلوب على نحوٍ مُرَكَّز، محيلاً إلى مصادر الاستزادة في الهامش، لإشباع حاجة الباحثين والمستزيدين.

٥ ـ اعتمدتُ في تخريج الأحاديث المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة، وعن مسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل، ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين، ونشره د. أ. ي. ونِستك، أستاذ العربية بجامعة ليدن، طبعة مكتبة بريل، في مدينة ليدن ١٩٣٦م.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان: ٦٢، وأحمد في مسنده، الجزء ٣، ٤.

٦ ـ اجتهدت في اختيار الألفاظ السهلة في النطق والفهم (فالوحشي من الناس يذكر الوحشي من الألفاظ)، وإذا اضطررت لكلمة صعبة ذكرت معناها في الهامش أو بجوارها.

٧ ـ هذه الموسوعة أقدمها ـ للقارئ الكريم ـ في سبعة أبواب :

١ ـ **الباب الأول** : العقيدة والتشريع، وقضايا مهمة تتعلق بهما.

٢ ـ **الباب الثاني** : فقه العبادات ، العلوم الشريعية (أصول فقه، علوم قرآن، مصطلح حديث).

٣ ـ **الباب الثالث** : قضايا معاصرة. . وفقه هذه القضايا.

٤ ـ **الباب الرابع** : الأخلاق والمدنية والحضارة.

٥ ـ **الباب الخامس** : الفهم والدعوة، فالعمل للدين مسئولية الجميع.

٦ ـ **الباب السادس** : المرأة والأسرة وتربية الأولاد.

٧ ـ **الباب السابع** : فقه التعامل مع المناسبات الإسلامية (رمضان ـ الحج ـ الهجرة ـ ربيع أول ـ الإسراء ـ مآتم. . . وغيرها)، (ملاحق الموسوعة : ملحق الإصلاح، وملحق فلسطين).

وفي الختام أشكر لجنة المراجعة، وكل من ساهم في خروج هذه الموسوعة إلىٰ النور ولو بفكرة بسيطة، وأخص بالذكر منهم : **فضيلة الشيخ عبدالخالق الشريف.**

وأدعو الله أن يوفق كل من أرشدني وساعدني وأعانني ـ بعد فضل الله تعالىٰ ـ وأجركم الأعظم في قول النبي ﷺ : « **من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله** »(١).

والله ولي التوفيق.

المؤلف

محمد مصطفى عباس

---

(١) رواه مسلم، إمارة، ١٣٣ .

الباب الأول

العقيدة والتشريع

المقدمـــــة : الإسلام . . لماذا نؤمن به . . وندعو له؟

الفصل الأول : تيسـير العقيـدة .

الفصل الثاني : العبادة الأولى للمسلمين .

الفصل الثالث : كيف تعلو «لا إله إلا الله» على جميع أسباب الدنيا؟

الفصل الرابع : التشريع الإسلامي . . عظمته، ولمن حق التشريع؟ .

الفصل الخامس : سبب شقاء البشرية . . والعلاج .

الفصل السادس : قضايا عقدية هامة :

١ ـ الإيمان بالملائكة .

٢ ـ الإيمان بالكتب السماوية .

٣ ـ الإيمان بالرسل .

٤ ـ الروح ـ أشراط الساعة .

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر .

٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر .

٧ ـ قضية الرزق .

٨ ـ قضية الأجل .

٩ ـ قضية السحر والجن . . كيف نتغلب على الأحزان؟

١٠ ـ المراقبة .

مُقَدِّمَة

يأبى القرآن إلا أن تُبنى العقائد على أساس البرهان القائم على النظر العميق، والتفكير الهادئ، ولأجل هذا صاح القرآن في أصحاب العقائد الباطلة: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (البقرة: ١١١).

ثم يقرر القرآن هذه الحقيقة: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ (آل عمران: ١٩).

لماذا نؤمن بالإسلام.. وندعو له ؟

ولماذا ندعو كل البشر - وخاصة أهل الكتاب - للإيمان به والدعوة إليه؟

وأن يلتزموه عقيدة وشريعة؟!

نقول - وبالله التوفيق - : هب أن شخصاً لا علم له بالدين أراد أن يعتنق ديناً فقابل **يهوديًا** وسأله: ما ديانتك؟ ومن رسولك؟ وما شريعته؟ وما معجزته؟

فيقول: أنا يهودي، ورسولنا موسى، وشريعته التوراة، ومعجزته العصا تنقلب إلى حيّة.

فيقول الرجل: أما عن التوراة فكلام عادي، يمكن لأي إنسان أن يكتب مثله، أما عن العصا التي تنقلب إلى حيّة فهذه عصا اقلبها إلى حيَّة فأنت من أتباعه؟

فيقول اليهودي: لا أستطيع .

فيقول له الرجل: هذا كلام لا يُصدق أن تنقلب عصا إلى حية، وأنا لا أستطيع أن أؤمن بهذا الدين.

ثم يقابل **نصرانياً** ويسأله: ما ديانتك؟ ومن رسولك؟ وما شريعته؟ وما معجزته؟

فيقول: ديانتي المسيحية، وعيسى بن مريم - عليه السلام - هو ابن الله، وشريعته الإنجيل، ومعجزته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى!!

فيقول الرجل : أما عن الإنجيل يمكن لأي شخص أن يكتب مثله ، فهناك أناجيل لا حصر لها ، وكل إنجيل يختلف عن الآخر ، أما عن إحياء الموتى فهذا ميت فهل تستطيع أو يستطيع أحد أن يحييه؟ فيسكت النصراني ، فيقول الرجل : هذا كلام لا يصدق ، ومن حق الرجل ألا يُصَدِق .

ثم يقابل **مسلماً** لا يعرف عن دينه إلا الحكايات ، فيسأله : ما ديانتك؟ ومن رسولك؟ وما شريعته؟ وما معجزته؟

فيقول : ديني الإسلام ، ورسولنا محمد ﷺ ، ومعجزته أنه أُسري به وعُرِج به إلى السماوات في ليلة .

فيقول الرجل : هذا كلام لا يُصدق ! ! أن يصعد بشر إلى السماوات ، ومن حق الرجل ألا يُصَدِق لأنه لم ير ذلك ! ! ولا يستطيع أحد أن يفعله ! .

ثم يقابل **مسلماً يفهم دينه فهماً صحيحاً** ويعرف إسلامه جيداً ، فيقول له : ما ديانتك؟ ومن رسولك؟ وما معجزته؟ وما شريعته؟ ؟

فيخرج المسلم من جيبه نسخة من المصحف ويعطيها للرجل .

فيقول الرجل : هذا كتاب عادي أستطيع كتابة وتأليف ما هو أكبر منه مئات المرات ، وأكثر منه عشرات المجلدات ! !

فيقول المسلم : افتح الكتاب واقرأ .

فيقرأ الرجل في الصفحة الرابعة من المصحف قول الله سبحانه تعالى : **﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾** (البقرة) .

فيقول الرجل : هذا كتاب غير عادي إنه كتاب يتحدى ويأتي بنتيجة التحدي ! ! إنه معجز ! !

فيقول له المسلم : اقرأ وقَلِّب الصفحات ، فيقرأ الرجل : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**

وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾ (الحج).

ثم يسأله المسلم : أرأيت الطائرة؟

فيقول : نعم.

فيقول له المسلم : وما حجمها؟

فيقول الرجل : ضخمة.

فيسأله المسلم : وما حمولتها؟

فيقول الرجل : أطنان .

فيسأله : وما سرعتها ؟

فيقول : مئات الأميال في الساعة الوحدة . .

فيقول المسلم : قد استطاع العلماء صناعتها . . أما هذه الذبابة فهل يستطيع خلقها أحدٌ في هذا الكون؟

فيرد الرجل : كلا . . إن طلب خلق الذبابة كبير جداً على البشرية .

فيقول المسلم : بل لو سلب الذباب منك شيئاً لا تستطيع رده منه!! حقاً!!

وتستمر آيات التحدي : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

ثم يقرأ أيضاً : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)** ﴾ (القيامة).

والبنان هو إصبع اليد، وهو حامل البصمة وأصلها، فالبصمة لا يتشابه فيها اثنان مطلقاً من يوم أن خلق الله آدم إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إلى أن يقول الرجل : هذا كتاب غير عادي معجز ، لا يستطيعه بشر ، فهو من عند الله ، آمنت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وبالقرآن منهاجاً ودستوراً .

فيقول له المسلم : هل تشك في آية من هذا القرآن؟

فيقول الرجل : لا . . بل أصدق بكل ما جاء فيه من ماضٍ وحاضر ومستقبل .

فيقول له المسلم : إن هذا القرآن أخبرنا أن الله أسرىٰ بنبيه محمد ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، قال تعالىٰ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء : ١) .

أتصدق؟ فيقول : نعم أُصدق . .

ثم يقول له المسلم : إن هذا القرآن أخبرنا أن عيسىٰ كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتىٰ بإذن الله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٩) .

فيقول الرجل : هل هذا في القرآن؟

فيقول المسلم له : نعم .

فيقول الرجل : أُصَدِّقُ أن عيسىٰ رسول الله ، وأنه كان يحيي الموتىٰ بإذن الله .

وكذا موسىٰ عليه السلام ، أخبرنا القرآن أن عصا موسىٰ انقلبت إلىٰ حيّة ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ (طه) .

فيقول الرجل : طالما أن هذا في القرآن . . إذن أصدق به[1] .

---

(١) من محاضرة للشيخ أحمد المحلاوي ، في الجمعية الشرعية بالمنصورة في عام ١٩٨٧م .

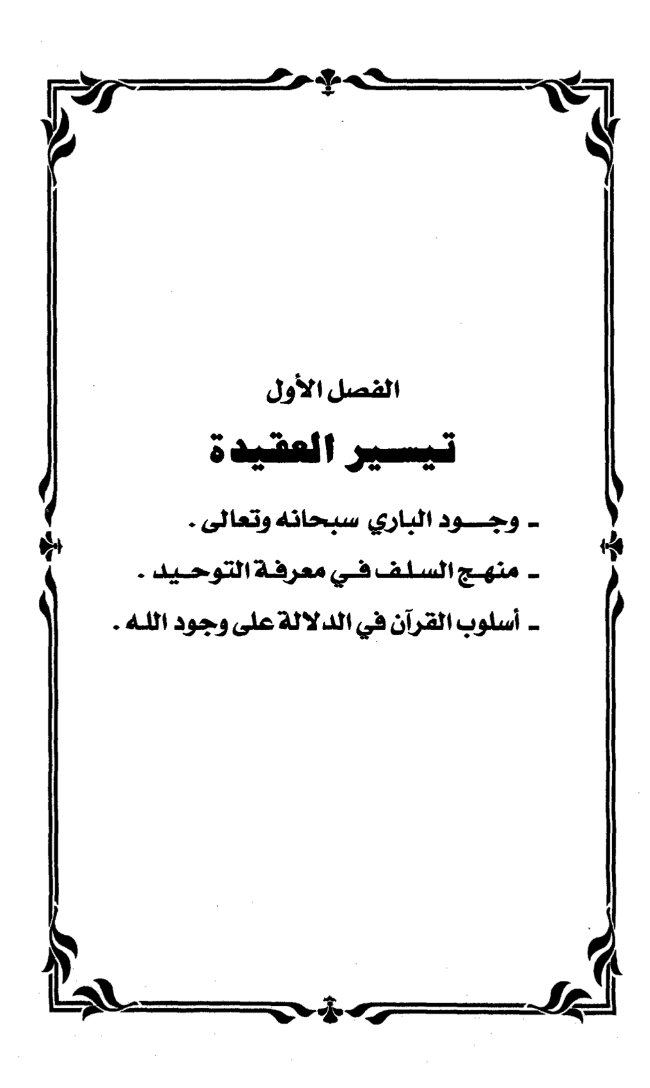
ولذلك نقول : لا يستطيع من يدّعون أنهم أتباع عيسىٰ عليه السلام **(النصارى)**، ولا من يدَّعون أنهم أتباع موسىٰ عليه السلام **(اليهود)** أن يُثْبِتوا شريعتهم أو معجزات أنبيائهم إلا من خلال الإسلام، ولا يعرف الناس أي شيء صواب عن هذه الديانات إلا من خلال القرآن الكريم.

لذا يجب علىٰ أهل الكتاب أن يعقلوا الإسلام جيداً . . وأن يتدارسوه بعيداً عن الأهواء والأقاويل المغلوطة إن كانوا يريدون الخير لأنفسهم وللبشرية.

وقد بيَّن لهم الشيخ أحمد ديدات ـ رحمه الله ـ أن الإنجيل الذي بين أيديهم ليس كلمة الرب[1]، ونحن نقول: لولا الإسلام لقال الناس عن عيسىٰ وموسىٰ وغيرهما من الأنبياء كل منكر، ولكن القرآن هو الذي حفظهم.

---

(١) مناظرة بين القس جيمي سواجارت والشيخ أحمد ديدات، وكان مقرها في أمريكا، ولم يستطع القس أن يقدم شيئًا فانهزم.



الفصل الأول

تيسير العقيدة

- وجود الباري سبحانه وتعالى .
- منهج السلف في معرفة التوحيد .
- أسلوب القرآن في الدلالة على وجود الله .

الفصل الأول

تيسير العقيدة

العقيدة لغة :الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده(١).

اصطلاحاً: ما يُقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد قال لي أحد معارفي : كم كتاباً في العقيدة قرأت؟

قلت له : ولله الحمد قرأت كتب كذا وكذا!!

فقال لي: أنا قرأت أكثر منك بكثير..

قلت له : أنت بقراءتك في كتب العقيدة هذه مازلت تشك في وجود البارئ، فأنت إذن تقرأ ليزول الشك، وهذا مخالف لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم.

فها هو الأعرابي بفطرته النقية، وتفكيره السليم اهتدى إلى الإيمان بالله، فلخص أمر الاعتقاد في كلمات بسيطة قائلاً: «البعرة(٢) تدل على البعير، والقَدَم(٣) يدل على المسير، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، ليل داجٍ، ونهار ساجٍ، وسماءٌ ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فِجَاج، وبحارٍ ذات أمواج، ألا يدل على الصانع الخبير؟»(٤).

ثم قلت له : هذا الأعرابي كم كتاباً قرأ في العقيدة والتوحيد؟

---

(١) المعجم الوسيط، جـ ٢، ص ٦٣٧، باب عقد، الطبعة الثالثة.

(٢) البعرة : رجيع الخُف ـ ما يخرج من الناقة، المعجم الوسيط، جـ ١.

(٣) القدم: أي: الأثر.

(٤) هذه العبارة مأخوذة من خطبة (قس بن ساعدة الإيادي) وهو خطيب في العصر الجاهلي، عن كتاب: «قس بن ساعدة الأيادي ـ حياته ـ خطبه ـ شعره»، د. أحمد الربيعي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، بغداد، ١٩٧٤م.

كم محاضرةً سمعها في هذا الموضوع؟

ومع ذلك . . فقد أكرمنا الله وأرسل الله لنا محمداً ﷺ بالقرآن والسنة، فعلَّمنا الإسلام بصفائه ونقائه، وأهم ما علمنا هو العقيدة السليمة، التي ظلَّ يدعو إليها ثلاثة عشر عاماً في مكة، فالعقيدة هي أساس العمل، والعمل لا يُقبل عند الله إلا بشرطين: أن يكون خالصاً لله تعالىٰ، وأن يكون صواباً موافقاً لسنة الحبيب محمد ﷺ.

ويجب ـ ونحن نتعلم هذه العقيدة ـ أن نحوِّل ما نتعلمه إلىٰ عمل وواقع في حياتنا . . فالله قال: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ (محمد: ١٩).

فعلم المسلمون وعملوا . . وتعلموا ذلك من القرآن الكريم الذي ربط بين الإيمان والعمل الصالح في آيات كثيرة . . وها هي عائشة رضي الله عنها تُسْأَل عن خُلق رسول الله ﷺ، فتجيب: «**كان خُلقه القرآن**».

وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: «**كنا نحفظ القرآن خمس آيات بخمس آيات، فلا نتجاوزهن حتى نعمل بما فيهن**»[(١)] .

وهناك من الصحابة الأفذاذ ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ من سمع كلمة من رسول الله ﷺ هي أول كلمات الإسلام: «لا إله إلا الله» فعلم ما مقتضيات وواجبات هذه الكلمة، وعلم ما يجب عليه فعله، فانطلق يدعو إليها، كأبي بكر الصديق الذي أسلم علىٰ يديه أكثر من نصف العشرة المبشرين بالجنة . .

وهذا أيضاً جندب بن جنادة «**أبو ذر الغفاري**» عندما جاء إلىٰ النبي ﷺ وشهد أمامه بالإسلام، وكان في ذلك الوقت رُبع العالم الإسلامي (لأنه رقم ٤ ممن أسلموا)، سمع لا إله إلا الله، وعلم أنها تحتاج إلىٰ أن ينطلق بها، فقال للنبي ﷺ: «أرسلني إلىٰ قومي . . فأنطلق بها »[(٢)] .

---

(١) وفي رواية أبو عبدالرحمن السلمي «كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»، مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، المقدمة، ص ١٢ .

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في الباب الخامس: الفهم والدعوة.

وجود البارئ سبحانه وتعالى :

إذا جاءك شخص فقال : إن في السوق دكاناً لا صاحب له ، ولا من يأتي إليه بالبضائع . . ولا من يبيعها . . ولا من يحرسها . . وإنما يتم فيه كل شيء من نزول البضائع ، وبيعها وحراستها تلقائياً . . تأتي إليه البضائع بنفسها ثم تُباع ، وتصل إلى أيدي المشترين بنفسها ! ! فهل تصدقه في قوله هذا؟

وهل تعترف بأنه من الممكن أن تصل البضائع إلى دكان بغير من يأتي بها إليه؟؟ وأن تُباع من غير من يبيعها؟ وتَسْلَم من السرقة والنهب بغير من يحرسها؟؟

وهل يمكن أن يَقْبَل قولاً سخيفاً كهذا عقل عاقل حواسه واعية وسالمة من الخلل والاضطراب؟

وهب كذلك أن شخصاً قال لك: إن في هذه المدينة مصنعاً لا صاحب له ، ولا مهندس فيه ، ولا عامل ، وإنما تكوَّن المصنع بنفسه وتشكَّلَتْ كل ما فيه من الآلات والأدوات بنفسها ، وتركبت كل قطع هذه الآلات في مكانها بنفسها ، وتجري كل آلاته وماكيناته بنفسها .

ألا ترتاب في أمره ، وتعتقد أن المسكين قد أُتي من قِبَلِ عقله؟ !

ولماذا نذهب بعيداً . . فهذا **مصباح كهربائي مضيء** أمام أعينكم ، فهل تبيحون لأنفسكم أن تصدقوا من يقول لكم إن النور يتولد فيها من تلقاء نفسه؟؟

وهذا **كرسي** موضوع أمامكم ، فهل تبيحون لأنفسكم أن تصدقوا أي فيلسوف في العالم إذا قال لكم : أنه خرج إلى حيز الوجود من تلقاء نفسه؟ !

وهذه **الملابس** اكتسيتموها . . فهل ترون أنفسكم مستعدين لتصديق أي شخص يقول لكم : ما نسجها أحد وإنما قد نُسِجَتْ بنفسها .

وهذه **بيوت** منشأة أمام أنظاركم فهل ترون أنفسكم مستعدين لتصديق أساتذة كل ما في العالم من الجامعات إذا قالوا لكم عن آخرهم : إن هذه البيوت ما بناها أحد ، وإنما بُنيت وارتفعت من عند نفسها؟(١) .

---

(١) طريق السلام، ص ٥ ، ٦ ، الشيخ المودودي ـ رحمه الله .

لن تُصدِّقوا ذلك كله . . بل تقولون : كل شيء لابد له من صانع ومُوجِد . . وكذلك فهذا الكون أوجده الله سبحانه وتعالىٰ . .

الله الله الله

اللَّهُ: هذا الاسم الكريم علم علىٰ الذات المقدسة التي نؤمن بها ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا ومصيرنا (١) .

الذين يقولون : لا إله، وأن الله غير موجود، نقول لهم : أنتم بكلامكم هذا تثبتون وجود الخالق سبحانه وتعالىٰ ، فاللفظ في اللغة لا يمكن أن يوجد لمعنىٰ غير وارد في الذهن، فالمعني يُوجَد أولاً، ثم يُوجد له اللفظ .

ونضرب لذلك مثلاً، ولله المثل الأعلىٰ في السماوات والأرض .

فنقول لهم : ما الذي يُوجَدْ أولاً: الاسم أم المسمىٰ بالاسم؟

فمثلا : أنت لم تُسَمَّ إلا بعد وجودك وولادتك ، ولم يوجد لفظ مذياع (راديو) إلا بعد اختراع المذياع ووجوده، وكذلك لفظ (**الله**) لم يوجد إلا بوجود الله تعالىٰ ، أما مسألة الإنكار أو عدمها فهذه مسألة أخرىٰ(٢) .

فإذا وجد الاسم دل ذلك علىٰ وجود المُسَمَّىٰ به وهو الله تعالىٰ، حتىٰ لو أنكروا وجود الله فهم لايستطيعون أن يُنكروا وجود الاسم وهو (الله) بدليل أنهم ينطقونه .

---

(١) عقيدة المسلم ، الشيخ الغزالي، ص ١٣ ، طبعة دار الكتب الإسلامية .

(٢) حديث الشيخ الشعراوي -رحمه الله- في كتاب الحرية، طبعة ١٩٨٥م، ص ٥٩ تحت عنوان «لفظ الله هذا-كيف دخل لغة البشر؟» .

ثم يقول-رحمه الله-في ص ٦١ : «واعلموا أن لفظ الكفر مؤمن : الكفر نفسه مؤمن؛ لأنه في لفظه أنه ستر شيئًا، وما دامت كلمة الكفر أنه لا إله، تبقىٰ سترت إله، يبقىٰ إذن اللفظ التوحيدي يدل علىٰ الإيمان، واللفظ المقابل أيضًا يدل علىٰ الإيمان .

منهج السلف في معرفة التوحيد :

(وَحَّدَ) الله سبحانه : أَقَرَّ وآمن بأنه واحد .

(تَوحَدَّ) الله بربوبيته وجلاله وعظمته : تَفَرَّدَ بها

(التوحيد) : الإيمان بالله تعالىٰ وحده لا شريك له .

والتوحيد في اصطلاح أهل الحقيقة : تجريد الذات الإلهية عن كل ما يُتصور في الأفهام، ويُتَخيل .

ومذهب التوحيد في الفلسفة : القول بإله واحد .

وعلم التوحيد : علم الكلام (١) .

« التوحيد هو روح الإسلام وجوهر عقيدته ، ومحور عباداته المنوعة ، ومبدأ التوحيد يسري في تعاليمه كافة سريان الماء في النبات ، أو الأعصاب في البدن ، وقد وضح القرآن الكريم حقيقته ، وبَسَّطَ فكرته ، وناقش ما قد يعرض له أو يعارضه ، حتىٰ ليعتبر التوحيد الإسلامي أصرح وأكمل ما أسسه دين في قلوب بنيه ، ودمغ البشر جميعاً بطابع العبودية لله وحده ، وانتزاع كل شعور يتجه بالمرء إلىٰ تقديس كائن ما هنا أو هناك .

إن إخلاص التوحيد يقتضي محبة العدل ، وكراهية الظلم ، فإذا أحبَّ الإنسان جائراً ، وكره عادلاً فقد أشرك»(٢) ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . . ﴾ (آل عمران : ٣١) .

ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله في قضية التوحيد: يقول الحق سبحانه وتعالىٰ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) ، إذن كون السماوات والأرض لم تفسد دليل علىٰ أنه «لا إله إلا الله» ، ولو لم توجد هذه العقيدة لما قامت السموات والأرض ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ ﴾ (فاطر : ٤١) .

---

(١) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، مادة وَحَدَّ ، ص ١٠٥٨ .

(٢) عقيدة المسلم ، ص ٨١ ، للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ ، ولعل الشيخ ـ رحمه الله ـ يقصد شركًا غير مخرج من الملَّة .

ومادام الله قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

وأنت تقول بحكم شهادة الواقع، ولكن الفساد ممتنع، إذن فالنتيجة: تعدد الآلهة ممتنع[١].

ويقول الشيخ المودودي ـ رحمه الله ـ [٢]: «لابد وأن يشهد عقل كل واحد بأن أي عمل في الدنيا ـ عظيماً كان أو تافهاً ـ لا يمكن أن يسير بنظام ووفق قاعدة مطردة ما لم يكن هناك شخص تكون عليه تبعته ومسئولياته، أَوَ قد سمعتم بمدرسة فيها عميدان، أو دائرة من دوائر الحكومة لها مديران؟ أو جيش له قائدان؟ أو مدرسة لها رئيسان أو ملكان؟»

ما القضية التي شغلت الأديان كلها :

هل قضية إثبات الوحدانية لله ؟

أم قضية إثبات الوجود لله؟!

يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ: «لا يصح أن يكون لله شريك، فقضية إثبات الإله الواحد هي التي شغلت الأديان كلها، وليست قضية إثبات الوجود لله، فثبوت الوجود أمر فطري، ولذلك لم يشغل القرآن حيزاً لإثبات وجود الله، وإنما كل الكلام فيه: أإلهٌ مع الله؟.. لماذا؟ قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (لقمان: ٢٥).

إذن الفطرة مُجْمِعَة على أنه لا يمكن أن يوجد هذا الكون من دون إله، هذه قضية فطرية، ولذلك عرضها القرآن الكريم عرضاً في قضية واحدة فقال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥).

أَخُلِقُوا من غير شيء؟!.. هذا لا يقوله عقل.

أم هم الخالقون؟! هذا لم يدعوه.

---

(١) عقيدة المسلم، للشيخ الشعراوي، جمع: عبدالقادر عطا، مكتبة التراث الإسلامي، ص٧٣، ٧٤.

(٢) طريق السلام، ص ٩، للشيخ المودودي ـ رحمه الله.

إذن لم يُخْلَقُوا من غير شيء لأنهم خُلِقُوا من شيء، وهم لم يدعوا أنهم خَلَقُوا . . إذن فالدعوة تظل لصاحبها إلى أن يأتي واحد فيقول : أنا الذي خلقتُ، والله أخذ مني الخلق، وادعاه لنفسه ! !

وحيثُ إنه لم يوجد من يقول ذلك بات هذا الأمر مؤكداً لله وحده، وعدم ادعاء أي من الجميع هذا الحق، بات تأكيداً من الجميع أن هذا حق لله وحده(١) .

إذن فقضية التوحيد هي الأساس الأصيل في مناقشة العقيدة، ومداره على هذا الاستفهام الإنكاري :

﴿ أَإِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ . . ﴿ أَإِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ .

ففي القرآن الكريم : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

« إن المنهج القرآني (في هذا النموذج) لا يزيد على أن يربط الفطرة بالوجود، وأن يفتح النوافذ بين الوجود والفطرة، وأن يدع هذا الوجود الهائل يُوقع إيقاعاته الهائلة العميقة في الكيان الإنساني، إنه لا يقدم للفطرة جدلاً لاهوتياً ذهنياً نظرياً ولا يقدم لها جدلاً كلامياً (كعلم التوحيد) الغريب على المنهج الإسلامي »(٢) .

كُتُب تمنع انتشار الإسلام :

يقول د.عبدالحليم محمود(٣): « . . . وسبب ثالث لعدم انتشار الإسلام آت

---

(١) عقيدة المسلم ، للشيخ الشعراوي ، مصدر سابق، ص ٧٦ .

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ـ تفسير سورة الأنعام، طبعة دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ثم يقول ـ رحمه الله ـ: «ولا يقدم لها فلسفة عقلية أو حسية، إنما يقدم لها هذا الوجود الواقعي بعالمية عالم الغيب، وعالم الشهادة، ويدعها تتفاعل معه، وتتجاوب وتتلقى عنه، وتستجيب في ظل منهج ضابط، لا يدعها وهي تتلقى من الوجود تضل في المتاهات والدروب».

(٣) أوروبا والإسلام، د. عبدالحليم محمود، ص ٢١ وما بعدها، طبعة المكتب الفني للنشر عام ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٩م.

من المسلمين أنفسهم(١)، وذلك هو عرض الإسلام وكتب المسلمين أنفسهم»(٢).

منذ سنوات جاء أحد الأمريكان ليمكث في مصر فترة من الزمن يتعلم فيها الإسلام، واتصل بالهيئات التي تمثل الإسلام فبلغت الحيرة منتهاها حينما أرادت هذه الهيئات اختيار كتاب يتعلم من خلاله الإسلام.

ومن الطبيعي أن يتجه الذهن إلىٰ كتب علم الكلام فهي كتب الدفاع عن العقيدة(٣)، ولكن إذا نظرنا في كتب علم الكلام نجد أنها:

١ ـ جدال لا ينتهي بين الذين يبحثون فيه بالزيع، وابتغاء الفتن، والجدال فيها يبدأ ويُعاد ولا ينتهي، فلا جدوىٰ ولا ثمرة.

٢ ـ وكتب علم الكلام تصور ـ علىٰ الخصوص ـ المستوىٰ الثقافي للعصور الوسطىٰ ولا تمت بصلة إلىٰ الأبحاث الحديثة ومن الطبيعي أن تكون كذلك؛ لأنها أُلفت في العصور الماضية وما أُلف منها حديثاً، أُلف علىٰ نمطها إتباعاً للآباء والأجداد. . . وبغضاً للخروج عن المألوف.

٣ ـ كتب الكلام استفاضت في الحديث عن القدر مع نهي رسول الله ﷺ نهياً صريحاً عن الحديث فيه واستفاضت في الحديث عن صلة الذات الإلهية بالصفات إذ أنه محاولة لإكتناه الذات الإلهية التي نهينا عن التفكير فيها وأمرنا بالتفكير في آثارها.

٤ ـ ومما لا شك فيه أن إكتناه سر الألوهية من حيث الذات أو من حيث القدر، من المتشابة الذي نهينا عن الخوض فيه.

---

(١) من هذه الأسباب التي ذكرها لعدم انتشار الإسلام في أوروبا أسباب خارجية عن الإسلام والمسلمين وأولها الكنيسة، وأسباب ترجع إلىٰ المسلمين أنفسهم منها: قلة أو عدم وجود دعاة مبعوثين في الخارج، وحالة المسلمين أنفسهم فهم غير متمسكين بالإسلام.

(٢) أقول: لذلك كان من أهداف الموسوعة تيسير عرض الإسلام بعيداً عن المصطلحات الصعبة علىٰ المسلمين وسرعة الإفادة منها عن الإسلام العظيم.

(٣) كذلك يظن أصحابها، ولكني أقول: إنها تهدم العقيدة، لا تدافع عنها لتعذر فهمها وفساد منهجها المنهي عنه شرعاً.

ولكن اكتناه سر الألوهية من الأمور التي تتطلع إليها نفوس طائفة من الناس أرادوا بعقلهم المحدود تعيين مالا يحد، وطمعوا في أن يحدوا بعلمهم الجزئي ما لا يحيطون به علماً.

ونشاهد الاتجاه في عهد الرسول ﷺ نفسه، وكان موقف الرسول منه حاسماً، والأحاديث كثيرة مستفيضة في النهي عن الخوض في الذات أو في القدر، ومما يروىٰ في ذلك: الأمر المتكرر المتنوع بالتفكير في الخلق دون ذات الخالق، حتىٰ لا نهلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتىٰ أحمر وجهه ثم قال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا**»(١).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهم يتراجعون في القدر فخرج مغضباً حتىٰ وقف عليهم فقال: «**يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم عن أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضا، ما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به**»(٢).

وبعض الأحاديث تذكر: «**فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله**».

ثم انتهرنا.. أو فغضب حتىٰ لكأنما فُقئ في وجهه حب الرمان.

وكان من الممكن لو استقامت عقول الناس، ونزعت من قلوبهم الأهواء والشهوات أن يكتفي بنهي القرآن وبنهي الرسول ﷺ ولكن الذين في قلوبهم زيغ موجودون في العالم في كل آونة وحين وفي كل بيئة ومكان.

فقد أطلت الفتنة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممثلة في صبيغ الذي كان يتكلم في القدر، فأخذ عمر يضربه بعراجين النخل على رأسه حتىٰ تاب، فتركه بعد أن دمي رأسه وقال: «حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في

---

(١) رواه الترمذي، قدر ١، وقال: حديث غريب.

(١) رواه أحمد ٢/١٩٦.

رأسي»، يريد بذلك أنه قد تاب، وأن نزعاته قد بددتها عراجين النخل وذهب مع الدم الذي سال من رأسه.

وسأله سائل عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة. . .

يقول الإمام ابن قتيبة في شرح مختلف الحديث: «وقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون».

هذا ما كتبه د.**عبدالحليم محمود** عن علم الكلام بهذه الدقة المتناهية فهو أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين وخريج جامعة السربون.

ثم يقول: إن عرضنا للدين الإسلامي على هذا النمط من العرض جعل كتبنا لا يتيسر فهمها للأجانب عنا، ولو لم يكن في الإسلام تلك القوة الذاتية التي تستولي على القلوب وتغمر الأفئدة لضاق بهذه الكتب المسلمون أنفسهم.

الإسلام إذن بحاجة إلى عرضه عرضاً سهلاً قوياً وبأساليب متنوعة وصور مختلفة حتى نتلافى هذا التقصير.

ومع كل هذا. . . هل منعت هذه العوامل من انتشار الإسلام وذيوعه؟

ويقول **الشيخ علي الطنطاوي** ـ رحمه الله ـ تحت عنوان: (جدال في غير طائل)(١): امتلأت كتب علم الكلام بالجدل في (الصفات) و(الذات)، هل علم الله تعالى (مثلاً) بذاته أم بصفة العلم فيه، وبالتفريق بين صفات الذات كالعلم والقدرة وصفات الأفعال كالخلق والرزق.

والجدل في كلام الله جرّ إلى فتنة كبيرة ما كان لها من داع هي فتنة الامتحان بالقول «بخلق القرآن» ومسائل كثيرة من هذا النوع.

والحق أن تلك المسائل لا تحتمل الجدال لأنها ـ إذا استعرنا لغة المحاكم ـ دعوى مردودة، للأسباب الآتية:

أولاً: لأن السلف ـ وهم أفضل المسلمين وخيار هذه الأمة من الصحابة

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام، الشيخ علي الطنطاوي، ص ٩٤.

والتابعين الكبار ـ كرهوا الخوض فيها، وكان دينهم أسلم، وإيمانهم أصح، وهم قدوتنا في ديننا.

ثانياً: لأن من يدقق في أقوال كثير من الفِرَق المختلفة يجدها كلها مبنية على أساس واحد هو قياس الخالق على المخلوقين، وتطبيق منطق العقل البشري، وأحوال النفس الإنسانية على الله، وذلك باطل لأن الخالق لا يُشبَّه بالمخلوقين، ولأن الله ليس كمثله شيء.

ثالثاً: لأن هذه الأمور كلها ما وراء المادة، أي من عالم الغيب، والعقل قاصر حكمه على عالم المادة فقط فيما يدركه فيها، ولا يستطيع أن يحكم على ما وراء المادة إلا من خلال الوحي.

والمطلوب العملي في هذه المسائل أن ندعو إلى شيءٍ جديد هو أقرب إلى الحق، وأنفع لنا أن:

- نتنقل من الجدال في صفات الله وأسمائه، إلى تحويل العقيدة إلى سلوك عملي في الحياة يوصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى.
- ننقل البحث غير المنتج في مسألة خلق القرآن(١)، إلى العمل بالقرآن الذي أنزله الله لنعلم ما فيه ونعمل به، فنأتمر بأمره، ونقف عند نهيه.
- ننقل البحث في علم الله (هل هو بذاته أو بصفة زائدة على الذات)، إلى اليقين بأن الله يعلم عنا كل شيء من سرنا وجهرنا وانفرادنا واجتماعنا . . فيجب أن نسلك في الحياة سلوكاً موافقاً لشرع ربنا حتى يرضى عنا.

وإن مَثَل من يشغل نفسه بالجدل في قضايا التوحيد المختلفة من دون عمل كمثل:

طلاب إحدى المدارس . . قال لهم المدير:

ستأتي لجنة عليا من الوزارة تتولى امتحانكم!!

---

(١) خلق القرآن، راجع الباب الثاني ـ علوم القرآن ـ شبهات والرد عليها.

فـالعـاقل من الطلاب يقول : إذا كـانت لجنة من الوزارة هي التي سـتـتولى الامتحان فينبغي أن استعد جيداً وأدرس ولا أدع من المنهج المقرر شيئاً إلا ووعيته .

والطالب الأحمق يظل يجادل في هذه اللجنة : كيف يكون الامتحان؟

وهل عدد أفرادها شفع أم وتر؟؟

وهل ستأتي بالسيارة أم بالطائرة ؟

ويظل هكذا إلى يوم الامتحان وما أعد شيئاً . .

إن الله لا يسألنا يوم القيامة عن شيء من هذه الجدالات التي ملأ بها المتكلمون كتبهم ، ولو كانت من شروط الإيمان لبحث فيه رسول الله ﷺ، لكنها من آثار الفلسفة اليونانية القديمة التي دالت دولتهم ، وبطلت أكثر نظرياتهم[1] .

فلنجعل كتاب الله أمامنا ، وليكن عليه اعتمادنا بعد الله سبحانه وتعالى ، وماكان فيه من ذكر لأمور غيبية لم يعرض إلا جزء منها ، آمنا بما جاء فيه ، وفوضنا ما خفي عنا إلى من أنزله علينا ، قال تعالى : ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** . . . ﴾ (آل عمران : ٧) .

قضية التوحيد على نحوٍ جديد :

يقول الشيخ محمد المدني : « القرآن الكريم فرغ من قضية التوحيد ومن محاجة المشركين ، وإقامة الدليل على بطلان زعمهم أن لله شركاء يُعبدون كما يُعبد ، ويُرْجَونَ كما يُرجَى .

فرغ القرآن الكريم من هذه القضية حين كان ينزل في مكة ويقارع المشركين ، أما وقد صار المسلمون مجتمعاً مؤمناً فإن القرآن لا يتناول أمر الوحدانية كقضية يناضل عنها على الوجه الذي كان في البيئة المكية المشركة ، ولكنه يتحدث عنها على نحو نرى في سورة النساء مظهراً له .

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام ، ص ٩٥ ، الشيخ : علي الطنطاوي - رحمه الله .

« التوحيد عملاً بعد التوحيد علماً » :

فهو يتحدث عن وحدانية الله كمبدأ يجب أن يستقر في المجتمع عملاً ، بعد أن قامت الأدلة عليه حجة ونظراً، فبينما هو يقول في إيجاز : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ (النساء: ٣٦). ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيماً ﴾ (النساء: ٤٨).

فلا يعدو أن يكون مذكراً بقضية استقرت وقام الدليل من قبل على صحتها نراه يتحدث عن الله تعالى مُشَرِّعاً يجب على الناس أن يتلقوا أحكامهم عنه، وأن يؤمنوا إيماناً خالصاً بأنه هو وحده صاحب الحق المطلق في ذلك من جهة أنه هو الخالق، ومن جهة أنه هو المتصف بالصفات التي لابد منها فيمن يُشَرِّع، ومن جهة أنه رقيب لا يغيب»(١) .

أسلوب القرآن في الدلالة على وجود الله :

يستخدم القرآن مشاهد الكون وحقائق النفس ـ بعيداً عن المراء الذي يقود إليه المنطق الذهني البارد الذي انتقلت إلينا عدواهُ من المنطق الإغريقي، وفشا فيما يسمى علم التوحيد أو علم الكلام(٢)، والتطبيق العملي لذلك يكون في الآيات :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا

---

(١) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ، ص ٣٣، المنهاج القرآني، د. عبد الستار فتح الله.

(٢) في ظلال القرآن، ص ٢٦٦١، الطبعة السابعة عشرة ، دار الشروق، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، تفسير سورة النمل، من بداية الآية ٥٩ .

أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون (٦١)
أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما
تذكرون (٦٢) أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي
رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣) أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من
السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤) قل لا يعلم من في
السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون (٦٥) ﴾ (سورة النمل).

وقد وقف المُعَلِّم المُلْحِد - أي الذي لا يعترف بوجود الله - يقول لطلاب الصف السادس الابتدائي :

أترونني؟

قالوا: نعم، قال: فإذن أنا موجود.

ثم قال: أترون السبورة؟ قالوا: نعم، فقال: فالسبورة إذن موجودة.

ثم استطرد معهم حتى وصل إلى غايته الخبيثة، فسأل: هل ترون الله؟

قالوا: لا، قال: فالله إذن غير موجود.

وهنا وقف أحد الطلاب الأذكياء معقباً على أسئلة مُعَلِّمِه المُلْحِد فقال لزملائه الطلاب:

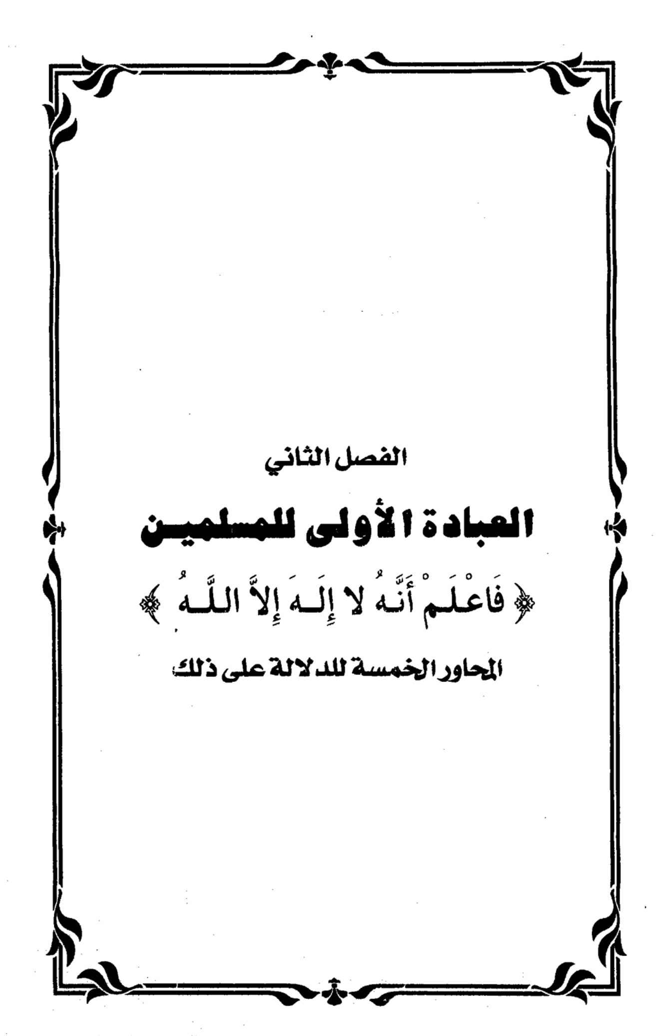
هل ترون عقل أستاذكم؟ قالوا جميعاً: لا.

فقال الطالب الذكي: فعقل الأستاذ إذن غير موجود.

فضحك الطلاب، وخجل الأستاذ الملحد(١).

---

(١) شبهات وردود، عبدالله ناصح علوان، طبعة دار السلام، ص ٢٢، ٢٣.



الفصل الثاني

العبادة الأولى للمسلمين

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾

المحاور الخمسة للدلالة على ذلك

الفصل الثاني

العبادة الأولى للمسلمين

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾

- وقد شهد الله بذلك، والملائكة وأولوا العلم، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).
- و« هي التي يدعو إليها كل داعٍ إلى الإسلام.
- وهي فيصل التفرقة بين الكفر والإيمان».
- وهي الأساس للبناء التكليفي في الإسلام»[١].
- وهي الأساس في صحة الأعمال، كبيرها وذرَّاتها ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.
- فالصلاة أول ما يُعرض من أعمال العبد يوم القيامة[٢]، وبين الرجل والكفر ترك الصلاة، فلا تصح الصلاة إلا بها، ولا يصح الصيام إلا بها، ولا يصح الحج إلا بها.

ولأهمية هذه العبادة [٣]، فسوف نقوم بترسيخها في القلوب والعقول عن طريق المحاور الآتية :

---

(١) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، للشيخ محمد أبو زهرة، هدية مجلة الأزهر، المحرم ١٤٢٥هـ، ص ٣٠.

(٢) رواه البيهقي والطبراني، وله شاهد عند الترمذي رقم ٤١٣، وقال الترمذي: حسن غريب، ولفظه: **«أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»**.

(٣) في المنهاج القرآني في التشريع، يقول د. عبدالستار فتح الله، ص ٤٤٣ : سعة معنى العبادة أنها تُطلق ويراد بها المعنى العام الذي يعني كل انقياد وطاعة لله عز وجل ومنهاجه، فتكون (الاعتقادات والأخلاق والمعاملات) كلها عبادات، انظر التفصيل في ذلك في الباب الثاني.

المحور الأول : من القرآن الكريم :

١ ـ يقول الله تعالىٰ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (البقرة : ٢٥٨).

فالقرآن هنا يتحدىٰ من يزعمون أنهم آلهة . . ومع ذلك لا يقول لهم : أخرجوا لنا شمساً جديدة، ولكن هذه هي الشمس تخرج من المشرق، فهل تستطيعون أن تأتوا بها من المغرب فقط؟! . . طبعاً لا يستطيعون ذلك . .

٢ ـ يقول الله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)** ﴾ (الحج).

هنا أيضاً قمة التحدي . . وبأي شيء؟! بأصغر شيء وهو خلق الذبابة، هل تستطيع البشرية كلها خلق ذبابة؟

البشرية التي صنعت كل هذه الآلات الحديثة لا تستطيع خلق ذبابة . . والأمر بخلق الذبابة شاق علىٰ البشرية، بل إن الذباب لو سلبهم شيئاً لا يستطيعون إعادته .

بل تأمل هذا الإعجاز : عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فليغمسه، فإن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً**»(١).

ولقد كان هذا الحديث سبب لاكتشاف كثير من المضادات الحيوية الطبية ـ كما ذكر ذلك علماء من أنحاء العالم ـ نذكر ملخصاً لأبحاثهم(٢) :

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (١٧)، حديث رقم (٣٣٢٠)، وفي كتاب الطب، باب ٥٨، حديث رقم ٥٧٨٢ .

(٢) راجع كتاب : الرسول ﷺ، للشيخ سعيد حوىٰ، ص ٣٤ وما بعدها .

إن هذا الحديث ذكر قضيتين كلتاهما لم تكن معروفة قديماً :

أولاهما : أن الذباب ناقل داء، وهذا شيء أصبح الآن معروفاً لدىٰ الجميع أن الذباب ناقل جراثيم ممتاز .

والثانية : وهي التي يجهلها الكثير أن الذباب يحمل مضادات للجراثيم من النوع الممتاز كذلك، وهذا تحقيق كتبه الدكتور عز الدين جوالة حول هذا الموضوع ننقل منه ما يلزمنا هنا، يقول :

١ ـ من المعروف منذ القديم أن بعض المؤذيات يكون في سمها نفع ودواء، فقد يجتمع الضدان في حيوان واحد، فالعقرب في إبرتها سم ناقع، وقد يداوي سمها بجزء منها .

وفي ذلك يقول العلماء : «وقد وجدنا لكون أحد جناحي الذباب داء والآخر شفاء ودواء، فيما أقامه الله من عجائب خلقه، وبدائع فطرته شواهد ونظائر، منها النحلة يخرج من بطنها شراب نافع ويكمن في إبرتها السم، والعقرب تهيج الداء بإبرتها ويتداوىٰ من ذلك بجرمها» .

٢ ـ وفي الطب يحضر لقاح من ذبيب الأفاعي والحشرات السامة يحقن به لديغ العقرب أو لديغ الأفعىٰ، بل وينفع في تخفيف آلام السرطان أيضاً .

٣ ـ إن الطب الحديث استخرج من مواد مستقذرة أدوية حيوية قلبت فن المعالجة رأسا علىٰ عقب فالبنسلين استخرج من العفن والستربتو مايسين من تراب المقابر . . . الخ، أو بمعنىٰ أدق من طفيليات العفن وجراثيم تراب المقابر، أما والحالة كذلك، فهل يمتنع عقلاً ونظرياً أن يكون في الذباب هذه الحشرة القذرة، والتي تنقل القذر طفيلي أو جرثوم يخرج أو يحمل دواء يقتل هذا الداء الذي تحمله .

٤ ـ من المعروف في فن الجراثيم أن للجرثوم ذيفان (مادة منفصلة عن الجرثوم) وأن هذا الذيفان إذا دخل بدن الحيوان كون البدن أجساماً ضد هذا الذيفان، لها قدرة علىٰ تخريب الذيفان والتهام الجراثيم تسمىٰ بمبيدات الجراثيم .

ومن المراجع العلمية نجد :

١ ـ في عام ١٨٧١م بحث للأستاذ الألماني «بريفلد» من جامعة هال بألمانيا.

٢ ـ في عام ١٩٤٥م أعلن أكبر أستاذ في علم الفطريات وهو (لانجيرون) أن هذا الفطر يعيش دوما في بطن الذبابة على شكل خلايا مستديرة فيها خميرة خاصة (أنزيم) قوية تحلل وتذيب من أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

٣ ـ في عام ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠م تمكن العالمان الإنجليزيان (آرنشتين وكوك) والعالم السويسري (روليوي) من عزل مادة سموها (جافلسين) استخرجوها من فصيلة الفطور التي تعيش في الذباب وتبين لهم أن هذه المادة مضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم غرام السالبة والموجبة والدايزانتريا والتيفوئيد.

٤ ـ وفي عام ١٩٤٨م تمكن (بريان وكورتيس وهيمنغ وجيفيرس وماكجوان) من بريطانيا من عزل مادة مضادة للحيوية أسموها (كلوتيزين) وقد عزلوها عن فطريات تنتمي إلى نفس فصيلة الفطريات التي تعيش في الذباب وتؤثر في جراثيم غرام السالبة كالتيفوئيد والدوسنتاريا.

٥ ـ وفي عام ١٩٤٩م تمكن عالمان إنجليزيان هما (كومسي وفارمر) وعلماء آخرون من سويسرا هم (جرمان وروث واشلنجر وبلاتنر) من عزل مادة مضادة للحيوية أيضاً أسموها (ايناتين) عزلوها من فطر ينتمي إلى فصيلة الفطر الذي يعيش في الذباب وجدوا لها فعالية شديدة جداً وتؤثر بقوة على جراثيم غرام موجباً وسالباً ولدى بعض فطريات أخرى كالزحار والتيفوئيد والكوليرا.

٦ ـ وفي عام ١٩٤٧م عزل (موفيتش) مواد مضادة للحيوية من مزرعة للفطريات الموجودة على نفس جسم الذبابة، فوجدها ذات مفعول قوى على الجراثيم السالبة لصبغة غرام، كالزحار والتيفوئيد وما يشابهها ووجدها ذات مفعول قوى على الجراثيم المسببة لأمراض الحميات ذات الحضانة القصيرة المدة، وأن غراماً واحدا من هذه المادة يمكنه أن يحفظ أكثر من ١٠٠٠ ليتر من اللبن المتلوث بالجراثيم المذكورة.

الخلاصة :

١ ـ يقع الذباب على الأكل فيلمس بأرجله الملوثة الحاملة للمرض هذا الطعام، أو هذا الشراب، فيلوثه بما يحمل من سم ناقع، أو يتبرز عليه فيخرج مع ونيمها تلك الجراثيم الدقيقة الممرضة .

٢ ـ فإذا حملت الذبابة من الطعام، وألقيت خارجه دون غمس، بقيت هذه الجراثيم في مكان سقوط الذباب، فإذا التهمها الآكل وهو لا يعلم طبعاً دخلت فيه الجراثيم، فإذا وجدت أسباباً مساعدة تكاثرت ثم صالت وأحدثت لديه المرض فلا يشعر إلا وهو فريسة للحمى طريح للفراش .

٣ ـ أما إذا غمست الذبابة كلها أو مقلت في الطعام فماذا يحدث إذا غمست الذبابة أحدثت هذه الحركة ضغطاً داخل الخلية الفطرية الموجودة مع جسم الذبابة فزاد توتر البروز والسائل داخلها زيادة تؤدي لانفجار الخلايا، وخروج الأنزيمات الحاملة لجراثيم المرض والقاتلة له، فتقع على الجراثيم التي تنقلها الذبابة بأرجلها فتهلكها وتبيدها، ويصبح الطعام طاهراً من الجراثيم المرضية(١) .

٣ ـ يقول الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤ ﴾ (القيامة) .

هذه الآية تقرر حقيقة أن لكل شخص في العالم بصمة خاصة به، لا يتشابه اثنان في بصمة واحدة ، ولذا تستطيع الأجهزة الأمنية بعد رفع البصمات أن تتعرف على شخصية الجاني في حالة حدوث جريمة(٢) .

---

(١) إن الله عز وجل، والرسول ﷺ لم يأمرا بفعل ذلك، فمتى أراد إلقاء الطعام ـ الذي سقطت فيه الذبابة ـ فهو مباح له، ومَنْ لا قدرة له على إلقاء الطعام، فهذا أسلوب للحفاظ عليه .

(٢) هذه بصمة البنان ، والبنان هو نهاية الإصبع، أما البصمات الأخرى فمنها :

أ ـ بصمة الرائحة : لكل إنسان رائحته المميزة عن غيره، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ (يوسف : ٩٤).

ب ـ بصمة الصوت : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ (النمل : ١٨)، فقد جعل الله بصمة لصوت سيدنا سليمان، وجعلت النملة تتعرف عليها . =

٤ ـ يقول الله تعالىٰ : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (الْمُلْك : ١٩).

هذه الآية تقرر حقيقة كبيرة وهي إذا كانت الطير تطير المسافات الشاسعة بواسطة جناحيها، وهي لا تستطيع أن تظل باسطة الجناحين طوال مسافة السفر . . **فالسؤال:** حينما تقبض جناحيها وهي في الجو من الذي يمسكها فلا تسقط؟!

طبعاً . . إنه الله الذي لا إله إلا هو . . .

.. وبعد ذكر هذه الآيات قد يقول لي قائل: انا لا اقرأ (القرآن) فماذا معك من أدلة تؤكد لي أنه: لا إله إلا الله؟

اقول لك : هذا المحور هو معيار لذكائك، فإذا ازددت إيماناً بعد هذا المحور فمقياس الذكاء عندك مرتفع، فهذا المحور يخاطب العقل الراشد[١] ، وحيث إنني حريص عليك لكي تؤمن بالله (إذا كنت غير مسلم) أو يزداد يقينك في الله (إذا كنتَ مسلماً) أقول لك : هيا بنا نلج[٢] المحور الثاني .

المحور الثاني: الكتاب المفتوح (الكون) :

هذا المحور ليس فيه خيال، وليس فيه غيب . . فأنت ترىٰ وتشاهد كل ما أدلك عليه وما أقوله لك :

١ ـ انظر إلى: الشمس والقمر والليل والنهار:

يقول الله تعالىٰ : ﴿ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس : ٤٠).

= جـ ـ بصمة الشفاه . د ـ بصمة الأذن . هـ ـ بصمة العين . و ـ بصمة الجينات .
راجع مجلة الرسالة، العدد السابع، مايو ٢٠٠٣م .

(١) يقول صاحب الظلال في قوله تعالىٰ : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » : كان التشريع ينزل يخاطب العقل البشري في حينه إلىٰ أن وصل العقل البشري إلىٰ قمة نضجه، جاء هذا الدين ليخاطب العقل الراشد فرشد العقل البشري ذكاؤه واعتناقه الإسلام .

(٢) نلج : ندخل . . . ولج البيت أي دخله .

الشمس التي نراها قرصاً صغيراً لها هذه الحقائق: هذه الشمس تبعد عن الأرض ثلاثة وتسعين مليون ميل[١]، وهي أكبر من الأرض بمقدار مليون ومائتي ألف مرة، وتفقد من كتلتها في الدقيقة مائتين وخمسين مليون طن، وطاقتها في الثانية الواحدة يخرج منها ألف مليون قنبلة هيدروجينية، وسرعة الشمس ١٦٦٦ ميل في الثانية الواحدة[٢].

فتأمل هذه السرعة وتساءل: هل أثرت سرعة الدوران هذه أو أحدثت فيه تآكلاً بمقدار سنتيمتر واحد؟ . . فأي جسم دوراني يتحرك وبهذه السرعة لابد من تعرضه لبعض التآكل في مركز الدوران.

ولكن انظر إلى قول الله: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . . تعلم أن الشمس هذه ليست بثابتة أو واقفة في مكان ما، ومع شدة سرعتها لم يحدث خلل في مركز دورانها منذ ملايين السنين مقداره على الأقل واحد ملليمتر[٣] !! لم يحدث ذلك على الإطلاق، فلم تهتز الشمس في مركز دورانها حتى ولو كانت مليمتراً واحداً.

وقد قال علماء الفلك: «لو اقتربت الشمس من الأرض مليمتراً واحداً لاحترقت الأرض ومن عليها، ولو ابتعدت الشمس من الأرض مليمتراً واحداً لتجمدت الحياة على الأرض».

الا ترى هذا الإعجاز العظيم ؟

فهذا الليل والنهار . . يطول النهار صيفاً ويقصر شتاءً ثم العكس . . ولكن هل سمعنا يوماً أن الليل خرج أثناء النهار أو أن النهار خرج أثناء الليل: ﴿ **وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ (يس: ٤٠).

والسؤال: ماذا يحدث لو أن حياتنا أصبحت كلها ليلاً فقط؟

---

(١) كتاب: تأملات علمية تنطق بقدرة الله، د. عز الدين فراج، ط. دار الفكر العربي ١٩٨٩م، ص٩٨.

(٢) الإعجاز الكوني في القرآن، د. السيد الجميلي، ط. أولى ١٩٨٨م، دار زاهد القدس، ص١٥٥.

(٣) كتاب: الإسلام يتحدى، ص ١٩٩ وما بعدها، وحيد الدين خان، ط. المختار الإسلامي، ط. السابعة ١٩٧٧م.

مَنْ الذي يأتينا بنهار؟ وكيف يكون شكل الحياة إذا كانت كلها ليلاً ؟

وأيضا لو أن حياتنا كلها أصبحت نهاراً، كيف يكون شكل الحياة؟

القرآن يرد ويصور ذلك أبدع تصوير :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) ﴾ (القصص).

٢ - انظر إلى النبات :

هل تعرف عن عملية الإنبات شيئاً؟ أو عملية الزراعة؟

ماذا تصنع أنت في موضوع الزراعة؟

عملك في الزراعة هو الآتي : أنت تأخذ بذرة (جافة لا تتكاثر) وتضعها في أرض ميتة (لا تتكاثر أيضاً) ثم تضع عليها التراب (لتقتل الحياة فيها إن كان فيها حياة)، ثم تغمرها بالماء فتتعفن هذه البذرة!! هذا هو كل عملك في موضوع الزراعة!! أليس كذلك . . ؟

ثم بعد مدة يحددها الخالق سبحانه القادر على الإنبات تذهب إلى الأرض فتجد البذرة الميتة في الأرض الميتة التي وضعت عليها التراب وغمرتها بالماء لتعفنها تجدها تشق سطح التربة بنبتة صغيرة ضعيفة وتخرج لتعلن أنه : «لا إله إلا الله».

ثم تعجب معي من الآتي :

١ - أنت تضع **البذرة** في الأرض على أي اتجاه (مقلوبة - أو في وضع صحيح) ومع ذلك تجد (حتى في البذرة التي وضعت مقلوبة) الساق والأوراق اتجهتا لأعلى سطح التربة، أما الجذر فقد اتجه إلى أسفل!! من الذي أوحى إلى البذرة بذلك؟ ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس : ٣٢).

٢ - ثم أنت تضع **البذرة** صغيرة جداً وبعد الإنبات تجد ساقاً وأوراقاً وثماراً، أين كانت هذه الأوراق والساق والثمار داخل هذه البذرة الصغيرة؟

تأمل.. وقل مع القائل :

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة

كيف نمت من حبة ؟ وكيف صارت شجرة؟

انظر وقل من ذا الذي يخرج منها الثمرة؟

لا شك أنه هو الله الذي أَنْعُمُهُ منهمرة

وشبيهٌ بهذا السلحفاة التي تضع بيضتها على رمال الشاطئ بحيث يكون اتجاهاً مناسباً لخروج الفرخ من البيضة متجهاً نحو البحر، فلما غَيَّرَ العلماء اتجاه البيض خرجت منه الأفراخ والتفت حول البيض متجهة نحو البحر!!

٣ ـ ثم أنت تجد **عود قصب السكر** مثلاً وهو شديد الحلاوة يلتف حوله وعلى جذره نبات لو تذوقته لوجدت له طعماً شديد المرارة، مع أن الجذور ملتفة والأوراق متشابكة، ويسقى بماء واحد، فلو كان الأمر يسير بالخاصة الشعرية لكان الطعم لهما واحداً ولكن الأمر يسير بالأمر الإلهي: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (الرعد: ٤).

٤ ـ ثم أنت تجد في **سنبلة القمح** العجب.. فكل حبة قمح مغلفة بغلاف حتى لاتتلف من المطر، ولها حارس شوكة لكل حبة.

٥ ـ ثم انظر إلى (**كوز الذرة**) وقل: يَدُ مَنْ التي امتدت إليه فصففت حباته هكذا، وغلفته بهذا الغلاف، وجعلت لكل حبة أنبوبة رقيقة خارج الغلاف تنقل إليها المواد الغذائية وغيرها؟

وهنا يهتف بنا القرآن: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥)** ﴾ (الواقعة).

٦ ـ **ظاهرة الوحدة المتكاملة في الكون** [1] : «إن المتأمل لملكوت هذا الكون،

---

(١) شبهات وردود، ص ٣٦، د. عبدالله ناصح علوان، ط. دار السلام، ط. الرابعة ١٩٨٣م.

يرىٰ أن فيه وحدة متكاملة تدل علىٰ أن ذاتاً واحدة موجودة متصفة بالعلم والقدرة والإرادة قد أوجدته من عدم، وخلقته بعد أن لم يكن، هذه الذات هي الله سبحانه وتعالىٰ.

ولنضرب علىٰ ذلك مثالاً واحداً ـ من أمثلة كثيرة لا يحصيها العدد، ولا يحيط بها العلم ـ ألا وهو مثال **الزهرة**.

يقول **الإمام حسن البنا** ـ رحمه الله وأعلىٰ منزلته: «ترىٰ الزهرة في النبات فترىٰ لها أوراقاً جميلة جذابة ملونة زاهية، فإذا سألت علماء النبات عن الحكمة في ذلك، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من الحشرات التي تمتص رحيق الأزهار لتسقط علىٰ الزهرة، وحتىٰ إذا وقفت علىٰ عيدانها علقت حبوب اللقاح بأرجلها، وانتقلت بذلك من الزهرة الذكر، إلىٰ الزهرة الأنثىٰ فيتم التلقيح، فانظر كيف جعلت هذه الأوراق الجميلة في الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان، حتىٰ يستخدم النبات الحيوان في عملية التلقيح الضرورية للإثمار والإنتاج...».

هذا التكامل لا نجده في عالم النبات فحسب، وإنما نجده في كل شيء، بين الليل والنهار.. السماء والأرض.. الشمس والقمر.. الطعام وجهاز الهضم.. الإنسان والحيوان والنبات.

ومما يدل على وحدة هذا الكون وتناسقه العجيب ان الشمس ـ كما يقول صاحب كتاب «العلم يدعو إلى الإيمان» ـ:

ـ لو أعطت الشمس للأرض نصف حرارتها فقط لتجمدنا من البرودة، ولو أن حرارتها زادت بمقدار النصف، لكنا رماداً منذ زمن بعيد.

ـ ولو كان قمرنا يبعد عنا مائتي ألف ميل بدلاً من بعده الحالي، لكان المَدُّ في البحار يبلغ من القوة، بحيث إن جميع الأراضي تُغْمَرُ مرتين في اليوم بماء متدفق يزيح الجبال عن أماكنها، ولما أمكنت الحياة علىٰ وجه الأرض.

ـ ولو كان ليلنا أطول مما عليه الآن عشر مرات لأحرقت شمس الصيف الحارة نباتاتنا في كل نهار، وفي الليل يتجمد كل نبت في الأرض»[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧، وإن أردت المزيد فارجع إلىٰ كتاب: «العلم يدعو إلىٰ الإيمان» لكريسي موريسون.

وما أجمل تعبير القرآن الكريم في إثبات الوحدة المتكاملة للكون حين قال : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ (المُلك).

والظواهر التي تدل علىٰ وجود الله أكثر من أن يحصيها عادّ، أو يحيط بها عالم، ومن أراد المزيد من هذه الظواهر، فليقرأ كتاب هذا الكون، وما فيه من آيات باهرات، وليتأمل في خلق الأرض والسماوات والإنسان، فإن فيها الدلالة الناطقة علىٰ وجود الله، والبراهين الساطعة علىٰ إبداعه المُحكم، وصنعه المتقن، وآثاره المعجزات. .

وفي كل شيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ علىٰ أنَّهُ الوَاحِدُ

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٦٤).

وما أحسن ما قال بعضهم :

تأمل في نبات الأرض وانظر إلىٰ آثار ما صَنَعَ الْمَلِيكُ

وقد يقول أحدهم : أنا لا أهتم بهذه الأشياء ولا أفكر فيها، ولا أنظر في الكتاب المفتوح (الكون). . أليس معك أدلة أخرىٰ؟

أقول له : انطلق بنا إلىٰ المحور الثالث المهم الذي لا ينفك عنك كإنسان لحظة واحدة.

المحور الثالث: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢١) :

١ ـ المَني :

يضع الرجل في رحم المرأة في الجماع الواحد دفقة (أي : كمية) من المني قَدَّرَ العلماء أن متوسط عدد الحيوانات المنوية فيها حوالي ٦٠ مليون حيوان منوي أنا وأنت كنا واحداً من هذه الستين مليوناً. . اسأل نفسك أين كانت يداك وبطنك

ورأسك وقدمك في هذه الدفقة من الحيوان المنوي؟

حتى لو افترضنا أن هذه الدفقة من الحيوان المنوي لم تكن تحتوي على الستين مليوناً من الحيوان المنوي، بل كانت تحتوي عليك أنت فقط، أين كان هذا الجسد كله في هذه القطرات من المني؟ أليس هذا أمراً عجيباً!! بل وقمة الإعجاز؟!

وهنا يهتف القرآن: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥).

يقول **صاحب الظلال** ـ رحمه الله ـ : «ووجودهم هكذا من غير شيء أمر يُنكره منطق الفطرة ابتداءً، ولا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل، إما أن يكونوا هم الخالقين لأنفسهم فأمر لم يدَّعوه ولا يدعيه مخلوق، وإذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة فإنه لا يبقى إلا الحقيقة التي يقولها القرآن وهي أنهم جميعاً من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد في الخلق والإنشاء، فلا يجوز أن يشاركه أحد في الربوبية والعبودية.. وهو منطق واضح بسيط»(١).

٢ ـ الروح (٢):

اجلس بجوار إنسان يحتضر وفي النزع الأخير، وسجل في نفسك ما تراه وكن متيقظاً، ودقق النظر للحظة خروج الروح.. الآن وقد خرجت الروح وأنت تجلس بجواره هل تستطيع أن تصفها لنا؟ ما لونها؟ ما طولها؟ هل هي سائلة أم غازية؟ هل تسير أم تركب؟ وما حجمها؟ هل ترتدي ثياباً بيضاء أم سمراء؟

هذه استفسارات لا تجد عنها إجابة في الواقع المحسوس، وأنت تجلس بجوار المحتضر ولا تجد لها إجابة في الواقع النظري عند الناس والعلماء، وهنا وفي هذه اللحظة يهتف بك القرآن العظيم: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥)، ويهتف أيضاً: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الواقعة).

---

(١) في ظلال القرآن، جـ ٦، سورة الطور، ص ٣٣٩٩.

(٢) سيأتي تفصيل عنها في الفصل السادس في مبحث الروح.

وعن أبي عبدالرحمن عبدِ اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: حدَّثنا رسولُ اللّه ﷺ وهُوَ الصَّادقُ المَصْدُوق: «إن أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خلقُه في بَطْنِ أمِّه أرْبَعينَ يوْما نُطْفةً، ثمَّ يَكُونُ عَلَقةً مثلَ ذلك، ثُمَّ يكُون مُضْغَةً مثْل ذلك، ثُمَّ يرسَلُ إليه المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوح، ويُؤمَرُ بأرْبع كَلمَاتٍ: بكَتْبِ رزْقه، وأجَله، وعَمَله، وشَقيٌّ أو سَعيدٌ، فوَاللّه الّذي لا إله غيرُه إنَّ أحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَل أهلَ الجَنَّة حتَى ما يَكُون بَيْنَه وَبَيْنَها إلا ذراعٌ فيَسْبقُ عليه الكتاب فيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْل النَّار فيَدْخُلُها، وإنَّ أحدكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَل أهْل النَّار حتى ما يَكُون بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فيَسْبقُ عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بِعمَل أهْل الجَنَّةِ فيَدْخُلُهَا»[1].

٣ ـ الماء:

ابتداءً . . من الذي أوجد هذا الماء؟

وهل تستطيع البشرية أن تسقط مطراً من السماء مهما أوتيت من علم ومن قوة ؟

يقول الله : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا** ﴾ (النبأ: ١٤).

وهل للبشرية كلها أن تعيد الماء إذا ذهب بعيداً في طبقات الأرض؟

﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ** ﴾ (المُلك: ٣٠).

يقول (**هربرت سبنسر**) الإنجليزي في رسالته في التربية : « إن العَالِمَ الذي يرىٰ قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأكسجين والأيدروجين بنسبة خاصة، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخر غير الماء، يعتقد عظمة الخالق وحكمته وعلمه الواسع بأشد وأقوىٰ وأعظم من غير العالِم الطبيعي الذي لا يرىٰ فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب».

حقائق:

أنت حين تشرب الماء فإنه يكون في الفم عذباً، ثم يتحول إلىٰ ماء مالح في العين حتىٰ لا تتعفن، لذلك نجد الدموع مالحة، ثم يتحول الماء هوهو إلىٰ ماء مُر في

---

(١) رواه البخاري، بدء الخلق ٦، أنبياء ١، قدر ١، توحيد ٣٨، ورواه مسلم، قدر ١.

الأُذُن حتى يحفظها من الميكروبات، ثم يتحول الماء العذب هوهو إلى المفاصل فيكون زيتاً يساعد على حركتها.

أنت شربت ماءً عذباً واحداً.. ما الذي عدده إلى هذه الأنواع المختلفة في جسمك؟ أإلهٌ مع الله؟!

وحينما تريد أن تُخرج الماء منك فقط تذهب تتبول، والبول هذا إفرازات بولينا ومواد ضارة تخرج من الجسم حتى لا تضره عن طريق الكليتين.

٤ ـ الكُليتين [١]:

أما عن الكُليتين.. ففي دقائق معدودة تستطيع أن تنظف الدم من الشوائب والسموم بواسطة ما يقرب من مليون وربع المليون وحدة تصفية.

وهاتان الكليتان: حجم الواحدة في مثل حجم قبضة اليد، وتحتوي على أنابيب صغيرة ودقيقة عددها ٢٠٠ مليون، وطول كل أنبوبة منها ٥ سم، وبذلك يبلغ طول هذه القنوات مليون كيلو متر.. ترشحان وتنظفان ما يبلغ حجمه ١٨٠٠ لتر من دم الإنسان يومياً، لتخرج حصيلة بول يومية عبارة عن لتر ونصف لتر يومياً من البول، والكلية الواحدة عبارة عن سبع طبقات تستطيع الطبقة الواحدة أن تعمل عمل الكلية، وبذلك يوجد لديك ما يقرب من أربعة عشرة طبقة احتياطية، وتستطيع أن تقول: إن لديك سعة أربعة عشرة كلية (سبحان الله).

أما الكلية الصناعية [٢] التي يذهب إليها مريض الفشل الكلوي: فهي عبارة عن حجرة كبيرة مملوءة بمواسير وخراطيم ومواتير كهرباء ومحاليل.. يجلس

(١) تأملات علمية تنطق بقدرة الله، د. عز الدين فراج، ط. دار الفكر العربي، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) يقول د. عز الدين فراج ـ المصدر السابق عنها ـ : «حتى هذه الكلية الصناعية غير قادرة وهي في حجمها الكبير أن تحقق ما حققته الكلية الربانية الصغيرة، لا من حيث العمل، ولا من حيث المدة والعمر، ولو أنها بقيت من سنة إلى سبع سنين على الأكثر لا تعمل من تلقاء نفسها، بل تحت إشراف مجموعة من الأطباء، كل متخصص في جانب من جوانبها لإصلاح ما يعتريها من عطب»، ص ٢٧.

المريض فيها مرة أو مرتين حسب حالته أسبوعياً ولمدة أربع ساعات تقريباً تزيد وتقل حسب ظروفه ليتم مرور الدم في هذه المرشحات والمواسير لكي يتم تنقيته وتصفيته.

كم يتكلف من الوقت ومن الجهد ومن المال ومن الإرهاق الصحي؟

وقد يستكثر الإنسان أداء الصلوات في أوقاتها رغم أنها لا تستغرق في اليوم كله ما يقرب من ساعة!!

ولذلك حينما قيل لهارون الرشيد: لو ذهب الماء، بكم تشتري كوب الماء؟

قال: بنصف مالي!!

فقيل له: وإن انحبس الماء فيك ولم يخرج، بكم تخرجه؟

قال: بنصف مالي الآخر!! فهذا مُلك لا يساوي شربة ماء.

ونصل بعد هذا التطواف لنقف أمام هذه الحقيقة الواضحة: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ**[١] **أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾** ﴾ (الواقعة).

فاحرص على الآتي ـ عافانا الله وإياك من الأمراض ـ:

١ ـ عندما تشرب الماء تقول: «**الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا**»[٢].

٢ ـ عندما تسمع النداء بالصلاة (الأذان): اترك ما في يدك واذهب إلى الصلاة فصلوات اليوم كلها تستغرق ما يقرب من ساعة ونصف (مريض الفشل الكلوي يظل على الأقل ٤ ساعات في الحجرة) وأحمد الله على نعمة الصحة.

---

(١) المُزنْ: السحاب أو الأبيض منه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، مختصر ابن كثير، سورة الواقعة: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ**﴾، ص ٤٣٧، طبعة دار الصابوني، وعند مسلم، ذكر ٢٤ برقم ٢٧٣٤، بلفظ: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكْلَة فيحمده عليها، أو يشرب الشَّربة فيحمده عليها**»، وقال النووي في شرح مسلم، جـ٩، ص ٤٥: «ولو اقتصر على الحمد لله حصَّل أصل السُّنَّة»، وعند الترمذي رقم ٣٤٥٧، بلفظ: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**».

٣ـ حافظ على الكليتين من أي مشروبات كحولية أو أطعمة ضارة.

انظر وقل:

يَدُ مَنْ التي امتدت إلى الكون بهذا التركيب المعجز؟! فأنت ترى خلايا هذا المعمل (**الكبد**) هي القادرة على تجديد نفسها بنفسها، وأنت ترى الكبد وكأنه محطة بنزين لتموين الجسم بالطاقة وقت الحاجة فهو مستودع للغذاء، وحاجز للسموم، أما المخ فهو مركز الرئاسة والتوجيه.

انظر وقل:

يَدُ مَنْ التي امتدت إلى **اللسان** فجعلت فيه جهازاً دقيقاً يميز الطعم (تسعة آلاف عقدة صغيرة كلها تصلح للتذوق).

انظر وقل:

يَدُ مَنْ التي امتدت إلى **الأذن** فجعلت فيه جهازاً دقيقاً يميز الأصوات (كل أذن بها مئة ألف خلية سمع) ولولا هذا الجهاز لاستوى عندك صوت القطار مع صوت السيارة مع صوت المؤذن مع صوت الحمار فلا تُميز أي الأصوات خير فلاتستفيد، فحينما لا تُلبي النداء يكون هذا الجهاز عندك قد فسد، ويصور القرآن ذلك فيقول: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ (المُلْك: ١٠).

انظر وقل:

يَدُ مَنْ التي امتدت إلى **الأنف** فجعلت فيه جهازاً دقيقاً يميز الرائحة، وجعلت فيه جهازاً دقيقاً يرطب الهواء إذا كان شديد الحرارة، ولو دخل هذا الهواء الساخن على الرئتين لأتلفهما، وهذا الجهاز نفسه هو الذي يقوم بتدفئة الهواء البارد شتاءً، فلو دخل الهواء بارداً على الرئتين أتلفها.

انظر وقل:

يَدُ مَنْ التي جعلت لك خط دفاع داخلي عندك يدافع عنك (**كرات الدم البيضاء**) وهذا الخط الدفاعي يفسده (التحلل الجنسي) ويطلق على هذا المرض (إيدز)، بمعنى انهيار جهاز المناعة في الجسم، وذلك تصديقاً لقول النبي ﷺ عن ابن

عمر - رضي الله عنهما : «**لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم**»(١) .

تقول مجلة العلوم الإنجليزية : «إن يد الإنسان في مقدمة العجائب الفذة ومن الصعب بل من المستحيل ابتكار آلة تضارع اليد البشرية » .

وحينما سمع رئيس قسم تحقيق الشخصية هذه الآية وفهمها(٢) : ﴿ **بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ** ﴾ (القيامة : ٤)، أسلم على الفور . . ولله الحمد . .

انظر وقل :

يَدُ مَنْ التي امتدت إلى هذا المصنع الكبير الذي يبدأ عمله في الصباح عند شروق الشمس ، إنها **ورقة النبات الخضراء** تنتج لنا الأكسجين ، وتستهلك هذا الغاز الضار وهو ثاني أكسيد الكربون ، فالأكسجين هو مادة التنفس ولا نستطيع الاستغناء عنه لثوان معدودة ولذلك فهو في يد الله تعالى لا يتحكم فيه إنسان ، ولو كان هذا الهواء (الأكسجين) في يد إنسان لعبده الناس من دون الله ، وتحكم فيهم وأذلهم ، ولكن من رحمة الله أن هذا الأمر في يده سبحانه (يد الرحمة) .

أيها الإنسان الكريم .. لعلك الآن اطمأن قلبك، وحمدت الله تعالى أن يسَّرَ لك أسباب معرفته التي رأيت، حتى تستطيع أن تقوم بالمهمة الكبرى وأنت على ثقة ويقين من أنه: لا إله إلا الله، وحتى تقوم بإعلاء: لا إله إلا الله.

---

(١) روى ابن ماجة والبزار والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «يا معشر المهاجرين ، خصال خمس إن ابتُليتُم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أُخِذُوا بالسنين ، وشدة المؤنة ، وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسول الله ﷺ إلا سُلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعل بأسهم بينهم» ، (الفاحشة : الزنا، الأوجاع : الأمراض، القطر : المطر ، بأسهم : يعني حربهم) ، في سنن ابن ماجة ، الجزء الثاني ، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، برقم ٤٠١٩ ، وقال في الزوائد : هذا حديث صالح للعمل به .

(٢) تعريف عام بدين الإسلام ، الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - ، ص ٢٢١ .

المحور الرابع : المُشاهدات :

هذا المحور له أثر بالغ في تعميق الإيمان وترسيخه علىٰ أسس ثابتة . . فالرؤية أعمق وأبقىٰ أثراً في النفس . .

ومن الأدلـة (١) المشاهدة التي تـدل على وجود الخالق العظيم ظاهرة الإلهام والهدايـة :

١ ـ **الدجاجة دفعتـه للإسلام** (٢) : خطر لِعَالِـم أمريكي أن يستفرخ البيض في جهاز خاص للتفريغ ، وذلك بوضع البيض في نفس الحرارة التي ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له ، فلما جمع البيض ووضعه في الجهاز نصحه فلاح أن يقلب البيض في كل فترة إذ أنه رأىٰ الدجاجة تفعل ذلك فسخر منه العالم وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل من حرارة جسمها ، أما هو فقد أحاط البيض بجهاز يشع حرارة ثابتة لكل أجزاء البيضة .

واستمر العَالِم في عمله حتىٰ جاء دور الفقس وفات ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة ، وكرر التجربة بلا جدوىٰ ، وأخيراً استمع إلىٰ نصيحة الفلاح فصار يُقَلِّبُ البيض ، حتىٰ إذا جاء ميعاد الفقس خرجت الكتاكيت (الفراريج) . . فسبحان الله .

وآخر تعليل علمي لهذه الظاهرة ، أن الفرخ عندما يُخلق في البيضة تُرسب المواد الغذائية (المحُ) الصفار في الجزء الأسفل من جسمه إذا بقىٰ بدون تحريك ، فيؤدي إلىٰ موته ، ولولا هذه الهداية التي أودعها الله في الدجاجة لما بقي نوع الدجاج في العَالَـمْ ،

ثم تأمل هذا الكتكوت ذا المنقار الضعيف جداً (الهش) ، كيف يكسر قشرة البيض القوية ، ويخرج منها دونما مساعدة منك ، وكأنه يهتف لك : لا إله إلا الله .

---

(١) هذه الأدلة التي نذكرها ليست من أجل المسلمين بالدرجة الأولىٰ ولكنها تذكير لهم فقط ، أما السبب الرئيسي لذكرها : هو أن يتفكر غير المسلمين ليؤمنوا بالله تعالىٰ ، يقول الشافعي رضي الله عنه : من احتاج إلىٰ دليل علىٰ وجود الله احتاج إيمانه ألف دليل .

(٢) كتاب : شبهات وردود ، د. عبد الله ناصح علوان ، ط . دار السلام ، ص ٣٣ .

٢ ـ الزنبور[١] : يصيد حشرة الجندب (النطّاط)، ويخزه بإبرته في مكان مناسب بحيث يفقده وعيه مع بقائه حياً كنوع من اللحم المحفوظ . . وبعد ذلك يُعد حفره في الأرض ثم تأتي أنثى الزنبور وتضع بيضاً في مكان مناسب من الحفر، ثم تغطيها وترحل، بعد أن أمنّت وسيلة القوت والحياة لأولادها الصغار، ولولا هذه الهداية التي أودعها الله في الزنبور لما بقيت زنابير على وجه الأرض .

والآن لا تملك إلا أن تهتف من أعماق قلبك ووجدانك أنه : لا إله إلا الله .

وفي كل شيءٍ له آية تدلُ على أنه الواحد

٣ ـ النملة[٢] : حينما تأخذ حبة من الحبوب لتخزينها لطعامها تقوم بشطرها نصفين، حتى لا تُنبت هذه الحبوب في داخل الجحور، فإذا أخذت حبة كزبرة تقوم بتقسيمها إلى أربعة لأن حبة الكزبرة إذا كانت نصفين تنبُت أيضاً، وبالتالي تحافظ على طعامها من أن يتبدد ويذهب . . ولك أن تقف مندهشاً :

من الذي عَلَّمَ النملة ذلك؟

ومن الذي علمها أن هذه حبة كزبرة ؟

قال القزويني في كتابه (**عجائب المخلوقات**) : النمل حريص على جمع الغذاء، عظيم الحيلة في طلب الرزق، وإذا وجد شيئاً أنذر الباقين ليأتوا إليه، ومن طبعه أن يدَّخِر من قوته في الصيف للشتاء .

وله حيل كثيرة منها : إذا خاف العفن على الْحَبّ أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره، وإذا أحس بالغيم رده إلى مكانه خوفاً من المطر، فإن ابتل شيء منه بسطه يوم الصحو في الشمس» .

وأنت على هذه الحالة من الدهشة يهتف القرآن في وجدانك : **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾** (محمد: ١٩)

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٤ .

(٢) تأملات علمية تنطق بقدرة الله، د. عز الدين فراج، ط. دار الفكر العربي، ص٦٥ .

٤ ـ الإبل : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية : ١٧).

ذِكْرُ الجمل في القرآن إنما يوحي بأنه ينفرد بأشياء عجيبة فمثلاً :

أ ـ في شكله الظاهري تجد : الْخُف حتى لا تغوص قدمه في الرمال ـ بطن الجمل فيها (كلكل) للحماية أثناء التحميل حيث يضعها على الأرض ـ أذن الجمل كثيفة الشعر صغيرة حتى لا تدخلها الرمال ـ العين لها صفين من الرموش لوقايتها من الحصى ـ الأنف رخوة تفتح وتغلق ـ في حركة المشي ينقل الأمامية والخلفية معاً من الجهة الواحدة.

ب ـ قدرة الجمل العجيبة على تحمل العطش فنجد : بوله شديد التركيز جداً ـ شدة امتصاص الطعام فيخرج البعر (البراز) جافاً يستخدم كوقود ـ يمكن أن يشرب من ماء البحر ـ أنفه يمتص رطوبة التنفس الخارج ـ يرفع حرارة جسمه نهاراً حتى لا يعرق فتقترب من حرارة الجو ـ ثم تخرج الحرارة ليلاً فينام البدوي بجواره ليلا للدفء . . كل هذه التجهيزات للجمل حتى لا يفقد ذرة من الماء فكل هذه الوسائل للمحافظة على الماء ـ يحمل ما يقرب من ١٢٥ كجم شحماً يحولها إلى ماء عند الحاجة إذا اشتد به الظمأ وبذلك يمكن أن يقضي الجمل حوالي شهر ونصف الشهر بلا ماء(١) .

ها نحن الآن قد وصلنا إلى محطة الأمان والاطمئنان فنجد القرآن ذلك الكتاب الحق، يجمع لنا كل حقائق الكون في إعجاز بليغ بكلمات دقيقة شاملة :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فُصِّلَتْ : ٥٣).

فائدة : إن العقل البشري له حدود لا يستطيع أن يتجاوزها، ولذلك نحن مأمورون أن نتفكر في خلق الله، ولا نتفكر في ذات الله.

ففي الترغيب والترهيب عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن قوماً تفكروا

---

(١) كتاب : تأملات علمية، مصدر سابق، ص ٥٩ ـ ٦١ بتصرف شديد.

في الله عز وجل، فقال النبي ﷺ: **«تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره»**(١) .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال: هذا خلقُ الله الحق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله»**(٢) .

الدرس العملي : حاول دائماً التفكر في خلق الله، ولا تتفكر في ذات الله، لأن التفكر في ذات الله أكبر من حدود عقلك وأسوق لك مثالاً :

■ النملة .. ومهندسو السكك الحديدية !!

إذا أمسك مهندسو السكة الحديد بنملة وقالوا لها : أيتها النملة هل تعرفين ما السبب في أن يترك مهندسو السكة الحديد فاصلاً بين وصلات القضبان؟! السبب يا نملة في هذا الفاصل أن القضبان تتمدد في فصل الصيف فتجد مكاناً تتمدد فيه حتى لا يحدث لها تقوس فينقلب القطار!! هل فهمت النملة من ذلك شيئاً؟ . .

كلا . . ولن تفهم لأن ما قيل لها أكبر من نطاق عقلها، وخارج حدود عقلها(٣) .

هكذا تماماً إذا جئت بأي جهاز مصنوع : راديو أو تليفزيون مثلاً، وسألته أن يدلي لك بأي معلومات عن الذي صنعه، وما الذي يعرفه عن صانعه، لا يمكن ذلك لأن المصنوع لا يعرف عن الصانع شيئاً .

كذلك لا يمكن لجهاز مصنوع أن يضع قانوناً لإصلاح جهاز مثله، فكيف تثق أن الإنسان ذلك المخلوق يستطيع أن يضع قانوناً يسير عليه إنسان مثله تماماً هو لايعرف عن النفس البشرية شيئاً . فكيف يضع لها قانوناً؟ .

---

(١) حديث حسن، رواه أبو الشيخ، والطبراني في الأوسط بأسانيد ضعيفة، لكن اجتماعهما يكسبها قوة، والمقاصد الحسنة، جـ١، ص٨٨، تخريج أحاديث الأحياء، جـ٩، ص٢٩٢ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم ٢/٢ ، وعند الطبراني في الكبير عن ابن عمرو .

(٣) شبهات وردود، د. عبدالله ناصح علوان، ط. دار السلام، ط. الرابعة ١٩٨٣م .

المحور الخامس : استحالة الصدفة :

إن أبعد الأمور عن القياس وأعظمها استحالة، هو أن نؤمن بأن الكون وحقائقه الرياضية جاءا نتيجة «صدفة»!!

فمن الخصائص الحكمية في هذا الكون كونه صالحاً لتصرفات الإنسان عند الضرورة، ولنأخذ النتروجين على سبيل المثال.

فإن ٧٨٪ من النيتروجين توجد في كل هبة من الرياح وكذلك توجد في أجزاء كيماوية أخرى، ونسميها حينئذ «النيتروجين المركب»، وهذه كلها يستغلها النبات لكي يهيئ لنا الجزء النيتروجيني في غذائنا، فلولا هذه العملية، لهلك الحيوان والإنسان، وكل ما يعتمد على النبات في أكله جوعاً وفاقة، فإن أي نبات غذائي لا ينمو بدون هذا التحليل الكيماوي.

إن هناك طريقتين لا ثالث لهما، لتحليل النيتروجين في الأرض، **والطريقة الأولى:** هي العملية الجرثومية وتقوم بأدائها الجراثيم التي تعيش في جذور الشجرة تحت الأرض وهذه الجراثيم تأخذ النتروجين من الهواء، وتصنع منه النيتروجين المركب ويبقى هذا النيتروجين تحت الأرض بعد الحصاد مع الجذور، **أما العملية الثانية** التي تصنع النيتروجين المركب فهي الرعد، فكلما احتك الرعد في الفضاء مزج شيئاً من الأوكسجين في النتروجين، ويصل هذا النتروجين المركب إلى الحقول عن طريق الأمطار التي تلي العملية، والكمية التي تحصلها الحقول من هذا المركب بسهولة، كل سنة، هي ما يقرب من خمسة أرطال لكل «أكر»[1] من الأرض وهي تساوي ثلاثمائة رطل من نترات الصوديوم.

ولكن هذه الكمية من النتروجين المركب لا تكفي؛ لأن الحقول التي تزرع لمدة طويلة ينفد ما فيها منه، ولذلك نرى الزراع يحولون المواسم الزراعية من حقل لآخر، بعد وقت معلوم وأعجب ما حدث في هذا القرن ـ عندما ضاقت الأرض بما رحبت على سكانها، و قل النيتروجين لكثرة الزراعة وخافت الإنسانية من القحط

---

(١) مقياس انجليزي لسطح الأرض وهو أقل من (فدان) .

والفاقة ـ اكتشفنا في هذه المرحلة الخطيرة «**طريقة ثالثة**» لاستمداد النتروجين من الهواء، وكانت الجهود الأولىٰ، التي بذلت في هذا الصدد، أنهم جربوا عملية خلق رعد صناعي في الفضاء باستعمال آلات قوتها ٣,٠٠٠,٠٠٠ حصان، غير أنهم لم ينجحوا إلا في صناعة كمية ضئيلة من النتروجين المركب، وتقدم الإنسان بهذه التجارب، حتىٰ كشف الطريق الثالثة، وهي استخدام الهواء في صناعة النيتروجين المركب، في صورة (السماد).

وهكذا استطاع أن يهيىء لغذائه جزءه الضروري، الذي لولاه لهلك جوعاً، وهذا حدث عجيب في تاريخ الأرض، فإن الإنسان كشف للمرة الأولىٰ في تاريخه حلاً لأزمة الغذاء، وابتعد شبح الكارثة إلىٰ حين عن سكان الأرض بعد أن أصبح من الإنسان قاب قوسين أو أدنىٰ.

إن هناك أموراً كثيرة تؤكد وجود الحكمة والروح في الكون، وكل ما لدينا من علم يؤكد لنا أن ما قد كشف أقل بكثير مما لم نستطع حتىٰ الآن الكشف عنه!

وبرغم ذلك فإن ما كشفه الإنسان كثيرُ جداً.

... واستحالة الطبيعة:

يقول عالم الطبيعة الأمريكي «**جورج إيرل ديفيس**»(١):

لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه فإن معنىٰ ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحالة سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله، وهكذا ننتهي إلىٰ التسليم بوجود (الإله) ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيباً!! إلهاً غيبياً ومادياً في آن واحد!! إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي وهو ليس من هذا الكون بل هو حاكمه ومدبره ومديره بدلاً من أن أتبنىٰ مثل هذه الخزعبلات.

---

(١) عن كتاب الإسلام يتحدىٰ، لوحيد الدين خان، ص ١٠٨، طبعة المختار الإسلامي عام ١٩٧٧م.

الواجبات العملية :

لكي تعرف مدىٰ عمق الإيمان عندك، ورسوخ اليقين في قلبك، وتملك العقيدة من نفسك. . عليك بأن تكون علىٰ يقين بأن :

١ ـ الله هو خالق هذا الكون، وهو المتصرف في شئونه.

٢ ـ الأجل بيده سبحانه لا يستطيع أحد أن ينهي أجلك، لأن نهاية الأجل تكون بخروج الروح ـ وكما أسلفنا ـ لا يعرف أحد عنها شيئاً.

٣ ـ الرزق بيد الله تعالىٰ : ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...** ﴾ (يونس: ٣١).

٤ ـ الماء ـ وهو أهم ضروريات الحياة ـ مصدره من عند الله تعالىٰ : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا** ﴾ (النبأ: ١٤)، ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ** ﴾ (الملك: ٣٠).

فلا تخف علىٰ شيء من هذه الأشياء فإنها بيد الله تعالىٰ، وليست بيد أحد، ولا تشغل بالك بها، وانطلق إلىٰ العمل والطاعة والعبادة فقد تكفَّل الله بهذه الأمور، وهو نعم الوكيل.

السؤال الأخير:

هل بعد هذا العرض السهل الميسر اعتقدت اعتقاداً جازماً أنه بحق لا إله إلا الله، وأنه هو الخالق الرزاق المستحق للعبادة، والمتصرف في كل شيء؟

أدعو الله أن تكون كذلك. .

ثم أدعوك أن تتدبر هذه الآيات من سورة النمل، قال تعالىٰ :

﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ**

أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦) ﴾ (النمل).

وتأمل هذه الموعظة الشعرية (١) :

قُلْ للطبيبِ تَخَطَفَتْهُ يَدُ الرَدَىٰ
يا شافِي الأمراضِ مَنْ أرداكا ؟
قُلْ للمريضِ نَجَا وَعُوفِي بعدما
عجزتْ فنونُ الطب . . من عافاكا ؟
قُلْ للصحيحِ يموتُ لا مِنْ عِلَّةٍ
مَنْ بِالْمَنايا يا صحيحُ دهاكا ؟
قُلْ للبَصِيرِ وكانَ يحذَرُ حُفْرَةً
فَهَوَىٰ بِها . . من ذا الذي أهواكا ؟
بل سائلْ الأعمىٰ خطَا بين الزحامِ
بلا اصطدامٍ . . مَنْ يقود خطاكا ؟
وَإذا تَرىٰ الثعبان ينفث سُمَّهُ
فاسألْهُ : مَن ذا بالسموم حشاكا ؟
وَاسألْهُ كَيفَ تعيشُ يا ثُعبان أو
تحيا وهذا السُّمُّ يملأُ فاكا ؟

---

(١) عن كتاب وصايا الرسول ﷺ، لطه عبدالله العفيفي ، ص ٨٥، طبعة دار التراث العربي، ١٩٨١م.

وَاسْأل بطونَ النحل كيف تقاطرت

شهداً؟ . . وقل للشهدِ من حلاكا ؟

بل سائل اللبن المُصفىٰ كان بين

دمٍ وفَرْثٍ . . ما الذي صفاكا ؟

الفصل الثالث

كيف تعلو « لا إلـه إلا اللـه » على جميع الأسباب في الدنيا ؟

الحقائق الخمسة الدالة على ذلك ..

الفصل الثالث

كيف تعلو « لا إِلَهَ إِلا اللَّه » على جميع الأسباب في الدنيا

تكالب الناس على الإسلام وتداعت علينا الأمم، حتى أصبح يظن البعض أن انتصار الإسلام وعودته إلى حياة الناس أمر صعب المنال، وقد يعده البعض من ضروب الخيال.

وهذا وهمٌ وخطأ . . فعلى المسلمين الثقة في نصر الله سبحانه وتعالى . . وليعلموا أن النصر بيد الله وحده، فقط علينا الأخذ بالأسباب، والجد والاجتهاد، وحينما يرى الله منا صدق النية والإرادة فسيمكن لنا في الأرض، ويدخر لنا الجزاء الأوفى في الآخرة، ففي هذه الآية ست مؤكدات على نصر الله للمؤمنين: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

ويجب أن نعلم - كذلك - أنه حينما يتعلق الأمر بانتصار «لا إله إلا الله» على الباطل، وفي الوقت نفسه يرى الله منا صدق النية، والجد في الأخذ بالأسباب . . فإن أمر التمكين على الله يسير، ومهما بلغ من سلطان الأسباب فإنه لا يعجز سلطان المسبب عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

وهذه بعض الحقائق الدالة على ذلك:

الحقيقة الأولى:

حينما نريد أن نطفئ النار المشتعلة نأتي لها بالماء. . فهذا سبب الإطفاء ولابد أن نأخذ به، ولكن حينما أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار ظلت مشتعلة وسلب الله منها خاصية الإحراق!! لأن إبراهيم عليه السلام هو الذي سيحمل تبليغ دعوة: (لا إله إلا الله)، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

- كان من الممكن أن ينزل المطر فيطفئ النار!! فيقول المشركون: لولا نزول المطر لأحرقنا إبراهيم!!
- وكان من الممكن أن يهرب إبراهيم!! فيقول المشركون: لو أمسكنا به لأحرقناه!!
- ولكن تظل النار كما هي مشتعلة ويُقذف بإبراهيم فيها، ولا يخرجه أحد ولا يهرب، وتنتهي النار، ويخرج إبراهيم سليماً معافى حتى تعلو راية (لا إله إلا الله).

الحقيقة الثانية:

أين كان يوسف ـ عليه السلام ـ حينما رمى به إخوته؟

كان في (غيابت الجب). . مُعرَّضاً للموت.

وحيث إن الأمر متعلق بـ(لا إله إلا الله) فقد قيَّض الله له عزيز مصر ليشتريه وليكرمه، وليربيه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٢١).

تأمل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا ﴾ أيُّ تمكين هذا؟؟

ففي صدر الآية كان يُباع ويُشترى، خادماً ؛ لا كلام له عند سيده الذي اشتراه، ثم أصبحت النتيجة العجيبة : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي

فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (يوسف).

كان التمكين خيالاً عند الناس الذين لا يعلمون علو (لا إله إلا الله) في الآية ٢١، وأصبح واقعاً عند الآية ٥٦ من سورة يوسف.

الحقيقة الثالثة :

تحمل هذه الحقيقة أمرين :

الأول : متعلق بـ(لا إله إلا الله).

والثاني : متعلق بمريم بعد الولادة.

١ - ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ (مريم).

آية عجيبة أن تحمل مريم بدون زوج، تلكم خارقة كبرى ولكن الأمر متعلق بـ(لا إله إلا الله)، فلا عجب ولا غرابة وإنما ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ولا دخل للأسباب هنا.

٢ - أما الأمر المتعلق بمريم فإنها تريد أن تأكل وهي في المخاض، وبرغم ذلك فإن الله تعالى يكلفها بالأخذ بالأسباب حتى ولو كانت في حالة ضعف (المخاض) فتؤمر بهز النخلة، وهل تستطيع مريم هز النخلة فضلاً عن هز جذعها الذي لا يستطيعه الرجال الأقوياء.. ولكن على مريم أن تأخذ بالأسباب والله يتولى النتيجة ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ (مريم).

فائدة طبية للحامل : التمر وأمراض النساء [1] .

يبرز هنا سؤال :

لماذا الرطب لتأكل مريم؟ أليست هناك فواكه أو أطعمة غير الرطب؟؟

يقرر العلماء أن بالرطب هرموناً اسموه «اليتوسين» الذي يعمل على تقوية عضلات الرحم، وينظم الانقباضات العضلية، ومن عجب أن هذا الهرمون يقوم بالعمل وعكسه في آن واحد طبقاً لحاجة الجسم، فهو يزيد من الطلق «دفع الرحم للجنين» في الحوامل عند الولادة إذا كان الطلق بارداً، ويقلل منه إذا كان حامياً أكثر عند الولادة، فهو أكبر مساعد دوائي للوضع .

كما وُجِدَ أن لهذا الهرمون خاصية أخرى، إذ يمنع النزيف عقب الولادة، ويقي من حمى النفاس، وهي من أهم المخاطر التي قد تعقب عملية الولادة .

ولعل هذا سر من الأسرار التي تقرره الآية الكريمة في أمره سبحانه وتعالى لمريم عليها السلام : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ (مريم) .

الحقيقة الرابعة :

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما نزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ أقبلت العوراء (أم جميل) بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي ترتجز : مذمماً أبينا، ودينه قلينا، وأمرهُ عصينا، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله قد أقبلت، وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله ﷺ : « **إنها لن تراني** »، وقرأ قرآناً اعتصم به كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (الإسراء : ٤٥) .

---

(١) عن كتاب : العلاج بالتمر والرطب، م . نبيل علي عبدالسلام، ط . دار الطلائع، ١٩٩٢م، سيأتي : لماذا الرُطب في إفطار الصائم؟

فأقبلت زوجة أبي لهب حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر إني أُخْبِرْتُ أن صاحبك هجاني، قال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها(١).

تأمل قول النبي ﷺ: «**إنها لن تراني**» لماذا؟

لأن الأمر متعلق بـ(لا إله إلا الله) فلا أسباب هنا ولا تبصره عيناها.

الحقيقة الخامسة:

في دار الندوة في سبتمبر سنة ستمائة واثنين وعشرين ميلادية عَقَدَ الباطل أخطر برلمان (اجتماع) له، وحضر النواب كلهم وحضر منهم نائب ليس من أعضاء المجلس، ولم تُوجَّه له دعوة للحضور، لكنه حضر لا لشيء إلا لأن الأمر يتعلق بإبادة الإسلام والمسلمين، فحضر الشيطان بنفسه، وأُخِذَ القرار بأغلبية ساحقة على قتل محمد ﷺ، وبعد التصويت بارك الشيطان القرار وأيده ووقع عليه، وشد على أيديهم، ثم انصرف، ولكن الله أحبط سعيهم، وأوهن كيدهم، لأن الأمر متعلق بـ(لا إله إلا الله).

وخرج ﷺ ليلة الهجرة وأمام منزله أربعون شاباً ومعهم أربعون سيفاً ينتظرون خروج النبي ﷺ ليقتلوه ويتفرق دمه بين القبائل فترضى بنو هاشم بالديَّة، ولكن لأن الأمر متعلق بـ(لا إله إلا الله) خرج ﷺ من وسطهم وهو يتلو قول الله: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ (يس: ٩).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، مختصر ابن كثير، تفسير سورة المسد، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي يعلى، ورواه البزار، وقال: حسن الإسناد، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، جـ٣، ص ٢٣٤.



الفصل الرابع

التشريع الإسلامي

- لِمَنْ حق التشريع ؟
- من خصائص التشريع الإسلامي :

١ ـ من عند الله فهو (كامل ـ دقيق ـ له هيبة).

٢ ـ الشمول.

٣ ـ العموم.

الفصل الرابع

التشريع الإسلامي

لِمَنْ حق التشريع ؟ :

عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلىٰ الشام، وكان قد تنصَّر في الجاهلية فأُسرت أخته وجماعة من قومه، ثم مَنَّ رسول الله ﷺ علىٰ أخته وأعتقها، فرجعت إلىٰ أخيها ورغبته في الإسلام وفي القدوم علىٰ رسول الله ﷺ، فقدم عدي إلىٰ المدينة وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه فدخل علىٰ رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة، ورسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (التوبة: ٣١).

قال عدي: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ: «**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**»(١).

والآن نذكر حقائق بديهية يعرفها صاحب العقل الراشد:

١ ـ كل صانع أخبر بصنعته عن غيره، يعرف كل كبيرة وصغيرة فيها، فهو الذي أنشأها وأوجدها ويعلم مناطق الضعف والقوة فيها، فقد ركبها بيديه: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (المُلك: ١٤).

٢ ـ الخبير بالشيء هو الذي يضع له قانون الصيانة والإصلاح التي يسير عليها (كتالوج).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، والترمذي في سننه، رقم ٣٠٩٥، وقال: حديث غريب، وفي إسناده الحسين بن يزيد الكوفي، وثقه ابن حبان، مختصر ابن كثير، تفسير سورة التوبة.

٣ ـ لا يمكن للصنعة أن تضع قانوناً لنفسها أو لصنعة مثلها، فلا يمكن لجهاز تلفاز مثلاً أن يصلح جهازاً مثله، أو أن يكتب له تعليمات التشغيل، وبالمثل فإنه لايمكن لإنسان مخلوق أن يضع قانون لإنسان مثله، فكلٌ خبير في صنعته، والدليل على ذلك:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ سمع أصواتاً فقال: ما هذا الصوت قالوا: النخل يُؤبِّرونَا(١)، فقال: «لو لم يفعلوا لصلح».

فلم يُؤَبِّرُوا عامئذ فصار شيصاً(٢)، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم فإليّ**»(٣).

وفي رواية موسى بن طلحة بن عبيد الله.. قال رسول الله ﷺ: «**إنما هو الظن إن كان يغنى شيئاً فاصنعوه، فإنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله، فلن أكذب على الله**»(٤).

وبهذا الاستنتاج ندرك أن التشريع حق لله تعالى، يُشَرِّع لجميع البشرية بلاجدال، وقد نصَّ القرآن الكريم على ذلك، يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء: ٥٩).

فطاعة الله واجبة، وله حق التشريع، وشريعته واجبة التنفيذ، وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا أمر الله: ﴿ **إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾..

أما أولي الأمر.. فمن هم، وما حدود طاعتهم؟

النص يُعين من هم أولي الأمر، فيقول: ﴿ **وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ أي: من المؤمنين الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان، وحد الإسلام، ولم يكرر الله لفظ الطاعة

(١) التأبير: التلقيح، وهو أن يشق طلع الإناث ويؤخذ من طلع الذكور فيوضع فيها ليكون الثمر بإذن الله أجود مما لم يُؤَبَّر.

(٢) شيصاً: الشيص هو التمر الذي لا يشتد نواه.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث ١٤١، وابن ماجة رقم ٢٤٧١.

(٤) رواه مسلم، فضائل ١٣٩، وابن ماجة برقم ٢٤٧٠.

لأولي الأمر ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله في حدود المعروف المشروع من الله، ففي الصحيحين من حديث الأعمش:

«إنما الطاعة في المعروف»(١).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث يحيى القطان:

«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٢).

بهذا يجعل الإسلام كل فرد أميناً على شريعة الله، وسنة رسوله، أميناً على إيمانه ودينه، أميناً على نفسه وعقله، أميناً على مصيره في الدنيا والآخرة، ولايجعله بهيمة في القطيع تُزجر من هنا أو من هناك(٣).

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ..** ﴾ (النساء: ٥٩).

وإذا تنازع الناس في شيء، فإلى من يحتكمون ؟

يأتي الرد القاطع في قول الله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ (النساء: ٥٩).

وهذا النص القصير يضع منهج الاجتهاد كله ويحده بحدوده، وأقام الأصل الذي يحكم منهج الاجتهاد أيضاً.

ثم يجب علينا أن نرضى بحكم الله، وأن نُسلِّم به، قال تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٥).

---

(١) رواه البخاري، أحكام ٤، مغازي ٥٩، ومسلم، إمارة ٣٩، ٤٠.

(٢) رواه البخاري، أحكام ٤، جهاد ١٠٨، ومسلم، إمارة ٣٩.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ـ رحمه الله ـ ص ٦٩١، المجلد الثاني، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

وما مزايا هذا المنهج ؟ [١]

١ ـ الترغيب والتحبيب . . فهذا النص يضع المسألة في صورة العظة والترغيب: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ .

٢ ـ اطمئنان الإنسان إليه ، فهذا المنهج من عند الله ، وقد برئ من جهل الإنسان وهواه ، فلامحاباة لفرد ولا لطبقة ولا جنس ولا جيل .

٣ ـ أن صانع هذا المنهج هو صانع الإنسان الذي يعلم حقيقة النفس والفطرة ، وما يصلح لها ، ولم يترك البشر للتجارب القاسية ، ويريد الله من الإنسان أن يطبق هذا المنهج ويدرك مواضع القياس والاجتهاد فيما تتنازع فيه العقول .

٤ ـ أن واضعه هو صانع هذا الكون فيتلاءم مع قواعد ونواميس هذا الكون .

٥ ـ هذا المنهج يحمي الإنسان ويكرمه ويحترمه ويجعل لفعله مكاناً للعمل في المنهج[٢] .

٦ ـ عدم ادعاء أحد أن هذه النصوص القرآنية من فعله هو ، وقد سكت عن هذا الادعاء ، فبات هذا الأمر مؤكداً لله تعالىٰ .

٧ ـ عدم استطاعة البشر أن يأتوا بتشريع كما شرع الله تعالىٰ ، وذلك قمة إعجازه الخارجة عن نطاق وحدود العقل البشري .

وسوف نرى ذلك واضحاً من خلال أمرين :

أ ـ ما سيكون في باب الأخلاق من هذه الموسوعة .

ب ـ الأمثلة التي نذكرها في الحديث عن خصائص التشريع الإسلامي .

---

(١) الـمِزيَّـة : الفضيلة التي يمتاز بها علىٰ غيره ، وجمعها : مزايا ، انظر : المعجم الوسيط ، الجزء الثاني ، مادة : ميز .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ص ٦٩٢ .

من خصائص التشريع الإسلامي [١] :

١ ـ أنه من عند الله تعالىٰ فهو (كامل ـ دقيق ـ له هيبة).

٢ ـ الشمول.

٣ ـ العموم.

أولاً: أنه من عند الله تعالى :

إذ إن الشارع هو سبحانه خالق هذا الكون، وله الأمر فيه الذي أحسن كل شيء خلقه، ويترتب علىٰ أنه من عند الله : (كماله، دقته، هيبته) وخلوه من معاني النقص والجهل والهوىٰ والظلم، وذلك لسبب يسير وهو : أن صفات الصانع تظهر في كل ما يصنعه.

١ ـ كمال التشريع :

فالعالَم ـ مثلاً ـ يجهل المساواة بين الناس ولا يعرف عنها شيئاً، وقد جاء الإسلام بمبدأ المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات وأمام القانون، بغض النظر عن اختلافهم في الجنس أو اللغة أو اللون أو الحرفة أو الغنىٰ والفقر، والتفاضل هنا ليس إلا بالتقوىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات : ١٣).

وفي الحديث «**يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»[٢].

ونحن نرىٰ في واقع الحياة المفاسد والمآسي التي تحدث من الزعماء وأبناء الزعماء والقادة ومن يحمونهم، فقد سرقوا ونهبوا ولم يُقدَّموا للمحاكمات . . بل مازالوا يحكمون ويسرقون وينهبون.

---

(١) ما يختص به دون غيره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، جـ٥ رقم ٤١١ ، كنز العمال، جـ٣، ص٩٣ عن جابر.

وانظر إلى منهج الإسلام في حلوله.. من خلال هذه المواقف:

الموقف الأول :

حاول البعض ـ دون قصد ـ في عصر الرسول ﷺ أن ينال من قاعدة المساواة العامة أمام القانون، فقوبلت محاولاته بكل شدة، وذلك أن قريشاً أهمها أمر المرأة المخزومية التي تقرر قطع يدها لثبوت جريمة السرقة عليها، فرأوا أن يستشفعوا بأسامة بن زيد ليشفع لها عند رسول الله ﷺ كي يتجاوز عن إقامة الحد لما لأسرة المرأة من مكانة، وذلك لأن الناس يعلمون أن رسول الله ﷺ شديد الحب لأسامة ولأبيه زيد الذي استشهد في غزوة مؤتة، فلما تحدث أسامة في الشأن مع رسول الله ﷺ، غضب الرسول ﷺ ونهره، وقال له مستنكراً: «**أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة**».

ثم قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً يقول لهم: «**إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» (١) فلا حصانات.

الموقف الثاني :

بل انظر إلى قمة المساواة: يُنكر النبي ﷺ على المسلم العربي أبي ذر الغفاري قوله لبلال المسلم غير العربي: « يا ابن السوداء» ويعتبر هذا القول من بقايا الجاهلية الأولى، فيقول له النبي ﷺ: «**طف الصاع(٢) طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو العمل الصالح**»(٣).

وأجدني أهتف بغير إرادة مني «الله أكبر، الله أكبر» على المساواة الحقة.

---

(١) رواه البخاري، فضائل أصحاب النبي ١٨، مغازي ٥٣، حدود ١١، ١٢، أنبياء ٥٤، للمزيد في موضوع المساواة ارجع إلى كتاب حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

(٢) طف الصاع : طفح الكيل، أي: جاوز الأمر كل حد.

(٣) رواه البخاري، إيمان ٢٢، عتق ١٥، بلفظ: «**أعيرته بأمه؟**»، ثم قال: «**إن إخوانكم خَوَلُكُم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم مايغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**».

أما في عصرنا الحاضر، وبالرغم من الضجيج الهائل في العالم حول المساواة منذ بدايات القرن العشرين، وتسطر هذا المبدأ في دساتير الدول، فإنه لا يزال مجرد كلام لا نصيب له في الواقع إلا القدر اليسير جداً والشيء القليل.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال الفروق قائمة بين المواطنين في أبسط الحقوق على أساس اللون والجنس، فصاحب البشرة البيضاء أسمى منزلة وأعلى قدراً من صاحب البشرة السوداء.

ولا مساواة بين الاثنين في الحقوق الآدمية ولا أمام القانون، ولو كان هذا التفريق والتمييز في واقع الحياة فقط لأمكن أن يدعي البعض أنه من انحراف الأفراد ولا تُسأل عنه الدولة، ولكن الواقع أن القانون نفسه يقر ويعترف صراحة بهذا التمييز الظالم بين الأسود والأبيض ويحميه، وإن كان الاثنان يحملان الجنسية الأمريكية، فمن هذه النصوص القانونية في بعض الولايات الأمريكية: «إن النكاح بين رجل أبيض وامرأة زنجية وبالعكس يعتبر نكاحاً باطلاً»، وبطلان العقد هنا لا يرجع إلى نقص في أهلية العاقدين فأهليتهما كاملة وإنما يرجع إلى شيء آخر خطير في نظر واضع القانون هو أن أحد طرفي عقد النكاح ذو بشرة بيضاء بينما الطرف الآخر في العقد ذو بشرة سوداء.

ومن هذه النصوص أيضاً في بعض الولايات الأمريكية أن «كل من يطبع أو ينشر أو يوزع ما فيه دعوة أو حث للجمهور على إقرار المساواة الاجتماعية والزواج بين البيض والسود، أو تقديم حجج للجمهور أو مجرد اقتراح في هذا السبيل يُعتبر عمله جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار، أو بالحبس مدة لا تتجاوز ستة أشهر أو بالعقوبتين معاً»(١).

لكن انظر إلى تعامل الإسلام مع الآخر:

رحمة الإسلام بغير المسلمين:

عندما كان **عمرو بن العاص** والياً على مصر في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، اشتبك (تشاجر) ابن عمرو بن العاص مع أحد المصريين

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص ٤٨، ٤٩.

الأقباط، وأغراه سلطان أبيه فضرب الرجل، ومصر يومئذ حديثة عهد بالفتح الإسلامي، والطبيعي أن يستكين المضروب لابن القائد الفاتح.

لكن المصري المجني عليه كان يعرف الإسلام وعدله، فأقسم ليبلغن شكواه إلى أمير المؤمنين عمر، فقال الضارب: لن تضرني شكواك فأنا ابن الأكرمين.

ويذهب المصري إلي أرض الجزيرة العربية ليقابل الخليفة الراشد: عمر بن الخطاب، ويشرح له شكواه، فيرسل إلى عمرو بن العاص فيأتي، فيقول الخليفة لعمرو بن العاص: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أُماتهم أحراراً؟». ثم توجَّه عمر إلى الشاكي وناوله السوط وقال له: «اضرب ابن الأكرمين كما ضربك»(١).

ألا فليقرأ حُكام العالم كله هذه الدرر الغالية، وليقرأ قُضاة الدنيا هذه الأحكام الباهرة، والشريعة العادلة فيطبقوا المساواة على الجميع أمامهم.

٢ - دقة التشريع (٢):

طالما أن هذا التشريع من الله تعالى فهو غاية في الدقة.. ومن أمثلة ذلك:

أ - عدم التناجي: أنت إذا ذهبت إلى قسم الشرطة تشكو أحد الجالسين معك أنه تحدث سراً إلى من بجواره دون أن يستأذن منك، فإن شكواك هذه إما أن تُلقى في سلة المهملات، أو أن تكون أنت المتهم ويتم التحقيق معك؛ لأنه لا يوجد قانون يجرم هذا الفعل، أما في الإسلام.. فالأمر مختلف.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (المجادلة: ٨).

---

(١) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، للشيخ محمد الغزالي-رحمه الله، ط. دار الدعوة، ١٩٩٢م، ص ١٩.

(٢) ليس من الصواب أن نقول حصر نماذج الدقة في التشريع؛ لأن دقة التشريع تتمثل في كل حرف فيه، وفي كل إشارة، وفي كل توجيه، حتى في أماكن السكوت (السكوت التشريعي)، وسيأتي مقاصد السكوت التشريعي بالتفصيل إن شاء الله.

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه»**(١) .

لأن التناجي (أي: الحديث سراً) بين اثنين والثالث جالس لا يسمع ما يقولون فيه إيذاء للمرء، وفتح باب الشكوك والظنون.

ب- دقة في الأخذ والعطاء والحساب : آيات المواريث في سورة النساء تتحدث عن حق اليتامى، ومن يقوم عليهم، ومتى يأخذ أجراً، وماذا إذا حضر القسمة أولو القربى، وحكم السفهاء، ثم الحقوق المتعلقة بالتركة، والوصية متى تُنفذ، ونصيب كل وارث بدقة متناهية، مع مراعاة الشعور والمحافظة على النفوس، ومن يستحق النصيب الأكبر، ومن يستحق النصيب الأصغر، ومن لا يستحق.. ولماذا؟.. وفي الحساب:

- ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨).

- ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ (الزلزلة).

جـ - النظافة: حث الإسلام على النظافة في كل شيء خاصة نظافة الطريق حتى لا يُؤذى الناس ويجعل نظافة الطريق من شعب الإيمان.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة، أولها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله»**(٢).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: **«عُرضت عليَّ أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تُدفن»**(٣) .

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود، البخاري، مظالم ٢، أدب ٦٠، ومسلم، توبة ٥٢، وانظر: مختصر ابن كثير، تفسير المجادلة.

(٢) رواه البخاري، إيمان ٣، ومسلم، إيمان ٥٧ ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

(٣) البخاري، صلاة ٣٨ .

أرأيت كيف عد الإسلام عدم دفن النحامة (البصاق) من المساوئ!!

وحث الإسلام كذلك على نظافة الفم[١]، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[٢].

وعن نظافة الفم أيضاً فقد روى جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا**»[٣]. وفي رواية لمسلم: «**من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**».

وحث الإسلام على **نظافة المنزل** ليستريح فيه الإنسان وتسكن إليه النفس قال: رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**»[٤].

فائدة: كان النبي ﷺ يدعو بهذه الدعوات كثيراً: «**اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي رزقي**»، فقيل له: ما أكثر ما تدعو بهذه الدعوات يا رسول الله، فقال: «**وهل تركن من شيء**»[٥].

حتى في دخول دورة المياه يضع الإسلام تشريعاً للدخول والخروج والهيئة عند قضاء الحاجة، ولذا قالوا علمكم دينكم كل شيء حتى الخراءة (يعني دخول دورة المياه وقضاء الحاجة) ما أعظم دقة هذا التشريع.

الطب كله في نصف آية:

رُوي أنه كان للرشيد طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين يوماً: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلمُ علمان: علم الأديان، وعلمُ الأبدان.

---

(١) سيأتي الحديث في باب العلاقات الزوجية.

(٢) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان، برقم ٣٧٦.

(٣) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان، برقم ٣٣٣.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب رقم ٤١، حديث رقم ٢٧٩٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وفي المقاصد الحسنة رواية مسلم، حديث رقم ٢٣١، بلفظ: «**إن الله طيب**».

(٥) رواه النسائي وابن السني بإسناد صحيح، ورواه أحمد في المسند، جـ٤ / ٦٣.

فقال له علي : قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا .

فقال الطبيب : وما هي؟

قال علي : قال الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأعراف: ٣١).

فقال الطبيب النصراني : لم يؤثر عن رسولكم شيء في الطب.

فقال علي : بلى .

قال الطبيب : وما هو ؟

قال علي : قال رسول الله ﷺ : «البِطْنَةُ تُذْهِبُ الفِطْنَةَ»(١) .

وعن أبي نعيم في الطب النبوي، قال عمر بن الخطاب : «إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسم، مورثة للفشل، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن السرف».

قال الطبيب النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيئاً(٢) .

توجيهات عملية :

١ ـ احتفظوا ببطونكم خفيفة .

٢ ـ وبرؤوسكم في الهواء الطلق.

٣ ـ وبأرجلكم دافئة.

٣ ـ هيبة التشريع :

لأنه من عند الله يظفر بقدر كبير جداً من الهيبة والاحترام من قِبَل المؤمنين به، ولذلك فطاعة التشريع اختيارية تنبعث من النفس، وليست جبراً أو إكراهاً، فالفرد يهرب من القانون الوضعي إذا وجد فرصة لذلك.

---

(١) رواه أحمد والحاكم في مستدركه، والبيهقي في الشعب، سنده جيد، كما في المقاصد الحسنة، ص ٢٠٨ .

(٢) مجلة الأمة، العدد ٥٧، رمضان ١٤١٥هـ، مايو ١٩٨٥م.

وقد عالج التشريع هذا الأمر في نفس المؤمن، أما القوانين الوضعية فعجزت عن توفير هذه الهيبة، إلا بالقوة والإجبار.

فمثلاً من المعروف أن العرب قبل الإسلام كانوا مولعين بشرب الخمر، ولايجدون فيه منقصة ولا منكراً، وكانت الخمر عندهم في البيوت كالماء المخزون في القرب والحباب، فلما أتى الإسلام بتحريم الخمر بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠).

وفي الآية التي بعدها قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩١).

فكان لكلمة ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ وكلمة ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ قوة هائلة تفوق قوة الجيش والشرطة، وما يمكن أن تستعمله أي دولة لتنفيذ أوامرها بالقوة والجبر(١).

لقد قام المسلمون الذين تربوا تربية إسلامية عقائدية صحيحة إلى زقاق الخمر فأراقوها، وإلى دنانه فكسروها، وفطموا نفوسهم عن شرب الخمر حتى غدوا كأنهم لا يعرفون الخمر ولم يتذوقوها من قبل.

لأن أمر الله ورد ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾، وأوامر الله من شأنها الاحترام والطاعة.

هذا هو التشريع الإلهي وهيبته..

أما القانون الوضعي فنضرب له مثالاً :

في القرن العشرين أرادت الولايات المتحدة الأمريكية تخليص مواطنيها من شرب الخمر، وقبل أن تُشرِع قانون تحريم الخمور مهدت له بدعاية واسعة جداً لتهيئة النفوس لقبول هذا القانون، وقد استعانت بجميع أجهزة الدولة وبذوي الكفاية في

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط. التاسعة، ٢٠٠١م.

هذا الباب، استعانت بالسينما ومسارح التمثيل وبالإذاعة وبنشر الكتب والرسائل، وإقامة المحاضرات، وإعداد الإحصائيات من قِبَل العلماء والأطباء المختصين بالشئون الاجتماعية.

وقد قُدِّرَ ما أنفقته الولايات المتحدة على هذه الدعاية بـ(٦٥) مليون دولار، وكتبت تسعة آلاف مليون صفحة في مضار الخمر ونتائجه وعواقبه، وأنفق ما يقرب من (١٠) ملايين دولار من أجل تنفيذ القانون.. وبعد كل ذلك أقرَّت الحكومة قانون تحريم الخمر الأول سنة ١٩٣٠م، وبموجبه حرم بيع الخمور وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها.

فماذا كانت النتيجة؟

لقد دلت الإحصائيات أنه في المدة الواقعة بين ١٩٣٠ حتى تشرين الأول سنة ١٩٣٣م: أنه قُتِلَ في سبيل تنفيذ هذا القانون ٢٠٠ نفس، وتم حبس نصف مليون شخص، وتغريم المخالفين له غرامات تقرب من أربعة ملايين دولار، وصُودر ألف مليون دولار بسبب المخالفات.

وكان آخر المطاف أن قامت الحكومة الأمريكية بإلغاء قانون تحريم الخمر في أواخر سنة ١٩٣٣م، وذلك لأن القانون لم يكن له سلطان على النفوس يحملها على احترامه وطاعته، ومن ثم فشل وألغي.

أما التشريع الإسلامي فقد ربى النفوس على مراقبة الله عز وجل وحبه، وطاعته فيما يأمر لأنه خيرٌ لهم، وحينما أمرهم بالابتعاد عن الخمر فقال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، امتنع المسلمون عن الخمر بقوة الإيمان وطاعتهم لشرائع الإسلام واحترامهم لها(١).

(١) أصول الدعوة، للدكتور: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ٢٠٠١م، ص٥٠.

ثانياً : من خصائص التشريع الشمول (١) :

إن الإسلام نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان، فالإسلام يحكم كل تصرفات الإنسان(٢) ، ولتوضيح موضوع الشمول اختصاراً نذكر الآتي(٣) :

١ - **في القضايا المالية يقول الله تعالى :** ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ...** ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

٢ - **في القضايا الدستورية يقول الله تعالى:** ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (الشورى: ٣٨).

٣ - **في المسائل القضائية يقول الله تعالى :** ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ (النساء: ٥٨).

٤ - **في العقوبات الجنائية يقول الله تعالى :** ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ١٧٨).

٥ - **في الإعداد الحربي يقول الله تعالى :** ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٦٠).

---

(١) أصول الدعوة ، د. عبد الكريم زيدان، وخصائص الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي، والإسلام، لسعيد حوى، ومقومات التصور الإسلامي، لسيد قطب، والشمولية، للدكتور القرضاوي، والفهم، للأستاذ جمعة أمين، والتشريع الجنائي الإسلامي، لعبدالقادر عودة.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك من خلال الأبواب الآتية (الأخلاق، التربية، الأفراح، الفقه) حتى النهاية ستجد هذه الخاصية شاخصة أمامك، أما هنا فسنذكرها اختصاراً، وعلى شمول التشريع فقط، وفي القضايا المعاصرة سوف نتحدث عن شمول النظام الإسلامي.

(٣) الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله ناصح علوان، طبعة دار السلام، ص ٢٠، ٢١.

٦ - **في العلاقات الدولية يقول الله تعالى:** ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة : ٨).

٧ - **في الشهادة على الديون يقول الله تعالى:** ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

ومع كل هذا.. فماذا قالوا عن التشريع الإسلامي (الفقه الإسلامي)؟

* **يقول العلامة الكبير ساتيلانا :** «إن في الفقه الإسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم، إن لم نقل ما يكفي الإنسانية كلها».
* **ويقول الدكتور هوكنج،** أستاذ الفلسفة في جامعة هارفاد: «إن في نظام الإسلام استعداداً داخلياً للنمو وإني أشعر بأني على حق حين أقرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة للنهوض».
* **ويقول القانوني الكبير فمبري:** «إن فقه الإسلام واسع إلى درجة أنني أعجب كل العجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم».

هذه شهادات علماء الفقه والقانون في العالم، والتي تدل على شمولية الشريعة ومبادئها الحية الباقية (١) .

ولذا نوصي العلماء والباحثين وأساتذة القانون والوعاظ وكل المسلمين أن يقرأوا هذه الشهادات التي ذكرها الغربيون، وأن يعيدوا النظر في أقوالهم الفقهية والعملية، وأن ينبذوا الفرقة والخلاف، ويستنبطوا كل ما يحتاجه المسلمون من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، فإسلامنا يصلح لكل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩).

---

(١) الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبد الله علوان، ط. دار السلام، ص ٨٠ .

ولنتمثل أمامنا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، الذي كان يحمل داخله الإسلام نصّاً وفهماً يتحرك به في كل الاتجاهات، ويدرك ما للظروف وتغاير الأسباب من تأثير في الحادثة وتأثير في الحكم(١) .

ثالثاً: من خصائص التشريع العموم:

جاء الإسلام ـ آخر الأديان السماوية ـ لعموم البشرية، ولم يأت لطائفة معينة، أو لجنس خاص، أو لزمان محدد، قال الله تعالىٰ عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (سبأ: ٢٨)

ويقول الله تعالىٰ: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وهذا العموم غير مقصور علىٰ فترة معينة من الزمن أو جيل خاص من البشر، وإنما هو في عموم الزمان كما في عموم المكان(٢) قال تعالىٰ: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

ومما يدل علىٰ عطاء هذه الشريعة وتجددها المستمر علىٰ مدىٰ الزمان أنها أتت بقواعد تشريعية ميسرة مستنبطة من استقراء النصوص، وأسباب النزول، ووقائع الأحداث، مثل:

قاعدة: الضرر لا يزال بالضرر.

قاعدة: يُتحمل الضرر الخاص لرفع الضرر العام.

قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات.

قاعدة: ما أبيح للضرورة يُقدر بقدرها.

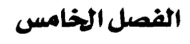
قاعدة: درء المفاسد يقدم علىٰ جلب المصلحة . .

. . . وهكذا يكون عطاء الشريعة وتجددها علىٰ مدىٰ الأيام.

---

(١) بين يدي عمر، خالد محمد خالد، وسيأتي معنىٰ ذلك في مكانه في باب الفقه.

(٢) لتمام هذا الأمر: راجع مقدمة الموسوعة.



الفصل الخامس

شقاء البشرية .. الأسباب والعلاج

- لابد من الاحتكام إلى شرع الله تعالى .
- كيفية الاحتكام .
- نماذج من الاحتكام إلى شرع الله .

الفصل الخامس

شقاء البشرية .. الأسباب والعلاج

في الفصل السابق علمنا أن حق التشريع هو لله سبحانه وتعالى، فهو الذي خلقنا وهو أعلم بنا منا.. لكن. وللأسف الشديد. تجرأ الإنسان.. وترك شرع الله، بل حاول أن يُبعد الدين عن حياته بالكلية، وبدأ يُشَرِّع لنفسه.. ويضع من القوانين ما يوافق هواه، فماذا حدث؟

غاب الأمن والسلام عن الحياة، وحلت بنا النوازل والكوارث كل يوم، وتكدر صفو الحياة، وأصبحت الدنيا غابة يأكل فيها القوي الضعيف.

ولماذا تحل النوازل والكوارث بنا كل يوم؟

فسبب شقاء البشرية هو البعد عن شرع الله، وعن حظيرة الإيمان.

إن الإنسان قد قلب حياته وجعلها متصادمة مع الحقيقة والواقع فهو لأجل هذا يعاني مالا يوصف من المحن والمصاعب، ولن يجد سبيلاً إلى الأمن والسلام حتى يجعل حياته متفقة ومنسجمة مع الحقيقة والواقع.

وحيث إن الحيلة أعيتنا بحثاً عن حل لهذا الشقاء، وانقطعت بنا السُبل، فنلجأ إلى الله، وإلى القرآن العظيم لنرى السبب والعلاج، يقول الله تعالى: **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** (الروم: ٤١). **﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾** (طه: ١١٧). **﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾** (طه).

فلا يمكن للإنسان أن يُشَرِّع لأخيه الإنسان، لكن من الممكن أن يضع له بعض القوانين والتشريعات في ضوء شرع الله، وبما يتوافق مع دين الله، وبما فهم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

إذا جاء رجلٌ جاهل لتشغيل جهاز صغير لا يعرف عنه شيئاً، فإنه حقاً سيخربه، فإذا كان هذا هو الحال لجهاز صغير من الحديد يستحيل تشغيله بدون معرفة صحيحة فكيف يُشرع الإنسان للإنسان، وهو لا يعلم عن مكنون نفسه إلا بالقدر الذي علَّمه الله . .

إذا حاول أحدنا قيادة السيارة، وهو لم يتعلم قيادتها، فلابد وأن يؤدي فعله هذا إلىٰ كارثة محققة . .

ويمكننا أن نؤكد علىٰ أن أشقىٰ مجتمعات الأرض، هو كل مجتمع أخَّرَ الله تعالىٰ وقَدَّم الإنسان، ونبذ الشريعة، وأقرَّ القوانين، لقد شعر الإنسان ذاته بخواء القوانين، ومع ذلك فلم يعد أمامه إلا أن يستبدل قانوناً بقانون، ويرفع قانوناً بقانون، دون أن يلمس أثراً يُذكر، إلا انخفاضاً مؤقتاً في معدل جريمة من الجرائم، لا يلبث أن يرتفع بعد حين عن معدلاته السابقة، بعد أن يكتشف الإنسان الثغرة التي يُلتف منها علىٰ ما وُضِع من قانون، أما المرحلة النهائية فهي انعدام الأمن والاستقرار والإفلاس الخُلقي.

ومن المثير للسخرية أن الإنسان الذي سَخَّر الله تعالىٰ له سلطان العلم، وبلغ فيه ما بلغ قد أقر بعبوديته مختاراً لهذا السلطان، وأصبح مصيره مرهوناً بكلمة واحدة لكل ما حشد من سلاح نووي مثلاً . . فقد بات الإنسان ينتظر حكم الإعدام، وهذا يرجع عليه بالشقاء والدمار والهلاك.

وخلاصة القول: إذا وجدت مشكلة في أي زمان ومكان! وسألت : ما سببها؟ وأين حلها؟

ستجد ان سببها: البعد عن تشريع الله تعالىٰ، ثم اتباع الهوىٰ والقوانين المخالفة لشرع الله.

أما حلها : أن تُطَبِق فيها شريعة الله تعالىٰ فلا حل لأي مشكلة إلا بالإسلام.

الاحتكام إلى شرع الله تعالى:

أنت في بيتك تثور إذا لم تنفذ تعليماتك، وكذلك إذا كنت مديراً أو مسئولاً في مصلحة أو وزارة أو في أي موقع مسئولية . .

وها هو مالك هذا الكون يهتف بك في قرآنه: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ (الأحزاب: ٣٦). ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٥).

هناك فرق بين :

١ ـ الحكم بشرع الله (وهذه مسئولية الحكام)، وواجب كل مسلم أن يحثهم ويدفعهم وينبههم إلىٰ الحكم به، ويحذرهم من عدم الحكم بشرع الله، ويجاهد بالحكمة والموعظة الحسنة حتىٰ تكون كلمة الله هي العليا .

٢ ـ الاحتكام إلىٰ الشرع وهذه مسئوليتك أنت، وأنت تُطالب بها شخصياً فأنت المسئول عن تطبيقها بالدرجة الأولىٰ، وسوف تحاسب عنها يوم القيامة ولن يتحمل أحد عنك شيئاً فيها، فأنت مطالب في كل معاملاتك أن تحتكم لشرع الله تعالىٰ، مع جيرانك، مع أولادك، مع زوجتك، مع نفسك، في عملك، يقول الله تعالىٰ: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...** ﴾ (النساء: ٦٥).

يقسم الله تعالىٰ بذاته المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يُحَكِّم رسول الله ﷺ في جميع أموره، فما حكم به رسول الله ﷺ هو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٥).

أي إذا حكموك فعليهم أن يطيعوك في بواطنهم فلا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادوا له في الظاهر والباطن فيسلموا كذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة .

وورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه متبعاً لما جئت به**»(١) .

وقال البخاري: عن عروة : خاصم الزبير رجلاً إلى النبي ﷺ فقضى للزبير فقال الرجل: إنما قضى له لأنه بن عمته فنزلت الآية: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ... ﴾ (النساء: ٦٥). انتهى كلام ابن كثير(٢) .

يقول صاحب الظلال رحمة الله : في قول الله تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (النساء: ٦٥) : « نجدنا الآن أمام شرط الإيمان وحدّ الإسلام يقرره الله سبحانه بنفسه، ويُقسم عليه بذاته لا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحد الإسلام، ولا تأويل لمؤول اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام، وهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام جاءت في صورة قَسَم مؤكد مطلق من كل قيد لا مرهونة بزمان ولا موقوفة على طائفة من الناس، وتحكيم رسول الله ﷺ، إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه، وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته ﷺ.

هذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان فلتنظر كل نفس أين هي من الإسلام؟ وأين هي من الإيمان؟ قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان»(٣) .

إذن ما هي علامة الإيمان؟!

علامة الإيمان وشرطه الاحتكام للشرع في كل شيء في حياتنا : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (النور: ٥١). ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ... ﴾ (النساء: ٦٥).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير، الجزء الأول، الآية ٦٥ من سورة النساء، كنز العمال، جـ١، رقم الحديث ١٠٨٤، حديث حسن غريب.

(٢) الحديث مذكور كاملاً عند الترمذي، كتاب التفسير، تفسير سورة النساء.

(٣) في ظلال القرآن، جـ ٢ ، ص ٦٩٧، الطبعة السابعة عشرة، دار الشروق.

كيفية الاحتكام للشرع.. التطبيق العملي :

- أثناء التعامل مع الزوجة هل سألت : ما حكم الشرع ؟!

- أثناء التعامل مع الأولاد هل سألت : ما حكم الشرع ؟؟

- أثناء اختيار خطيب لابنتك هل سألت ما حكم الشرع - وكذلك لابنك ؟

- أثناء التعامل مع الجار هل سألت : ما حكم الشرع؟ . . فليس حسن الجوار أن تكف أذاك عن الجار، ولكن حسن الجوار أن تتحمل أذى الجار، بل الاثنين معاً .

- عند اختيار صديق لأولادك هل سألت ما حكم الشرع؟ هل . . هل . . ؟

الواقع الذي نعيشه:

صدق الشيطان وإنه لكذوب في وعيده للإنسان : ﴿ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ (الحِجْر : ٣٩) .

الحق أن الشيطان لم يبخل على الإنسان بالحيل اللازمة للتحايل على شرع الله عز وجل، وكان ثمرة هذا التعاون المشترك أن أصبح «الربا» يُسمى «فائدة»، و«الخمور» تُسمى «مشروبات روحية»، و«الزنا» يُسمى «ممارسة الحب» .

نماذج من الاحتكام للشرع:

١ - عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأي خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده**»(١) ، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك وانتفع به؟ فقال : لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ .

٢ - عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن زوج بريرة كان عبداً يُقال له مُغيث، كأني انظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ

---

(١) رواه الإمام مسلم، لباس ٥٣ .

لعمه العباس: «يا عباس، ألا تعجب من حب مُغيث بريرة، ومن بُغض بريرة مُغيثاً؟»، فقال النبي ﷺ: «لو راجعته»، قالت: يا رسول الله، أتأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع»، قالت: لا حاجة لي فيه[١].

فلو أمرها ﷺ لاستجابت لأمره.

الفائدة العظمى: الإيمان والاستقامة طريق الأمن والسلام: قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)** ﴾ (الأحقاف).

وفي الأربعين النووية أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: قلتُ: يا رسول الله، قُل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «**قُل آمنتُ بالله ثم استقم**»[٢]، كلمتان عظيمتان: الإيمان والاستقامة، هما أساس السعادة، وهما طريق الأمن والسلامة، يجمعان عناصر الإسلام، ويضمان جميع وسائل الخير، وخصال البر، كلمتان هما الإسلام كله، وبهما يتحقق السلام»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب ١٦.

(٢) رواه مسلم، إيمان ٦٢.

(٣) نظرات من ثمار الشيخ محمود شلتوت، هدية مجلة الأزهر، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، ص ٣٦.

الفصل السادس

قضايا عقدية هامة

١ ـ الإيمان بالملائكة .

٢ ـ الإيمان بالكتب السماوية .

٣ ـ الإيمان بالرسل .

٤ ـ الروح ـ أشراط الساعة .

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر .

٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر .

٧ ـ قضية الرزق .

٨ ـ قضية الأجل .

٩ ـ قضية السحر .. وكيف نتغلب على الأحزان؟

١٠ ـ المراقبة .

الفصل السادس

قضايا عقدية هامة

تمهيد :

قال تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر : ٦٢). وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٤)..

الله سبحانه وتعالىٰ خالق كل شيء، فهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، وقد جاءت الآيات تبين أن الله خلق كل شيء وأحسن خلقه، وأنه بديع السماوات والأرض أبدعهما علىٰ غير مثال سابق وأنه ـ سبحانه ـ المتفرد بالخلق والتكوين والإنشاء : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) ﴾ (النمل).

من هذا النص الكريم يتأكد أن الله هو وحده المنشئ للكون وما فيه وأنه المدبرَ له، وأنه وحده الذي يعلم غيبه وظاهره، وقد اتضح ذلك واضحاً في الفصل الثاني : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد : ١٩).

ولتمام الإيمان وكماله نستكمل أصوله التي ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث.

عن عُمَر رضي الله عنه قال : «بَينَمَا نحنُ جُلوس عندَ رسُول اللّه ﷺ ذاتَ يومْ إذ طلعَ علينا رَجُلٌ شَديدُ بَياض الثياب شَديدُ سَواد الشَّعْر، لا يُري عليه أثرُ السَّفر،

ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتي جلس إلي النبي ﷺ فأسْنَدَ رُكْبَتَيْه إلي رُكْبَتَيْه، ووَضَعَ كَفَّيْه علي فخذيْه وقال: يا محمَّدُ، أخبرْني عَن الإسلام. فقال رسول اللّه ﷺ: الإسْلَامُ أنْ تشْهَدَ أن لا إله إلا اللّه وأن محمّداً رسولُ اللّه، وتُقيمَ الصَّلاة، وتُؤتي الزَّكاة، وتصُومَ رَمَضان. وتحُجَّ البَيْتَ إن اسْتَطَعْتَ إليه سَبيلا. قال: صَدَقْتَ. فعَجبْنَا له يسأله ويُصدّقُه. قال: فأخبرْني عَن الإيمان قال: أنْ تُؤمن باللّه، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليوْم الآخر، وتُؤمنَ بالقدر خيْره وشَره. قال: صَدَقْتَ. قال: فَأخْبرْني عن الإحْسَان. قال: أنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لم تكُنْ تراهُ فإنَّه يرَاكَ. قال: فَأخْبرْني عَن السَاعة. قال: ما المَسْئُول عنها بأعلمَ منَ السائل. قال: فأخبرْني عَنْ أمَارَاتها. قال: أنْ تلدَ الأمَةُ ربَّتها، وأن ترَي الحُفاة العُرَاة العالة رعَاءَ الشَّاء يَتطاوَلُونَ في البُنْيَان. ثُمَّ انْطلق فلبثتُ مَلياً، ثمَّ قال: ياعُمَرُ، أتدْري من السَّائلُ؟ قُلتُ: اللّه ورسُولُهُ أعلمُ. قال: فإنَّهُ جبرْيلُ أتاكُمْ يُعَلّمُكمْ دينَكُمْ» (١) .

بعد ذكر هذا الحديث نقول: إن الله سبحانه وتعالىٰ يخلق من العوالم ما يشاء وما يريد: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢).

وكل عالم من هذه العوالم التي خلقها الله تعالىٰ له قانونه الخاص به ومكانه الذي يعيش فيه، وعالم الملائكة من العوالم التي خلقها الله، وهم أصل من أصول الإيمان ألزمنا الله تعالىٰ بوجوب الاعتقاد بوجودهم ومهماتهم وأحوالهم.

(١) رواه مسلم، إيمان ١ .

١ - الإيمان بالملائكة

الملك : واحد الملائكة، وهم جنس نوراني لطيف من خلق الله كجبريل، جمعها : أملاك[١]، **ويقول د. عبد الستار فتح الله**[٢] : إنهم (الملائكة) ذوات حقيقية الوجود، وصفهم الوحي الإلهي بكل صفات الذوات (جمع ذات) المتحركة المتميزة مثل : الجسمية - الصعود - النزول، وبكل صفات الذوات العاملة المكلفة مثل : العبادة - التسبيح - الكلام - فهم الأمر والخطاب - رد الجواب - تنفيذ التكاليف المادية والمعنوية.

أوصاف الملائكة [٣] :

١ - خلقهم الله من نور، فعن السيدة عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «**خُلقَت الملائكة من نور، وخُلقَ الجان من مارج من نار، وخُلقَ آدم مما وصف لكم**»[٤].

٢ - ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (فاطر : ١)، وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : «**رأى جبريل له ستمائة جناح**»[٥].

٣ - لا يوصفون بالأنوثة ومن وصفهم بها كفر : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨)** ﴾ (النجم)، وقال تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** ﴾ (الزخرف : ١٩).

---

(١) المعجم الوجيز، ملك، ص ٥٩٠ .

(٢) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله سعيد، ص ٣٧٦، طبعة ١٩٩٢م .

(٣) الهداية الربانية، للشيخ عبد الخالق الشريف، طبعة ٩١، ص ١٨٠، ١٨١ .

(٤) رواه مسلم، جـ ٤، ، ص ٢٢٩٤، كتاب الزهد والرقائق.

(٥) فتح الباري عن عبد الله بن مسعود، رقم ٣٢٣٢، جـ ٦ كتاب بدء الخلق.

٤ ـ ولا يوصفون بالذكورة، ومن وصفهم بها فهو فاسق، لقوله في الغيب بغير علم.

٥ ـ ولا يأكلون ولا يشربون، قال تعالىٰ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِه فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) ﴾ (الذاريات).

٦ ـ ولا يتناكحون ولا يتوالدون، للحديث: «الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون»(١).

٧ ـ لديهم قدرة علىٰ التشكل بأشكال مختلفة، قال تعالىٰ: ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (مريم: ١٧)، وهذا الحديث حيث جاء جبريل علىٰ هيئة أعرابي، وحديث الأبرص والأقرع والأعمىٰ(٢)، حيث كان يأتي كلاً منهم في صورته وهيئته.

٨ ـ كتب الله عليهم الموت، قال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٨٨).

٩ ـ ويقول **الشيخ سيد سابق**: أن مسكنهم في السماء لحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»(٣) فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ (مريم: ٦٤)، ويقول إن خلقهم متقدم علىٰ خلق الإنسان: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠).

---

(١) فتح الباري، جـ٦، ص ٣٠٦ من حديث سعيد بن المسيب.

(٢) رواه البخاري، جـ٦، ص ٥٠ رقم ٦٣٦٤ عن أبي هريرة كتاب أحاديث الأنبياء، ورواه مسلم كتاب الزهد والرقائق، جـ٥.

(٣) رواه البخاري، تفسير سورة مريم، توحيد ٢٨، بدء الخلق ٦.

عبادة الملائكة «طبيعتهم»:

الحكمة من خلق الملائكة أن يعبدوا الله ويسبحونه ويسجدون له، ولهم تكليف يختلف عن الإنس والجن، فتكليف الملائكة ليس للابتلاء، ومن ثم هو بالنسبة لهم كالتنفس والأكل والشرب بالنسبة للإنسان، وهم لا يستطيعون عمل المعصية بينما الإنس والجن في مجال الابتلاء والاختبار[1]، فالمطيع لله من الإنس والجن: مجاهد للفجور والهوىٰ في نفسه، والعاصي لله - عز وجل - منهما مغالب للتقوىٰ التي جعلها الله في نفسه يقول الله تعالىٰ: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٠)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦)، ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورىٰ: ٥)، ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) ﴾ (الصافات).

وقال رسول الله ﷺ: **«إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله، لوددت أني شجرة تُعضد»**[2].

---

(١) يقول الشيخ سيد سابق - رحمه الله -: العقائد الإسلامية، ص ٩٨، البشر أفضل من الملائكة.

أ - لأنهم عجزوا عن الإجابة على الأسماء وأجاب آدم إجابة صحيحة.

ب - طاعة الملائكة جبلية وتركهم المعصية لا يكلفهم أدنىٰ مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

جـ - أمر الله الملائكة بالسجود لآدم يفيد تفضيله عليهم ولذلك أقول: إن المسلم إذا اتقىٰ الله تعالىٰ يسبق الملائكة التي لا تنقطع عن الطاعة والعبادة لحظة.

(٢) رواه الترمذي برقم ٢٣١٢ عن أبي ذر، كتاب الزهد، وقال: حديث حسن غريب، أطت من الأطيط وهو الاقتتاب، فكثرة الملائكة في السماء أثقلتها حتىٰ أطت، الفرشات: جمع فرش، الصعدات: الطرق، تجأرون: ترفعون أصواتكم استغاثة، تعضد: تقطع.

ومع كثرة هذه العبادة الدائمة التي لا تنقطع كالتنفس، يخافون ربهم : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (الرعد: ١٣).

«خوف المقربين من الأنبياء والملائكة خوف إجلال وإعظام، ولا يكون الخوف إلا بعد اليقين، والخوف في ثلاثة أشياء:

١ - **خوف الإيمان** : وعلامته مفارقة المعاصي والذنوب وهو خوف المريدين.

٢ - **خوف السلف** : وعلامته الخشية والإشفاق والورع وهو خوف العلماء.

٣ - **خوف الفوت** : وعلامته بذل الجهد في طلب مرضاة الله بوجود الهيبة والإجلال، وهو خوف الصديقين ومقام رابع في الخوف خص الله به الملائكة والأنبياء وهو خوف الإعظام والإجلال»(١) .

عمل الملائكة (٢) :

لهم عمل في عالم الأرواح، وعمل في عالم الطبيعة، وعمل خاص بالإنسان.

أولاً : عملهم الروحي :

١ - **حمل العرش** : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (غافر: ٧).

٢ - **حافون من حول العرش** : ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الزمر: ٧٥).

٣ - **التسليم على أهل الجنة** : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ (الرعد).

---

(١) الهداية الربانية، جـ ٢، من كلام الحارث المحاسبي.

(٢) تقسيم الشيخ سيد سابق، ص ١٠١، العقائد الإسلامية.

٤ - **تعذيب أهل النار :** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم : ٦). ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ... ﴾ (المدثر).

٥ - **النزول بالوحي :** وملك الوحي جبريل : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٧)، ويسمى الروح الأمين : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) ﴾ (الشعراء)، ويسمى روح القدس : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ١٠٢).

٦ - **وقال في الهداية الربانية :** يصلون بالبيت المعمور، للحديث : «**فَرُفِعَ لي البيت المعمور فسألتُ جبريلَ فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه**»(١).

ثانياً : عملهم في الطبيعة ومع الإنسان :

يقول الشيخ سيد قطب : وللملائكة عمل في تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والهواء، ومن سوق السحب، وإنزال المطر، ومن إنبات النبات، ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التي لا تقع تحت الحواس، وهم يلازمون الإنسان في حياته كلها وبعد مماته للحديث : «**إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم**»(٢).

---

(١) جزء من حديث الإسراء رواه البخاري عن مالك بن صعصعة، كتاب بدء الخلق فتح الباري، جـ٦، رقم ٣٢٠٧ .

(٢) رواه البخاري، مناقب ٣٥٤٩، ومسلم في الفضائل ٢٣٣٧ .

ثالثاً : عملهم في تنشيط القوى الروحية الكائنة في الإنسان :

١ - إلهام الحق والخير :

قال ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله وليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان»[(١)] ثم قرأ: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

٢ - دعاء الملائكة للمؤمنين :

فالله سبحانه وتعالى لسعة مغفرته، ولحبه لعباده، يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه بالدعاء، ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء، وعلمه الذي وسع كل شيء أن يغفر للتائبين، ويدخلهم في عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ (غافر).

وفي الحديث : «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يدعوان، يقول أحدهما : اللهم أعط ممسكاً تلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً»[(٢)].

٣ - تأمينهم مع المصلين :

فالملائكة تؤمن مع المصلين، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين[(٣)] فإن الملائكة يقولون:

---

(١) الترمذي، تفسير رقم ٢٩٨٨ من حديث عبدالله بن مسعود، وقال: هذا حديث حسن غريب.

اللمة كهمة: الخطرة تقع في القلب ولمة الشيطان وسوسته بالسوء، ولمة الملك وحيه بالخير.

(٢) رواه البخاري، زكاة ٢٧ .

(٣) أي قولوا آمين مع الإمام مع الموافقة له.

آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ماتقدم من ذنبه»(١) .

٤ ـ حضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم :

عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال : «**فضل صلاة الجماعة على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر، يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ**(٢) **الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾** (الإسراء: ٧٨)(٣) .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»**(٤) .

٥ ـ نزولهم عند قراءة القرآن :

وهم ينزلون عند قراءة القرآن ويستمعون إليه : فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده(٥) إذ جالت(٦) فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرىٰ، فقرأ، ثم جالت أيضاً. قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيىٰ فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتىٰ ما أراها، فقال : فغدوت علىٰ رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ : «**اقرأ ابن حضير**»، قال : فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ : «**اقرأ ابن حضير**»،

---

(١) رواه البخاري، أذان ١١١ ـ ١١٢، دعوات ٦٤، ومسلم، صلاة ٧٢ .

(٢) أي صلاة الفجر .

(٣) رواه البخاري ، صلاة ٨٧، ومسلم ١/ ١٨٠ .

(٤) متفق عليه، في اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٦٧ .

(٥) المربد : الجرن. (٦) جالت : وثبت.

قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير»، قال: فانصرفت وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحتْ يراها الناس لا تتوارى منهم»(١).

٦ ـ حضورهم مجالس الذكر:

وهم يلتمسون الذكر لإمدادهم بالقوى الروحية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله يا رب ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً. قال فيقول: فما يسألوني؟ قال فيقولون: يسألونك الجنة، قال فيقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال فمم يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار، قال فيقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله ما رأوها، قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، قال يقول ملك من الملائكة: إن فيهم فلاناً ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»(٢).

٧ ـ صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم:

قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾ (الأحزاب: ٤٣).

---

(١) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٤٥٩.

(٢) رواه البخاري، باب فضل ذكر الله، جـ ٢٠، ص ٢٤.

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلون على معلم الناس الخير**»(١).

٨ ـ حملهم البُشريات:

قال رسول الله ﷺ: «**زار رجل أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته(٢) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمه تربُّها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(٣).

٩ ـ إعلانهم عمن يحبه الله وعمن يبغضه:

يقول رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه،فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله أبغض فلاناً فأبغضوه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض**»(٤).

١٠ ـ كتابتهم الأعمال:

وهم يكتبون أعمال الإنسان ويحصون عليه حسناته وسيئاته: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)** ﴾ (ق)، ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)** ﴾ (الانفطار)، ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)** ﴾ (الإسراء).

وفي أثناء العرض يشهدون على ما عمل الإنسان من خير أو شر، قال تعالى:

---

(١) رواه الترمذي برقم ٢٦٨٥ وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٢) مدرجته: طريقه، تربُها: تصلحها.

(٣) رواه مسلم، بر ٣٨، من حديث أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري، توحيد ٣٣.

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾ (ق).

١١ ـ تثبيت المؤمنين :

وهم يثبتون المؤمنين بما يلقونه في قلوبهم من التأييد : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال : ١٢).

١٢ ـ موكلون بقبض الأرواح:

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام : ٦١).

١٣ ـ يحيون الطيبين تحية طيبة عند قبض أرواحهم:

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٣٢).

١٤ ـ يبشرون المؤمنين بالجنة:

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فُصِّلَتْ : ٣٠).

١٥ ـ يمتهنون الفسقة ويضربون وجوههم وأدبارهم:

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الأنفال : ٥٠).

وفي الهداية الربانية :

١ ـ الملائكة ونفخ الروح في الأجنة، للحديث : «ويكتبون لكل جنين عمله ورزقه وشقي أم سعيد»(١).

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٢٠٨، بدء الخلق، ومسلم برقم ٢٠٣٦ من حديث عبد الله بن مسعود.

٢ ـ الملائكة والسؤال في القبر للحديث: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ماكنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال نبي الله (فيراهم جميعاً قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون»(١).

٣ ـ الملائكة يصلون على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، ويصلون على من يصلي على النبي للحديث: «إن جبريل ـ عليه السلام ـ قال لي ألا أبشرك أن الله عز وجل يقول له من صلى عليك صليتُ عليه، ومن سلم عليك سلمتُ عليه»(٢).

الإيمان بالملائكة:

جزء من العقيدة، والعقيدة لا تقبل الشك، فالإيمان بالملائكة اليقين الجازم بوجودهم لقول الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ويحذر الخلق سبحانه وتعالى أن من أنكر وجودهم فقد كذب صريح القرآن وكفر بالله(٣)، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء: ١٣٦).

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٨٧٠ كتاب الجنة وصفة نعيمها من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، المتجر الرابح برقم ١٤٠٨.
(٣) الهداية الربانية، جـ ٢، ص ١٨١، الشيخ عبد الخالق الشريف.

فائدة :

أعمال الملائكة لا تحصىٰ ولا تعد ومعظمها بل أقول كلها تصب في صالح الإنسان ومساعدته في الوصول إلىٰ ربه فحضور الملائكة مع المؤمنين في الحرب والذكر والعلم والدعاء والاستغفار، فماذا تفعل تجاه من أسدىٰ إليك كل هذا المعروف؟!

يقول الشيخ سيد سابق ـ رحمه الله ـ : إذا كان هذا هو شأن الملائكة في عالم الروح ودورهم الإيجابي في الكون والطبيعة، وإذا كانت هذه هي صلتهم بالإنسان في هذا العالم وفي العالم الذي يأتي بعده كان من الواجب الإيمان بوجودهم ومحاولة الاتصال بهم عن طريق تزكية النفس، وتطهير القلب، وعبادة الله عبادة خاشعة.

وفي الاتصال بالملائكة سمو للروح وتحقيق لحكمة خلق الإنسان وهي أداء أمانة الحياة والقيام بالخلافة من الله في الأرض ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البر ومن دلائل الصدق والتقوىٰ[1]، قال تعالىٰ: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...** ﴾ (البقرة: ١٧٧).

(١) العقائد الإسلامية، الشيخ سيد سابق، ص ١١١، طبعة دار الفتح.

٢ ـ الإيمان بالكتب السماوية

خلق الله المخلوقات وحتى لا تضل هذه المخلوقات في الكون أرسل الله إليها كُتباً تتضمن مراد الحق من الخلق، والله - سبحانه وتعالى - له تعاليم ووصايا أوصاها إلى رسله وأنبيائه، منها ما دوِّن في كتب، ومنها ما لا علم لنا به، فلكل نبي رسالة بلغها قومه.

قال تعالىٰ : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢١٣).

الكتاب : الصحف المجموعة ـ والرسالة ـ والقرآن ـ والتوراة ـ والإنجيل.

وأم الكتاب : الفاتحة.

وأهل الكتاب : اليهود والنصارىٰ . الجمع : كتب(١).

الكتب السماوية :

ما أوحىٰ الله به ـ إما بلفظه أو معناه ـ إلىٰ أنبيائه في كل ما يتعلق بصلاح الإنسان في دنياه وآخرته، من أمر الشرائع والتعاليم والأحكام وما يلحق بها من قصص وأخبار وعظات وأمثال وغير ذلك(٢).

ولقد أنزل الله تعالىٰ كُتباً وصحفاً كما أخبر القرآن العظيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦).

---

(١) المعجم الوسيط، ص ٨٠٦، المجلد الثاني.

(٢) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٨٠ .

وهذه الكتب هي :

١ ـ صحف إبراهيم وموسىٰ : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)** ﴾ (الأعلىٰ).

وكما قال النبي ﷺ : «**كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك**»(١).

٢ ـ الزبور : نزل علىٰ داود، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا** ﴾ (الإسراء : ٥٥).

٣ ـ التوراة : نزلت علىٰ موسىٰ.

٤ ـ الإنجيل : نزل علىٰ عيسىٰ يقول الله تعالىٰ : ﴿ **الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣)** ﴾ (آل عمران).

تواريخ نزول هذه الكتب :

عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : «**أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»(٢).

الغرض من هذه الكتب :

١ ـ الحكم بما أنزل الله فيها : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ**

---

(١) رواه ابن ماجة، هامش الهداية، جـ٢، ص ١٩١ .

(٢) مجمع الزوائد، جـ١، ص ١٩٧ رواه أحمد والطبراني، رجاله ثقات، انظر الهداية الربانية، جـ٢، ص ١٩٣ .

وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤). ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾ (المائدة).

وهكذا يؤكد الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ وجوب تحكيم شرعته، وإقامة منهاجه، وهو حقه المطلق(١).

وفي إقامة هذا المنهج سعادة للبشرية كلها، ولذا فإن سبب شقاء الأمة وتخلفها، بل وهوانها علىٰ الناس هو إقصاء شرع الله عن منصة الحكم واستبداله بالقوانين الوضعية الفاسدة الظالمة التي تركت أيدي الظالمين تعيث في الأرض فساداً : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ (طه).

ولن يعود للأمة مجدها إلا بالحكم بشرع الله تعالىٰ، وتطبيق منهجه علىٰ مستوىٰ الشعوب والدول.

ولذا فعلىٰ المسلم جهد كبير في العمل الدائم للإسلام وتطبيق منهجه علىٰ نفسه وأسرته(٢).

وكما قال أحد الصالحين: «أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم علىٰ أرضكم».

---

(١) الهداية الربانية، ص ١٩٠ .

(٢) راجع الاحتكام لشرع الله من هذه الموسوعة.

وفي مجال الغرض من هذه الكتب يقول د. عبد الستار فتح الله [1] :

٢ ـ الكتب الإلهية تمثل أوعية التعاليم الربانية للبشر وهي جميعاً كتب هداية وإرشاد في المقام الأول .

٣ ـ والإيمان بالكتب السماوية إيمان بالمنهج الإلهي بقواعده الكلية وأحكامه التفصيلية .

٤ ـ والإيمان التفصيلي يتضمن وجوب الإيمان بكل ما جاء فيها من القواعد والأحكام .

خصائص القرآن الكريم :

هذا الكتاب المعجز [2] هو مسك الختام للرسالات الإلهية .

ويقول الشيخ سيد سابق: وللقرآن الكريم مزايا تميز بها عن الكتب السماوية التي تقدمته ، منها :

١ ـ **القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولاً :** ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)** ﴾ (آل عمران) .

ولذلك تضمن خلاصة التعاليم الإلهية التي تضمنها سائر ما أنزل الله من وصايا : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ (المائدة : ٤٨) .

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع ، ص ٣٨١ .

(٢) راجع مقدمة الباب الأول .

أي أن الله أنزل القرآن الكريم على النبي ﷺ مقترناً بالحق في كل ما جاء به، ومصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية التي أنزلها على الأنبياء السابقين، ورقيباً عليها، يقر ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتصحيف، ثم يأمر الله نبيه أن يحكم بين الناس: مسلمين وكتابيين بما أنزل الله في القرآن متجنباً أهواءهم.

٢- جاء مناسباً للطور البشري في حينه : كما يقول **الشهيد سيد قطب** ـ رحمه الله ـ: إن التشريعات كانت تنزل تخاطب العقل البشري في طوره حتى إذا وصل العقل البشري إلى قمة النضج جاء هذا الدين ليخاطب العقل الراشد ويؤكد هذه الحقيقة **الشيخ سيد سابق** ـ رحمه الله ـ فيقول: وأنه سبحانه جعل لكل أمة شريعة وطريقة في الأحكام العملية تناسب استعدادها أما أصول العقائد والعبادات والآداب والحلال والحرام وما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان فإنها واحدة في الأديان[١] كلها : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ (الشورى: ١٣).

ثم نُسِخَتْ الأحكام العملية السابقة بالشريعة الإسلامية، والأحكام الإسلامية الخالدة صالحة لكل زمان ومكان، وأصبحت العقيدة واحدة والشريعة واحدة للناس جميعاً[٢].

فائدة : هذه الحقيقة أرجو أن يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى في تدرجهم في الدعوة إلى الله تعالى مع الناس في طريقهم إلى الله عز وجل، حيث يتعاملون مع كل مرحلة بما يناسبها.

٣- لم تمتد إليه يد التحريف أو التصحيف أو التغيير أو التبديل : فهو كلمة الله الأخيرة لهداية البشر، فأراد لها أن تبقى على الدهر خالدة على الزمن فصانها

---

(١) أرى دائماً أن نقول في الشرائع وليس الأديان، فالدين واحد عند الله وهو الإسلام، يقول د. القرضاوي: إن دين الله في جميع الأماكن والأزمان واحد لا يتغير، وإن تغيرت المناهج والشرائع باختلاف الأمصار، الإيمان والحياة، ص ٣٦.

(٢) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ١٤٤.

الحق بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فُصِّلَتْ)، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الْحِجْر : ٩). والغاية من ذلك أن تبقى حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

٤ - **يريد الله لكلمته أن تذاع وتصل إلى العقول والأسماع** : وتتحول إلى واقع عملي فيسرها الله للذكر والحفظ والفهم : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر : ١٧).

ومن هذا التيسير أن حفظه الكبار والصغار، والرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، ويردد في البيوت والمساجد وأصوات القراء تدوي به في كل مكان، وبهذا كان القرآن خير الكتب وأفضلها على الإطلاق.

٥ - **القـرآن الكريم كـلام الله والكون عـمل الله وكـلام الله وعـمل الله لا يتناقضان أبداً** : فجاءت الحقائق العملية مصدقة لما سبق به الكتاب : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فُصِّلَتْ : ٥٣).

القرآن والاكتشافات العلمية :

لا ينبغي علينا أن تأخذنا الحماسة فنقوم بتأويل آيات القرآن حسب ما يظنه العلماء للوهلة الأولى، ثم لا تلبث أن يثبت خطؤها، فتنهار أمام الحقائق العلمية الأصيلة، ولكن بعد أن يتبين للجميع ما وقعنا فيه من حرج شديد.

يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله - : لا ينبغي أن نتحمس لكل ابتكار جديد من ابتكارات العلم الحديث ثم نذيع ونشيع أن القرآن قد سبق إلى هذه القضية منذ أربعة عشر قرناً وهناك علماء آخرون ينكرون قضايا جاء بها العلم الحديث مجيئاً يقينياً وينفونها؛ لأن القرآن لا يؤيدها.

وأصبح عندنا مؤلفات تقول إن القرآن يتمشى مع العلم ومؤلفات تقول : إن القرآن يعارض العلم.

والصواب أنه لا تتعارض الحقيقة القرآنية مع الحقيقة الكونية فإذا ما حدث التعارض فلابد من إعادة فهم الحقيقة القرآنية ومثال ذلك قالوا : إن العلم يصادم القرآن في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان : ٣٤).

والطب الحديث يعلم ما في الأرحام!! نقول صدقت، ولكن من الذي قال لك إن الله حينما قال : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ أراد : أذكراً هو أم أنثىٰ؟ ولم يرد طويلاً أم قصيراً ؟ أشقياً أم سعيداً؟

والعلم لا يعرف ذكر كان أم أنثىٰ إلا بعد التلاقح بين البويضة والحيوان المنوي، والله سبحانه لم يأخذ عينة من رحم الأنثىٰ ليحللها ثم يقول ذكر هو أم أنثىٰ : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (مريم : ٧).

قال الله ذلك قبل أن يلتقي زكريا بزوجته ، إذن الخطأ هنا في فهم الحقيقة القرآنية(١).

والذي نستطيع الجزم به هو أن القرآن الكريم لم يوجد فيه نص من النصوص يناقض حقيقة علمية ثابتة، وهذه ناحية من نواحي إعجازه.

كما أن الذي أشار إليه من الحقائق العلمية يعد أيضاً دليلاً من دلائل هذا الإعجاز وهذا القدر في التدليل علىٰ إعجاز القرآن من هذه الناحية يكفي ويشفي وما وراءه تَزَيُّد بغير يقين وتعريض النص القرآني لبلبلة الآراء والنظريات.

موقف القرآن الكريم من الكتب السابقة(٢) :

١ ـ أنه مصدق لها ولمصدرها الإلهي ولمن جاء بها من رسل الله الأكرمين.

٢ ـ مصحح لما وقع من تحريف أهلها بعد الرسل عليهم السلام.

---

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام، الشيخ الشعراوي، ص ١٢٩، طبعة مكتبة التراث الإسلامي.

(٢) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٨٣ .

٣ ـ يبين لما كتموه منها من الحق.

٤ ـ يضيف إليها من الأحكام تكميلاً وتتميماً للشريعة الخاتمة.

٥ ـ ناسخ لبعض أحكامها على ما اقتضته حكمة الله في نسخ الأحكام، ومعظم ما وقع في القرآن من هذا النوع هو من نسخ التخفيف والتيسير المطلق كإحلال الغنائم لنا.

تحريف التوراة:

إن الإيمان بالتوراة التي نزلت على موسى ركن من أركان الإيمان، وقد أخبرنا الله أن فيها هدىً ونوراً، إلا أن هذه التوراة التي نزلت على موسى غير موجودة بالمرة، والتوراة المتداولة الآن قام بكتابها أكثر من كاتب في أزمان مختلفة، يقول **الأستاذ محمد فريد وجدي ـ رحمه الله ـ**: ومن أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف التوراة المتداولة عند اليهود، وقد أثبت القرآن هذا التحريف ونعى على اليهود التحريف والتغيير الذي أدخلوه على التوراة: **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (البقرة: ٧٥). **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** (النساء: ٤٦).

أما نصوص التوراة الموجودة فهي تثبت هذا التحريف ففيها وصف الله بما لايليق (سفر التكوين ٣ : ٢٢): وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر.

وفيه (٦ : ٦): فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه.

وفيها دليل ما يمس شرف الأنبياء جميعاً وعصمتهم فقالوا عن إبراهيم إنه كذاب، وأن لوطاً زنا بابنتيه، وسليمان عبد الأصنام، وأقوى دليل على التحريف اعتراف النقاد واليهود أنفسهم، وقد أورد كذبهم الحاخام باريز جوليان في كتابه اليهودية[1].

---

(١) العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص ١٤٤.

تحريف الإنجيل :

لحق الإنجيل ما لحق التوراة : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة: ١٤).

ولصحة التدليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى أنها أربعة، اختيرت من نحو سبعين إنجيلاً، وقرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأي بولس دون سائر الحواريين، ودون أقرب الأقربين إلى عيسى.

وقد وُجِدَ في مكتبة أمير من الأمراء في باريس نسخة من إنجيل برنابا وقد طبعته مطبعة المنار بعد ترجمته إلى العربية وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة.

ولقد ظهر واضحاً أن الإنجيل الموجود ليس كلمة الله، وذلك من خلال مجموعة المناظرات التي تمت بين **العلاّمة أحمد ديدات والقس جيمي سواجارت في أمريكا**، وقد أثبت ديدات من خلال الأناجيل الموجودة معه واستشهد بها على أن الإنجيل الموجود ليس كلمة الله.

كيف تُحفظ الكتب الإلهية ؟ :

إذا انتفت الأخطاء التي أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية وزوروها على الناس باسم الله ظهر الحق واستبان والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٨).

وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف، وأقول إن أهم شيء لحفظ هذه الكتب أن يضعها من نزلت عليهم موضع الجد والتنفيذ، ولا توضع للزينة والتماس البركات ثم يولونها ظهورهم، فتطبيق المنهج الإلهي الموجود في هذه الكتب هو الحفظ الحقيقي لها وهو الإيمان العميق بها.

الوحـي :

إن قضية الغيب لا يمكن إخضاعها[1] لمعايير البشر، والسبيل الصحيح لمعرفتها هو التلقي عن طريق مناسب لطبيعتها، ومن مصدر يعلم علماً محيطاً، وما ذلك إلا «الوحي الإلهي» الذي أنزله رب العالمين على رسله الأكرمين، وإن وحدة الوحي وتناسبه على مر العصور ثابتة؛ لأنه يمثل الحق في ذاته وفي مصدره وطرق أدائه.

وعلى النقيض نرى البشرية قد ضلت في هذه القضية ضلالاً مبيناً؛ لأنها حاولت دائماً أن تخضع قضية الغيب لمعيار من عالم الشهادة أو من شبهات الأفكار فكانت كمن يحاول سماع الصوت بعينيه أو رؤية الأجسام بأذنيه فيخطئ الأمرين معاً، وتبقى حقيقة المسموع والمرئي خارج تقديره صحيحة وقائمة، ويبقى هو في ضلاله حتى يصحح وسيلته ومنهاجه.

تعريف الوحي :

الوحي لغة[2] : كل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه، وما يوحيه الله إلى أنبيائه - والصوت يكون في الناس - المتاب - والمكتوب - والكتابة والخط، وقال الراغب الأصفهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة، ومن الوحي بهذا المفهوم اللغوي:

١- **الإلهام الغريزي للحيوان :** ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (النحل: ٦٨)، أي وضع ذلك في غريزتها.

٢- **إلهام الخاطر :** ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص: ٧)، ويسمى أيضاً الإلهام الفطري للإنسان.

٣- **الإشارة :** ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: ١١)، أي أشار إليهم ولم يتكلم.

٤- **وسوسة الشياطين :** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٢٠.
(٢) معجم الوسيط، جـ٢، ص١٠٦.

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٢).

الوحي شرعاً : إخبار الله تعالىٰ من اصطفىٰ من عباده من الأنبياء والمرسلين بطريقة من طرق الوحي : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورىٰ: ٥١).

هذه الآية توضح طرق الوحي وهي :

١ - **الرؤيا الصادقة:** لحديث : «أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة»(١).

٢ - **الإلهام وإلقاء المعنى في القلب :** للحديث : «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»(٢).

٣ - **من وراء حجاب :** كما كلم موسىٰ : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (القصص: ٣٠). وكما كلَّم الله عبده ونبيه محمداً ليلة الإسراء والمعراج.

٤ - **أو يرسل رسولاً وهو جبريل :** وقد يأتي في صورته الملائكية، أو علىٰ هيئة رجل، أو الالتحام بين الملك والرسول.

الأدلة على صدق الوحي (٣) :

١ - إذا كانت نسبة القرآن إلىٰ الله تعالىٰ محض ادعاء من النبي ﷺ ليقهر بها قومه، فَلِمَ لم ينسب كل كلامه (الأحاديث النبوية) كذلك إلىٰ ربه؟

---

(١) البخاري، انظر فتح الباري، جـ١، ص ٢٣، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه ابن ماجة، تجارات ٢، في الزوائد : إسناده ضعيف لأن فيه الوليد بن مسلم، وابن جريج، وأبو الزبير، لكن لم ينفرد به المصنف من حديث أبي الزبير عن جابر، فقد رواه ابن حبان في صحيحه بإسنادين عن جابر.

(٣) الهداية الربانية، جـ٢، ص ١٩٧ .

٢ ـ يلاحظ كل ذي عقل أن هناك فرقاً في أسلوب كل من القرآن والسنة ولا يمكن أن يتم ذلك من بشر وعلى طول الوقت.

٣ ـ إنه ﷺ مر بأزمات كثيرة ولو كان القرآن من عنده لأسعف به نفسه في مواقف بالغة الحرج مثل حادث الإفك.

٤ ـ أحياناً كان يأتي القرآن كاشفاً عما كان يحرص هو على كتمانه : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب : ٣٧).

٥ ـ وقد يأتيه الأمر مجملاً ولا يجد له تفسيراً حتى ينزل القرآن يفسر بعضه بعضاً، فلو كان من عنده لسارع في تفسيره.

٦ ـ ما كان ليذر الكذب على الناس ـ وقد اتفق أعداؤه على براءته منه ـ ويكذب على الله.

٧ ـ لو كان هذا القرآن من عند محمد ﷺ لما ذكر آيات العتاب التي تعرَّض لها هو ذاته ﷺ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) ﴾ (عبس)، ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) ﴾ (الحاقة). ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) ﴾ (الأنفال).

٣ـ الإيمان بالرسل

قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥). وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: ٢٤).

١ ـ حاجة العالم إلى الرسل :

يقول الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ: «وحاجة العالم إلى الرسل ماسة، فلو تُركت أَزِّمة الفكر الإنساني للاجتهاد المحض لضل الناس رشدهم، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تُصلح ما لهم ومآلهم، وفي تاريخ الأرض القريب والبعيد لا نجد مثابة تفزع إليها الشعوب، وتلتمس في ظلالها الخير والبركة إلا تعاليم الأنبياء، هذه التعاليم منها ما يعجز العقل عن ابتداعه لو ترك وحده، منها ما يمكن أن يصل إليه العقل بعد تجارب مريرة.

أحسب أنه لو لم تأتنا رسل من عند الله تعرفنا بوجوده لبحثنا ـ نحن ـ عن سر الوجود وستصل أفكار حصيفة حتماً إلى الجزم بأن هذا الكون لن يخلقه الوهم ولن ينظمه العدم بل لابد من خالق موجود وقدرة مُنظمة ـ ولكن هذه الأفكار الصحيحة ستكون فروضاً قلقة وقد تجرفها الآراء المناقضة والمذاهب الملحدة، ولو استطاعت البقاء فإنها ـ في غيبة الوحي ـ ستكون تخمينات شتى يلتبس فيها الحق بالباطل ومن ثم فإن بعثة الرسل كانت ضرورة إنسانية لتجنيب العالم متاعب الضرب في بيداء طامسة»(١) .

(١) عقيدة المسلم، الشيخ محمد الغزالي، ص ١٨٧، ط الرابعة ١٩٨٤، دار الكتب الإسلامية.

٢ـ حقيقة عقلية :

خلق الله ـ تعالىٰ ـ الإنسان وزوده بنعمة عظيمة، وجعلها مناط تكليفه وحسابه، ولذلك دائماً تجد الخطاب في القرآن يهيب بالإنسان دائماً أن يوظفها، إنها العقل: «يعقلون ـ يتفكرون . . . »، وينعي في المقابل علىٰ كل من عطلها حتىٰ ينحط بهم عن مستوىٰ الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وفي هذا المعنىٰ يقول **الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ** : للمعارف المحترمة مصادر معينة لا يعول علىٰ ما وراءها فإذا كان مصدرها إنسانياً، فيجب أن تنبع من ثنايا المنطق التجريبي والرياضي كما هو حاصل الآن في علوم الكون والحياة وفيما يتصل بأحوال المادة وشئون الناس.

أما إذا كانت هذه المعارف متصلة بما وراء المادة (أي بما يقصر المنطق التجريبي والرياضي عن مناله) فإن الوحي الصادق سبيلها الفذ ولا يُقبل غيره فيها، ومن ثم فالكلام عن الله وعن صفاته وعن حقوقه لا يعتمد فيه إلا علىٰ ما جاء علىٰ ألسنة الأنبياء وحدهم.

٣ـ من الرسل وما واجبنا نحوهم؟

الرسل هم صفوة البشر من الرجال الذين اصطفاهم رب العالمين ليبلغوا عنه رسالته، وهم بقدر الله وحكمته الطريق المتفردة لمعرفة التكاليف الإلهية في كل شئون الحياة، لذلك كان الإيمان بهم أصلاً أصيلاً من ركائز هذا المنهاج الإلهي خاصة أن الإنسان يعجز تماماً عن وضع منهاج لحياته يقوده إلىٰ سعادته علىٰ سلامة واستقامة لذلك كان الإيمان برسل الله تعالىٰ مدخلاً أولياً للإيمان بكافة تعاليم المنهاج الإلهي(١).

وقد ذكر **الشيخ سيد سابق ـ رحمه الله ـ** تعريف الرسول قائلاً : «هو من أُوحيَ إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه وليبلغها غيره».

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٨٦ .

النبـوة :

«هي كون الإنسان مبعوثاً من الحق إلى الخلق، وهي مشتقة إما من النباوة : وهو الارتفاع، وذلك لعلو شأن النبي وارتفاع مكانه.

أومن النبئ: وهو الطريق، وذلك لكون النبي وسيلة إلى الله.

أومن النبأ: وهو الخبر وذلك لإخبار النبي عن الله»(١).

النبي والرسول :

هناك آراء عديدة في التفريق بين النبي والرسول، فالبعض يقول بالتفريق، والبعض يقول لا تفريق بينهما، وقد ذهب للرأي الأول الشيخ سيد سابق حيث يقول :

النبي : هو من أوحي إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه.

الرسول : هو من أوحى إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه وليبلغها غيره.

ومن الذين لا يقولون بالتفريق بين الرسول والنبي د. **عبد العزيز المرشدي** حيث يقول: الرأي الذي أميل إليه أنه لا منافاة بين النبي والرسول بدليل :

١ ـ أن النبي قد يكون رسولاً يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ** ﴾ (الأعراف: ٩٤).

٢ ـ أن الله خاطب محمداً ﷺ تارة بيا أيها النبي كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ (الاحزاب: ٤٥)، وتارة بيا أيها الرسول كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (المائدة: ٦٧)، وهذا يدل على عدم المنافاة بين النبي والرسول.

٣ ـ النص من الله على أن رسول الله هو خاتم النبيين : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ (الاحزاب: ٤٠).

---

(١) المعجم الوسيط، باب نبب، ص ٩٣٢ .

٤ ـ إن اشتقاق لفظ النبي والنبوة إما من النبأ أو النبيء أو النباوة، وكلها حاصلة في الرسول.

ثم يقول : وليس هناك من فرق فيما أرىٰ بين النبي والرسول إلا بمقدار :

أ ـ ما يواجهه المبلغ عن الله من متاعب ومشاق إذ المتاعب التي يواجهها الرسول قد تكون أكثر.

ب ـ طريقة إعجازه لقومه وإتيانه للأمر الخارق للعادة ومن هذين الأمرين يكون بينهما عموم وخصوص من وجهة(١).

وأرىٰ أن الخلاف في هذا الأمر ليس جوهرياً، وسواء هذا الأمر أو ذاك فلا يترتب عليه عمل، ولكن الذي نحذر منه هو التفريق بين الرسل في الإيمان بهم، فقد عدَّ الله تعالىٰ التفريق بين الرسل في الإيمان بهم كفراً بواحاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) ﴾ (النساء).

وعلىٰ هذا لم تخل أمة من رسول لقوله تعالىٰ : ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء : ١٥).

ويقول الله تعالىٰ : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورىٰ : ١٣). ذكرت هذه الآية أولو العزم من الرسل.

---

(١) فتح المجيد، د. عبد العزيز المرشدي، ص ٤٤ طبعة دراسية .

أولوا العزم من الرسل :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

روى الحاكم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « **سيد الأنبياء خمسة، ومحمد سيد الخمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد**»[١].

ويجب علينا الإيمان بالرسل على الإجمال كما ذكرنا يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (غافر: ٧٨)، ونؤمن بالتفصيل بمن ورد ذكرهم، وهم خمسة وعشرون ونجعلهم مثلاً عُليا ولإبطال مزاعم المبطلين[٢] عن أن الإيمان برسل الله وإيجاب اتباعهم على الإطلاق نوع من تقديس الرجال، وهذه المزاعم عكس للحقائق، وجهل وتجاهل بأصل الأصول الذي دعا إليه كل رسول وهو توحيد الله تعالى، يقول **الشيخ الغزالي - رحمه الله -** : «من حق الناس أن يسألوا كل رجل يزعم أنه مرسل لهم من عند الله ما دليلك على صدق ما تقول، فإذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته قبلوه واستمعوا إليه».

المعجـــزة :

المعجزة لغة : مأخوذة من العجز - المقابل للقدرة.

في الاصطلاح : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة مع التحدي .

أمثلة لمعجزات ذكرها القرآن [٣] :

١ - ما حدث لإبراهيم - عليه السلام - : سلب خاصية الإحراق من النار :

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) ﴾ (الأنبياء).

---

(١) الحاكم جيد الإسناد، ج٢، ص ٥٤٦، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٩٤ .

(٣) الهداية الربانية، جـ٢، ص ٢٠٢ .

٢ ـ معجزة موسى : أن تحول العصا إلى ثعبان : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) ﴾ (الأعراف).

٣ ـ معجزات عيسى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران).

٤ ـ معجزة النبي ﷺ هي القرآن : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ (البقرة).

وهناك معجزات خاصة بالنبي ﷺ : وهي معجزات حسية خاصة جداً مثل : حنين الجذع ، وتسليم الشجر عليه ، وإجابة دعائه ، وانشقاق القمر ، والأمور الغيبية الكثيرة التي أخبر عنها ﷺ.

والسؤال هنا : لماذا هذه المعجزات والقرآن أقوى معجزة؟

هذه المعجزات الحسية إما لتثبيت من يدخل في الإسلام ، أو إظهار كرامة ، أو لصدق الرسول ﷺ عند طلب المشركين ، أو لحاجة المسلمين كنبع الماء .

مميزات المعجزة القرآنية :

كانت معجزات الأنبياء شيئاً آخر غير الرسالات التي يبشرون بها ويدعون إليها ، فطب عيسى غير إنجيله ، وعصا موسى غير توراته .

القرآن : كان القرآن منهجاً ومعجزة ؛ لأن هذا المنهج لازم للزمان والمكان غير منقطع مثل المعجزات الأخرى إذن فلابد أن تصحبه معجزته ؛ لأن المعجزات السابقة رآها فصدقها وأصبحت خبراً من الممكن أن يُصدق ومن الممكن أن يُكذب ونحن صدقناها ؛ لأن الله قالها ؛ لأنها وقعت مرة واحدة فمن رآها فقد اقتنع بها على قدر محيط الرسالة لكن مادام الرسول رسولاً للناس أجمعين فلابد أن تكون معجزته باقية بقاء المنهج(١) .

(١) عقيدة المسلم ، الشيخ الشعراوي ، ص ٩٣ .

الفرق بين المعجزة وغيرها من الخوارق والغرائب (١) :

١ - **المعجزة** : أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعٍ للنبوة يتحدىٰ بها قومه .

٢ - **الكرامة** : أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح غير مدعٍ للنبوة لا يتحدىٰ بها أحدا .

٣ - **المعونة** : أمر خارق للعادة يظهر على يد بعض العوام تخليصاً من شدة .

٤ - **الإهانة** : أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدع للنبوة خلاف مطلوبه كما حصل لمسيلمة الكذاب .

٥ - **الاستدراج** : أمر خارق للعادة يظهر على يد فاسق مدعٍ للإلوهية كما يظهر على يد المسيح الدجال .

٦ - **الإرهاص** : أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي قبل البعثة كسلام الحجر أو تظليل الغمام على النبي .

٧ - **السحر** : قواعد يقتدر بها على أفعال غريبة بالنظر لمن جهل قواعده ويمكن اكتسابه بالعلم .

٨ - **الشعوذة** : خفة في اليد بواسطتها يرىٰ الشخص أشياء على أنها حقيقة وليست كذلك في الواقع كما يفعل الحواة .

٩ - **غرائب المخترعات** : هي الناشئة عن معرفة خصائص المادة وأسرار الكون .

عصمة الأنبياء :

عصم : الله فلاناً من الشر أو الخطأ .

عصمة : حفظه ووقاه ومنعه .

العصمة : ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها(٢) .

وعصمة الأنبياء معناها : أن لا يخلق الله منهم ذنباً .

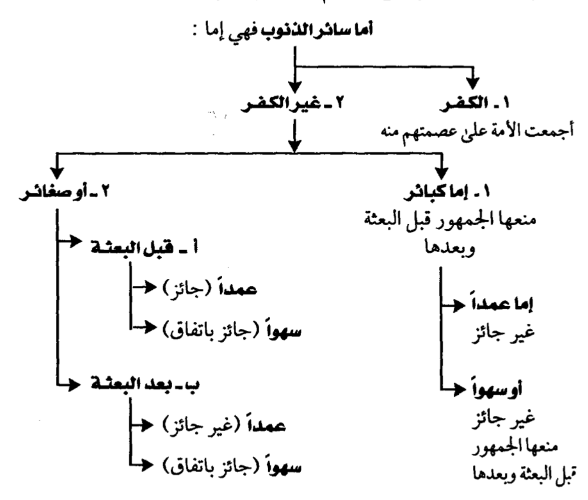
---

(١) الهداية الربانية ، جـ٢ ، ص ٢٠٨ .

(٢) معجم الوسيط ، باب عصم ، ص ٦٢٨ .

يقول الشيخ الغزالي : «إن مقام الإحسان وهو آخر ما يصل إليه الناس بعد الجهد والمران هو المرتبة الدنيا للأفق الذي يعيش الأنبياء فيه إذ يستحيل في حقهم أن يسقطوا دونه، أما ما يرقون فيه بعد من معاني الصلة بالله فأمر لا نُدرك كُنهه»[١].

أجمع أهل الملل والشرائع على عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة.



أدلة أهل السنة على عدم صدور الذنب عن الأنبياء :

ذكر الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «الأربعين في أصول الدين» عصمة الأنبياء هي المسألة الثانية والثلاثون، خمس عشرة حجة على عصمة الأنبياء بالأدلة النقلية والعقلية، وقد أوجزها د. عبد العزيز المرشدي[٢] في الآتي :

---

(١) عقيدة المسلم، للغزالي، ص ١٩٠ .

(٢) كتاب فتح المجيد، طبعة دراسية ، ص ٦٩ .

١ ـ لو صدر منهم الذنب لحرم إتباعهم وإتباعهم واجب بالإجماع لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٣١).

٢ ـ لو أذنبوا لردت شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع ولقوله تعالىٰ : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَافَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات : ٦). واللازم باطل ولأن من لا تقبل شهادته في القليل من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته في الدين.

٣ ـ إن صدر عنهم الذنب وجب زجرهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا بدوره يؤدي إلىٰ إيذائهم وإيذاؤهم حرام إجماعاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (الأحزاب : ٥٧).

٤ ـ لو صدر عنهم الذنب لكانوا أسوأ حالاً من عصاة الأمة إذ يضاعف لهم العذاب إذ الأعلىٰ رتبة يستحق أشد العذاب لمقابلته أعظم النعم بالمعصية.

٥ ـ لو صدر عنهم الذنب لم ينالوا عهد الله لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤)، وأي عهد أعظم من النبوة.

٦ ـ لو صدر عنهم الذنب لكانوا غير مخلصين؛ لأن الذنب بإغواء الشيطان والشيطان لا يغوي المخلصين لقوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الحجر : ٤٠)، واللازم باطل لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ (ص: ٤٦)، وقال في حق يوسف عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٤).

٧ ـ أن الأنبياء لو أذنبوا لكانوا من حزب الشيطان فيكونون خاسرين لقوله تعالىٰ : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة : ١٩).

أدلة القائلين بعدم العصمة :

احتجوا بقصص الأنبياء التي يوهم بعضها صدور الذنب عن الأنبياء . .

ونقول إجمالاً :

١ ـ إن ما كان منها منقولاً بطريق الآحاد وجب ردها ؛ لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء .

٢ ـ أما ما ثبت متواتراً فيه قولان :

أ ـ مما يحتمل التأويل صرفناه عن ظاهره لدلائل العصمة .

ب ـ وإن لم نجد له محيصاً ولا يمكن تأويله حملناه على أنه كان قبل البعثة ، أنه كان من قبيل ترك الأولى ـ أنها صغائر صدرت سهواً أو نسياناً ـ مؤاخذة الله للنبي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ـ توبة واستغفار النبي تكون لا عن ذنب ارتكبه بل لرؤية الأعمال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ (النصر) .

وخلاصة ذلك[1] **:** أن الأنبياء والرسل عصمهم الله تعالى قبل الرسالة وبعدها من الكبائر والصغائر في أمور الدين والأخلاق وما يسيء إلى صفات الكمال البشري ، وأما النسيان فهو وارد عليهم قبل النبوة أو بعدها إلا في التبليغ عن الله ، وأما الأمور الدنيوية والتقديرية فوقوع الخطأ الاجتهادي منهم جائز .

أقولُ إذا أردت تفصيلاً لعصمة الأنبياء كلّ على حدة والرد العقلي والنقلي على كل شبهة تحوم حولهم ، فارجع في ذلك إلى كتاب فخر الدين الرازي عصمة الأنبياء (المسألة الثانية والثلاثون من كتاب الأربعين في أصول الدين) .

---

(١) الهداية الربانية ، جـ٢ ، ص ٢١٠ .

٤ـ الروح .. وأشراط الساعة

أولاً : الـــــروح :

يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء: ٨٥).

وفي الحديث: عن أبي عبدالرحمن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهُوَ الصَّادقُ المَصْدُوق: «إن أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خلقُه في بَطْنِ أمِّه أرْبَعينَ يوْما نُطْفةً، ثـمَّ يَكُونُ عَلَقةً مثل ذلك، ثُمَّ يكُون مُضْغـةً مثْل ذلك، ثُمَّ يُرسَلُ إليه المَلَـكُ فَيَنْفُخُ فيـه الرُّوح، ويُؤمَرُ بأرْبَع كَلـمَات: بكَتْب رزْقه، وأجَلـه، وعَمَله، وشَقيٌّ أو سَعيدٌ. فوَاللَّه الّذي لا إله غيرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهل الجَنَّة حتي ما يَكُون بيْنه وبيْنَها إلا ذراعٌ فـيَسْبِقُ عليـه الكتاب فيَعْـمَلُ بعمَل أهْل النَّار فيَـدْخُلُها، وإنَّ أحدكُمْ ليَعْمَـلُ بعَمَل أهْل النَّار حتي ما يكُون بيْنَهُ وبيْنَهَا إلا ذرَاعٌ فيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعَمَل أهْل الجَنَّة فيَدْخُلُهَا»(١) .

قوله: «وهو الصادق المصدوق» أي شهد الله بأنه صادق، والمصدوق بمعنى المصدق فيه.

وفي المعجم :

الروح : ما به حياة النفس(٢) . . يُذكر ـ ويُؤنث .

والروح : النفس. وجمعها أرواح، ومنها روح الوحي ـ روح القرآن.

وفي الكيمياء : الجزء الطيار للمادة بعد تقطيرها كروح الزهر ـ روح النعناع ـ الروح الأمين ـ روح القدس ـ جبريل عليه السلام.

---

(١) رواه البخاري، توحيد ٣٨، بدء الخلق ٦، مسلم قدر ١ .

(٢) المعجم الوسيط، جـ١، مادة روح، ص ٣٩٤ .

خلق الله الكائنات وأودع فيها سر الحياة وهو الروح، وأعظم هذه المخلوقات هو الإنسان، فالإنسان مركب من جسد وروح، بالروح يدرك ويعي ويفكر ويعلم ويختار ويحب ويكره، أما أصل الجسد فالتراب.

قيمة الروح للإنسان:

١ - بالروح كان الإنسان مميزاً عن غيره في هذا العالم وبها صار عالماً وحده.

٢ - بالروح أسجد لله للإنسان ملائكته: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحجر).

٣ - بالروح سخر الله له ما في السموات وما في الأرض.

٤ - بالروح جعله الله سيد هذا الكون وخليفته في الأرض.

ولذا أقول: على الإنسان أن يكون روحاً نورانية بحق يعيش للإسلام ويعيش بالإسلام ويعمر الكون وأن يُحسن في خلافته عن الله تعالى ولا يكون همه في الحياة هم الأنعام: الأكل والشرب والتكاثر، ففيك أيها الإنسان من روح الله تعالى فاسمُ بنفسك إلى العلياء ولا تهوي بها إلى الطين.

تعريف الروح:

عرفها علماء المسلمين بأنها ذات مجردة عن المادة وأنها جسم نوراني علوي حي يغاير هذا الجسم المادي ويسري فيه سريان الماء في العود الأخضر، لا يقبل التحلل ولا الإنقسام يفيض على الجسم الحياة وتوابعها ما دام الله يريدها في هذا الجسد.

ما الذي يعرفه العالم عن الروح؟ (سر الحياة)

لم يعرف العالم في القديم ولن يعرف في المستقبل عن الروح شيئاً.

أقول لك: اجلس بجوار إنسان يحتضر - يعني اللحظات الأخيرة من عمره - سواء جلست بمفردك أو مع غيرك، أو معك الأجهزة المختصة بالتصوير

والاستشعار والرنين وغيرها فلن تدرك شيئاً، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) ﴾ (الواقعة).

الآن وأنتم تنظرون ـ سكت الجسد، وخرجت الروح وأنت بجوار الجسد، هل تستطيع أن تصفها لنا؟

خرجت أمامك وأنت تجلس، ما لونها؟ وما طولها؟ وما حجمها؟ وهل هي سائلة أم غازية؟

خرجت وفارقت الجسد فتحول الإنسان ـ وقد يكون حبيباً لك ـ أمامك في لحظة إلى مادة هامدة جامدة كسائر المواد (وهذه هي الصلصالية)، لماذا لم تمسك بالروح وقد خرجت أمامك؟ ألم تشاهدها؟ هلا أخضعتها لبحثك ومعاملك: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء: ٨٥).

العالم والخلية الحية:

تحدى القرآن البشرية كلها أن تخلق خلية حية واحدة وسار الإنسان في الطريق ليجرب ـ لا ليصنع ذبابة كما ذكر قبل ذلك في خواتيم سورة الحج، بل ليصنع خلية واحدة حية فماذا كانت النتيجة؟[1].

لقد كانت ما يلي: حاول الاتحاد السوفيتي أن يبرهن على إمكانية نشأة الحياة كيماوياً، وقد كلف بهذا الموضوع (أورارين) رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفيتي وطُلب منه أن يتفرغ للبحث في أمر واحد، وهو مدى إمكانية إيجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي، وبعد عمل متواصل قارب (السبعة والثلاثين عاماً) أعلن النتيجة التي توصل إليها في تقرير رسمي أذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم إذ ذاك خلاصته: «أن العلم الكيميائي عاجز عن إيجاد الحياة في المخبر، وأن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم، والعلم لا شأن له إلا بالمادة المحسة».

---

(١) شبهات وردود، عبد الله ناصح علوان، ص ٣١.

الا يدل هذا على أن الله وحده هو الذي اختص بإبداع الكون ووجود الحياة؟

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (العنكبوت: ١٩).

أما خلق الإنسان فهو أعجب وأعظم لما امتاز به من العقل، ولما أوتي من الفهم والعلم، ولما أعطي من ملكة التعبير والبيان، ولما فطر عليه من حسن الهيئة والصورة، ولما سخر له ما في السماوات والأرض ويكفي الإنسان فخراً وكرامة أن يقول عنه الله في محكم آياته: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: ٧٠).

حقائق:

١ ـ دخلت الروح الجسد بعد مرور مائة وعشرين يوماً كما في الحديث المشهور (أو بعد اثنين وأربعون يوماً) وأنت لا تعرف عنها شيئاً ولا خبرة الأم في الحمل والولادة عنها شيئاً، فلم تقل الأم الآن الملك ينفخ الروح في الجنين هي فقط لم تشعر إلا بالجنين يتحرك في الرحم، كيف ذلك؟ لا تعرف!! ولا الأب ولا أي مخلوق يعرف.

٢ ـ خرجت الروح من الجسد وأنت تجلس ـ كما ذكرت لك ـ فما استطعت أن تستبقيها في الجسد ولا أن تُرجعها بعد خروجها: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٤)، ﴿ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الواقعة: ٨٧).

٣ ـ ما استطاع الإنسان أن يخلق خلية حية، لأنه لا يعرف عن الروح (سر الحياة) شيئاً وبناءً على ذلك فهو لا يستطيع أن يُخرج الروح من الخلية الحية لأنه لايعرف عنها شيأً داخل الخلية، فكيف يُخرج من الخلية شيئاً لا يعرفه.

ثانياً : أشراط الساعة :

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ** ﴾ (محمد: ١٨).

علم الساعة لا يعلمه إلا الله تعالىٰ فهو من الأمور التي استأثر الله ـ تعالىٰ ـ بها فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً فلا يعلم أحد متىٰ تقوم الساعة.

ورد أنها ستكون في يوم جمعة لما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»(١).

ولا أحد يعلم أي يوم جمعة هي لقوله تعالىٰ: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

وقبل أن نتحدث عن أشراط الساعة، نأتي إلىٰ السؤال الذي يجب أن يعي الناس إجابته وهو:

لماذا أخفى الله الساعة عنا؟.. للفوائد الآتية:

١ ـ ليخشىٰ أهل كل زمان إتيانها فيه فيعملوا ويجتهدوا.

٢ ـ الإخبار بموعد الساعة يجعل القرون الأولىٰ والوسطىٰ الموجودة قبل موعد الساعة غير متأثرة بفكرة الآخرة ولا تنفعل بها إلا جزئياً، أما القرون الأخرىٰ فكانت تعيش في رعب مستديم ولا تبقىٰ للحياة متعة حينئذ ولا قيمة ولا للعبادة التي هي طاعة الفرد باختياره ضمن الخوف والرجاء أهمية وحكمة.

٣ ـ أن يتوقعها الإنسان في أي لحظة كما يتوقع عمره تماماً فيفكر فيهما معاً ويسعىٰ بجد للدنيا سعيه للآخرة ومثلما يتوقع قيام الساعة في كل عصر يتوقع دوام

(١) أخرجه مسلم، رقم ٨٥٤.

الدنيا فيه ويعمل لعمارة الدنيا كأنه يعيش أبداً.

٤ ـ أثر الإخبار بموعد الساعة على الفئات التالية :

أ ـ المكذبين سوف يستخفّون بالخبر ويكذبونه.

ب ـ المرتابين سوف يزدادون ارتياباً.

جـ ـ الكافرين آمنين ويسخرون من المؤمنين.

د ـ المؤمنين حينما يقترب الأجل يقعون في رعب عظيم ينغص عليهم حياتهم ويوقع الشلل في أعضائهم والتشنج في أعصابهم ولا يستطيعون عملاً ولا يستسيغون طعاماً ولا شراباً ومنهم من يخرج من ماله وما يملك.

وليس هذا كلاماً نظرياً بل هو واقع عملي وهذه أدلته :

الدليل الأول : في أوربا أخبر بعض رجال الكنيسة الذين كان يقلدهم الجمهور بأن القيامة ستقوم في سنة كذا فهلعت القلوب، واختلت الأعمال، وأهمل أمر العيال ووقف المصدقون ما يملكون على الكنائس والأديرة، ولم تهد النفوس ويثب إليها رشدها إلا بعد ظهور وكذب النبأ بمجيء أجله دون وقوعه، فالحكمة البالغة إذ هي في إبهام أمر الساعة(١).

الدليل الثاني : لو أُخبر الإنسان بنهاية حياته وموعد موته لما سعد بطعام ولا شراب ولا تحرك ناحية العمل قيد أنملة وجلس مُحطم النفس.

ولقد ذهبت المرأة إلى الطبيب تشكو عدم الإنجاب (الحمل) فقال لها الطبيب لا داعي للإنجاب فسوف تموتين بعد خمسة وأربعين يوماً فانصرفت المرأة وعافت نفسها الطعام وامتنعت عن الشراب والطعام، وغارت العينان، واصفر الوجه وظهر عظم الوجه، وذبل الجسد كله، وبعد الأربعين يوماً لم تمت وذهبت إلى الطبيب تشكو آلاماً في بطنها وميلاً إلى القيء فأخبرها الطبيب أنها قد حملت، ولما سألت

---

(١) تفسير القرآن الكريم، لمحمد رشيد رضا، جـ٩، ص ٤٣٨ نقلاً عن مجلة الرسالة العدد الرابع، ص ١١٠ د. محمود محمد حسين.

عن سبب هذا الخبر المزعج قال لها : أردت أن أجعل الحزن يتسرب إلىٰ حياتك فيذيب الدهون الموجودة علىٰ الرحم فيحدث الحمل(١)، لذلك لا يُخبر الطبيب المريض بخطورة مرضه فيموت حسرة وحزناً.

أشراط الساعة :

الشرط : العلامة، جمعها: أشراط، وفي التنزيل : ﴿ **فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾ (محمد: ١٨)(٢). **والساعة** : جزء من أجزاء الوقت بالساعات(٣). **فأشراط الساعة تعني** : علامات الساعة.

حقائق قبل العلامات :

١ـ **قرب الساعة :** فبعثة النبي تدل علىٰ قُرب الساعة للحديث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى**»(٤). والمراد بالتشبيه أنه ليس بينه وبين الساعة نبي آخر فهي تليه وتأتي بعده.

٢ـ **تأتي بغتة :** أخبر الحق سبحانه وتعالىٰ أنها لا تأتي إلا بغتة : ﴿ **بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ** ﴾ (الأنبياء: ٤٠)، وهو نفس حديث النبي ﷺ الذي سنذكره في علامات الساعة ومنه : «**ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبيهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه**»(٥)، والمعنىٰ أنها تبغت الناس وهم منهمكون في أعمالهم ومعايشهم المعتادة وأبلغ من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)** ﴾ (الحج).

---

(١) إذا أردت المزيد راجع علاج الهموم والأحزان في بداية هذا الباب.
(٢) المعجم الوسيط، جـ١، ص ٤٩٨، مادة شرط.
(٣) المعجم الوسيط، جـ١، ص ٤٨١، مادة سوع.
(٤) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ١٨٦٣، عن أنس، ورقم ١٨٦٢ عن سهل بن سعد.
(٥) أخرجه البخاري، باب خروج النار، جـ٤، ٦٧ وسيأتي كاملاً.

٣ـ اختلاف مواقف الناس وتباينها (١) :

أ ـ **موقف المؤمنين :** إيمانهم وتصديقهم بالساعة وقربها وأحوالها يدفعهم إلىٰ الشفقة علىٰ نفوسهم من أهوالها فترقىٰ أخلاقهم فتصفح : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأنبياء : ٤٨)، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ... ﴾ (الْحِجْر : ٨٥).

ب ـ **موقف أهل الضلال :**

ـ إنكار وغرور : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ (الكهف : ٣٦).

ـ عدم اليقين بحدوثها والشك : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (الجاثية : ٣٢).

ـ وصف أحوالهم يوم القيامة : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الأنعام : ٣١). ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ (مريم : ٧٥). ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ (الروم : ٥٥).

ـ الجزاء الذي ينتظرهم في الآخرة : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ (الروم : ١٤)، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ (الفرقان : ١١).

---

(١) الهداية الربانية، جـ ٢، ص ٢٢٤ باختصار .

٤ ـ سوف يقتصر ذكرنا للعلامات سواء الصغرى أو الكبرى على الصحيح الوارد في السنة، ففي القرآن وفي السنة ما يكفي ؛ لأن الذكي هو الذي يشغله حديث النبي ﷺ : «ماذا أعددت لها...»(١). وكما ذكرنا قبل ذلك لا يجوز للطالب الذي يريد التفوق أن ينشغل بلجنة المراقبة في الامتحان عن الامتحان نفسه.

٥ ـ أخطر الأحاديث التي وردت في علامات الساعة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال : وكيف إضاعتها؟ قال : «إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٢)، أقول لكل مسؤول: لا تُوسد أمراً لغير أهله فتضيع الأمانة، وأقول لكل مرؤوس: لا تتبوأ منصباً لست أهلاً له فتظلم غيرك وتأخذ ما ليس لك.

علامات الساعة :

عن حذيفة بن أسير الغفاري رضي الله عنه قال: طلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال : «ما تذاكرون؟»، قلنا: (نذكر) الساعة، قال: **«إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك : نار تطرد الناس إلى محشرهم»**(٣).

ولقد أجمل فأحسن صاحب كتاب الهداية الربانية حينما صنف هذا المبحث(٤) :

أحاديث بدأت بقوله ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى...»**:

---

(١) حديث الأعرابي الذي جاء يسأل النبي : يا محمد متى الساعة؟ قال له النبي ﷺ: «ماذا أعددت لها؟»، قال: ما أعددتُ لها كبير صلاة ولا صيام غير أني أحب الله ورسوله، فقال له النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»، فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث.. رواه البخاري، أدب ٩٥، ٩٦، ومسلم ، بر ١٦٣، ١٦٤ .

(٢) رواه البخاري وفتح الباري، جـ١ ، ص ١٤١ كتاب العلم.

(٣) رواه مسلم، رقم ٢٩٠١ .

(٤) الهداية الربانية، الشيخ عبد الخالق الشريف، جـ٢، ص ٢٢٩ .

١ ـ يُخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة(١).

٢ ـ يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه(٢).

٣ ـ تقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة(٣).

٤ ـ يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه (وليس به الدين، ما به إلا البلاء)(٤).

٥ ـ تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة (ذو الخلصة صنم كان يعبد في الجاهلية)(٥).

٦ ـ تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم(٦).

٧ ـ يكثر الهرج (وهو القتل)(٧).

٨ ـ تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده(٨).

٩ ـ أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع(٩).

١٠ ـ يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون فيقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا أنجو (من حضره فلا يأخذ منه شيئاً)(١٠).

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم ١٥٩١، فتح الباري، كتاب الحج رقم ٢٩٠٩.

(٢) رواه البخاري، وفي الفتح، جـ ١٣، ص ٧٦، كتاب الفتن، ومسلم برقم ٢٩١٠.

(٣) جزء من حديث عن البخاري رقم ٧١٢١، ومسلم ٢٨٨٨.

(٤) البخاري، فتح الباري، جـ ١٣، ص ٧٦ كتاب الفتن، ومسلم ٢٩٧.

(٥) رواه البخاري، وفي الفتح، جـ ١٣، ص ٧٦، كتاب الفتن، ومسلم ٢٩٠٦ (٥١).

(٦) رواه الترمذي برقم ٢١٧٠ عن حذيفة بن اليمان، وقال: حديث حسن.

(٧) رواه البخاري، وفي الفتح، جـ١٣، ص ١٣ كتاب الفتن برقم ٧٠٦١، ومسلم ٢٨٨٨ (١٨).

(٨) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري، وقال: حديث حسن غريب.

(٩) رواه الترمذي برقم ٢٢٠٩، وقال: حديث حسن غريب.

(١٠) أصله في البخاري، وفي الفتح برقم ٧١١٩، جـ ١٣، ص ٧٨ عن أبي هريرة ومسلم برقم ٢٨٩٥.

١١ ـ يملك رجل من الموالي يقال له الجهجاه(١).

١٢ ـ يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود(٢).

١٣ ـ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى(٣).

١٤ ـ يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين(٤).

١٥ ـ يقبض العلم(٥).

١٦ ـ تكثر الزلازل(٦).

١٧ ـ يتقارب الزمان(٧).

١٨ ـ يكثر المال ويفيض(٨).

١٩ ـ يكثر الجهل، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد (٩).

٢٠ ـ يتدافع أهل المسجد الإمامة فلا يجدون إماماً يصلي بهم(١٠).

٢١ ـ يشرب الخمر(١١).

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٩١١ عن أبي هريرة، جـ٤، ص ٢٢٣٢ .

(٢) رواه البخاري، وفي الفتح جـ٦، ص ١٠٣ رقم ٢٩٢٥ عن ابن عمرو، وأبو هريرة، رواه مسلم برقم ٢٩٢٢ .

(٣) رواه البخاري، الفتح، جـ ١٣، ص ٧٨ برقم ٧١١٨ عن أبي هريرة، ورواه مسلم .

(٤) من حديث البخاري رقم ٧١٢١ .

(٥) من حديث البخاري رقم ٧١٢١ .

(٦) من حديث البخاري رقم ٧١٢١ .

(٧) من حديث البخاري رقم ٧١٢١ .

(٨) من حديث البخاري رقم ٧١٢١ .

(٩) رواه النسائي ٧: ٢٤٤ .

(١٠) رواه أبو داود برقم ٥٨١ عن سلامة بنت الحر، أخت خرشة بنت الحر الغزاوي.

(١١) جزء من حديث رواه البخاري، فتح الباري، جـ١، ص ١٧٨ برقم ٨١ عن أنس، ورواه مسلم برقم ٢٦٧١ جـ٤، ص ٢٠٥٦ .

٢٢ ـ يفشو الزنا[١].

٢٣ ـ يذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد[٢].

٢٤ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«خروج الآيات بعضها على بعض كما تتابع الخرز»**[٣].

٢٥ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى لايحج إلى البيت»**[٤].

٢٦ ـ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير»**، قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: **«نعم ليكونن»**[٥].

وقفات :

الوقفة الأولى : طبيعة اليهود :

- أهل غدر وخيانة.
- قساة القلوب.
- أهل الإفساد في الأرض.
- قتلة الأنبياء: نشروا زكريا بالمناشير ـ ذبحوا يحيى وقُدمت رأسه مهراً لبغيّ من بغاياهم.
- أهل الدمار والخراب، ويحاولون دائماً خراب الدنيا فترى الآن مفاسدهم في الأخلاق والمعاملات. . .
- هم محرفو الكلم عن مواضعه الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، والذين يسعون دائماً لإيقاد الحرب، وإشعال الفتنة.

(١، ٢) المصدر السابق.

(٣) رواه ابن حبان، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ص ٤٦٥ برقم ١٨٨٣ .

(٤) المرجع السابق ١٨٨٤ .

(٥) المرجع السابق ١٨٨٩ .

- هم الذين تَسفلوا على الله واتهموه بأسوأ التهم فقالوا ـ لعنة الله عليهم ـ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة: ٦٤)، ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١).

- ولم يكتفوا بهذا، بل انظر إلى ما هو أقبح من ذلك في أفعالهم: إنهم ينتظرون مُخلصهم الدجال الذي يدَّعون أنه إله من دون الله، وسيكونون جنوده في محاولة لخراب الدنيا ودمارها.

لذا يجب على الأمة اليقظة تجاه الخطط اليهودية والنصرانية، وعدم موالاة اليهود والنصارى[١].

الوقفة الثانية : العمل حتى آخر لحظة :

حث الإسلام على العمل والإنتاج حتى آخر لحظة في الحياة الدنيا، حتى ولو لم ينتفع بهذا العمل أحد على الإطلاق؛ لأن الساعة قد قامت بعد العمل، وقبل جني الثمار، فعن أنس قال رسول الله ﷺ: **«إذا قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها»**[٢].

والفسيلة هي النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس[٣].

---

(١) والشيء الذي يؤسف له مسارعة الشباب المسلم بالزواج من اليهوديات، وسيأتي حكم ذلك.

(٢) رواه أحمد في المسند، جـ٣ : ١٨٤ ـ ١٩١، كنز العمال، رقم ٩٠٥٦، جـ٣، ج١٢، وعند البخاري في الأدب، ومجمع الزوائد، رواه البزار، ورجاله أثبات.

(٣) المعجم الوسيط، مادة فسل، الجزء الثاني.

الوقفة الثالثة : اليوم الآخر :

فَصَّلْتُ القول في مقدمات اليوم الآخر وفيما يتعلق باليوم الآخر ، وأوضحته من زوايا كثيرة ، السبب في ذلك :

١ ـ أن أكثر الناس في القديم والحديث على إنكاره واستبعاد وقوعه وحدوث الآخرة .

٢ ـ إذا سلمت عقيدة الإنسان في اليوم الآخر سلمت له الدنيا والآخرة .

٥ـ الإيمان باليوم الآخر

اهتم القرآن الكريم(١) بذكر اليوم الآخر والإيمان به، واهتم بتقريره في كل موقع، ونبَّه إليه في كل مناسبة، وأكَّدَ بشتى الأساليب والصور وقوعه، ولا تكاد تخلو ورقة من ورق (المصحف) القرآن الكريم إلا وتجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر، وما سيكون فيه من أحوال وأحداث، بل وقد سمى القرآن الكريم هذا اليوم بمسميات كثيرة منها: القيامة، والساعة، والآخرة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم التلاق، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، والآزفة، والطامة، والصاخة، والغاشية، والواقعة، والحاقة.

وحكمة ذلك: أن الإيمان باليوم الآخر والخوف من الوقوف بين يدي الله في هذا اليوم، والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة فعلها الإنسان، حتى إنه لَيُحَاسَب على مثقال الذرة.. كل هذا له أثر عظيم في صلاح الإنسان، وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل.

وشتان ما بين اثنين: أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله، ولا يهمه إلا شهواته وملذاته ومصالحه الشخصية، والثاني: يؤمن بأنه لابد من الموت ثم الحساب والجزاء، فيُثاب على الخير، ويُعاقب على الشر.

إنك ترى الأول منفلتاً من أي ضابط سوى شهواته وملذاته، والغاية عنده تبرر الوسيلة، ويعمل أي عمل يكون فيه مصلحته مهما كان ضرره.

أما **الثاني** فتجده منضبطاً في حدود شرع الله...

والآيات في القرآن كثيرة تخبرنا عن الربط بين الإيمان باليوم الآخر وبين العمل الصالح، والعكس أيضاً: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ (التوبة: ١٨).

---

(١) الإيمان.. أركانه.. حقيقته.. نواقضه، محمد نعيم ياسين، ص ٥٥ بتصرف.

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ (الماعون).

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب: ٢١).

إذن . . ما سبب عصيان الإنسان لأوامر الله، ولأوامر رسول الله ﷺ وارتكاب الآثام والمعاصي والذنوب؟

عدم الإيمان باليوم الآخر . .

ويقول **الأستاذ سيد سابق** - رحمه الله - لو آمن الإنسان بالركن الأول من أركان الإيمان وهو: الإيمان بالله، وآمن بالركن الخامس وهو: الإيمان باليوم الآخر، أي اعتقد أن الله هو الذي خلقه ويرزقه، وأنه لابد سيعود إلى الله في يوم يحاسبه، وأنه سيسأله عما عمل في الفترة ما بين لحظة ولادته، ولحظة عودته إلى الله، فسيُحسن الإنسان ما بين اللحظتين، التي هي عمره وحياته في هذه الدنيا.

فاليوم الآخر غيب، لا نعرف عنه شيئاً، فكيف نجعل الإيمان به ثابتاً في نفوسنا، فتنطلق جوارحنا تعمل الحلال استعداداً للقاء الله، وتجتنب الحرام حياءً من العرض على الله؟

حتمية اليوم الآخر نقلاً وعقلاً :

١ - الحق سبحانه وتعالى حين يريد عرض قضية غيبية مُختلف فيها لأنها غيبية بعيدة عن إدراك الحواس.. ماذا يفعل؟

يأتي بقضية متفق عليها ليجعل المنطق من المتفق عليه إلى المُخْتَلَف فيه.

« فالحق سبحانه وتعالى حينما يريد أن نعرف صِدْقَهُ في هذه القضية الغيبية يأتي بأمر محسوس ليجعله الدليل على صدق الأمر الغيبي »[(١)].

---

(١) عقيدة المسلم، الشيخ الشعراوي، ص ١٢٠ .

ولذا أقول: إن الله تعالى لم يفاجئنا بالإجابة عن التساؤل في قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) ﴾ (النبأ)، ويقول لنا: إن اليوم الآخر آتٍ رغماً عنكم، ولكن الله تعالى ـ من رحمته ـ وجهنا إلى التفكير في آيات محسوسة وملموسة لنا جميعاً، ولا نستطيع أن ننكرها، بل وأقول إن كل آية من هذه الآيات العشرة المذكورة في سورة النبأ، كل آية فيها أقوى وأكبر من إعادة خلق الإنسان في اليوم الآخر، ونحن نرى هذه الآيات واقعاً نتعامل معه ونراه، فتأكَّد لدينا من خلال ذلك أن اليوم الآخر آتٍ لا محالة.

وهذه الآيات المحسوسة مثل:

الأرض . . ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾ . . يعني موطأة للاستقرار عليها.

الجبال . . ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ . . حتى لا تميد الأرض بنا . .

وخلق الإنسان وزوجه . . ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أوجدنا من العدم . . والذي أوجد من العدم قادر على أن يعيد الخلق مرة أخرى.

والنوم . . والليل . . والنهار . . والسموات الشداد بما فيها من زينة وكواكب، ونزول المطر، وإخراج الحب والنبات . .

وبعد كل هذه الآيات يقول الحق: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ (النبأ: ١٧)، أي يا من شاهدت كل هذه الآيات التي وجهك الحق إليها، فإنه يخبرك أيضاً أن هناك يوم فصل وله ميقات محدد معلوم . .

وفي سورة النازعات، يقول الله تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ (النازعات: ٢٧).

ثم يخبرنا الحق سبحانه وتعالى عن الليل والضحى، واستدارة الأرض كالدحية، وإخراج النبات . . وكلها شواهد محسوسة، فإذا وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ (النازعات: ٣٤).

هنالك لا تملك النفس البشرية إلا أن تقول: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات: ٤٦).

وفي سورة عبس أيضاً يذكرنا الحق: ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴾ (عبس).

وهكذا نجد هذا الأسلوب واضحاً في القرآن الكريم كله، وخاصة الجزء الثلاثين الأخير منه.

٢ ـ في سورة البقرة يتحدى الخالق البشر أن يأتوا بسورة من القرآن العظيم المُعْجِز:

هذا القرآن الذي أخبرهم بأن هناك يوماً آخر يقف فيه الناس جميعهم للحساب أمام رب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣).

وفي سورة الحج يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ﴾ (الحج).

وفي سورة المؤمنون يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾ (المؤمنون).

في هذه الآيات يعرض ربنا سبحانه وتعالى علينا
المراحل الثلاث التي يمر بها الإنسان:

المرحلة الأولى : مرحلة التكوين والخلق: ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾، هذه نراها ونحسها واقعاً فهل يُنكر أحد منا أنه موجود؟ أو ينكر أن الله خلقه؟

المرحلة الثانية : مرحلة الموت : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ** ﴾، ألست كل يوم تشيع من الأحياء أموات وأموات.

هاتان المرحلتان لا يشك فيهما أحد، ولا يُنكرهما أحد، فكلنا مر بهما، وشاهدهما، تتبقى المرحلة الثالثة، فإذا كنت آمنت بالمرحلتين السابقتين، ألا تؤمن حق اليقين بأن الثالثة واقعة أيضاً لا محالة؟

المرحلة الثالثة : مرحلة البعث: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾.. فالله الذي خلق وأمات في المرحلتين الأولي والثانية، هو الذي يخبرك أن هناك مرحلة ثالثة وهي البعث يوم القيامة، وهي أهون من الأولى والثانية، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (الروم: ٢٧). ﴿ **فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (يس: ٨٢).

وقضية الخلق والإنشاء والإعادة واقعة كل يوم في حياة البشر، وكذلك في الليل والنهار، وفي فصول السنة المتعاقبة..

فائدة : يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله - (١) : « قال الله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)** ﴾ (الطارق).

الرجع هو المطر، والمطر ينزل من السماء، ثم يتبخر، ثم يرجع مطراً ثانياً.

يعني والماء حين يرجع ويأخذ دورته ويعود ماءاً عذباً مرة أخرى.

---

(١) عقيدة المسلم، الشيخ الشعراوي، ص ١٣١ .

وقد تكرر رجوع الماء ثانياً في سورة الذاريات، قال تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ① فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ② فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ③ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ④ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ⑤ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ⑥ ﴾ (الذاريات).

جاءت عملية الماء من أولها إلى آخرها، وبعد ذلك قال: إنك سترجع لأن الدورة هي الدورة، ودورة الماء أنت تشاهدها، وهي بعينها دورة الماء الدافق من بين الصلب والترائب، والذي خلق منه الإنسان؛ لأن الماء الدافق يشبه الرجع، والأرض ذات الصدع تشبه الرحم يتلقى الماء فينتج الزرع».

٣- هذه الحياة (١):

يقول الشيخ محمد الغزالي. رحمه الله. في هذه القضية :

قبل أن نأتي إلى الحياة الدنيا، كم سبقتنا من عصور؟!

وبعد أن نغادر هذه الحياة، كم ستعقبنا من أجيال؟!

وما نسبة هذا العمر المحدود بين ما سبقه وما لحقه من أزمنة؟

إنه قليل، ولكن من هذا القليل الممنوح لي ولك، تتكون الحياة الدنيا!!

من هذا الظهور المحفوف بالفناء قبله، والخفاء بعده، تعمر الأرض!

في طريق الحياة الممتد يجري جيل من البشر وما يزال يجري، حتى إذا نال منه الكلال وأدركه الإعياء مات.

وقبل أن يخلو الطريق من الأنفاس اللاهثة، والأقدام اللاغبة، ينبت جيل آخر، يستأنف السعي، ويمثل الدور نفسه.

ويسحب الجيل المنهوك، فيلف في الأكفان ويواري في التراب، وينفرد الجيل الجديد بالسعي، حتى إذا لحقه ما أصاب خلفه، سحب ـ كذلك ـ وجيء بآخرين، وهكذا دواليك.

هذه هي مواكب الحياة، عمل متواصل من أعمار متقطعة!

---

(١) عقيدة المسلم، الغزالي، ص ٢١٣ .

والعجيب أن هذا العمل الموصول يسخر القائمين به، فهم لا يحسبون أنفسهم حلقة من السلسلة المتقطعة المتراخية مع الأمس، المتطاولة مع الغد.

بل إن الواحد منهم يخدعه الغرور، فما يفكر أنه جديد على الدنيا، وأنه ـ كما ظهر فيها فجأة ـ سيختفي بغتة.

كلا، إن الغرور يخيل إليه أنه كان من الأزل، وسيبقى إلى الأبد!! فإذا جاءه الموت دهش لمقدمه كأن الموت حدث غريب.

غير أن الدهشة لا تدفع اليقين، وكذلك يترك الإنسان الحياة الدنيا.

من الخير للمرء ـ وهو في صحته البدنية ويقظته الذهنية ـ أن يعرف طبيعة الدار التي يعيش فيها، فلا يبني طباقاً عالية على دعائم منهارة.

لكن ما معنى ذلك؟

أهذا فقط كان حظ الإنسان من الوجود؟

ونبادر إلى الإجابة الحاسمة : لا .

لئن كانت الحياة على ظهر الأرض بهذه المثابة، إن الحياة التي تليها هي الأمل الأسمى والحظ الأوفر.

ولو كان العيش في هذه الدنيا هو كل شيء، لكان الانتحار العاجل أولى بالناس أجمعين.

إن الدار الآخرة هي الحيوان، والاستعداد لها هو وظيفة العقلاء في هذه الفترة الضيقة من آجالهم.

خلق الناس للبقاء فضلت ... أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما ... ل إلى دار شقوة أو رشاد

والحصيف هو الذي يوزع اهتمامه على كلتا الدارين بقدر ما تستحقانه، فيجعل عمله لهذه بقدر مقامه فيها، وعمله لتلك بقدر بقائه فيها.

ما وراء الحياة الدنيا :

يعلم الناس جميعاً أن الموت نهاية حاسمة لكل حي، ومصير لا بد أن ترده كل نفس، ولكن أكثرهم يأخذ عن الموت فكرة غامضة، ويكون له صورة مشوهة، فهم يظنونه فناء أو ابتداء لحالة لا شعور فيها، وهذا ضلال كبير، فليس الموت فناء ولا شبه فناء، وجعل القرآن الموت قسيماً للنوم، وجعل الحالتين أعراضاً للأنفس لا تتأثر كثيراً بها : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الزُمَر : ٤٢).

ولا يجوز أن نعد الموت إلا انتقالاً من مكان إلىٰ مكان لا ينقص فيه إدراك المرء لحقائق الوجود شيئاً ولو فهمنا تلك الحقيقة لما اكترثنا للموت ولما شعرنا بالتوجس من بوادره ومواطنه(١).

٤ ـ لماذا الثواب والعقاب ؟

إذا كانت العبودية لله تعالىٰ هي غاية الوجود وعلته فإن الآخرة هي غاية مصيره(٢).

وحيث إن جانب العبودية الاختياري تُرك للاختيار الإنساني فقد انقسم الناس إلىٰ محسن ومسيء، وظالم ومظلوم، ومؤمن وكافر، ومصلحين في الأرض ومفسدين فيها.

ولو انتهت الحياة بموت أبدي لاستوت هذه الأطرف جميعها، فيكون هذا الخلق العظيم عبثاً باطلاً إذ يستوي فيه المحسن والمسيء وتعالىٰ الله عن ذلك الفعل علواً كبيراً.

وهذا ما قرره القرآن الكريم وكرره حين ربط الآخرة بالخلْق، وجعلها غاية جزائية للخلائق تصون وجودهم عن العبث، ومصيرهم عن البطلان، وتجعل الخلق والمصير

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٥ .

(٢) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٥٨ .

حقاً لا تشوبه شوائب اللعب أو الريب قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (الْحِجْر: ٨٥).

وذكر الساعة هنا هو توضيح لهذا الحق إذ لو جُردت الحياة من غايتها الجزائية لخلت من عنصر الحق والحكمة فيها، ولأصبحت باطلاً بهذه التسوية الجائرة، ولذلك يُبطل القرآن هذا الظن للجاهلية ووهمها الذي أرداها: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) ﴾ (سورة ص)، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴾ (المؤمنون).

يقول **الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ** في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) ﴾ (الطارق). فلو كانت الدنيا وحدها هي الغاية كما يظن الدهريون(١) فقد استوىٰ الإنسان صاحب المنهج مع غيره من أعداء المنهج، فإذا كان صاحب المنهج قد استقام في الحياة واستقامت به الحياة، فإن الذي يعادي المنهج يفسد في الحياة فإذا انتهت الحياة بهذه النهاية فهي عبث إذن فقول الحق سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة: ٣٦)، قبل قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) ﴾ (القيامة).

دليل آخر علىٰ أن هذه هي سنة القرآن في إثبات البعث، فكأن الحق سبحانه وتعالىٰ يقول: هذه العملية (الخلق والتكوين) والهندسة العظيمة هل جاءت لهذه الفترة من الحياة الدنيا؟ لا، إنما جاءت لفترة أخرىٰ بعد هذه: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٤٠).

---

(١) الدهر: مدة الحياة الدنيا كلها وفي التنزيل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ الدهري: رجل دهري، ملحد لا يؤمن بالآخرة يقول ببقاء الدهر، المعجم الوسيط: دهر، ص ٣١٠ المجلد الأول.

٥ - الفطرة واليوم الآخر:

فطر الله الإنسان على حب مصلحته ونفسه ليكون له حافز دائم للسعي والعمل والتحصيل، وأحاط الله تعالى هذه الغريزة الفطرية بتعاليم سامية تحفظها من شطط الاستعلاء وكنوز الأنانية التي لا تفكر إلا في ذاتها، وتأتي (الآخرة) هنا كأعظم حافز للعمل يُلبي هذه الفطرة، وينظمها ويقودها إلى أسمى وأجل الأعمال، حيث يجعل نفع الآخرين مصلحة ذاتية يعود ثوابها على فاعلها نعيماً في الجنة، ونجاة من النار، ويجعل إضرار الآخرين هلاكاً مؤكداً على صاحبه، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) ﴾ (فُصِّلَتْ)، ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾ (العنكبوت)، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ (الزلزلة).

وإن في ربط السعي الإنساني بدار جزاء وجعلها حافزاً للعمل متوافقاً في نفس الوقت مع الفطرة الإنسانية لهو أبلغ دليل على حكمة المولى جل شأنه، وكمال فضله ورحمته للإنسان والأحياء، حيث توافق الشرع والطبع لأنهما يصدران من مشكاة واحدة، ولذلك يجد الإنسان في ظل توافقهما الأمن والسعادة، ولولا هذه الحقيقة التي لا ريب في وقوعها والتي كلفنا الله اعتقادها لتحولت الحياة إلى غابة وحوش وفوضى صراع، لا سبيل فيها إلا انتحار البشرية واندحارها في كل جيل، وآية ذلك ما تتحول إليه الحياة في غيبة هذه العقائد من أنانية وسعار وشجار ثم فشل الوسائل البشرية كلها في إيجاد وسائل تحفظ للإنسانية مثلها السامية، وتحقق لها مثلاً أعلى تحتذي به، وتترقى في مدارجه بلا أحقاد ولا عدوان ولا طغيان(١).

---

(١) المنهاج القرآني، مصدر سابق، ص ٣٥٩ .

٦ ـ اليوم الآخر في الفكر الإنساني :

طبيعيون ـ فلاسفة :

من أهم الحقائق التي يدعونا الدين إلىٰ الإيمان بها فكرة الآخرة والمراد بها: أن هناك عالماً آخر غير عالمنا الحاضر، نعيش في ذلك العالم خالدين، وأن عالمنا هذا هو مكان للاختبار والابتلاء، وُجِد فيه الإنسان لأجل معلوم، وأن الله سوف ينهي هذا العالم حين يحين أجله لبناء العالم الآخر، وأن الناس سوف يُبعثون مرة أخرىٰ، وسوف تعرض أعمالهم خيراً وشراً علىٰ محكمة الله الذي يجزي كل إنسان بما عمل في الحياة الدنيا، أهذه النظرية صحيحة أم باطلة؟(١).

إن إمكان حدوث الآخرة يقتضي امرين :

الأمر الأول : ألا يكون الكون أبدياً.

الأمر الثاني : ألا يكون الإنسان أبدياً، وسوف نوجز الكلام في هذين الأمرين.

وهذا تفسير الأمرين :

الأمر الأول : هذا الكون الذي نعيش فيه ليس أبدياً : بات مؤكداً لجميع العالم وبدون أدنىٰ شك أن الكون سينتهي طبقاً لقانون الطاقة المتاحة، يقول **السير جيمس:** «تؤمن العلوم الحديثة بأن عملية تغير الطاقة Entropy سوف تستمر حتىٰ تنتهي طاقاتها كلية ولم تصل هذه العملية حتىٰ الآن إلىٰ آخر درجاتها؛ لأنه لو حدث مثل هذا لما كنا الآن موجودين علىٰ ظهر الأرض حتىٰ نفكر فيها، إن هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن، ومن ثم لابد لها من بداية، ولابد أنه قد حدثت عملية في الكون يمكن أن نسميها (خلقاً في وقت ما) حيث لا يمكن أن يكون هذا الكون أزلياً»(٢).

وطبقاً لقانون الطاقة المتاحة (التغير الحراري للكون) يقول **العالم الأمريكي في علم الحيوان الأستاذ ادوارد لوثركسيل:** «أثبتت البحوث العملية ـ دون قصد ـ أن

---

(١) الإسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان، ص ١١٠ طبعة ١٩٧٧م، المختار الإسلامي.

(٢) The My Sterious Universe, p. 133 .

لهذا الكون بداية، فأثبتت تلقائياً وجود الإله؛ لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته ولابد أن يحتاج إلى المحرك الأول ـ الخالق ـ الإله»(١).

الأمر الثاني: الإنسان ليس أبدياً: مسألة الموت للإنسان(٢): إن الذين لا يؤمنون بالعالم الثاني ـ الآخرة ـ يحاولون بدافع الغريزة أن يجعلوا من هذا الكون عالماً أبدياً لأفراحهم، ولذلك بحثوا كثيراً عن أسباب (الموت) حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه الأسباب من أجل تخليد الحياة، ولكنهم أخفقوا إخفاقا ذريعاً وكلما بحثوا في هذا الموضوع، رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت، وأنه لا مناص منه.

لماذا الموت؟

هناك ما يقرب من مائتي إجابة عن هذا السؤال الخطير، الذي كثيراً ما يُطرح في المجالس العلمية، منها: فقدان الجسم لفاعليته ـ انتهاء عملية الأجزاء التركيبية ـ تجمد الأنسجة العصبية ـ حلول المواد الزلالية القليلة الحركة ـ محل الكثيرة الحركة منها ـ ضعف الأنسجة الرابطة ـ انتشار سموم «بكتريا» الأمعاء في الجسم... وما إلى ذلك من الإجابات التي تتردد كثيراً حول ظاهرة الموت.

إن القول بفقدان الجسم لفاعليته جذاب للعقل.. فإن الآلات الحديدية والأحذية والأقمشة كلها تفقد فاعليتها بعد أجل محدود، فأجسامنا أيضاً تبلى وتفقد فاعليتها كالجلود التي نلبسها في موسم الشتاء، ولكن العلم الحديث لا يؤيدنا؛ لأن المشاهدة العلمية للجسم الإنساني تؤكد: أنه ليس كالجلود الحيوانية، والآلات الحديدية وليس كالجبال.

إن خلايا جسم الإنسان تقوم بإصلاح ما فيه من الأمراض ومعالجتها تلقائياً، وبرغم ذلك فإن الإنسان يعجز ويموت ولا تزال علل هذه الظاهرة أسراراً تحير العلماء، إن جسمنا هذا في تجدد دائم، وأن المواد الزلالية التي توجد في خلايا دمائنا

---

(١) The eridence of God p. 51.

(٢) الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص ١١١.

تتلف كذلك ثم تتجدد ومثلها جميع خلايا الجسم تموت وتحل مكانها خلايا جديدة اللهم إلا الخلايا العصبية(١). وتفيد البحوث العلمية أن دم الإنسان يتجدد تجدداً كلياً خلال ما يقرب من أربع سنين.

كما تتغير جميع ذرات الجسم الإنساني في بضع سنين ومن ثم تبطل جميع النظريات القائلة بأن علة الموت هي وهن الجسم وفقده لقوته فإن الأشياء التي فسدت أو تسممت من الجسم أيام الطفولة أو الشباب كلها خرجت من الجسم من زمن طويل ولا معنى؛ لأن نجعلها سبب الموت فسبب الموت موجود في مكان آخر وليس في الأمعاء والأنسجة البدنية والقلب.

أقول: إن معظم حالات الموت تكون في الشباب، وهي مرحلة القوة والفتوة ونضج الأنسجة والخلايا تكون في قمة الشباب والحيوية والدليل على ذلك أن عدد الشيوخ أقل من عدد الشباب.

ضرورة الآخرة:

إن للحياة الآخرة هدفاً عظيماً هو المجازاة على أعمال الدنيا ـ خيراً كانت أو شراً ـ حيث إن أعمال الإنسان تحفظ وتسجل بصفة دائمة وبغير توقف، وللإنسان ثلاثة أبعاد يُعرف من خلالها هي: نيته وقوله وعمله، وهذه الأبعاد الثلاثة تسجل بأكملها، فكل حرف يخرج عن لساننا، وكل عمل يصدر عن عضو من أعضائنا يُسجل في الأثير (الفضاء) ويمكن عرضه في أي وقت من الأوقات بكل تفاصيله، كيف ذلك؟

وسوف نقدم نبذة لهذه الأبعاد:

١ ـ البُعد الأول: النية: أثبتت التجارب العملية أن جميع أفكارنا تحفظ في شكلها الكامل، ولسنا قادرين على محوها أبداً، وأثبتت التجارب أن الشخصية الإنسانية لا تنحصر فيما نسميه الشعور، ولكن هناك أجزاء أخرى من الشخصية

---

(١) حتى الكائنات التي لها خلايا عصبية تموت، شجرة القمح لا يوجد بها نظام عصبي ولاتعيش أكثر من سنة وكذلك الأميبا، المصدر السابق، ص ١١٢ .

الإنسانية يسميها فرويد ما تحت الشعور أو اللاشعور فأي أفكار خطرت على بالنا ونسيناها يبدو لنا أنها انتهت، ولكن بعد فترة طويلة نراها رؤى في النوم أو نذهب فنتكلم بها في حالات الهستريا أو الجنون أو التخدير دون أن ندري شيئاً مما نقول، وقد سلم علماء النفس بهذه النظرية ومعناها.

إن كل ما يخطر على بال الإنسان من الخير أو الشر ينقش في صفحة اللاشعور فلا يزول إلى الأبد، ولا يغير فيه تقلب الزمان وتقلب الحدثان، ويحدث هذا على رغم الإرادة الإنسانية طوعاً أو كرهاً.

ثم يؤكد فرويد بكل صراحة على إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان في حياته عندما يبدأ حياته الأخرى فإن وجوده نفسه سوف يشهد على الأعمال والنيات التي عاشها: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ (ق: ١٦).

٢ ـ البُعد الثاني: القول (١): إن نظرية الآخرة تقول بأن الإنسان مسئول عن (أقواله) فجميع ما نلفظه من كلام حسناً كان أو قبيحاً، حمداً أو سخطاً وسواء استعملنا اللسان في إبلاغ رسالة الحق أو استعملناه في إبلاغ رسالة الشيطان، كل ذلك يحفظ في سجل كامل: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ (ق: ١٨).

وهذا السجل سوف يعرض أمام محكمة الآخرة ليتم حساب الإنسان.

وإمكان وقوع هذا لا يُنافي العلم الحديث، فنحن نعرف قطعاً أن أحداً عندما يحرك لسانه ليتكلم، يحرك بالتالي موجات في الهواء كالتي توجد في الماء الساكن عندما نرمي فيه بقطعه من الحجر، إنك لو وضعت جرساً كهربياً في زجاج محكم الإغلاق من كل جانب، ثم تضغط عليه، فلن تسمع صوته، رغم أن الجرس على مرأى منك، لأنه لا يرسل الموجات إلى الخارج، فهو مكتوم داخل الزجاج، وهذه الموجات في الظروف العادية تصطدم بطبلة الأذن، التي تقوم آلياً بإرسال هذه الموجات إلى العقل، فما نفهمه من المعنى يسمى (سماعاً).

---

(١) المصدر السابق.

ولقد ثبت قطعياً أن هذه الموجات تبقىٰ كما هي في (الأثير)، إلىٰ الأبد، بعد حدوثها للمرة الأولىٰ، ومن الممكن سماعها مرة أخرىٰ ولكن علمنا الحديث عاجز حتىٰ الآن عن إعادة هذه الأصوات أو بعبارة أصح: عن أن يضبط هذه الموجات مرة أخرىٰ، مع أنها لا تزال تتحرك في الفضاء من زمن بعيد.

٣ـ البعد الثالث: مسألة العمل[1]: ومعلوماتنا في هذا الصدد تصدق بصورة مدهشة إمكان حدوث الآخرة.

فالعلم الحديث يؤكد إيمانه بأن جميع أعمالنا ـ سواء باشرناها في الضوء أم في الظلام، فرادىٰ أم مع الناس ـ كل هذه الأعمال موجودة في الفضاء في حالة الصور، ومن الممكن في أية لحظة تجميع هذه الصور حتىٰ نعرف كل ما جاء به إنسان ما من أعمال الخير والشر طيلة حياته، فقد أثبتت البحوث العلمية أن كل شيء ـ حدث في الظلام أو النور، جامداً كان أو متحركاً ـ تصدر عنه حرارة.

بصفة دائمة في كل مكان وفي كل حال وهذه الحرارة تعكس الأشكال وأبعادها تماماً كالأصوات التي تكون عكساً كاملاً للموجات التي يحركها اللسان، وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تصدر عن أي كائن، وبالتالي تعطي هذه الآلة صورة فوتوغرافية كاملة للكائن حينما خرجت منه الموجات الحرارية، ومثاله أنني اكتب الآن في مكتبتي وسوف أغادرها بعد ساعة ولكن الموجات الحرارية التي خرجت من جسدي أثناء وجودي ههنا ستبقىٰ دائماً ويمكن الحصول علىٰ تسجيل كامل لجلستي في المكتبة في أي وقت بوساطة تلك الآلة غير أن الآلات التي تم اختراعها إلىٰ الآن لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية إلا خلال ساعات قليلة من وقوع الحادث، أما الموجات الحرارية القديمة فلا تستطيع هذه الآلة تصويرها لضعفها.

إن جميع تحركاتك تُسجل علىٰ شاشة الكون، حيث لا يسعك منعها أو الهروب منها سواء كنت في الظلام أم في النور كما اتضح لك.

---

(١) المصدر السابق.

إن فيلماً كاملاً لتلك الأحداث سوف يوضع بين يدئ كل فرد يوم القيامة حتى يصرخ الناس قائلين : ﴿ **يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَـٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾ (الكهف : ٤٩) .

نحن نعيش أمام كاميرات تشتغل دائماً، وجميع أعمالنا القلبية واللسانية والعضوية كلها تُسجل بدقة تامة، فلا يسعنا بعد ذلك إلا أن نُسلم بأن قضية كل منا سوف تُقدم أمام محكمة إلهية . . وبأن هذه المحكمة هي التي قامت بإعداد هذا النظام العظيم لتحضير الشهادات التي لا يمكن تزويرها .

٧ـ الخليل .. والبعث :

لم يكن إيماننا باليوم الآخر سبباً في إيماننا بالله تعالى، وإنما آمنا بالله أولاً وحين آمنا به، وقال لنا : إن هناك يوماً آخر، صدقنا ما قال الله .

إذن فالجدل والمناقشة يجب ألا تكون في اليوم الآخر وقوفاً واستبعاداً واستغراباً وتعجباً، بل يجب أن تكون المناقشة في القمة العقدية، وهي الإيمان .

هل نؤمن بالله أو لا نؤمن؟ فإذا آمنا بالله فلابد أن نلتزم بما قاله، وإن لم نؤمن بالله فلا يضير ألا نؤمن بما يقوله الله .

إذن فالقيمة الإيمانية أولاً هي أن نؤمن بالله، فإذا آمنا بعد ذلك بالملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر خيره وشره، ويوم القيامة : لم يكن إيماننا بكل ذلك إلا؛ لأن الله أخبر عنه، لأنها أمور غيبية، والأمور الغيبية التي لا تقع تحت الحس لا يمكن أن أصدقها إلا إذا قال بها مبدأ أثق في صدقه .

فإذا توقف عقلي في الكيفية فلا ضرر في ذلك؛ لأن إدراك الكيفية لا شأن له بوقوع الحدث أو عدمه، فالوقوع شيء، والكيفية شيء آخر .

ويوضح هذا قول إبراهيم الخليل عليه السلام لربه : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (البقرة : ٢٦٠) .

تساءل العلماء حول عبارة إبراهيم الخليل عليه السلام حين قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾، فقالوا: كيف نفسر ذلك التناقض الظاهري في القرآن؟ وهذا التناقض لربه الذي يقولون عنه ظاهر في أن الخليل يقول لربه: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ فيقول له ربه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟ فيجيب إبراهيم: ﴿بَلَىٰ﴾ يعني: آمنت.

ومعنى آمنت هو معنى الإيمان وهو اطمئنان إلى عقيدة، بحيث لا تطفو تلك العقيدة مرة أخرى إلى الذهن لتناقش من جديد لا يكون ذلك إيماناً ولا تكون عقيدة، بل إنها فكرة موضوعة للبحث.

فقول الله عن لسان الخليل ﴿بَلَىٰ﴾ يعني آمنت واطمأن قلبي فلماذا يقول بعد ذلك: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾؟ فكأن اطمئنان القلب كان مفقوداً عند الخليل، ولذلك فهو يطلبه، وما دام اطمئنان القلب غير موجود عنده، فكيف يقول: ﴿بَلَىٰ﴾ حين قال له ربه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟

نقول: لا، هذا التناقض الظاهري جاء من إهمال لفظ في الآية، وإهمال لفظ أو حرف يغير مجرى الفهم في الآية.

فإبراهيم لم يسأل ربه: هل تحيي الموتى؟ وإنما سأله: ﴿كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ فكأن السؤال عن الكيفية لا عن وقوع الحدث، فهو مؤمن بأن ربه يحيي الموتى، إحياء الموتى عنده قضية مسلمة لكن المسئول عنه أنه يريد معرفة الكيفية.

فقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ أنا آمنت بأنك تحيي الموتى، وهذا هو المطلوب التكليفي من العبد المكلف وهو: أن يؤمن بأن الله يحيي الموتى، أما معرفة الكيفية فهذا أمر لا يفيد في العقيدة عرفها أم لم يعرفها؛ لأن انتفاعك بالأشياء لا يعني ضرورة فهم كيفيتها.

فمثلاً: الأُمِّي والبدوي والفلاح ينتفع بالكهرباء في بيته لكن أيعرف كيف تأتي الكهرباء؟ لا يعرف شيئاً من ذلك.

إذن فهو ينتفع بالحدث، لكن معرفة كيفيته وعدم معرفتها لا يغير في انتفاعه وعدم انتفاعه هو ينتفع به كالفاهم لكيفية توليد الكهرباء تماماً(١).

(١) عقيدة المسلم، الشعراوي، ص ١١٨ .

٨ـ اليوم الآخر ضرورة عدل وحق :

أخبر الحق سبحانه وتعالى أن القيامة ضرورة عدل وحق يستنقذ بها الخلق من عبث الوجود وبطلان التسوية الجائرة (بين المحسن والمسيء) ويؤكد وقوع الساعة تأكيداً جازماً(١): ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (٥٩) ﴾ (غافر). ويبرزها في مقام الأمر الذي وقع: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ١).

ويقسم الله عليها بذاته: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٣)، ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧).

ويقسم عليها سبحانه بعظائم خلقه وتدبيره: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) ﴾ (الذاريات)، والدين هو الجزاء الأخروي.

ونرى الآيات كثيرة تؤكد قضية البعث، فلقد اعترفوا بأنه سبحانه وتعالى هو الخالق الذي بدأ الخلق والإعادة أهون عليه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧)، ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (لقمان: ٢٨)، ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: ٧٩).

٩ـ اهتمام القرآن بقضية الإيمان باليوم الآخر :

١ ـ قرن الله عز وجل بين الإيمان به سبحانه وتعالى والإيمان باليوم الآخر في ثمان وعشرين آية من كتابه منها: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٦١ .

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ... ﴾ (البقرة: ١٧٧).

٢ ـ الإيمان بالآخرة أصل من أصول الإيمان، والإيقان بالآخرة صفة للمتقين: ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) ﴾ (البقرة)، وقد ورد ذلك في مائة وخمس عشرة آية.

٣ ـ وردت الآخرة في مواضع كثيرة مقابلة للدنيا (ومقابلة للأولى) يقول الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

٤ ـ الكافرون الخاسرون الذين يخسرون الدنيا والآخرة يقول الله تعالى: ﴿ ... وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٤١).

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس: ٦٤).

٥ ـ ربط الله عز وجل في القرآن بين صلاح الدنيا والإيمان بالآخرة: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٧).

وقد بيَّن الله سبحانه وتعالىٰ أن أساس البر والخير والصلاح الخلقي والنفسي والاقتصادي في المجتمع البشري هو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل.

٦ ـ الكفر بالله وباليوم الآخر أساس الفساد السياسي والاقتصادي والنفسي والخلقي في الأرض: ﴿ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ** ﴾ (الأعراف: ٤٥). أي يصدون عن منهج الحياة المحقق للخير والسعادة في الدنيا والآخرة[١].

أسماء اليوم الآخر:

يقول **الشيخ السيد سابق ـ رحمه الله ـ**: إن المتتبع لآيات القرآن يجد انه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة، وكل اسم منها يدل علىٰ معنىً ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم، فهو يوم البعث ـ القيامة ـ الساعة ـ الآخرة ـ الدين ـ الحساب ـ التلاق ـ الجمع والتغابن ـ الخلود ـ الخروج ـ الحسرة ـ التناد ـ الآزفة ـ الطامة ـ الحاقة ـ الغاشية ـ الواقعة.

بداية اليوم الآخر[٢]:

يؤخذ من مجموع الآيات الكريمة أن اليوم الآخر يبدأ بإحداث تغيير عام في هذا الكون فتتشقق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب وتتفتت الأرض ويخرب كل شيء ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود وتفجر البحار: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

يقول **د. عبد الستار فتح الله**: وفي تسجيل الوحي الإلهي لهذه المظاهر دليل علىٰ أن البعث أمر حسي مقصود لذاته وليس بعثاً روحياً فقط، وليس ترقياً روحياً في أطوار الخلق[٣].

---

(١) محاضرات في العقيدة الإسلامية، د. فاروق أحمد دسوقي، ص ١٣٥ .
(٢) العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص ٢٣٢ .
(٣) المنهاج القرآني في التشريع، ص ٣٦٨ .

متى هو؟

استأثر الله تعالى بعلم الساعة أو اليوم الآخر ، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه لا نبياً مرسلا ولا ملكاً مقرباً: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (لقمان: ٣٤).

ولكن النبي ﷺ قربها على الإجمال للحديث، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثتُ أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى**»(١)، وعن عمر: «وإنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى غروب الشمس»(٢).

عذاب القبر ونعيمه (البرزخ) (٣):

لا يكاد المرء يترك دنيانا هذه حتى يبدأ حسابه ويظهر ثوابه أو عقابه، يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: «القبر أول منزل من منازل الآخرة»، وقد ساق القرآن الكريم طرفاً من أحوال الناس في هذه المرحلة من حياتهم الآخرة فهو يقول عن الكفار من آل فرعون: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ (غافر: ٤٦).

ويصف نعيم الشهداء، وترقبهم لإخوانهم وأبنائهم كي يقدموا عليهم ويشاركوهم في السعادة التي غمروا بها: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)** ﴾ (آل عمران).

---

(١) البخاري، رقاق ٣٩، مسلم، جمعة ٣٧ .

(٢) رواه البخاري، أنبياء ٥٠، فضائل القرآن ١٧ .

(٣) البرزخ، الحاجز بين شيئين، وما بين الموت والبعث فمن مات فقد دخل البرزخ يقول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

ويوادر الشر او بواكير الخير تظهر في اللحظة الأخيرة من عمر الإنسان على آخر منازل الدنيا وأول مراتب الآخرة، فقد جاء في السنة، أن نفس المؤمن تطمئن حين يحتضر، ونزل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ (فصلت: ٣٠).

كما أن نُذر العقاب الأليم تواجه الفساق والظلمة في تلك الساعة الحرجة: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ (الأنعام: ٩٣)، ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ (الأنفال: ٥٠).

ومن الثابت أن عُصاة المؤمنين كذلك ومنذ الساعات الأولى على موعد مع الأهوال العظام، والعذاب الأليم، جزاء تفريطهم في الواجب واستهانتهم بالحرام، وقد جاء أن النبي ﷺ «**مرَّ على قبر دفن فيه شخصان فقال: إنهما لَيُعَذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير: كان أحدهما لا يستبرئ من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة بين الناس**»(١).

وتتضافر الأدلة على ثواب القبر وعذابه وعلى إثبات أن قبل الجنة والنار مقدمات تحفل بالبشرى، أو تطفح بالوعيد، ففي الحديث: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(٢).

إن الموت ـ على الحقيقة ـ طور من الأطوار التي تغزو الحي في سنيه المختلفة، كالطفولة والرجولة والكهولة، إلا إن هذا الطور يمتاز بأن الروح فيه أقوى إدراكاً وأصدق حساً، ولو تصور المقدمون على الانتحار أي حياة يقبلون عليها أو أي مرحلة يصيرون إليها لفكروا طويلاً قبل أن يرتكبوا حماقتهم.

(١) رواه البخاري، وضوء ٥٥، ٥٦، جنائز ٨٩، وأدب ٤٦، ٤٩، ومسلم، طهارة ١١١.
(٢) رواه البخاري، جنائز ٩، بدء الخلق ٨، رقاق ٤٣.

إنهم يريدون ـ بفعلتهم الشنعاء ـ أن يفروا من الشعور بالضيق، ومواجهة النتائج المحزنة إلىٰ عالم يحسبونه خالياً من الشعور ومن رؤية العواقب المحذورة، وما دروا أن قوام العالم الجديد الذي يقتحمون أسواره هو الإحساس المضاعف ومجابهة شتىٰ النتائج ليقعوا فيما وقع فيه المستجير بعمرو في قول الشاعر:

والمُستجير بعمرو عند كربته   كالمُستجير من الرمضاء بالنار

وفكرة الكثيرين عن الموت تغلب عليها الجهالة والكفران، فالقبر ـ في نظرهم ـ مكان يخيم عليه الصمت والظلام، وتعبث فيه الديدان والحشرات فحسب، ولسنا نتجاهل هذا المنظر الكئيب، ولكننا ننكر أنه النهاية الحاسمة للعواطف الجياشة بالخير والمشاعر المهتاجة بالشر وما انبنىٰ علىٰ هذه وتلك من حضارات وعمران وخصام ووئام(١).

سؤال القبر:

اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن كل إنسان يُسأل بعد موته قُبر أم لم يُقبر، فلو أكلته السباع، أو أحرق ونسف في الهواء، أو غرق في البحر لسُئل عن أعماله، وجوزي بالخير والشر، وأن النعيم أو العذاب علىٰ النفس والبدن معاً.

قال ابن القيم: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ثم إذا كان يوم القيامة الكبرىٰ أعيدت الأرواح إلىٰ الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين»(٢).

وهناك خلاف بين العلماء: **هل يوجه السؤال إلى الروح فقط أو تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه؟** .. راح كلٌ يأتي بأدلته، فالجمهور الذي قال: «تعاد الروح في الجسد» استدلوا بقول رسول الله ﷺ: **«إنه ليسمع خفق نعالهم»**، وقوله ﷺ: **«فيقعدانه»**، وقوله أيضاً: **«تختلف أضلاعه»**.

---

(١) عقيدة المسلم، للشيخ الغزالي، ص ٢١٦.

(٢) العقائد الإسلامية، الشيخ السيد سابق، ص ٢٠٦.

وسواء هذا أو ذاك، فالأمر غيبي لا نخوض في تفاصيله إلا كما ورد إلينا، ولكن أقول: عندما تفارق الروح الجسد بالموت فقد عاينت الروح أمر الآخرة، وأصبحت ترىٰ أمامها مصيرها واضحاً وهو:

١ ـ إما من أهل النعيم فتكون الروح في أعلىٰ عليين في الملأ الأعلىٰ تسرح في الجنة حيث شاءت.

٢ ـ إما أن تكون من أهل الشقاء فتحس ألوان العذاب الأليم، والحسرة والندامة لما رأت من مصيرها ودركاتها في النار.

وهكذا فإنها ـ الروح ـ علىٰ موعد منذ فراقها للجسد، إما مع السعادة الأبدية التي لا شقاء بعدها، وإما مع حسرة وشقاء لا منتهىٰ له حتىٰ قيام الساعة، حيث نار الله الموقدة، التي لا فكاك منها.

مستقر الأرواح:

يقول ابن القيم: الراجح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ تفاوتاً كبيراً وذلك تأكيداً لما ذكرته الآن ـ فيقول فيها ما يكون في أعلىٰ عليين ـ أو في حواصل طير أو محبوسة في الأرض ـ أو في التنور، وهكذا تبقىٰ وتعيش حتىٰ يأذن الله بالقيامة فتعاد الأرواح إلىٰ أجسادها.

شبهه المنكرين لعذاب القبر(١) :

قال المنكرون: لو كان لعذاب القبر نعيم ونعيمه أصل لكان يجب في القياس أن يرىٰ العقوبة أو المثوبة للمعاقب والمثاب فكان يشاهد مثلاً آثار الضرب وغيره مما يدل علىٰ أن ذلك مما لا أصل له ـ ومما يؤكد هذا الكلام أنه لو كان له أصل لكان في المصلوب والميت الذي لم يدفن أن يُسمع أنينه ويشاهد اضطرابه.. **وللرد نقول:**

١ ـ يجوز ألا يعذبه الله في وقت اطلاع الناس عليه.

٢ ـ أو يعذبه ـ وهذا الأقوىٰ ـ ولكن علىٰ وجه يستتر عنهم لوجه من المصلحة كما قال النبي

---

(١) لدحض الشبهة نهائيًا نقول: انتهت حياتك بالموت الذي لم تستطع إنكاره ولا الفرار منه، وحاولتَ كثيرًا بعلمك ومالك ففشلت، فلماذا تنكر ما يحدث لك في القبر بعد الموت؟

ﷺ: «لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ماأسمع»[(١)].

٣ـ ثم إن الله أسمع رسوله ﷺ هذه الأمور، وهل هناك أصدق من رسول الله ﷺ؟[(٢)].

٤ ـ عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، فإننا نكون بجانب نائم وهو يُعذب في الرؤيا أو ينعم ومع ذلك لا ترى هذا التعذيب والتنعيم.

٥ ـ قد تسير بجوار إنسان والحزن يفتت كبده، والأسى يعتصر قلبه، والدم يغلي في عروقه مما ألَمَّ به، والأعجب من ذلك أنه قد ينظر إليك ويرسم ابتسامه على شفتيه، كل ذلك وأنت لا تدري عنه شيء فهل تنكر ما بداخله؟

لماذا الحديث عن القيامة؟:

حينما تريد الذهاب إلى أي مكان فإنك ستقرأ عن هذا المكان وتجتهد في أن تعرف معظم المعلومات عنه، وهذه المعرفة تفيدك في نواح عدة منها:

١ ـ تكون على علم بهذا المكان، فمن جهل شيئاً عاداه.

٢ ـ اتخاذ الاستعدادات اللازمة: كالملابس الثقيلة والأغطية للمناطق الباردة، أو مراجعة النفس قبل الرحلة، وربما إلغاء قرار الرحلة من الأساس (بالنسبة للرحلة الاختيارية طبعاً)، أما تلك الرحلة المحتومة فإن على المسافر أن يكون على علم بكل وقائعها.

أولاً: الأهوال وشدتها:

١ ـ فزع الخلائق وخوفهم من البعث[(٣)]: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧).
ومعنى داخرين: صاغرين.

---

(١) رواه مسلم، جنة ٦٧، ٦٨ .

(٢) راجع : فتح المجيد، د. المرشدي، طبعة دراسية، ص ٩١ .

(٣) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٦٩ .

٢ ـ تكريم الله للمؤمنين وأمانهم من هذه الأهوال: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).

٣ ـ مشاهد من الموقف العظيم :

أ ـ صور من هذا الفوع: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (المعارج).

ب ـ منظر رهيب الكل يريد النجاة بنفسه هو: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (عبس).

جـ ـ من الذي ينطق أو يتكلم: ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (المرسلات).

د ـ الذكرىٰ والندم: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الفجر).

ثانياً: سوق الناس للحساب والفصل:

١ ـ **صحائف الأعمال فردية:** ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الإسراء)، ثم يأخذ الوحي في التفصيل أكثر: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ (الحاقة: ١٩)، ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحاقة).

٢ ـ **الأسئلة شخصية** ليدافع كل عن نفسه ويقدم أعذاره إن كانت له أعذار مع أن الله أعلم بالمرء من نفسه: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الصافات)،

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾ (الأنعام).

٣- **الشهود** : يقول د. عبد الستار فتح الله : وهذا من تمام إظهار العدل الإلهي في هذا الموقف العظيم، فإن الله عز وجل يستشهد على المذنبين قبل إدانتهم مع علمه ـ عز وجل ـ القاطع بما عملوا ؟، ومن هؤلاء الشهود:

أ - **الأنبياء:** يشهدون على أممهم بالبلاغ وإقامة الحجة : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١).

ب - **الملائكة:** الذين سجلوا الأعمال وشهدوا المعاصي : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق: ٢١).

جـ - **الأرض:** ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) ﴾ (الزلزلة).

د - **جوارح الإنسان:** عندما يحاول ولا يرضى إلا شاهداً من نفسه، وبهذا يكون الاعتراف ـ وكما يقولون ـ الاعتراف سيد الأدلة : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس: ٦٥)، ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النور: ٢٤)، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) ﴾ (فصلت).

٤- **وضع الميزان ليوفى الكل جزاءه في دقة كاملة** حتى مقدار مثاقيل الذر والخردل، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٠)،

وعلى نتيجة هذا الميزان العدل يقضي الله تعالى بالحق بين عباده، ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَاأَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾ (القارعة). وأمه: مأواه، و هاوية: النار.

الجنة .. والنار:

جاء وصف الجنة والنار في القرآن والسنة كثيراً، وأوصاف مختلفة ومتنوعة تناسب المقام أو المقال، وكل اسم من أسماء النار التي ذكرناها يدل على وصف حال لها، وكذا الجنة، فباب الريان للصائمين. . . وهكذا.

والذي يحتاج إلى تحقيق: هل يخلد المؤمن في النار؟ وهل الشفاعة للعاصي؟

المؤمن لا يخلد في النار(١):

جاء في السنة الصحيحة أن المؤمن لا يُخلد في النار، فإن كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تُكفر بحد أو توبة نصوح، أو مصيبة أو مرض أو شيء من المكفرات فهو محاسب على عمله، والله يوازن بين أعماله الصالحة وبين جميع معاصيه التي لم يتب فيها، فإن رجحت حسناته فهو في الجنة، وكذلك إذا تساوت حسناته وسيئاته: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وإن تساوت فإنه يدخل النار فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من إثم، ثم يخرج منها بعد ان يتطهر وبعد أن يوفيه الله جزاءه بمقتضى عدله وحكمته.

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها، قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل(٢)، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»(٣).**

---

(١) العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص ٢٦١ .

(٢) أي أنهم يخرجون بعد ما يغمسون في نهر الحياة وأجسامهم نضرة فرحين بعودة الحياة.

(٣) رواه البخاري إيمان ١٢، توحيد ٣٤، رقائق ٥١، رواه مسلم، إيمان ٣٩٩ .

وعنه أيضاً أن رسـول الله ﷺ قـال : «**أمـا أهل النار الذين هـم أهلهـا فـإنهم لايموتون فيـها ولا يحيون، ولكن أناسـاً تصيبهـم النار بذنوبهم حتى إذا كانوا فحـماً أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضـبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء، قال: فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**»(١) .

شفاعة النبي ﷺ للعاصي :

يشـفـع الرسـول ﷺ بعـد أن يأذن الـله له ، وبعـد انتـهـاء مدة العـذاب في خـروج العـاصي من النار ، فقـد ثبت في الأحـاديث الصـحيـحة أن النبي يشـفع لأهل الكبائر بعد دخـولهم النار ، فيقبل الله شـفاعتـه فيـهم ، ويخـرجهم منها ، وتكون الشـفـاعة إظهـاراً لكرامـة الشافع عند الله وإظهـار فضله ، فعن أبي هريرة قال رسـول الله ﷺ : «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي لأمتي فـي الآخرة**»(٢) .

وزاد مسلم : «**فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً**» .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٣) ، وتلا هذه الآية : ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ (النساء : ٣٠) .

وصف الجنة والنار :

المقصود من هذا الوصف تشويق الناس إلى الجنة ليعملوا بعمل أهلها ، وتحذير الناس من النار ليجتنبوا عملها وسوء أهلها .

وأرى أنه من الأفضل لكي يثبت هذا الوصف في الذهن ، وحتى لا يحدث تشتت ونسيان أن أذكر أدنى أهل الجنة منزلة ، وأهون أهل النار عذاباً .

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان ٨٢ (إثبات الشفاعة) حديث ١٨٥ ، وابن ماجة في الزهد ٣٧ ، وأحمد في المسند ٣ : ٥ ، الدارمي ، رقائق ٩٦ .

(٢) رواه البخاري ، توحيد ٣١ ، دعوات ١ .

(٣) الترمذي ، قيامة ١١ ، رقم ١٤٣٥ وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وأخرجه أحمد في المسند ١٢٨١ .

أدنى منزلة في الجنة :

عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ: «أن موسى عليه السلام سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يجيئ بعد ما دخل أهل الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال رب: فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»(١). وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً(٢)، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة).

من أهون الناس عذاباً ؟ :

عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «أهون الناس عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرْجَل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»(٣).

حكم الإيمان بالجنة والنار:

كلف الله تعالى الناس اعتقاد هذا والإيمان به تفصيلاً؛ لأنه أصل من أصول الدين، فضلاً عما فيه من الدلالة على صدق الرسول ﷺ الذي أخبرنا بهذا الغيب، ولذلك كان من تمام الإيمان وجوب اعتقاد ما أخبر الله عنه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦).

---

(١) رواه مسلم، إيمان ٣١٢، الترمذي جنة ١١، أحمد في المسند ٥: ٣٥٢

(٢) رواه الترمذي، جنة ١٧، تفسير سورة ٧٥، وقال الترمذي: حديث غريب، ورواه أحمد في المسند ٤٦٠٩، والحاكم في المستدرك ٢: ٥٠٩، وفي الترغيب رقم ٥٣٤٦.

(٣) رواه البخاري، رقاق ٥١، مسلم، إيمان ٣٦٢، الترمذي، جنهم ١٢.

٦- الإيمان بالقضاء والقدر

- من عوامل الاستقرار النفسي الإيمان بالقضاء والقدر: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد: ٢٣).
- ومن عوامل الاستقرار الصحي الإيمان بالقضاء والقدر: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١).
- ومن عوامل الاستقرار المادي والحياتي الإيمان بالقضاء والقدر: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١).
- ومن عوامل استقرار الأسرة الإيمان بالقضاء والقدر: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾ (الشورىٰ).

ولذلك شدد القرآن والسنة علىٰ الإيمان بالقدر لأنه المحك اليومي للإيمان عموماً فالحوادث التي تأتي للإنسان بما يحب ويكره هي التي تكشف عما في الإنسان من حقائق الإيمان، لذا كان التأكيد بأنه من أركان الإيمان.

لماذا نقول الإيمان بالقضاء والقدر؟ ولا نقول القضاء والقدر؟!!

يقول **الشيخ الشعراوي - رحمه الله -** (١) :

«كلمة الإيمان دائماً تكون بالغيبيات، فلا أقول أنا مؤمن بأن المروحة تعمل؛ لأن هذا أمر مُحس، ومنطقة الإيمان هي بالأمور الغيبية، ولذلك أقول أنا أرىٰ المروحة تعمل».

---

(١) عقيدة المسلم، الشيخ الشعراوي، ص ٣٠ .

تحرير الألفاظ:

قدر : في لسان الشرع بمعنى : عِلمُ الله تعالى وإرادته (سبحانه) الأشياء في الأزل، أو هو علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل .

حكَم بالأمر: حُكماً وحكومة : قضى : يقال حكم له وحكم عليه وحكم بينهم(١) .

هناك فرق بين قَدَّرَ وحَكَم:

حكم عليَّ : أي قضى عليَّ وألزمني الفعل .

اما قدَّر: يقول الشيخ الشعراوي : التقدير يكون بناءً على معلومات عنده ، ثم يأتي الواقع يوافق التقدير أو لا يوافق ، وتكون النتيجة صحيحة حسب دقة المعلومات ، هذه قاعدة عامة في دنيا الناس ، لكن الله الخالق عالم بكل شيء فإذا قدر شيئاً يجيء في المستقبل ، فسيجري على وفق ما قدر تماماً ، وحين يقدر الله أن فلاناً سيحصل منه كذا وكذا ، أفيكون هذا التقدير منه سبحانه ملزماً لك؟ أم قدر لأنه علم أنك تفعل؟ (بل علم أنك ستفعل) .

أدلة على ذلك :

١ - **العبد الصالح يخرق السفينة وموسى عليه السلام يتعجب،** ولكن الله يوضح له كيف يأتي القدر؟ يأتي عن علم الله سبحانه وتعالى : أعلم العبد الصالح بسر القدر ، فعلم أن سفينة مخروقة أفضل من لا سفينة؟ أما موسى فكان يقارن سفينة مخروقة أفضل أم غير مخروقة ، إذن علينا أن نُرجع قدر الله في مناطات التكليف على أن الله عَلِمَ أزلاً ما يفعله عبده ، وأن علمه غير مُلزم لعبده بالفعل ، فهو علم انكشاف وشمول .

٢ - **آية تحويل القبلة:** ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٤) .

---

(١) المعجم الوسيط ، جـ ١ ، ص ١٩٦ .

ثم قال الله تعالىٰ للنبي ﷺ: لاحظ أننا عندما نوليك القبلة: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ١٤٢)، هم لم يقولوا بعد ولكن من غبائهم أنهم قالوا، ولو كانوا أذكياء لخاطوا أفواهم وقالوا هذا قرآنكم يخبر أننا سنقول ولن نقول.

٣ـ **أبو لهب:** أحد الكفار عارضوا الرسول ﷺ، نزلت فيه سورة المسد، فهل كان أبو لهب عاجزاً أن يشهد أن لا إله إلا الله ولو كذباً حتىٰ يقول أن القرآن باطل؟! ولكن لم يفعل، وذلك لأن الذي أخبرنا أولاً بهذا ـ وهو الله ـ يعلم ما سيختاره أبو لهب[١].

أقسام القضاء والقدر[٢] (متعلقات القضاء والقدر)

من حيث	القسم الأول (القدر التكويني أو التصريفي)	القسم الثاني (القدر التشريعي أو التكليفي)
التعريف	ما أراده الله عز وجل، ولا خيار لأحد فيه والخلائق جميعها لا تملك إلا أن تصدع لأمر ربها وخالقها.	هو ما تركه الله تعالىٰ للإرادة الإنسانية ليصح تعلق الثواب والعقاب بالفعل الإنساني، ففيه الخيار.
الأمثلة	هو كل قوانين الوجود التكوينية كالطول والقصر ـ الأكل والشرب والتنفس والحياة والموت واللون والصحة والمرض ـ الأولاد ـ الميول والرغبات ـ السعة والضيق، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ	ما عُرض علىٰ السماوات والأرض والجبال فأبين استصغاراً وحمله الإنسان اختياراً حين خُير، وكل التكاليف الشرعية افعل ولاتفعل.

(١) عقيدة المسلم، الشيخ الشعراوي، ص ٣٣.

(٢) هذا التقسيم للدكتور عبد الستار فتح الله، المنهاج القرآني في التشريع، ص ٣٤٨.

من حيث	القسم الأول (القدر التكويني أو التصريفي)	القسم الثاني (القدر التشريعي أو التكليفي)
	الَّذي يُحْيِي ويُميتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (غافر: ٦٨)، ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (آل عمران: ٥).	
حكم الإيمان به	الإيمان به واجب، فالمنازعة هنا قليلة؛ لأنه ظاهر القهر والنفاذ والجبر، فالأمور تتم بمحض القدرة العليا وعلى وفق المشيئة الإلهية وحدها.	أنت في هذا القسم لك حرية الإرادة كاملة، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩)، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (يونس: ١٠٨).
الثواب والعقاب	لا يتعلق به ثواب ولا عقاب لأن الله العدل لا يحاسب الناس على أشياء أجبرهم على فعلها، ولم يكن لهم يد في فعلها.	هذا القسم هو مناط الثواب والعقاب، فالحساب على أشياء أنا مُخير على فعلها.

من حيث	القسم الأول (القدر التكويني أو التصريفي)	القسم الثاني (القدر التشريعي أو التكليفي)
كيف نتعامل معه؟	التسليم المطلق للقدر الإلهي من لبُ العقيدة الإلهية وصريح الإيمان وليعرف الإنسان حدود نفسه وضآلة علمه وهذا ما ربى عليه القرآن المسلمين(١)، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٩).	هذا مجال للاختيار، ومن ثم كثرت الوصية بالتسليم فيه لله تعالى، بل جعل التحكيم لله ورسوله والتسليم المطلق بهذا الحكم التشريعي القضائي شرطاً للإيمان، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥). يقول ابن كثير في تفسيره: أقسم الله بذاته على نفي الإيمان عن العباد حتى يُحكِّموا رسول الله، ولا يوجد شيء في صدورهم بل ويسلموا في كل كبيرة وصغيرة
ما يجب أن يكون عليه المسلم تجاهه؟	علم أن الأجل مكتوب لا ينقصه الأقدام ولا يزيده الإحجام، فيؤدي واجبه على الوجه الأكمل في أمر دينه وفي أذنيه دوي التوجيه الإلهي: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١).	لا تتعلل بالأقدار، فالأمر أصبح واضحاً - كما رأيت - ولا ترتكب الأخطاء تحت شعار المشيئة، فمن زرع تفاحاً آتاه الله ثمرة شهية، ومن زرع شوكاً جنى ما غرس، وتوضيح ذلك فيما سيأتي.

(١) يقول د. عبد الستار فتح الله: «هاتان الآيتان الكريمتان تشملان القدر بنوعيه، بل هما واردتان لبيان أحكام تشريعية (فرضية القتال - وعِشرَة الأزواج)».

العلم والمشيئة في القضاء والقدر:

أولاً : العلم:

السؤال كيف يتفق القول بحرية الإرادة؟، والقول بأن أعمالنا لن تخرج عن دائرة العلم الإلهي المحيط الشامل[1]؟

الجواب :

١ ـ قف أمام مرآة مجلوة صافية وأنت عابس الوجة، أي ذنب للمرآة في ذلك، إن مهمتها أن تصف وأن تكشف وهي قد صدقت فيما أثبتت لك، ولو كنت ضاحك الوجه لأثبتت لك على صفحتها خيالاً ضاحكاً لا شك فيه، كذلك العلم الإلهي ومرائيه لا تتصل بالأعمال اتصال تصريف وتحريك، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح، فهي تتبع العمل لا يتبعها العمل، ولكن العلم الإلهي لايكشف الحاضر فقط، ولكن يكشف كذلك الماضي والمستقبل.

٢ ـ **يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ**[2]: فرقٌ بين نوعين من العلم :

أ ـ نوع من العلم للإخبار.

ب ـ ونوع من العلم للاختبار.

كيف ذلك؟ نفرض أنك أستاذ في فصل فيه خمسون طالباً، وقال لك مدير المدرسة: كيف حال طلبتك؟ فتقول له: أنا استطيع أن أحدد لك الآن من ينجح ومن يرسب، بل استطيع أن أحدد لك ترتيب الناجحين.. وهذا دليل على أنك تعرفهم، فلو أن المدير قال لك: أعلن النتيجة على هذا الأساس أساس علمك، فإنه حينئذ علم إخباري من جهة واحدة.

ولكن من الممكن أن طالباً يقول: صحيح أنت كونّت رأيك عني في أول العام، ولكن في النصف الثاني اجتهدت فهلا امتحنتني؟ وعندما نمتحنه تكون النتيجة هي هي.

---

(١) عقيدة المسلم، الشيخ محمد الغزالي، ص ١٠٣.

(٢) عقيدة المسلم، الشعراوي، ص ٢٥.

فلو كانت النتيجة باقية على الإخبار لكان فيها مطعن، ولم يكن فيها حجة ولا شيء من إقرار الشخص على نفسه، وكذلك في تحويل القبلة، طالما قالوا: فهذا علم الاختبار.

وعلم الإخبار ليس حجة، إنما علم الاختبار هو الحجة؛ لأن الفرد صار حاكماً فيه على نفسه بعمله.

ثانياً: المشيئة:

في معنى قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل: ٩٣).

وقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ (فاطر: ٨).

يقول **الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ**: «هل تعرف ما يفعله الفلاح في حقله؟

إنه يُلقي البذر ثم يتعهده بالسقي، وعلى الله الإنبات والإثمار، تستطيع أن تسمى الفلاح زارعاً وأنت صادق لقيامه بالسبب، وتستطيع أن تسمي الحق سبحانه زارعاً لقيامه بالعمل: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥)** ﴾ (الواقعة).

فما للإنسان في سعيه مثل ما للفلاح في زرعه.

فازرع عمرك ـ إن شئت ـ خيراً فإن يد القدرة سوف تنميه لك ورداً يانعاً.

أو ازرعه ـ إن شئت ـ شراً فإن القدرة تنمية شوكاً رائعاً»(١).

﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (التوبة: ١٠٥).

---

(١) عقيدة المسلم، الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ، ص ١٠٥، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

الاعتذار بالأقدار (١) :

أخطاء تُرتكب كذباً وزوراً:

كثيراً ما يحدث أن تختلط مظاهر الجبر الإلهي بمظاهر الاختيار الإنساني في أقوال عديدة، والذي يجب أن ننتبه إليه أن الحساب الأخروي يؤخذ منه ما لله ثم يحاسب العبد على ما قدمت يداه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٠).

فأنت تسمع لأحد العصاة المتبجحين حين تنصحه يقول لك: غداً يهديني الله، أو يقول لك: ربنا كتب عليَّ ذلك، وكذا ثرثرة المشركين: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٨).

وقد تجد الإنسان يعالج الخطأ الصغير بخطأ أكبر، وقد يتثاقل ويخلد إلى الأرض ولا يؤدي ما عليه، فإذا ما زجرته لم يذكر لك العلة الحقيقية ولكن يقول: ما حيلتي، أنا مقهور، أنا معذور، كما قال المشركون: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الزخرف).

لقد رفض النبي ﷺ من رجل وطَّن نفسه على الجهاد والعبادة أن يستريح ساعة باسم القدر، فعن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال: «ألا تصليان؟». فقلت: «يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا»، فانصرف النبي ﷺ مستغرباً وهو يضرب فخذه بيده ويقول(٢): ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (الكهف: ٥٤).

---

(١) عقيدة المسلم، الشيخ محمد الغزالي ، ص ١٠٧ .

(٢) أخرجه البخاري، تهجد ٥ ، اعتصام ١٨ ، توحيد ٣١ ، ورواه مسلم، مسافرين ٢٠٦ .

واقول: إن قيام الإنسان للصلاة أمر في يده، إما أن يقوم للصلاة أو لا يقوم للصلاة، تركه الله مختاراً فلا يتعلق هذا الأمر بالقدر، فإن شئت قمت للصلاة. . فهذه مشيئتك أنت.

من الأحاديث التي جاءت في القدر:

١ - عن علي رضي الله عنه: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: «**مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة**»، فقالوا: يارسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**اعملوا فكلٌ مُيسر لما خُلِقَ له، أما من كان من أهل السعادة فيصير إلى أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾**» (الليل).

يقول **الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -**: «فأما أن الله عالم بما سيعمل الناس في الدنيا وما يصيرون إليه في الآخرة من ثواب أو عقاب فهذا مما لا شك فيه.

وأما أن سبق العلم هو ما يرغم الناس على العمل بما كُتب أزلاً فباطل، فإن العلم نور يكشف وليس قوة تُرغم، والبشر (من تلقاء أنفسهم) يتوجهون إلى ما يريدون من أهداف والله يتمم للعبد مراده. . فإن من تعلق بأسباب الخير من عطاء وتقوى وتصديق. . أكمل الله غايته ويسره للحسنى. . ومن تعلق بأسباب الشر من بخل وفجور وتكذيب، أتم الله له قصده، وأملى له في غيه، ويسره للعسرى»(١).

٢ - عن أبي عبدالرحمن عبدِ اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: حدَّثنا رسولُ اللّه ﷺ وهُوَ الصَّادقُ المَصْدُوق: «**إن أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خلقُه في بَطْنِ أمِّه أرْبَعينَ يوْما نُطفةً، ثـمَّ يَكُونُ عَلَقةً مثل ذلك، ثُمَّ يكُون مُضْغةً مِثل ذلك، ثُمَّ يُرسَلُ**

(١) عقيدة المسلم، الشيخ محمد الغزالي، ص ١١٤.

إليه المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوح، ويُؤمَرُ بأرْبَع كَلِمَات: بكَتْب رزْقه، وأجَلِه، وعَمَلِه، وشَقيٌّ أو سَعيدٌ. فواللَّه الّذي لا إله غيرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهل الجَنَّة حتي ما يَكُون بيْنه وبَيْنَها إلا ذراعٌ فَيَسْبِقُ عليه الكتاب فيَعْمَلُ بعَمَل أهْل النَّار فيَدْخُلُها، وإنَّ أحدكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَل أهْل النَّار حتي ما يَكُون بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلا ذرَاعٌ فيَسْبقُ عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْل الجَنَّة فيَدْخُلُهَا»(١).

يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -: « رُبَّ فاسق ظل أكثر عمره مريض الاعتقاد، سيء الخليقة ثم أبصر آخر الأمر عواقب غيه فاهتدىٰ، ورُبَّ صالح ظل يعكف علىٰ الخيرات ثم غرته الدنيا فوقع في شراكها وهوىٰ، وهذه المصاير المتناقضة لم يكن للقدر السابق أثر جبري في خطها، ولكن التعبير في الحديث يسبق الكتاب «لا يعني أكثر من دقة العلم وانضباطه»، وهذا كثير في أساليب المبالغة في اللغة، فقد تتوقع بشخص ما نهاية معينة فإذا وصل إليها عبرت عن ذلك بتعبيرين كلاهما صحيح، تقول: تحقق فيه ظني . . أو صدق فيه حكمي، ولك أن تزداد تنويهاً بفراستك وذكائك فتقول: إنه ما كان يستطيع أن يفعل غير ما توقعته، أو تقول إن حكمي لا يتخلف أبداً » (٢) .

كلمات في القدر:

١ - يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن القدر نؤمن به ولا نحتج به، فمن احتج بالقدر فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول، ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولاً لقُبل من إبليس وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب الله أحداً من الخلق في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم يقطع سارق، ولا قتل قاتل، ولا أقيم حد علىٰ ذي جريمة . . ولا جُوهد في سبيل الله، ولا أُمر بمعروف ولا نُهي عن منكر»(٣) .

---

(١) رواه البخاري، بدء الخلق ٦ ، قدر ١ ، توحيد ٣٨، ورواه مسلم، قدر ١ .
(٢) المصدر السابق، ص ١١٥ .
(٣) المنهاج القرآني، د. عبد الستار فتح الله، ص ٣٥٢ .

٢ ـ يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ: «عدالة القدر لا تنافي التفضل والتميز، أعني أن الرجلين قد يؤديان عملاً متشابهاً ويستحقان أجراً واحداً، ومع ذلك يعطي الله الرجلين أجريهما ثم يمنح أحدهما زيادة خاصة من لدنه ويترك الآخر، وقد يرتكب مخطئان ذنباً واحداً ويستحقان عقوبة مشتركة، ثم يصدر عفو عن أحدهما ويبقى الآخر رهين ذنبه: ﴿ **وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)** ﴾ (آل عمران)».

أقول: وليس ذلك محاباة لأحد أو انتقاماً من أحد[(١)]، ولكن هناك تفاوتاً في أوضاع الحياة فمن المستحيل أن يُخْلَق الناس متساوين في كفاياتهم المادية والأدبية وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية، وأجزيتهم الدنيوية والأخروية، والاجتماع البشري يحتاج إلى هذا التفاوت في الأوضاع وليس هذا عيباً.

يقول **الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ:** « إنما يقع العيب في أعمال الناس إذا وضعوا رأساً موضع قدم، وقدماً موضع رأس، والأقدار قد توزع الأعمال والأعباء على الناس، كما يوزع القائد جنوده في المعركة فيكون حظ أحدهم في صفوف الدفاع لتلقي الضربة الأولى، بينما يكون حظ الآخرين نقل المؤن وكتابة الرسائل، وكلا العملين ضروري في الميدان: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٢٢)** ﴾ (العنكبوت)».

٣ ـ يقول د. عبد الستار فتح الله سعيد: «لا سبيل في الأعمال الاختيارية إلى

---

(١) كما في جزء من حديث عبدالله بن عمر، فقال أهل الكتابين أعطيت هؤلاء (يقصدون أمة القرآن) قيراطين وأعطيتنا قيراطاً ونحن كنا أكثر عمل منهم؟ فقال الله عز وجل: «هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟»، قالوا: لا، قال فهو فضلي أوتيه من أشاء.

الاحتجاج بالقدر؛ لأن رب القدر هو الذي ترك لنا فيها الخيار ابتلاءً واختباراً، وكلفنا بناءً على هذا، وأنزل الكتب وأرسل الرسل لهذا، وأعد الآخرة ثواباً وعقاباً جزاءً وفاقاً لهذا الجهد الإنساني الاختياري في طاعته أو معصيته.

والاحتجاج بالقدر يبطل ذلك كله، فعلمنا يقيناً أن الإنسان حر مختار، وأنه عز شأنه لم يُجبر أحداً على الطاعة، وإنما أمر بها وشرع للناس سبلها، ولم يرغم أحداً على المعصية، وإنما نهى عنها، وبيَّن حدودها، ومن ثم يقول العقاد: يعتدل المسلم بين الإيمان بالقدر والإيمان بالتبعية والحرية الإنسانية فمن عقائد دينه: ﴿ **يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (نوح: ٤)، ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ (فاطر: ١١).

ومن عقائد دينه: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾ (الرعد: ١١)، ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾ (هود: ١١٧).

ونقول: هل احتج عبد الرحمن بن عوف بالقدر وجلس واضعاً يده على خده وقال: لقد قَدَّر الله عليَّ أن أترك مالي في سبيل دعوته، ماذا أصنع؟ ما ذنبي؟ ما حيلتي؟ أنا معذور، أنا مقهور. . . لكنه ما فعل ذلك، ولا حتى قَبِلَ مساعدة أخيه الأنصاري، وقال: دُلني على السوق، إنه الفهم العميق لقضية الإيمان بالقضاء والقدر، بل والتطبيق الدقيق لهذا الإيمان.

٤ـ يقول الشيخ عبد الخالق الشريف(١): من آثار الإيمان بالقضاء والقدر:

أ ـ أساس الإصلاح يعتمد أول ما يعتمد على تصحيح الفهم في عقيدة القضاء والقدر حتى تعود كما كانت.

---

(١) الهداية الربانية، جـ ٢، ص ١٠٩.

ب - الدافع الأعظم على التضحية والفداء.

جـ - الوازع الأول على ترك الشر وفعل الخير قياماً بواجب الإنسان نحو نفسه وتنفيذاً لأوامر الله جل شأنه.

د - الإيمان بالقضاء والقدر يحقق صحة الإيمان للمسلم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.

هـ - الإيمان بالقضاء والقدر يجعل المسلم في طمأنينة: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١).

تساؤلات عملية لشحذ الهمم:

١ - **هل رسب الطالب في الامتحان قدراً؟** أم أنه رسب لعدم المذاكرة؟ أو رسب لكثرة الذنوب والمعاصي؟ أو رسب لأنه يعيش معيشة الهزل لا الجد؟ أو رسب لغياب الهدف ونسيان حاجة الأمة إلى جهوده، ولم يتذكر الصحابي الذي أمره النبي ﷺ تعلم السريانية لحاجة المسلمين إليها، فتعلمها في سبعة عشر يوماً؟

٢ - **هل ضاعت فلسطين منا حتى الآن قدراً؟** أم ضاعت من الوهن الذي في القلوب وحب الدنيا وكراهية الموت؟ أم ضاعت من التفكك والتشرذم والتطاحن بين المسلمين؟ أم ضاعت من تغليب المصالح الفردية على مصلحة الأمة ومصلحة الإسلام؟ أم ضاعت من الخيانة في أربعينيات القرن العشرين؟ أم ضاعت من الخيانة في هذه الأيام؟

٣ - **هل القدر ينصر الإسلام؟** . لابد من الأخذ بالأسباب، وبذل الجهد، فهكذا أمر الله مريم وهي في حالة شديدة من الضعف بعد الولادة، فقال لها: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم: ٢٥).

كان الرجل يذهب إلى الميدان مجاهداً في سبيل الله فيعترضه المثبطون ويخوفونه من ترك أولاده فيقول: علينا أن نطيعه - تعالى - كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا.

وكان المعوقون والمخذلون يذهبون إلىٰ المرأة فيثيرون مخاوفها علىٰ رزقها ورزق عيالها إذا ذهب زوجها للجهاد[١]، فتجيبهم في ثقة واطمئنان:

«زوجي عرفته أكَّالاً، ولم أعرفه رزَّاقاً، فإذا ذهب الأكَّال بقي الرزَّاق»[٢].

إنه الإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) الجهاد: تم تغيير هذه الكلمة بما تحمل من ثواب ورهبة وقوة إلىٰ كلمة ذل وانكسار ألا وهي كلمة الدفاع.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٥١ .

٧ـ قضية الرزق

إن أول شيء يشغل الإنسان ويؤرق حياته : طعامه وشرابه ، وإن الناس لتخاف من فوات الرزق ، ولذلك تكفل ربنا بذلك حيث قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ (البقرة) .

وتأتي هذه النصوص القرآنية لتطمئن الناس علىٰ أقواتهم وأرزاقهم فيقرر القرآن أن الذي صنع صنعة يتكفل بها ويرعاها ويحيطها بعنايته ويهيئ لها وسائل بقائها واستقرارها واستمرارها .

ولذلك تكفل الحق سبحانه بالأرزاق فقال عز من قائل : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٢) . ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود : ٦) . ﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (الواقعة : ٦٤) .

ومع كل هذه التأكيدات علىٰ أن الله تكفل بالرزق ، وأنه في السماء ، أي أن الله قدَّره لنا ، إلا أن الله أمرنا ـ نحن بني البشر ـ بالسعي لتحصيل هذا الرزق ، حتىٰ نأخذ بالأسباب ، وكما قيل : «إن الله قَدَّرَ لكل طائر رزقه ، لكنه لم يضعه له في عُشه» ، فنحن مع السعي نوقن أن الرازق هو الله .

ثم تقرر الأحاديث نفس الحقيقة..

١ ـ فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدَّثَنَا رسولُ اللّه ﷺ وهوَ الصَّادقُ المَصْدُوق : «إن أحدَكُم يُجْمَعُ خلقُه في بَطْنِ أمِّه أرْبعينَ يوْما نُطْفَةً، ثم يَكُونُ عَلَقةً مثل ذلك، ثُمَّ يكُون مُضْغةً مِثْل ذلكَ، ثُمَّ يرسَلُ إليه المَلَكُ فَينفُخُ فيهِ الرُّوح، ويُؤمَرُ بأرْبَع كَلِمَات: بِكَتْبِ رِزْقِه، وأجَلِه، وعَمَلِه،

وشَقىٌّ أو سَعيدٌ. فوَاللّه الّذى لا إله غيرهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَل أهل الجَنَّة حتى ما يَكُون بيْنه وبيْنَها إلاَ ذراعٌ فيَسْبقُ عليه الكتاب فيَعْمَلُ بعَمَل أهْل النَّار فيَدْخُلُها، وإنَّ أحدكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَل أهْل النَّار حتى ما يَكُون بيْنَهُ وبيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فيَسْبِقُ عليه الكِتابُ فيَعْمَلُ بِعَمَل أهْل الجَنَّةِ فيَدْخُلُهَا»(١).

٢ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله»(٢).

٣ ـ و من حديث علي بن زيد: «لو فر أحدكم من رزقه لأدركه كما يدركه أجله»(٣).

٤ ـ ومن حديث جابر: «لو أن ابن آدم يهرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت»(٤).

٥ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً(٥) وتروح بطاناً»(٦).

ثم يقرر الواقع والأقوال هذه الحقيقة:

١ ـ الزنبور . . يصيد حشرة النطاط ويخزه بإبرة يفقد الوعي ليظل طعاماً محفوظاً للصغار(٧).

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وهو الحديث الرابع من الأربعين النووية.

(٢) رواه البيهقي في الشعب، موقوفاً، وقال: إنه أصح، والمقاصد الحسنة، حديث رقم ٢٢٤، ص ١٩١.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وفي صحيح الجامع ١٦٢٦، والمقاصد الحسنة، حديث رقم ٢٢٤.

(٤) أبي نعيم في الحلية مرفوعاً، وفي المقاصد الحسنة، حديث رقم ٢٢٤.

(٥) تغدوا خماصًا : تروح أول النهار ضامرة البطون من الجوع، تعود بطانًا : تعود آخر النهار ممتلئة البطون.

(٦) رواه الترمذي، زهد ٣٣، وابن ماجة، زهد ١٤، وأحمد في المسند ١/ ٣٠، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٧) راجع الفصل الثاني من هذا الباب: العبادة الأولى للمسلمين.

٢ ـ يقول الشاعر :

أرأيت الأرزاق كيف دُبِّرت وهل في الطيور زارع أو كاسب؟

٣ ـ سُئِلَ علي بن أبي طالب : كيف يحاسب الله الناس على كثرة عددهم؟ قال : كما يرزقهم على كثرة عددهم .

٤ ـ وحينما قالوا للمرأة التي مات زوجها وترك لها أطفالا صغاراً : ماذا تصنعين في إطعام هؤلاء الصغار وقد مات أبوهم؟؟ قالت لهم : عرفتُ زوجي أكَّالاً ، ولم أعرفه رزاقاً ، فالرزاق لا يموت .

٥ ـ يقول الحسن البصري : علمتُ أن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأن قلبي ! !

٦ ـ وقال لنا أحد أساتذتنا في جامعة الأزهر : «اعلموا أنه لو شرب إنسان قطرة ماء ليست من حقه اختل نظام الكون» ، انظر : إنه يقول قطرة ماء ، ولم يقل : شربة ماء .

وهذا الكلام الطيب يؤيده قول الله تعالى : ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس : ٤٠) .

فمع سرعة الشمس في الدوران التي تبلغ ١٦٦٦ ميل في الثانية الواحدة فلم تتحرك الشمس من مكانها مليمتراً واحداً (١) .

وبعد أن ذكرنا هذه الحقائق الملموسة عن قضية الرزق قد يبرز في ذهن البعض هذه التساؤلات :

ما هو الرزق؟؟

يظن البعض أن الرزق هو المال وفقط . . ونحن نقول لهم : الصحة رزق ، والزوجة الصالحة رزق ، والولد الصالح رزق ، والجار الحسن رزق ، والكلمة الطيبة رزق ، وطلاقة الوجه رزق ، والعلم النافع رزق ، واللسان الذاكر رزق ، والقلب المطمئن رزق ، وكل النعم التي أنعم الله عليك بها هي رزقٌ منه سبحانه وتعالى ،

(١) راجع الفصل الثاني من هذا الباب : العبادة الأولى للمسلمين.

وأعظم نعمة على الإنسان هي نعمة الإسلام، فهي أعظم الرزق على الإطلاق لقول رسول الله ﷺ: «**الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة**»(١).

المهم أن تستخدم كل هذه النعم في طاعة الله، فالله يعطيك ويمنع عنك ليختبرك، فيرزقك بالصحة مثلاً ليرى ما تفعل، وقد يرزقك بالمرض ليرى ما تفعل.

وقد يُرْزَق الإنسان العلم ولكنه لا يأخذ عليه ثواباً في الآخرة، لأنه غير مسلم فيأخذ حظه من الدنيا بالثناء والمدح والأموال.. قال تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ (الروم: ٧).

والسؤال: هل هناك أشياء تؤثر على الرزق زيادةً ونقصاً؟؟

نعم.. أما الزيادة في الرزق فهي في الحديث: «**الأمانة غنى**»(٢).

وأما النقص في الرزق يكون بالذنوب التي لها تأثير سلبي على الرزق.. وهناك ذنوب عامة تؤثر على الرزق بوجه عام، وهناك ذنوب خاصة تحرم الإنسان من نعم بعينها.

١ ـ الذنوب عامة:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»(٣).

وفي رواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «**إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به الشيء من الرزق، وقد كان هُيئ له، وإنه ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم، وقد كان علمه، وإنه ليذنب الذنب فيمنع به قيام الليل**»(٤).

---

(١) رواه مسلم، أدب ١٢، ذكر: ٣١، ٣٣، ٥٩، ٦٥، ٧٤، ٧٦.

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب، وحسَّنه بعضهم.

(٣) رواه النسائي، وأحمد في مسنده، وابن ماجة برقم ٤٠٢٢، وفي الزوائد: سألتُ شيخنا أبا الفضل القرافي عن هذا الحديث، فقال: حسن.

(٤) رواه النسائي، وابن ماجة، وأحمد في المسند، حديث حسن.

٢ ـ الذنوب الخاصة.. وأثرها:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ترك العبد الدعاء للوالدين فإنه ينقطع عن الولد الرزق في الدنيا**»(١)، ومن حديث أبي هريرة: «**الكذب ينقص الرزق**»(٢) .

وكيف تعرف أنك فعلت الذنب؟؟

١ ـ عن النواس بن سمعان أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**البر حسن الخلق، والإثمُ ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(٣).

٢ ـ يقول أحدهم: « كنت أجد أثر ذنبي في خُلُقِ دابتي وزوجتي وولدي».

٣ ـ الميزان:

أ ـ ميزان العمل: لا تعمل عملاً في السر تستحي منه في العلانية.

ب ـ ميزان النفس: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٤) .

والمطلوب من المسلم ترك المعاصي والتزام التقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (الأعراف: ٩٦).

يقول الأستاذ سيد قطب ـ صاحب الظلال رحمه الله ـ: « إنها بركات من السماء والأرض مفتوحة بلا حساب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، والبركات التي يعد الله بها الذين يؤمنون ويتقون وإيماء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل

---

(١) رواه الديلمي، عن أنس مرفوعاً.

(٢) المقاصد الحسنة، ص ٢٠٢، وهو في طبقات الأصبهانيين عن أبي هريرة مرفوعاً، وكذا هو في مشيخة أبي بكر الأنصاري.

(٣) مسلم، في البر ١٤، ١٥، والدارمي في البيوع ٣٤، والترمذي كتاب زهد رقم ٥٢ ، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) متفق عليه ، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٢٨ عن أنس رضي الله عنه.

مكان، النابع من كل مكان بلا تحديد، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها.

إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوىٰ بركات في الأشياء، بركات في النفوس، بركات في المشاعر، بركات في طيبات الحياة».

ويقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)** ﴾ (الطلاق).

و يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ:

شَكوتُ إلىٰ وكيعٍ[1] سوء حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلم نورٌ ... ونور الله لا يُهدىٰ لعاصي

ويقول الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وقد يتساءل البعض قائلين: إننا في الواقع نرى كثيراً من المسلمين مُضيقاً عليهم في أرزاقهم، وفي المقابل نجد كثيراً من غير المسلمين قد بُسطت عليهم الدنيا.. فكيف نفهم هذا الواقع؟

يجيب عن ذلك الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ فيقول : «إن أولئك الذين يقولون إنهم مسلمون.. لا مؤمنون ولا متقون، إنهم لايخلصون عبوديتهم لله، ولا يحققون في واقعهم شهادة أن لا إله إلا الله، إنهم يُسلمون رقابهم لعبيدٍ منهم، يتألهون عليهم، ويُشرِّعون لهم سواء القوانين أو القيم والتقاليد، وما أولئك بالمؤمنين، أما أولئك المفتوح عليهم في الرزق فهذه هي السُنة: ﴿ **ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ (الأعراف: ٩٥).

---

(١) وكيع : هو أستاذ الإمام الشافعي ـ رحمهما الله .

فهو الابتلاء بالنعمة، وهو أخطر من الابتلاء بالشدة، وفرق بينه وبين البركات التي يعدها الله من يؤمنون ويتقون، فالبركة تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به وكان معه الصلاح والأمن والرضا والارتياح.

وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقاء، مهددة في أمنها، مقطعة الأواصر فيما بينها، يسود الناس فيها القلق، وينتشر فيها الانحلال، فهي قوة بلاأمن، ومتاع بلا رضا، وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال»(١).

الواجبات العملية لزيادة البركات في الرزق:

١ ـ الصلاة.. والتزام المحراب .. طريق الحصول على الرزق:

يقول الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧).

والرزق هنا ليس فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فهذا تفسير قاصر لهذه الآية للأسباب الآتية:

أ ـ أنت تجد الآن في الأسواق فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

ب ـ لو كان المقصود بالرزق هنا الطعام والشراب والفاكهة ما طلب زكريا أن يرزقه الله الولد الذي حُرم منه، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ..﴾ (٣٨).

جـ ـ الرزق حينما يُطلق ولا يقيد يشمل كل أنواع الرزق. وهذا ما فعله زكريا للحصول على (الرزق) الولد الصالح الذي حُرِمَ منه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩).

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب، المجلد الثالث، سورة الأعراف، ص١٣٣٩.

انظر إلىٰ كلمة : ﴿ الْمِحْرَابَ﴾ وأثرها في كافة أنواع الرزق، فالمحراب رمز التقوىٰ، وسبيل الحصول علىٰ الرزق.

هل معنى ذلك أن الإسلام يطلب منا أن ننقطع للعبادة، ونلزم المحراب.. والله سيرزقنا؟!

هذا فهم خطأ للإسلام . .

والصواب: أنك تسعىٰ علىٰ رزقك، وتؤدي عملك بإتقان، فإذا حان موعد العبادة أو الصلاة، هرعت إليها فوراً، فإذا انتهت عُدتَ إلىٰ عملك . . أو حياتك الاجتماعية، المهم أن تقضي كل لحظة في طاعة الله، قال تعالىٰ : **﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** (الجمعة : ١٠).

وقال تعالىٰ : **﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾** (طه: ١٣٢).

وحينما رأىٰ **عمر بن الخطاب** ـ رضي الله عنه ـ أناساً يجلسون في المسجد قال : من أنتم؟ قالوا : المتوكلون، فعلاهم بدرته (أي ضربهم بعصاته)، وقال : بل أنتم المتواكلون، ثم قال : «إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة».

وكان **عراك بن مالك** ـ رضي الله عنه ـ إذا صلىٰ الجمعة انصرف فوقف علىٰ باب المسجد فقال : «اللهم إني أجبتُ دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرتُ كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين»(١).

٢ ـ التورع عن الحرام :

فعن أبي هُريرَة رضي اللّه عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : **«إن اللّه تعالى طيِّبٌ لا يَقبَلُ إلا طيِّبا، وإن اللّه أمَرَ المؤمنينَ بما أمَرَ به المُرسَلين، فقال تعالى: ﴿ يا أيُّها الرُّسلِ كلوا من الطَّيِّبات واعملوا صالحاً... ﴾**(المؤمنون : ٥١)، وقال تعالىٰ : **﴿يا أيُّها**

(١) رواه ابن أبي حاتم.

الَّذين آمَنُوا كُلُوا من طَيِّبَات مَا رَزَقْنَاكُمْ..﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثم ذكر الرَّجُل يُطيلُ السفرَ أشعَثَ أغبَرَ، يَمدُّ يديه إلى السماء يَارب، يارب، ومَطعَمهُ حرَام، ومَشربه حَرَامٌ، وملبسهُ حَرَام، وغُذِي بالحرام، فأنى يُستجابُ لهُ؟»(١) .

وقد قام سعد بن أبي وقاص وقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال ﷺ: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به»(٢).

٣ـ الاستغفار :

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) ﴾ (نوح).

٤ـ الشكر :

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

٥ـ الرضا بما قسمه الله لك :

للحديث: «يا أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم»(٣) .

---

(١) رواه مسلم، زكاة ٦٤، والترمذي في تفسير سورة آل عمران، ٣٦ .

(٢) رواه الطبراني في الصغير من حديث عبدالله بن عباس، وفي الترغيب رقم ٢٥٢٢ .

(٣) رواه ابن ماجة، تجارات ٣، حديث رقم ٢١٤٤، ورواه ابن حبان في صحيحه بإسنادين عن جابر، راجع كتاب: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي.

٦ـ التوكل على الله :

قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»(١).

٧ـ الإنفاق في سبيل الله :

يقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩).

٨ ـ بر الوالدين وحسن الخلق وحسن الجوار :

قال رسول الله ﷺ: «صلة الرحم، وحسن الجوار، وحسن الخُلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»(٢) . وقال أيضاً: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»(٣).

٩ـ النكاح :

يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٢).

١٠ ـ الولد سبب الرزق :

يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١).

١١ ـ الجهاد :

قال رسول الله ﷺ: « ... وَجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي»(٤) .

---

(١) رواه الترمذي، زهد ٣٣ ، وابن ماجة، زهد ١٤ ، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه أحمد بسند صحيح: ٦/ ١٥٩ ، برقم ٢٥٣١٣ ، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري في الصحيح والأدب المفرد ١٢ ، بيوع ١٣ ، ومسلم ، بر ٢٠، ٢١ .

(٤) رواه البخاري ـ جهاد ـ والإمام أحمد في المسند.

١٢ ـ الحج والعمرة :

ففي الحديث : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»(١).

١٣ ـ التبكير في طلب الرزق :

قال رسول الله ﷺ: « بُورِكَ لأمتي في بكورها »(٢) .

١٤ ـ الدعاء :

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

١٥ ـ الشرب من ماء زمزم :

قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شُرِبَ له» (٣) .

١٦ ـ التعفف عن السؤال :

في الحديث القدسي : «.. ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه باب فقـر» (٤) .

١٧ ـ الإيمـان والعمل الصالح ..

فـالإيمان والعـمل الصـالح ، الخـالص لله ، والموافق لسنة النبي ﷺ سـبب

(١) رواه النسائي، وابن ماجة برقم ٢٨٨٧ ، مناسك ، والإمام أحمد في المسند، جـ١ ، وفي الزوائد: صحيح المتن من حديث ابن مسعود، وعند الترمذي رقم ١٨٠ ، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، والترمذي، وقال: حسن، وهذا الحديث عن صخر بن وداعة الغامدي، الترغيب والترهيب.

(٣) رواه ابن ماجة برقم ٣٠٦٢ ، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، والدارقطني في سننه عن ابن عباس، وأصله في مسلم: «إنهمـا طعام طعم، وشفـاء سقم»، المقاصد الحسنة برقم ٩٢٨، وقال العلماء: يستحب لمن شربه للمغفرة أو الشفاء من مرض أو نحو ذلك أن يقول عند شربه : اللهم إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ماءُ زمزم لـما شُرِبَ له»، فأنا أشربه لكذا.

(٤) رواه الترمذي برقم ٢٣٢٥ ، وقال أبو عيسى (الترمذي) : هذا حديث حسن صحيح.

للتمكين، وتحقيق الغاية من التمكين أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

والغاية من التمكين: تحقيق الإيمان والعمل الصالح: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤١).

ونقول لمن يخافون أن يقولوا كلمة الحق، حتى لا تُقطع أرزاقهم:

إن الرزق من عند الله.. ولا يستطيع أي مخلوق أن يقطع عنك رزقاً قد كتبه الله لك.. ولا يُعطيك رزقاً لم يُقدره الله لك.

أما الذين يهددون غيرهم بقطع أرزاقهم.. فنقول لهم: إن التهديد بقطع الأرزاق نوع من العبث.

٨ـ قضيـة الأجـل

يخـاف الإنسـان على أجله، ويتمنى لو عاش آلاف السنين، بل لا يصـدق الموت أحياناً، رغم أنه يقع أمامه كل يوم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٤). ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) ﴾ (الواقعة).

نذكر هذه الحقائق اختصاراً:

١ ـ الروح لا يعرف أحد عنها شيئاً، لا لونها ولا طولها، وهل هي صلبة أم سائلة أم غازية، وبالتالي لا يستطيع أحد أن يقوم بإخراجها من الجسد، فكيف يُخرج الإنسان شيئاً لا يعرفه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء: ٨٥).

٢ ـ حدد الله لكل واحد من البشر أجلاً، وتحديد الأجل هذا لم يتم ساعة الاحتضار أو الموت، بل تم تحديده من لحظة نفخ الروح، لحديث الصادق المصدوق ﷺ: «...ثُمَّ يُرسَلُ إليه المَلَكُ فَينْفُخُ فيه الرُّوح، ويُؤمَرُ بأربَع كَلِمَات: بِكَتْبِ رِزْقِه، وأجَلِه، وعَمَلِه، وشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ...»(١).

٣ ـ الموت وهو نهاية الأجل لا يمنع منه مانع سواء:

أ ـ **منصب** . . فلابد من نهاية الأجل حتى للنبي الْمُرسَل، أو الْمَلَك الْمُقرب، أو حتى ملك الموت «**ليمت ملك الموت**»(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ١٦٩٥.

(٢) جزء من حديث قدسي، راجع مختصر تفسير ابن كثير، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ (الزمر: ٦٨).

ب ـ ولا يمنع منه **هيئة** ، فقد يموت الإنسان وهو نائم، أو وهو جالس، أو وهو يصلي ، أو وهو يلعب ، أو وهو يطوف أو يُلبي .

جـ ـ ولا تمنعه **حصانة** لا برلمانية ولا قضائية ولا حصانة رئاسية .

٤ ـ لابد من البعث والحساب ، لقول الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)** ﴾ (المؤمنون) .

وسيأتي تفصيل هذه القضية في الباب السابع إن شاء الله تعالى .

٩ـ قضية السحر وهل هو حقيقة .. أم لا ؟

أولاً: تعريف السحر :

في اللغة : كل ما لطف مأخذه وخفي سببه . . ومنه سحره (خدعه) .

ثانياً: أنواع السحر (ضروب السحر) وحقيقته (١) :

١ ـ **فمن ضروبه** كثير من التخيلات التي مظهرها على خلاف حقائقها كما يفعله بعض المشعوذين من أنه يريك أنه ذبح عصفوراً، ثم يريكه وقد طار بعد ذبحه وإبانة رأسه، وذلك لخفة حركته، والمذبوح غير الذي طار لأنه يكون معه اثنان قد خبأ أحدهما ـ وهو المذبوح ـ وأظهر الآخر.

وكان سحر سحرة فرعون من هذا النوع، فقد قيل إن عصيهم كانت عصياً مجوفة، قد ملئت زئبقاً: وكذلك الحبال كانت من أدم، محشوة زئبقاً وقد حفروا قبل ذلك تحت المواضع أسراباً وملؤها ناراً، فلما طرحت عليها وحمى الزئبق حركها، لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير وقد أخبر الله عن ذلك بقوله : ﴿ ... فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه : ٦٦).

٢ ـ **وضرب آخر:** وهو ما يدعونه من حديث الجن والشياطين. . وطاعتهم لهم بالرقى والعزائم ويتوصلون إلى ما يريدون من ذلك بتقدمة أمور ومواطأة قوم وقد أعدوهم لذلك.

وعلى ذلك كان يجري أمر الكهان من العرب في الجاهلية وكثير ممن يدعون السحر يوكلون أناساً بالاطلاع على أسرار الناس، حتى إذا جاء أصحابها أخبروهم بها فيعتقدون فيهم أن الشياطين تخبرهم بالمغيبات.

---

(١) تفسير آيات الأحكام، للشيخ علي السايس، تقسيم الشيخ السايس، ص ١٦ .

ويقال: إن مخاريق الحلاج كانت كلها بالمواطأة، فكان يواطيء أقواماً يضعون له خبزاً ولحماً وفاكهة في مواضع بعينها ثم يمشي مع أصحابه في البرية ثم يأمر بحفر هذه المواضع فيخرج ما خبئ من الخبز واللحم والفاكهة فيعدونها من الكرامات.

٣ - **وضرب آخر من السحر**: هو السعي بالنميمة والوشاية، والإفساد من وجوه خفية لطيفة، كما حكىٰ أن رجلاً تزوج امرأة علىٰ أخرىٰ فعظم ذلك علىٰ الأولىٰ فاستعانت برجل فتوصل إلىٰ أن قال: للثانية: إن أردت أن تنغرس محبتك في قلب الزوج فخذي موسي فاقطعي ثلاث شعرات من لحيته مما يقارب الحلق، وألقىٰ في روع الزوج أن هذه المرأة ستختانه بالقتل، فلما قربت الموس منه لم يشك أن الأمر علىٰ ما قال الرجل: من أنها قصدت قتله فقام إليها وقتلها، وكان ذلك تفريقاً بين المرء وزوجه، ﴿.. فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..﴾ (البقرة: ١٠٢).

فأنت ترىٰ أنهم يرجعون السحر: إما إلىٰ تمويه وخفة في اليد، وإما إلىٰ مواطأة، وإما إلىٰ سعي ونميمة.

واختلف في السحر فقيل: هو تخييل فقط ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري وطائفة(١).

قال **النووي**: والصحيح أن له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة.

لكن محل النزاع: هل يقع بالسحر انقلاب عليه أو لا؟

فمن قال: إنه تخيل فقط منع ذلك، ومن قال: إن له حقيقة اختلفوا: هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض، أو ينتهي إلىٰ الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه؟(٢).

---

(١) فتاوىٰ معاصرة، د. يوسف القرضاوي، جـ٢، ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

وقال **القرطبي**: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته: الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة، وإيهامات بغير ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالىٰ عن سحرة فرعون: ﴿ **قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴾ (الأعراف: ١١٦).

لماذا سجد السحرة وأعلنوا إيمانهم برب موسى؟ (١)

« لأنهم رأوا عصا موسىٰ تتحول إلىٰ حية حقيقية، فهؤلاء السحرة أثّروا علىٰ أعين الناس بسحرهم فجعلوهم يتخيلون أشياء لا وجود لها ولكن أعين السحرة لم يؤثر عليها سحر، ولذلك بقيت علىٰ طبيعتها ترىٰ الأشياء بواقعها الحقيقي، فكما قلنا الحبال والعصىٰ التي ألقاها السحرة ظلت في أعينهم حبالاً وعصياً فلما رأوا عصا موسىٰ تتحول إلىٰ حية هائلة عرفوا أن هذا ليس سحراً ولكنه حقيقة، وعرفوا أن هذا ليس خداعاً للنظر ولكنه تحول حقيقي لطبيعة الأشياء ولا يقدر أن يحول العصا إلىٰ حية حقيقية إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فعرفوا أن ما حدث أمامهم هو معجزة لا يقدر عليها إلا الخالق سبحانه وتعالىٰ، وعرفوا أن موسىٰ عليه السلام رسول من الله وليس ساحراً»(٢).

ولأن كل من يتقن فناً ويعرف خباياه هو الذي يفهمه فهماً حقيقياً بحيث لايستطيع أحد أن يخدعه فيه، فقد تأكدوا يقيناً بعلمهم عن السحر وطبيعته أن ما يحدث أمامهم معجزة وليس سحراً مصداقاً لقوله جل جلاله: ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ** ﴾ (طه: ٧٠).

ونسأل فنقول: أيُّ الناس أشد سحراً من سحرة فرعون؟ ومع ذلك أنكر هؤلاء السحرة السحر وأهدروه وآمنوا بالحقيقة رغم التلويح لهم بالتقطيع، فإذا كانت السحرة أنكرت السحر، فهل نثبته نحن؟

---

(١) هؤلاء هم رجال فرعون، والذين كانوا تحت إمرته، يفعلون كل شيء لأجله حتىٰ العبادة، ولكن في لحظة ظهور الحق أمام أعينهم آمنوا وعادوا إلىٰ الله. فمتىٰ يعود كل عاصٍ عن معصيته؟ ويدخل حظيرة الإيمان؟

(٢) كتاب السحر والحسد، الشيخ محمد متولي الشعراوي، ص ٢٥ وما بعدها.

حكم السحر والساحر ومن يأتيه :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: « **اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١).

قال الإمام أحمد بن حنبل صح عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ حد الساحر ضربه بالسيف، وروىٰ الشافعي وأحمد بن حنبل عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة بن عبدة يقول: كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر(٢).

يقول الشيخ الشعراوي: لهذا فإن كل من آمن بقدرة السحر كافر، وكل من مارس السحر كافر، وسليمان عليه السلام برئ من تهمة الكفر، وقد برأه الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم.

حكم إتيان السحرة والكهان :

فقد ورد عن صفية بنت أبي عبيد رضي الله عنها عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال: « **من أتي عرافاً(٣) فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل منه الصلاة أربعين يومًا**»(٤)، وفي رواية البزار بإسناد جيد: «**من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٥).

---

(١) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٥٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، وصايا ٢٣، حدود ٤٤، طب ٤٨، ومسلم، إيمان ١٤٤ .

(٣) العراف كالكاهن وقيل هو الساحر، والعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها علىٰ مواقعها، كالمسروق من الذي سرقه ومنهم من يسمي المنجم كاهنًا.

(٤) رواه مسلم، سلام ١٣٥ .

(٥) الكاهن: هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره ذلك.

هل يعلم الساحر الغيب ؟ :

الإجابة : ولا حتى الجن يعلمون الغيب والدليل قول الله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** ﴾ (سبأ : ١٤).

إذن فادعاء السحرة أو الدجالين أو المنجمين بأنهم يستطيعون أن يخبروا بالغيب أو يعرفوا الغيب هو ادعاء باطل لا أساس له، ولقد نهانا رسول الله ﷺ عن أن نصدق المنجمين، والعرافين أو نجلس إليهم.

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : « إن السحرة والعرافين كهان العجم، ومن جلس إلى كاهن يؤمن له بما يقول فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ»(١) .

التفريق بين المرء وزوجه :

طرق التفريق بين المرء وزوجه أصبحت كثيرة ولا تقتصر على الشياطين فقط، فشياطين الإنس أنشط وأقوى : يقول قائلهم :

وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى بيَ الحال حتى صار إبليس من جندي

والتفرقة بين المرء وزوجه يمكن أن تتم بأمور مادية، فما أكثر هذا الصنف من البشر الذين لا يراعون منهج الله من ينقل كلمة هنا وكلمة هناك فيفرق بين الزوجين؟ . . ونحن نشهد ذلك، فإذا كان ذلك يحدث في الأمور المادية فإنه يحدث أيضاً في الأمور الغيبية .

وفي الحديث : «**إن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم في العروق**»(١)، ويمكن أن يكون مجازياً، بمعنى أن الشيطان قرين للإنسان، وموسوس له في صدره مادامت الدماء تجري في عروقه .

---

(١) رواه الطبراني، الترغيب والترهيب، باب : الترهيب من السحر بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه البزار بإسناد جيد، وفي الترغيب برقم ٤٣٨٤، ٤٣٨٨ .

(٢) رواه البخاري ، أحكام ٣١، بدء الخلق ١١، اعتكاف ١١، ١٢ .

حديث سحر النبي محمد ﷺ :

١ ـ يقول الشيخ محمد علي السايس:

زعموا أن النبي ﷺ سُحِر، وأن السحر عمل فيه، حتى قال: «إنَّهُ يُخيل إليَّ أنِّي أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله»(١) .

وأن امرأة يهودية سحرته في جف طلعة ومشط ومشاطة، حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنها سحرته في جف طلعة، وهو تحت راعونة البئر، فاستخرج وزال عن النبي ﷺ ذلك العارض.

وقد قال الله مكذباً للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾ (الفرقان: ٨).

ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين استدراجاً لفئام الناس إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها، وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة وأن جميعه من نوع واحد.

والعجب ممن يجمع بين تصديق الأنبياء عليهم السلام وإثبات معجزاتهم، وبين التصديق بمثل هذا من فعل السحرة مع قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (طه: ٦٩).

فَصَدَّقَ هؤلاء مَنْ كَذَّبَهُ الله وأخبر ببطلان دعواه وانتحاله.

وجائز أن تكون المرأة اليهودية بجهلها ظناً منها بأن ذلك يعل في الأجساد قصدت النبي ﷺ، فأطلع الله نبيه ﷺ على موضع سرها، وأظهر جهلها فيما ارتكبت وظنت ليكون ذلك من دلائل نبوته، لا أن ذلك ضره وخلط عليه أمره، ولم يقل كل الرواة إنه اختلط عليه أمره، وإنما هذا اللفظ زيد في الحديث ولا أصل له(٢).

---

(١) تفسير آيات الأحكام، الشيخ محمد علي السايس، جـ ١ ، طبعة ١٩٥٦م ـ ١٣٧٣هـ.

(٢) تفسير آيات الأحكام، الشيخ محمد علي السايس، جـ ١ ، طبعة ١٩٥٦م ـ ١٣٧٣هـ، ص١٨ .

٢ ـ يقول الشيخ رشيد رضا:

بعد أن ذكر الحديث عن الروايات التي ورد بها بشيء من التحقيق والتوثيق وذلك في بحث طويل قال بمخالفة ذلك لعلم النفس الذي يقول إن الأنفس السافلة لا تؤثر في الأنفس العالية الطاهرة.

ثم ذكر أن شيخه وإمامه[١] بنى رأيه في إنكار سحر النبي ﷺ أن هذا الحديث الوارد حديث آحاد والآحاد ظني، وفيه الآتي:

١ ـ الظني لا يُعارض بالقطعي، والقطعي هنا هو عصمة الأنبياء.

٢ ـ الظني يُرَد بالقطعي عقلاً وفعلاً.

٣ ـ أحاديث الآحاد لا يُحتج بها في أصول العقائد.

٤ ـ ثم قالوا إن كون الحديث يفيد الظن لأنه آحاد يكون خاصاً بمن صح عنده، وأن له أن يتأوله أو يفوض الأمر فيه[٢].

وبذلك نكون قد أوردنا آراءً وأقوالاً للعلماء في عصور مختلفة، مثل: القرطبي والنووي والشيخ رشيد رضا والشيخ محمد علي السايس والشيخ الشعراوي ود.القرضاوي.

وخلاصة القول بالنسبة للسحر عموماً:

١ ـ **فريق قال:** إن السحر له حقيقة، **وقال فريق آخر:** إن السحر لا حقيقة له ولكن الفريقين اتفقا على أن سحر الساحر لا يقلب الجماد حيواناً ولا يقلب الحيوان جماداً.

٢ ـ **إذا كان السحر لا يقلب الحيوان جماداً والعكس.** فماذا يكون السحر إذن؟ إلا أن يكون تمائم ودجلاً وشعوذة وتخييلاً للأعين وإيحاء للأنفس.

---

(١) هو الشيخ محمد عبده.

(٢) فتاوى معاصرة، د. يوسف القرضاوي، جـ ٢، ص ٩٤، طبعة دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

والأنفس هنا قسمان: نفس قوية لا يؤثر فيها التخييل ولا رعب الساحر بشيء علىٰ الإطلاق، ونفس ضعيفة تهتز أمام النظرة، ويصيبها الرعب من الكلمة، وتتحطم من الإشارة، كالحمامة ينظر إليها الثعبان ليفترسها فَتَنْحَلّ وَتَنْشَلّ وكان بِمُكْنَتَها أن تطير . . !!

إذاً السحر لا يعدو أن يكون هذه التمائم والشعوذة والتخيلات، وإذا كان غير ذلك فأين هو الآن؟ وأين صورته وأشكاله في وسط الناس؟

أما بالنسبة لسحر النبي ﷺ:

أرىٰ الآتي :

١ ـ نقول إن السحر فُعل[١] للنبي ﷺ، ووضع في البئر كما في رواية الحديث، ولكنه لم يؤثر علىٰ النبي ﷺ لا تخييلاً ولا غيره.

٢ ـ أراد الله أن يبين لنا أن هذا السحر لا قيمة له ولا يؤثر في أي شيء لا علىٰ المدىٰ القريب ولا البعيد.

٣ ـ والدليل علىٰ ذلك أن المرأة اليهودية وضعت السم للنبي ﷺ في الطعام وأكله النبي في ذراع الشاة ولم يخبره الله تعالىٰ حتىٰ يتم الأمر ولايحدث الضرر كما ذكرنا فيعلمون أن قدرتهم لا تساوي شيئاً وأن قدرة الله هي الغالبة.

٤ ـ العلماء الذين يردون حديث «سحر النبي ﷺ» موجز رأيهم أن هذا الحديث يتصادم مباشرة مع صريح القرآن وعصمة الأنبياء: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ وحقيقة النبوة.

فالإيمان بسحر النبي ﷺ من خلال اليهود يبطل القرآن ويبطل النبوة، فضلاً عن اتهام الرسول في عقله؛ لأن السحر النفسي هو مرض فكري نفسي يتحكم في ضعاف النفوس والنبي ﷺ أصح الناس نفساً وأقواهم عقلاً.

---

(١) كيفية عمل هذه الأشياء وكيف أنها كانت تحتوىٰ علىٰ مشط ومشاطة وجف طالع هي تمامًا مثل موضوع الأعمال، وكيف يتم عمله؟ سيأتي في موضوع فرعيات متعلقة بالسحر.

٥ ـ **يقول الشيخ محمد الغزالي**[1] : «وهناك قضايا لا يجوز فيها التساهل لخطورتها، وقد شعرت بالغيظ والحرج وأنا أقرأ أن يهودياً وغداً سحر النبي ﷺ وأعجزه عن مباشرة نسائه مدة قدرها ابن حجر بستة شهور أكذلك تُنال القمم؟!

وقد سرني أن الشيخ محمد عبده رفض هذا الحديث، وساءني أن الرجل الضخم اتهم في دينه لهذا الموقف المعظم لقدر الرسول ﷺ».

ويضيف الغزالي: وسمعت الشيخ محمد أحمد عثمان ـ رحمه الله ـ وكان وكيلاً للجمعية الشرعية يقول: «إن في سند حديث السحر مقالاً فقلت له: لستُ من علماء هذا الفن! وكل ما لاحظت على المتن أن يجعل نزول المعوذتين في المدينة وهما في علوم القرآن وعند كتاب المصاحف نزلتا بمكة».

ويعلل الغزالي رفضه هذا الحديث بـ:

١ ـ أن الحديث بروايته فيه غضاضة غير لائقة بمنزلة النبوة.

٢ ـ لو ساغ أن التخييل يؤثر في النفوس الضعيفة، فكيف يقوى يهودي على التأثير في أقوى نفس بشرية وهي نفس الرسول؟

٣ ـ وكيف يقال أن التأثير في أعضائه لا في روحه، والسحر يعتمد على قوى خفية في زعم مثبته لا على وسائل مادية.

فالراجح الآن أن النبي ﷺ لم يؤثر فيه السحر ولا حتى عن النساء، والذي نميل إليه ما قاله الشيخ محمد علي السايس «أن النبي ﷺ اختلط عليه الأمر»، هذه زيادة في الحديث لا أصل لها لأنه لم يقل كل الرواة بذلك.

ونختتم فنقول إجمالاً:

* إن السحر تخيُل حقيقة وليس تغير حقيقة فلا يقلب الجماد حيواناً ولا حيواناً جماداً.

* اطمئن أيها الإنسان، فالسحر لا يعدو كونه تمائم وشعوذات ودجلاً، وما يكون

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ.

للساحر هو تحمل الذنب الأكبر .

* موضوع الربط عن الزوجة لا وجود له ولا حقيقة فيه ، ولكن ابحث عن سبب ذلك فلا يوجد شيء اسمه الربط (العقد عن الزوجة) .

* مهما صح من أمور السحر أو الحسد أو العين فهو من قدر الله ، والإنسان هو وما ترسخ في ذهنه ، واستقر في قلبه ، فالذي لديه انطباع بأنه عُرضة للسحر أو الحسد سوف يعاني ذلك طوال حياته ، والذي لا يهتم بذلك ولايشغل نفسه وتفكيره به لن يصيبه كيد ساحر أو عين حسود .

* كذلك الذي يميل إلىٰ التشاؤم سوف يجد ما يدعوه دائماً إلىٰ الضيق والتشاؤم في كل خطوة حتىٰ قيل بحق : «إن الشؤم عند التشاؤم» ، وعكسه من يميل إلىٰ التفاؤل ، وفي الحديث : «**بشِّروا ولا تُنفِّروا، ويسِّروا ولا تُعسِّروا**»(١) .

---

(١) رواه البخاري ، جـ١ ، ص ٢٧ ، راجع : كيف نواجه الشدائد ، د. شوقي الفنجري ، ص٦٣ ، هدية الأزهر ١٤٢٨هـ.

الخرافة والوهم في قضية المس من الجن

هذه القضية العقائدية الخطيرة التي أصبحت شبحاً مخيفاً يضرب بأجنحته على الأفراد، وتخيم بظلامها الدامس على الأسر، فتحيل البيوت والمنازل إلى أطلال مهدمة، وإلى نفوس بائسة يائسة.

وسوف نحقق هذه القضية الخطيرة تحقيقاً علمياً.

قالوا عنها :

١ ـ **المستشار الدكتور : محمد شوقي الفنجري** ـ عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ [١] قام بتمحيص القضية فبدأها من أصولها كالآتي :

عالم الجن : هو من أمور الغيب ولا يوجد مصدر صحيح لمعرفته سوى القرآن والحديث الصحيح، وكلمة (جن) تعني مخلوقاً مستترا لا يرى، ولذلك سمى الجن (جنا) لاختفائهم عن الأبصار، وأطلق لفظ (جنين) على المخلوق المستور في بطن أمه ويقال (جن) عليه الليل أي ستره الظلام بقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ** ﴾ (الأنعام: ٧٦).

أ ـ ماهية الجن :

خلق الله تعالى الجن من مارج من نار، لقوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴿١٤﴾ **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** ﴿١٥﴾ ﴾ (الرحمن).

و الـ ﴿ **صَلْصَالٍ** ﴾ هو الطين اليابس.

و ﴿ **الْفَخَّارِ** ﴾ هو ما طبخ من الطين.

و ﴿ **مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** ﴾ هو لهيب النار الخالي من الدخان وفي الحديث النبوي :

---

(١) كتاب كيف نواجه الشدائد والمخاوف في ضوء الكتاب والسنة، هدية مجلة الأزهر رمضان عام ١٤٢٨ هـ.

«خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(١) .

والجن عالم مستقل كعالم البشر ، وهم يعيشون معنا على كوكب الأرض كعالم الحيوان وعالم الطيور وعالم الحشرات وغيره بقوله تعالى على لسان الجن : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ (الجن : ١٢) .

إلا إننا لا نراهم في حين أنهم يروننا بقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف : ٢٧) .

والجن مثل البشر . . يبصر ويسمع ويعقل ويفهم ويأكل ويشرب ويتوالد ويموت؛ ولأن الجن مثل البشر مخلوق عاقل له إرادة واختيار ، فإنه مكلف بقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

وبالتالي فإنه يسأل ويحاسب عما يفعله ، وقد كان لكل من الجن والإنس رسل من جنسه فيما عدا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام باعتباره خاتم الأنبياء فكان بشيراً ونذيراً للبشر والجن أجمعين فيقول تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام : ١٣٠) .

ومن ثم كان من بين الجن ـ شأن البشر ـ المؤمن الصالح الذي سيدخل الجنة والكافر المتمرد الذي سيدخل النار وكما قال تعالى يحكي عنهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الجن) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ

---

(١) صحيح مسلم، جـ ٤ ، ص ٢٢٩٤ .

هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وقد دعانا ـ عز وجل ـ إلىٰ الاستعاذة من عصاة الجن والإنس بقوله تعالىٰ : ﴿ **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)** ﴾ (الناس).

ونلاحظ في الآيات القرآنية سالفة الذكر تقديم الجن علىٰ الإنس باعتبار خلقهم قبل البشر.

والجن مثلنا لا يعلم الغيب وهو غير محيز كالبشر بجسد مادىٰ ولذلك كان له طاقة غير محدودة بزمان ومكان حسبما روىٰ في قصة النبي سليمان وكيف أن عفريتاً من الجن عرض عليه إحضار عرش سبأ من اليمن إلىٰ بيت المقدس قبل أن يقوم من مقامه هذا، ويطلق لفظ (شيطان) علىٰ العاصي سواء كان من الجن أو الإنس لتمرده وخروجه عن طاعة الله بقوله تعالىٰ : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ (الأنعام: ١١٢).

وكما يقول بحق **الأستاذ الدكتور احمد شوقي إبراهيم** في كتابه **(الإنسان وعالم الجن)** إن وجود الشيطان جنا أو إنساً كان ضرورة حتمية باعتباره اختباراً للبشر ليظهر المؤمن من الكافر والطيب من الخبيث فهو محك الاختبار والابتلاء وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ (العنكبوت).

ب ـ علاقة الجن بالإنس :

لم يجعل الله عز وجل للجن بما فيهم الشياطين أي سلطان علىٰ البشر، وإنما الإنسان هو الذي يجعل للشيطان عليه سلطاناً وذلك بعدوانه وسلوكه الباطل وفي ذلك يقول الله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً** ﴾ (الإسراء: ٦٥).

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ (النحل).

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢).

وعليه فإن الشيطان منذ بدء الخلق وحتى يوم القيامة لا يملك قبل الإنسان سوى الوسوسة بقوله تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (طه: ١٢٠).

إذ جعل الله تعالى الشجرة المحرمة أداة اختبار طاعة آدم فلم يجد له عزماً بقوله تعالى : ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١).

ويحذرنا الله تعالى من الشيطان بقوله : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف: ٥).

ويدعونا إلى التعوذ بالله منه بقوله عز وجل : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون: ٩٧). ويقول تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء: ١٢٠).

وإنه يوم القيامة يتبرأ الشيطان ممن أغواهم في الدنيا إذ يقول تعالى : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

ويقول تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

والشيطان يخاف ويتجنب المؤمن الصالح حتى أن الرسول ﷺ يخاطب سيدنا عمر بن الخطاب بقوله : «إن الشيطان ليفر منك يا عمر»(١) .

والأمر كذلك لكل من قوى إيمانه بالله واستعاذ به وحده بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨).

أما عن زعم البعض باستحضار الجن لاستثماره(٢) فيما يريدون من مصالح فهو هراء مردود عليه بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن : ٦).

بالإضافة إلى ما هو معروف بأن الشيطان هو عدو الإنسان ووظيفته أن يوسوس له بالشر بقوله تعالى على لسان الشيطان : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر : ٣٩).

وقوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٦٨).

وقوله تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة : ١٩).

فكيف بعد ذلك يزعم البعض أنهم يستخدمون الشياطين في مصالحهم والله تعالى يحذرنا منهم بقوله : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر : ٦).

ويقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (الفرقان : ٢٩).

---

(١) رواه أحمد في المسند، جزء ٥، ص ٤٧٢ .

(٢) أقول لهؤلاء : ألا يمكن استثمار الجن بالقضاء على اليهود، وتحرير المسجد الأقصى؟

وقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ (مريم: ٤٤).

بقي أن أشير إلىٰ ما يردده بعض الكهان والعرافين بأنهم يستحضرون الجن لمعرفة المستقبل وهو قول باطل مردود عليه بآيات القرآن بأنه لا يعلم الغيب إلا الله وإنه لو كان الجن الذي سخره الله تعالىٰ لسيدنا سليمان يعلم بوفاته لما استمر في شقائه بقوله تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤).

كذلك ندين بشدة ادعاء البعض عن جهل وضلال زواج الجن والإنس(١) وهو ما عناه الإمام مالك بقوله : إن توجد امرأة حامل تدعي أن زوجها من الجن فيكثر الفساد. . ثم لماذا يزعمون زواج الإنسية بالجن ولا يتكلمون عن زواج الإنس بالجنية؟ بالإضافة إلىٰ مشكلة المولود: وهل هو جني خفي؟ أم إنسي ظاهر؟ ومن يرعاه وينفق عليه؟ ومع من يتعامل عند كبره؟ ولأي أسرة ينتسب؟ إلىٰ الجن أم الإنس؟

وفي كتابه **الفتاوى** أكد **الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت** أن صلة الشيطان من الجن بالإنسان لا تتعدىٰ الوسوسة والتزيين، وأن ما عدا ذلك من الأوهام كظهورهم للإنسان العادي بصورتهم الأصلية أو بغيرها أو دخولهم جسم الإنسان، أو التزاوج بينهم وبين الإنسان، أو استخدامهم في جلب المنافع، أو دفع الأضرار فهو هراء خارج المصادر الشرعية القطعية اليقينية.

نخلص مما تقدم أن ما يشيع بين العامة من مخاوف بشأن فعل السحر أو الحسد أو التنجيم أو الجن، هو حسبما سبق بيانه من واقع نصوص القرآن وصحيح الحديث (مجرد أوهام) لا أساس لها، وأنه لا يجوز للمسلم المؤمن أن يشتغل أو ينشغل بهذه الأوهام، ذلك لأن الاشتغال بها ليس فحسب إضاعة للوقت فيما لا يفيد، بل هو أيضاً كفر وشرك لمخاوف وهمية وإساءة ظن بالآخرين، بل هو - أيضاً - إغفال أو إنكار لله تعالىٰ، الذي هو وحده النافع والضار، وأنه لو اجتمعت الجن والإنس لأن يضروا أو ينفعوا أحداً بشيء لم يكتبه الله تعالىٰ، ما استطاعوا لذلك سبيلاً.

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾، ص ٢٥٣.

وإننا مع **فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -** نتساءل : لماذا ينشغل العالم المتقدم اليوم بقضايا التنمية والتقدم والبحث العلمي والتقنية الحديثة ، في حين أننا أصبحنا اليوم ننشغل بما كان ينشغل به الإنسان في عصوره السابقة وعهود تخلفه من أوهام السحر والحسد والشياطين وغيره ، في الوقت الذي كان فيه المسلمون سادة العالم وأصحاب الفكر والاختراعات؟

ولا نجد جواباً لذلك سوىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ (الرعد : ١١) .

قالوا عنها :

٢ - **الأستاذ علي متولي علي** [1] يقول : أردت أن أصرخ في الناس صرخة : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ (يس : ٦٠) .

ولا تعبدوا الجن فإنكم عبدتموهم أو تكادون ، ولا تنزلقوا في مزالق الشيطان مرضىٰ أو معالجين مخادعين فلقد كبّر الناس الجن ، ونسبوا إليه كل شيء والشيطان تأله في قلوب الناس فنزع ووسوس ، وحضر وهمز ، وأضل وأغوىٰ ، ومس طائفة وأغرىٰ واستمتع بإضلال الناس وتعاظم بإطرائه وذمه معاً فَكَبَر في نفوس الخلق وكيده ضعيف ودفع عناصره وأولياءه للدجل والشعوذة حتىٰ بلغ الأمر الاجتراء علىٰ قرآن الله كتاب الهداية فاتخذوه أحجبة وتمائم .

إن الرقية الشرعية [2] - يا أحباءنا معروفة - ولا بأس بها . . ولكن أنتخذ

---

(١) أ. علي متولي علي، كتاب: لا تعبدوا الجن والشياطين والسحرة .

(٢) الرقية الشرعية : **دليلها** : روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان إذا اشتكىٰ رسول الله ﷺ رقاه جبريل قال : «**بسم الله يبريك، من كل داء يشفيك، ومن شر حاسد وشر كل ذي عين**»، رواه مسلم - سلام ١ .

كيفيتها : إما أن ترقي نفسك أو ترقي غيرك :

١ - قراءة فاتحة الكتاب .

٢ - قراءة المعوذتين (سورة الفلق) و(سورة الناس) .

٣ - أرشد النبي ﷺ المحسود بقوله : «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاث، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» . =

ذلك مهنة وعادة نطوف بها؟ إنها حتى ولو كانت شرعية حينئذ فإنها تصير عيباً وتهمة لمن يعتادها، فضلاً عن أن يتكسب بها أو يشتهر بها.

عن أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم (أي لديغ) وإن نفراً غيب فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبه برقيه فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا لا تُحْدِثُوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ، فقال: **«وما كان يدريه أنها رقية؟، اقسموا واضربوا لي بسهم، هذه رقية شرعية»**(١)، ومع هذا يقول الحديث عن الراقي **«ما كنا نأبه برقية»**، لم يكن معروفاً بيننا بالرقية.

فما بالك بما يحدث من مخالفات وتوسيع لدائرة الرقية، فأدخل فيها ما ليس منها، وامتهنت مهنة، وارتكب فيها المحظور، وروجت لأفكار ومعتقدات فاسدة وخزعبلات واستغلت أوجاع وجهل الناس، وافتأتت على الطب الحقيقي كطب الأعصاب، أو الطب النفسي (والإسلام دين العلم)، أو حتى الطب العام والتخصصي فكثير ما يكون التوتر بسبب أمراض حقيقية عضوية، فيخدع الناس بعلاجات وهمية، ويسكتون عن التشخيص الحقيقي، العلاج الناجح إذ (لكل داء دواء) فيستفحل المرض، وإن اختفى - لحين - العرض.

وما أشرنا إليه من فساد عقدي وأخلاقي يروج وتتخذ حيل الشيطان سبيلاً لإخراج الناس من دينهم وإبعادهم عن صلتهم بربهم فتدسس إليهم الشياطين من الإنس والجن: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ (الأنعام: ١١٢)، ويا بئس ما يفترون.

= ٤ - كان النبي ﷺ يُعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يُعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عن لامة»، رواه البخاري - أنبياء ١٠.

(١) رواه البخاري، فضائل القرآن ٩، إجارة ١٦، طب ٣٣، ٣٩.

بكت الفتاة منتحبة، وقالت : ـ لصلتها بي ـ كيف تتركني لجهل أهلي يمرون بي على الدجالين حتى دخلت وأنا ابنة الإسلام والقرآن الكنيسة وعبث الـ . . . بجسمي ورسم عليه الصليب . . أرأيت كيف أوصل الترويج للخرافة والوهم والاستغراق في هذا الأمر ؟!

فوجئت بقوم يطلبونني لأن جنياً يلبس فتاتهم (في الثانوية) فأرشدتهم بأن هذا ليس صحيحاً، ابحثوا عن شيء كدر نفسها تفضي به إلى من تحب وتأنس، تنته مشكلتها.

لكني فوجئت بهم يأتونني بها متساندة على إخوتها وأبيها لا تكاد تعتمد على قدميها، وكأنها مشلولة . . أجلستهم ودخلت أحدثها في وجود زوجتي، وسألتها عما يضايقها؟ فأقسمت بأغلظ الأيمان بأن عليها جمعاً من الجن، وأنها تحس بهم ويحدثونها، فأقسمت لها أن هذا غير صحيح وإن جنياً لا يلبس الإنسان، ثم وضعت الثقة في نفسها بأنها نابغة إذ دخلت الثانوية العامة، ثم خوفتها بأنه لو اشتهر هذا الأمر فلن تتزوج، وإلا . . فمن يتزوج فتاة ملبوسة بزعمهم، فارتاعت وقالت : كيف إذن نمسح هذه الفكرة، وقد جاء أهلي ببعض من يزعمون بلبس الجن في الإنسان، وأصحاب (أخرج يا عدو الله)، وضربوني في أسناني؟

فطمأنتها بأني سأتولى ذلك، فقامت سليمة قوية معافاة تضحك وتداعب إخوتها وأباها وكأن شيئاً لم يكن، لأن شيئاً ـ فعلاً ـ لم يكن، بل ولا يكون.

وقد نشرت **مجلة (سيدتي)** العدد ٧٣٥ بتاريخ ١٤/ ٤/ ١٩٩٥م لقاءً مطولاً مع الشيخ علي بن مشرف العمري، وهو أشهر معالج ديني في السعودية، وقد بيَّن فيه كيف غيّر من قناعته بخصوص الأمراض النفسية التي كان يعالجها على أنها مس من الجن وتلبس، واتضح أن هذا المس والتلبس لا وجود له.

وأقول عن : الخرافة والوهم في قضية المس من الجن :

في فترات ضعف الأمة لضعف صلتها بكتاب الله والتشريع الصواب، تنتشر الخرافات، ويعم الجهل، وتسود الأميَّة الدينية، ويتخبط الناس في ظلمات الجهل، فتنحدر الأمة في أي اتجاه، ويتجه شراع سفينتها أي وجهة حسب هؤلاء، فلا هدف للقائد فيحرك الشراع ناحيته، وتظهر البدع.

وبالمثال يتضح المقال : ظهرت الصوفية في فترة من فترات الضعف، وانحدرت بالأمة إلىٰ الموالد والطبل والزمر والأضرحة والتوسل، ونسج القصص الخيالية . . وأقيمت الأضرحة والمزارات للسفهاء أحياناً، والمجانين أحياناً أخرىٰ، وأضرحة لا جُثث فيها ولكن فيها الوهم .

توهم الناس أنه يرقد في هذا الضريح الولي فلان ولا أحد في المقبرة، ثم بدأت الأمة تثوب إلىٰ رشدها، وبدأ فيها المجدون يعملون عملهم، ونشطت من عقالها وبدأت تتلمس الطريق الصواب فبدأ نجم هذا الاتجاه يأفل، وبدأت الموالد تنقرض، وتوقفت سيول النذور التي كانت تذهب إلىٰ هذه الأضرحة، وما كان يُرتكب عندها من فواحش، فقويت الأمة واشتد عودها، وعادت لها هيبتها .

عاد الوهن يدب في أوصالها، والخواء يعشش في أرجائها، فظهرت أشكال شتىٰ من الهموم والأحزان والاكتئاب، وظهر الصَّرَعْ، وانتشرت العُقد والجنون والهذيان، وفشل الطب في علاج ذلك، فراجت سوق الدجل والشعوذة، وراح أدعياؤها وتجارها يسوقون الناس في طريق مجهول لا يعرفه أحد حتىٰ هم أنفسهم لا يعرفون عنه شيئاً فهذا عالم (الجن) لا يعرف أحد عنه شيئاً وبدأوا يقولون للناس الذين تظهر عليهم علامات المرض عندك مس من الجن . . وهذه عليها جن عاشق . . وهذا عليه جن نصراني . . وذاك عليه جن مسلم . . وأصبح الناس فريقين :

١ ـ فريق يقول بالمس، وألّف لذلك الكتب(١) .

٢ ـ والفريق الثاني وهو الفريق الأقوىٰ حجة والأسطع برهاناً يقول : إن موضوع المس هذا خرافة لا أصل له ولا يمكن أن يتم بين الإنسان بطبيعته الطينية، والجن بطبيعته النارية ! !

---

(١) ومما يؤسف له أن كثيراً من المحسوبين علىٰ الاتجاه الإسلامي قد اندسوا في غمار هذه الطائفة مستغلين ثقة البسطاء والعامة فيهم؛ وراحوا يشاركون الأدعياء والنصابين في جني المغانم، بل وكثيراً ما تفوقوا عليهم في ذلك، لما لهم بين الناس من واجهة دينية، وما تحظىٰ به أسماؤهم من بريق، ضاعفت منه بكل الأسف القنوات الفضائية بحسن نية حيناً، وبسوئها في كثير من الأحيان .

وأصبحت الأمة حائرة: ما الصواب؟ وما الخلاص؟ وما سبيل النجاة ؟

وقبل أن نوضح الأمر ونجلي حقيقته وما يحدث فيه للناس من أمراض نفسية وعصبية وعلاجها.. نذكر هذه الحقائق المهمة:

التشنج العصبي ـ هل هو مرض الجن؟!

هنا كلام خطير للشيخ علي محفوظ في كتابه (الإبداع) يؤيد اعتقادنا ويصب في اتجاه كلام الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ أن المس الجني خرافة لا حقيقة فيها، ووهم لا صدق لـه.

يقول الشيخ علي محفوظ رحمه الله : «وليت شعري . . ما السر الذي دعا الشياطين ألا تمس إلا نساء مصر دون نساء العالمين؟ فها هن الأوربيات»[1] .

ثم يقول الشيخ: «ودخول الجن في جسم الإنسان يسمى أمراض الجن، ويسمى هذا المرض عند الأطباء (التشنج العصبي) وأنجح دواء له عندهم:

١ ـ جودة الغذاء.

٢ ـ كثرة الرياضة في الجهات الخلوية الجافة النقية الهواء.

٣ ـ تعاطي ما يجلب الفرح والسرور والبعد عن المنغصات والمكدرات»[2].

ونحن تقول: إذا كان الشيخ قد قال بأن النساء المصريات كغيرهن من النساء في العالم . . فلماذا لا يمس الجن النساء الأوروبيات؟ . . ولنا أن نتساءل : لماذا لايوجد نصراني أو بوذي أو يهودي عليه مس من الجن؟ لماذا نحن المسلمين؟ هل لأننا أصحاب العقيدة الصحيحة!! فأصبحنا أضحوكة للجن يتلهى بنا كيف يشاء؟!

مما يقوله الناس من أوهام في قضية المس.. والرد عليهم:

١ - يقولون: سمعنا الجن تكلم على لسان فلان بنفس الصوت.

---

(١) الشيخ علي محفوظ، كتاب الإبداع، ص ٣٩٧ .

(٢) الشيخ علي محفوظ، كتاب الإبداع، ص ٣٩٩ ، [إذا تأملنا هذه الأدوية نجد أنها تعالج مرض الهم والحزن والاكتئاب، وعلى هذا لا يوجد مرض اسمه مرض الجن].

ونقول لهم : هل تعرف لغة الجن[١]! ! أليس المريض هو الذي تكلم؟؟ وهل إذا وجدنا فناناً يقلد خمسين صوتاً نقول : إن في فمه خمسين جنِيّاً لكل جني صوت معين؟! أو يسكن جسمه خمسون جنِيّاً؟! أليس هذا عجباً؟!

إن الصوت يخرج من الأحبال الصوتية، وهذه الأحبال أعضاء في الإنسان وتتأثر بصحة الإنسان سلامة وضعفاً، ألا ترئ معي أن الذي عنده زكام أو رشح يتغير صوته حسب شدة حالته المرضية؟ أم أن هناك جنياً عليه؟!

٢ ـ يقولون: ضربناه ضربا شديداً فلم يحس، وكأن الضرب للجني؟

نقول لهم : الهموم والأحزان والمخاوف تجعل الإنسان لا يحس بشيء، بل إن الإنسان إذا استغرق في شيء معين فلا يحس بما يحدث له، فهذا أحد التابعين يقرر الأطباء أن تقطع رِجْلُهُ لمرضٍ أصابها، فقالوا: نسقيك خمراً، فقال: لا، ولم يكونوا قد اكتشفوا (البنج المخدر)، فقال: بل أَدْخُلُ في الصلاة، ثم اقطعوا رجلي[٢] .

٣ ـ يقولون: قال حاجات غريبة جداً، وَذَكَّرْنَاهُ بها بعدما أفاق، فقال لاأذكر أنني قلت شيء!!

ونقول لهم: الإنسان في حالة الغيبوبة وفي حالة البنج كل ما يخرج منه يكون من منطقة اللاشعور، لذلك يقولون لك: لا تُكلم مَنْ في البنج حتئ يفيق، لأنه سوف يُخرج أشياء وأسرار لا يعرفها أحد، هل هذا هو الجن الذي يخرجها؟ أم أنه في وقت الحزن والهم والبنج يُخرج الإنسان طُوفاناً من الكلمات والأسرار؟

٤ ـ يقولون : سألنا الجني كيف دخلت إلى الجسم؟ يقول الجني: إنه داس عليَّ في الحمام، أو وقع عليَّ في الظلام، أو تبول في الجُحُر وكنت بداخله.

ونقول لهم : كيف يصدق عقل أن الجن مُلقئ على الأرض لكل إنسان يدوس عليه، أو أن الجن مُلقئ في دورات المياه فندهسه كل فترة بأقدامنا؟

---

(١) ما اسم لغة الجن؟ ومن الذي ترجمها لك لتعرف أنها لغتهم؟ وفي أي الكتب قواعد هذه اللغة؟

(٢) إنه عروة بن الزبير .

٥ ـ **يقولون** (١) : إن الله قال : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ...** ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

المس هنا : الصرع ، وهي تسمية عربية للصرع .

نقول لهم : هذه الآية تفظيع لشأن آكل الربا ، ولا أحد يعرف أو شاهد إنساناً يتخبطه الشيطان من المس ، ولكنه تشبيهٌ غيرُ مُشَاهَد يتخيل كل إنسان أفظع منظر لآكل الربا ، تماماً مثل قول الله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)** ﴾ (الصافات).

١ ـ ونسأل : لماذا وصف الله تبارك وتعالىٰ ثمر هذه الشجرة برؤوس الشياطين؟ وهل رأىٰ أحد منا رأس الشيطان فيستقبح الأمر ، ويستبشع الصورة بعد استحضارها في خياله؟

٢ ـ اختار الله تعالىٰ هذه الصورة بالذات ، التي لم تقع عليها عين بشر ، لما استقر في طباع الناس وخيالهم من استبشاع صورة الشيطان ، علىٰ تفاوت بينهم في درجة الاستقباح والاستبشاع .

٣ ـ حتىٰ تعرف خطورة الأمر لابد أن تكون علىٰ معرفة بالمشبه به ، ولكن من بلاغة القرآن أن يضع لك المشبه به صورة غيبية تستحضر أنت صورتها . . وهذا نموذج فريد في الترهيب .

٤ ـ لذا أقول : إن العوالم الغيبية عنا لم يجعل الله تعالىٰ لها سلطاناً قهرياً علينا ، إنما هي الوسوسة ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم** ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

قد يقول قائل : تأكد لنا الآن أن مس الجن للإنسان ودخوله جسده هذا محال

---

(١) يقول ابن كثير ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ : «لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه ، وتخبط الشيطان له» ، ويقول الأستاذ سيد قطب : «ما كان أي تهديد معنوي ليبلغ إلىٰ الحس ما تبلغه هذه الصورة الحية المتحركة ، صورة الممسوس المصروع (الظلال ، ص ٣٢٣) .

محال . . ولكن ما هذه الآثار والظواهر التي تظهر على بعض الناس من : صرع ـ ألم بدني ـ عقد نفسية ـ جنون ـ تشنج ـ بكاء ـ صراخ؟

نقول. ولله الحمد. : هذه العوارض هي مظاهر لأخطر مرض في العالم إنه مرض الهم والحزن والاكتئاب الموجود عند كثير من الناس، وستجد علاجه الناجع في القرآن الكريم إن شاء الله بعد قليل . .

والآن نذكر تلخيصاً وتوضيحاً لما ذكر من مصطلحات وآراء :

١ ـ الشيطان [١] :

مأخوذ من الفعل (شاط) إذا احترق أو (شطن) إذا بَعُدَ عن رحمة الله، وفي كلا التعريفين قرب من حقيقة الشيطان، إذ هو ملعون مطرود بعيد عن رحمة الله، وهو أيضاً سيُحرق في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ (ص : ٨٥).

ويطلق لفظ الشيطان على كل متمرد من الإنس أو الجن أو الحيوان، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ (الأنعام: ١١٢).

ونقصد هنا متمردي الجن (الشياطين).

٢ ـ إبليس :

اسم أعجمي (ممنوع من الصرف)، وقيل: عربي مشتق من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة الله، أو الإبعاد عن الخير، ومُنع من الصرف لأنه لا نظير له في الأسماء، أو لأنه يشبه الأعلام الأعجمية، وهو أبو الشياطين وأصلهم، وهو مُنْظَرٌ وذريته إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١)** ﴾ (سورة ص).

---

(١) هذه المصطلحات ذكرها الأستاذ علي متولي علي ـ مصدر سابق.

والشـياطين (ذرية إبليس) هم دعـاة الشـر في أرض الله، وهم رأس الفسـاد والتضليل وإثارة الشر في النفوس وحفزها.

٣ ـ الجـن:

أجساد نارية لطيفة قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة والقبيحة، وهم عقلاء ومكلفون، وهم يروننا ونحن لا نراهم، قال الله تعالى عن الشيطان الذي هو من الجن: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأعراف: ٢٧).

والدليل على أن الشيطان من الجن قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ (الكهف: ٥٠). وهم يتناكحون ويتناسلون. والدليل على ذلك الآية السابقة.

ومن دعاء دخول الخلاء: « **اللهم إني أعوذُ بك من الخُبُث (ذكور الشياطين) والخبائث** (إناثهم)»[١]. (بضم الخاء المعجمة، وضم الباء، ويجوز إسكانها «الخُبْث» جمع: خبث.

٤ ـ ما سلطان الشيطان على الإنسان ؟ [٢]

لا سلطان للشيطان ولا للجن أياً كان نوعه على الإنسان إلا الوسوسة، إلا أننا

---

(١) متفق عليه من رواية أنس، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٢١١، قال في سبل السلام: [الخبائث] جمع خبيثة، يريد بالأول ذكور الشياطين، وبالثاني إناثهم، قال ابن الأعرابي: إذا كانت الخبث بمعنى المفرد فمعناها المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم، وإن كان من الملل فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار (سبل السلام للصنعاني، الجزء الأول، ص ١٥٦ .

(٢) لا تعبدوا الشياطين، أ. علي متولي علي، مصدر سابق.

فيما يبدو نصر على أن نبوئ الشيطان من حياتنا منزلة لا يبلغ معشارها حتى ليكاد بعض الناس أن يعزو إليه تقرير المصائر :

* فإذا أصيب بصداع أو غثيان ظن أن ذلك من الشيطان ! !
* وإذا تقلصت بطنه أو مرض بأي مرض . . ظن أن ذلك من الشيطان ! !
* وإذا تأخرت فتاة في الزواج . . ظنت هي وأهلها أن ذلك من الشيطان ! !
* إذا رسب طالب لإهماله ، أو فسد لإدمانه التلفاز أو البانجو . . ظن هو وأهله أن ذلك من الشيطان ! !

. . ولا حل إلا بالعودة إلى المعين الصافي . . الإسلام والقرآن العظيم . .

٥ ـ هل لوسوسة الشيطان ونزغه وهمزه من علاج؟

نعم بالاستعاذة، وذكر الله على كل حال، وعليك أن تهزمه وتتقي شره بكثرة الذكر والطاعات، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس**»(١) . فيجب العيش في رحاب القرآن والسنة، وعليك بالجليس الصالح .

٦ ـ المس :

لا أساس له من الصحة، ولا دليل عليه إلا من زعم المشاهدة للحالات، وهي (يقينا) أمراض نفسية أو عصبية أو عضوية ظهر على الشخص آثارها وتفسر تفسيراً وهمياً على غير حقيقتها .

ولذا أقول: الذي يعترف أن الجن تكلم عليه ، أو الذي يقول إنه سمع كلام الجن على إنسان، هؤلاء كلامهم مردود عليهم؛ لأنه ليس له أصل شرعي، وليس حجة ولا يُعتد به، ولا يُلزم أحد بتصديقه .

٧ ـ الممارسات العلاجية المزعومة ..

قد تجاوزت الحدود إلى العبث بالأعراض والأجساد والخلوات المحرمة .

---

(١) أخرجه الحافظ الموصلي .

٨ـ القرآن الكريم :

لا يُتخذ كتمائم وتعاويذ، إنما هو كتاب هداية للبشرية كلها.

٩ ـ السحر في مجمله وعند العلماء والمحققين :

إيهام وتخييل وسحر لأعين الناس واسترهاب لهم، ولا يُغير طبائع الأشياء ولا ينطلي على أولي البصائر المؤمنة، وقد حذر منه الحديث الشريف: «**من سحر فقد كفر، ومن أتى عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(١).

١٠ ـ السحر :

من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى.

١١ ـ حد الساحر :

القتل حداً أو كفراً.

١٢ ـ ماذا يقول المفسرون في قول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاجَانٌّ ﴾ (الرحمن: ٥٦).

الإمام القرطبي : يقول الفراء : والطمث : الافتضاض وهو النكاح(٢).

ومنه قيل : امرأة طامث أي حائض. وقال أبو عمرو : الطمث : اللمس.

يقول القشيري في هذه الآية : هي دليل على أن الجن تُغشى كالإنس، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات، قال ضمرة : «للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين، فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن».

وقيل : «أي لم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جن، ولم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الإنس في الجنة من الحور العين من الإنسيات إنس، وذلك لأن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا».

---

(١) رواه مسلم، سلام ١٢٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، جـ٩ ، ص ١٨١ .

وقد قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه فذلك قوله تعالى: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ** ﴾ (الرحمن: ٥٦)، وذلك بأن الله تبارك وتعالى وصف الحور العين بأنه لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان.

ثم قال القرطبي: قلت جائز أن تطأ الجن بنات آدم، وقال ذكر ذلك الحكيم الترمذي والمهدوي والثعلبي. انتهى.

وأقول: كيف يطأ الجن بنات آدم؟!

هل للجن إحليل يضعه في فرج بنات آدم؟!

وما الحكم إذا وطئ الجن بنات آدم؟!

هل تغتسل؟ للحديث: «**إذا التقى الختانان وجب الغسل**»(١).

وهل يعتبر هذا الوطء زنا؟

وما الحكم إذا كانت بنات آدم متزوجة من إنسان، هل يجوز أن يجتمع معه جان؟

والصواب في ذلك أن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا، أما في الجنة فالحور العين من الإنسيات للإنس، ومن الجنيات للجن.

قال الإمام ابن كثير(٢): سُئل ضمرة بن حبيب: هل يدخل الجن الجنة؟ قال نعم.. وينكحون للجن جنيات وللإنس إنسيات، وذلك قوله تعالى: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ** ﴾ (الرحمن: ٥٦).

ويقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ في ظلال القرآن(٣): «فهن عفيفات الشعور والنظر، لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن، وقاصرات الطرف، و حور مقصورات يشتركن معاً في الصون والعفاف».

---

(١) رواه البخاري ـ غسل ٣٨، ومسلم حيض ٨٨، وأصحاب السنن، ومالك في الموطأ، وأحمد في المسند.

(٢) مختصر ابن كثير، جزء ٣، ص ٤٢٣.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ص ٣٤٥٨، الطبعة السابعة عشرة ـ دار الشروق.

علاج أخطر مرض في العالم :

كيف نتغلب على الأحزان؟

قال تعالىٰ : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف : ٨٤).

١ ـ تقابل الفقير المحروم فتجده متأففاً ضجراً ، يحمل أكداساً من الغم والشجن ، وتسمع إليه يفيض في وصف ما ابتلىٰ به من المحن والنوائب فتأسىٰ لِمُصابه ، وتنفطر لبلواه.

٢ ـ وتقابل ثرياً مترفاً يتقلب في أعطاف النعيم ، فتعتقد أنه ناعم البال ، هادئ النفس ، ولكنك إذا أنصت إليه وجدته ينوء بأعباء ثقال من الهم ، فله من وساوسه المتلاحقة غيوم داكنة تخيم علىٰ نفسه ، فتطرد عنها الصفاء والدعة.

٣ ـ وتقرأ في سير الأنبياء فتجد الأحزان الكثيرة حتىٰ علىٰ النبي ﷺ فَسُمِّي عام وفاة خديجة زوجته ، وعمه أبو طالب . . بعام الحزن.

وإذ ذاك تعلم أن الحزن يدب إلىٰ الأكواخ المتضائلة ، كما يتسلق إلىٰ القصور الشمّاء دون تمييز أو مبالاة(١).

والواقع أن الحزن والاكتئاب هو مرض قديم . . يصيب ملايين البشر(٢) . . ولكنه مع المدنية والتقدم وبُعد الناس عن الفطرة وعن دين الله الحق ، تزداد الشكوىٰ ويزداد الحزن والاكتئاب.

ولذلك يستهل أحد كبار علماء النفس تقديم كتابه عن «علم نفس المنحرفين» قائلاً : «إذا كان القرن السابع عشر يوصف بأنه عصر التقدم ، فإن القرن العشرين هو عصر القلق والاكتئاب والأحزان «جيمس كولمان» : وهذه حقيقة لأنه كان المأمول

---

(١) مقدمة مجلة الأزهر الشريف ، د. محمد رجب البيومي ، عدد شوال ١٤٢٣هـ .

(٢) الطب النفسي يعطي للمريض أدوية مهدئة (تحرق جزءاً من الدم الواصل للمخ) فيهدأ وينام وينسىٰ مشكلته ، وقد يصبح مدمنًا لهذه المهدئات ، أما المشكلة فهي كما هي لم تحل .

بعد أن تقدم الإنسان وقطع أشواطاً لا بأس بها في «فض مجهلة» الكون، وحتى بعض مجهلة الفضاء، إلا أن الواقع الذي لا يُنكر هو هذه الحقيقة: أن الإنسان تقدم علمياً وتكنولوجياً ولم يتقدم بنفس القدر إنسانياً أو دينياً، ولذلك يصف الكثير من المؤرخين هذه الحضارة بأنها حضارة عرجاء؛ لأن لها قدماً وساقاً طويلة (في الجانب المادي)، وفي نفس الوقت قصيرة جداً في الجانب الديني والأخلاقي، ولذلك وجدنا ازدياداً في إحصاءات الأشخاص الذين سقطوا تحت عجلات التقدم، حيث ازدادت نسب (المنتحرين ـ المدمنين ـ المصابين بالأمراض النفسية والعقلية ـ المنحرفين سلوكياً ـ المتصدعين أسرياً ـ وأمراض السكر والضغط والقلب ازدادت»[(١)] .

وعلاج هذا المرض على أكمل وجه، لا تجده عند الطب النفسي، ولكنه في كتاب الله إن شاء الله. . فكتاب الله ليس كتاب عبادات وفقط، ولكن فيه حل لكل المشكلات والأدواء، قال تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ...﴾ (الحديد: ٢٣). ولذا فاسم المرض: الأحزان والهموم.

خطورة مرض الأحزان والهموم:

إنه أخطر وأشد الأمراض فتكاً بالإنسان، فقد يصل الإنسان بسببه إلى الجنون أو التشنج أو الصرع أو الموت مباشرة، فالألم في العين أو الأذن أو الساق أو غيرها من الأعضاء يكون محدوداً، لكن مرض الأحزان والهموم يصيب الإنسان كله.

وحينما سُئل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن أقوى مخلوقات الله قال. . . أشد جنود الله عشرة:

١ ـ الجبال الرواسي .

٢ ـ والحديد يقطع الجبال .

٣ ـ والنار تذيب الحديد .

٤ ـ والماء يطفئ النار .

---

(١) الأمراض النفسية والعلاج الإسلامي، أ. د. محمد حسن غانم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٥٧ .

٥ ـ والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء .

٦ ـ والريح يقطع السحاب .

٧ ـ وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب أو الشيء ثم يمضي لحاجته .

٨ ـ والسُّكْر يغلب ابن آدم .

٩ ـ والنوم يغلب السكر .

١٠ ـ والهم يغلب النوم . . فالهم أشد جنود الله (١) .

فإذا نظرنا إلىٰ هذا الترتيب المنطقي فإننا نجد الهموم أشد الأحاسيس تدميراً للإنسان . . والهموم هي تيارات من المخاوف والمشاعر تستبد بالنفس الإنسانية فتبدد طاقاتها وتبدد ملكاتها وتجعل المصيبة فيما فات ، وتؤكد الإحساس بالكارثة فيما هو آت ، وقد ذكرت بعض الإحصائيات أنه يوجد في مصر ٦ ملايين مريض نفسي .

وما هو : الهم المُعَقد ؟ (٢)

هو أن يستولي عليك أمر لا تعرف مصدره أو تعرفه ولا قوة لك علىٰ دفعه .

أسباب مرض الحزن والهم :

١ ـ الخوف علىٰ الرزق ، أو ضياع المال ، أو فوات المصلحة .

٢ ـ الخوف علىٰ الأجل (العمر) .

٣ ـ المرض . . أو بعض المخاطر الأخرىٰ . . .

قال تعالىٰ : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** ﴾ (البلد : ٤) .

فالإنسان طالما يعيش في هذه الحياة ، فهو مُعَرَّض للابتلاء والامتحان في نفسه وماله ومنصبه وزوجته وأولاده وكل ما يحب ، وعليه أن يأخذ بأسباب الصحة والعافية إن شاء الله .

---

(١) من فيض الرحمن في تربية الإنسان ، للشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ص ١١٦ .

(٢) عظمة الإسلام ، الشيخ الشعراوي ، ص ١٤ ، طبعة دار المسلم .

نتيجة الحزن:

الحزن له عواقب وخيمة، قد تؤدي إلى الأمراض العصبية والعقلية، ونعني هنا الاستسلام للحزن، ومن الأمراض التي يسببها الحزن:

١ ـ **العمى**. يقول الله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ(١) عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف: ٨٤).

٢ ـ **المرض والإشراف على الهلاك**، فهو من أسباب مرض السكر وغيره من الأمراض، يقول الله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا(٢) أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (يوسف: ٨٥).

٣ ـ **أمراض القلب**. يقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا (٣) إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص: ١٠).

٤ ـ **هذا المثال من أرض الواقع:**

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ(٤): كان ملك في الزمان الأول، وكان مثقلاً كثير اللحم، لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطببين وقال: احتالوا لي حيلة تخفف عني لحمي هذا قليلاً، فما قدروا له على وصفة، قال: فنعت له رجلٌ عاقلٌ أديبٌ متطبب، فبعث إليه فأشخص، فقال: تعالجني ولك الغنى، قال: أصلح الله الملك، أنا رجل متطبب منجم، دعني أنظر الليلة في طالعك، أي دواء يوافق طالعك فأشفيك، فغدا عليه، فقال: أيها الملك الأمان، قال: لك الأمان، قال: رأيتُ طالعك يدل على أن عمرك شهر، فإن أحببت حتى أعالجك، وإن أردت بيان ذلك فاحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فخل عني، وإلا فاقتص مني، قال: فحبسه الملك، ثم احتجب

---

(١) ابيضت عيناه: أصابها غشاوة فابيضت، كلمات القرآن، حسنين مخلوف.

(٢) حرضًا: تصير مريضًا مشرفًا على الهلاك، كلمات القرآن، وفي المعجم الوسيط، حرضًا: شديد المرض.

(٣) فارغًا: خاليًا من كل ما سوى موسى.

(٤) المقاصد الحسنة، للسخاوي، حديث رقم ٢٤٥.

عن الناس، وجلس وحده مغتماً ما يرفع رأسه يعد أيامه، كلما انسلخ يوم ازداد غماً، حتى هزل، وخفَّ لحمه، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً.

فبعث الملك إلى المتطبب فأخرجه، فقال: ما ترى؟ فقال: أعز الله الملك، أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب، والله ما أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك؟! إنه لم يكن عندي دواء يخفف لحمك إلا الغم، فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلا بهذه الحيلة، فأذابت شحم الكلى.. فأجازه الملك وأحسن إليه.

وفي المقابل .. هناك حالات عملية، قابلت مصاعب وشدائد كبيرة، لكنها لم تستسلم للحزن، بل حوَّلت هذه المحنة إلى منحة.. وهذه الحالات كثيرة.. نذكر منها:

١ - **عبد الرحمن بن عوف**: عندما خرج مهاجراً في سبيل الله، خرج بنفسه دون مال ولا متاع، وترك بمكة كل أمواله للمشركين.. وهذا أدعى للحزن.. فقد ذهبت كل أمواله وضاعت، لكنه حينما ذهب إلى المدينة لم يطلب من النبي ﷺ فرصة عمل، ولم يطلب منه مالاً ولا منزلاً، بل إن الرسول ﷺ آخى بينه وبين سعد بن الربيع (من أثرياء المدينة)، فخيَّرهُ سعد في ماله وداره، يقسمهما معه، فقال عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه -، والذي حوَّل الحزن والألم إلى همة عالية، وحوَّل المحنة إلى منحة: دلني على السوق.. وذهب إلى السوق فباع واشترى.. ويوماً بعد يوم أصبح عبدالرحمن من أغنياء المسلمين(١).

٢ - **أبو بكر الصديق** - رضي الله عنه - حينما مات النبي ﷺ وارتد الناس ومنعوا الزكاة.. حزن لذلك حزناً شديداً، لأن الذين ارتدوا كانوا أكثر من الذين ثبتوا بكثير، لكن أبا بكر الصديق - المتعلق بربه، المتبع لسنة نبيه ﷺ - لم يستسلم للحزن، ولم يجلس في بيته يدعوه دون الأخذ بالأسباب.. بل حوَّل هذه المحنة إلى منحة، ووقف خطيباً في الناس وقال: «والله لو منعوني عقالاً(٢) كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»، ويُمضي جيش أسامة، ويُسير الجيوش لحرب المرتدين حتى عاد للدين مجده و عزه.

---

(١) ارجع إلى كتب السيرة النبوية، ستجد القصة بالتفصيل.

(٢) العقال: هو ما يُربط به الجمل.

علاج الحزن :

لا تستسلم للحزن . . بل انظر إلىٰ الناحية الإيجابية في المشكلة التي تواجهك وانطلق منها ، وَخُذ بالأسباب وتحرك ، واترك الباقي علىٰ الله ، فإننا أُمرنا بالأخذ بالأسباب والعمل ، ولم نُؤمر بالنتائج ، فهي علىٰ الله . .

فهذا يعقوب أبو يوسف عليهما السلام بعد أن ابيضت عيناه من الحزن وأشرف علىٰ الهلاك ، كما حكىٰ القرآن : ﴿ **حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ** ﴾ (يوسف : ٨٥) .

لم يستسلم للحزن ، فوجَّه أمره إلىٰ الله تعالىٰ : ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف : ٨٦) . ففرَّج الله عنه ، وأعاد له يوسف وإخوته ولم الله شملهم جميعاً .

وكذلك في قصة أم موسىٰ ، يطمئنها الله بعد الاختبار ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ (القصص : ٧) .

ونقول للذين أصابهم الهم والحزن، والذين لم يُصابوا بهذا المرض.. هذه جولة بسيطة في الوقاية والعلاج :

١ ـ توقع الخير والشر معاً :

فلابد وأن تكون مستعداً لتلقي الخير والشر ، ولا تخرج عن حد الاعتدال في استقبالهما ، قال تعالىٰ : ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا** (١) **عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (الحديد : ٢٣) .

هذه الآية وقاية من مرض الهم والحزن والاكتئاب ، إذا فهمنا معناها وطبقناها ، فالوقاية خير من العلاج .

---

(١) الأسىٰ : شغل النفس بشيء لا يَجدي .

هذه الآية كفيلة ـ بفضل الله ـ لو طبقت أن يجلو الهم والحزن والاكتئاب عن الأرض، ويحل محلها السعادة والسرور ، فالله تعالىٰ يطلب منا في هذه الآية عدم الأسىٰ ، فمثلاً: إذا مات أحد أحبابك وحزنت عليه حزناً شديداً هل سيعود؟! يقول لك الحق : لا تعش في الحدث غير زمنه إذا انتهىٰ زمنه يجب أن ينتهي شغلك به . . وفي حالة حدوثه يجب عليك الصبر .

ومثلاً إذا ضاع مالك أو زراعتك أو . . ـ عافانا الله جميعاً ـ فلو حزنت عليه حزن الأولين الآخرين ، هل سيعود ما ذهب؟ كلا . . إذن فما العمل؟

اللجوء إلىٰ الله ، وعدم الأسىٰ علىٰ ما فات ، بل لابد من الصبر . .

إن الذي أعطاك هو الله ، والذي أخذ منك هو الله ، وهو يعطيك ويمنع ليختبرك : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٥) .

وفي المقابل . . إذا جاءك خيرٌ كثير ـ أياً كان نوعه ـ فلا تفرح فرحاً شديداً ، لأن الذي أتاك من الخير حتماً سيصير إلىٰ أحد أمرين :

أ ـ إما أن تذهب عنه وتتركه بموت أو غيره .

ب ـ أو يذهب هو عنك . . فإن كان مالاً ربما ضاع أو سُلب منك ، وإن كان ولد يمكن أن يموت .

إذن لابد أن يتحقق أحد الأمرين . . فلا تظل صريع الحزن والهم والغم ، فأنت إما أن تذهب عن المال أو أن يذهب المال عنك .

وانظر إلى هذه النماذج :

١ ـ سيدنا أيوب بعدما ما حدث له من ابتلاء هل تضجر وتبرم؟ لا ، بل قال : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) ﴾ (الأنبياء) .

انظر إلىٰ قوله : ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ ولم يقل : لماذا يا رب ، إني لم أُقَصِّر يوماً في عبادة ! !

٢ ـ رويت عن الإسكندر قصة ـ إن فاتها صدق الواقع فلن يفوتها مغزىٰ الأسطورة وإيحاؤها السحري ـ فقد ذكروا أن الفاتح المقدوني أوصىٰ والدته أن تدعو الناس بعد وفاته ليوم يجتمعون فيه علىٰ الطعام والشراب والسرور ليكون مأتم الأسكندر بهيجاً مرحاً علىٰ غير عادة الناس، علىٰ ألا يوافيها أحد للعزاء أصابته مصيبة فيعكر الصفو ويطفئ الأنس، فلما مات الإسكندر، نفذت الأم الوصية، وانتظرت أن يأتي أحد للعزاء، فلم تجد، فسألت مندهشة: ما بال الناس قد تخلوا عنا مع ما قدمنا لهم؟ فقيل لها: إنك أمرت ألا يوافيك أحد أصابته مصيبة. . وكل الناس مصابون؟. . فعرفت أن الإسكندر أحسن تعزيتها بما أوصىٰ به لينحسر عن عينها الغطاء؟(١).

٢ ـ أن تعرف ما أعده الله للصابرين:

وآيات القرآن الكريم كثيرة في فضل الصبر والصابرين، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)** ﴾ (البقرة).

وقال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (الزُّمَر: ١٠).

وفي الأثر أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾ (النساء: ١٢٣).

قال: كل سوء عملنا سنُجزىٰ به فكيف الخلاص يا رسول الله؟

فقال النبي ﷺ: « **غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تحزن؟ ألست تنصب؟ فهذا ماتجزون به وإنّ ذاك بذاك**»(٢).

---

(١) مجلة الأزهر، الافتتاحية، د. محمد البيومي، شوال ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أربعة طرق لهذا الحديث، انظر: مختصر ابن كثير، ص ٤٤٠، ٤٤١، الآية ١٢٣ من سورة النساء.

٣ ـ أن تحكي عما في صدرك :

إحكهِ لأمين مُخلص ناصح ، ينصح ويوجه ، وقد تستريح بعد أن تقُص عليه ما بك من أحزان ، وقد يأتي لك بالرأي الصحيح الذي تُنفذه فتستريح أيضاً .

٤ ـ الدعاء :

قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر : ٦٠) .

ويقول الله تعالىٰ : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأنبياء) .

ويقول أيضاً : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنبياء) .

ولقد بيَّن ربنا سبحانه وتعالىٰ في سورة غافر ، الآية ٦٠ أن الدعاء هو العبادة ، ولذلك علَّمنا النبي ﷺ هذه الأدعية في أذكار الصباح والمساء :

«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجُبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال»(١) .

«اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي»(٢) .

---

(١) رواه البخاري، جهاد ٧٤، دعوات ٣٥ ، ٤٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ١/ ٣٩١ ـ ٤٥٢ .

وكذلك علمنا الرسول ﷺ الدعاء عند كل حال (١)، وأرى أن هذه الدعوات لازمة لأنها سنة عن رسول الله ﷺ، وللبركة في الطعام، وللوقاية من التلوث والمبيدات الموجودة في الأطعمة، والهرمونات المسرطنة، ومكسبات الطعم واللون، وغيرها من الميكروبات.. وكذلك التلوث الموجود في المياه، وإن شاء الله تكون البركة في بسم الله الرحمن الرحيم(٢).

- فعند الطعام: **«اللهم بارك لنا في ما رزقتنا وقنا عذاب النار»**(٣).

- وعند الشراب: **«الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا»**(٤).

- وعند النوم: **«باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه»**(٥).

- وعند الجماع: **«بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّب الشيطان مارزقتنا»**. يقول النبي ﷺ: **«فإن قُدِّرَ بينها ولد لم يضره شيطان»**(٦).

وهناك دعوات عند ركوب السيارة، وعند بناء المنزل، وعند لبس الثوب، وعند دخول دورة المياه، وعند الزواج....

٥ - الصلاة:

فهي صلة العبد بالخالق.. صلة الضعيف بالقوي.. صلة الفقير إلى كل شيء

---

(١) للمزيد: انظر أي كتاب للأدعية، وأنصح بكتاب فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله.

(٢) سيأتي في الباب الثالث، الفصل الأول، أخلاق للفرد.. منها الدعاء.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، ومالك في الموطأ، وأحمد في المسند، صحيح الترمذي ٣/ ١٥٨.

(٤) رواه ابن أبي حاتم، انظر مختصر تفسير ابن كثير، الآية ٧٠ من سورة الواقعة، طبعة دار الصابوني، ص ٤٣٧.

(٥) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ١٧٣٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري، بدء الخلق ١١، وضوء ٨، نكاح ٦٦، دعوات ٥٥، توحيد ١٣، ومسلم، طلاق ٦.

بمن بيده ملكوت كل شيء . . تقف بين يديه تشكو له حالك، وتطلب منه العون والمساعدة، يقول الله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (البقرة: ٤٥). وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه (أحزنه) أمر قام إلى الصلاة، وكان ينادي على بلال: «أرحنا بها يا بلال»(١).

وكان ﷺ يقول: «..وجُعلت قرة عيني في الصلاة»(٢).

ونوصي بقراءة فصل «السعادة بين الوهم والحقيقة» من هذه الموسوعة. . فقد كشف د. ناصر لوزة ـ أمين عام الصحة النفسية في وزارة الصحة المصرية عن أن هناك نحو ٦ ملايين مريض نفسي في مصر، يمثل مرض انفصام الشخصية ما يقرب من ثلاثة ملايين مريض منهم(٣).

بعض الأمور المتعلقة بقضية المس والسحر:

أولاً: موضوع العلاج بالقرآن:

قد يحدث للإنسان مكروه لأي سبب، فينطلق إلى رجل يُقال إنه يعالج بالقرآن، فيقرأ سورة البقرة مثلاً ٧٠ مرة أو يسمعها أو سورة كذا، ويظل المريض في تلك الدائرة بلا جدوى، ويتحول كتاب الله تعالى إلى أحجبة وتمائم.

فما حقيقة هذا الأمر؟

إن القرآن الكريم شفاء للمؤمنين، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢).

وقال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧).

---

(١) رواه النسائي، مواقيت ٤٦، وأحمد في المسند.

(٢) رواه النسائي، نساء ١، وأحمد ٣/ ١٢٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٨٥.

(٣) هذا الخبر أوردته مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، العدد ٤٩٠ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ، يوليو ٢٠٠٦م، والعدد ٤٣ ص ٨٥ من حصاد الأخبار (نافذة على العالم).

وقال أيضاً: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (فُصِّلَتْ : ٤٤).

وهل القرآن هو الشفاء الوحيد؟

نلاحظ من الآيات السابقة أن القرآن شفاء للمؤمنين، ولم يقل رب العالمين «للناس» كما قال: عن العسل، ثم إن قوله تعالى: ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ فيه دلالة على المعاناة النفسية، حيث القلوب، فالقرآن يُسَمِي آلة الفكر والشعور بـ«القلب»، ويؤكد على أنه القلب الذي في الصدر.

ويجب أن ننتبه إلى أن القرآن شفاء من الشفاءات، وليس علاجاً يغني عن غيره، إنما هو علاج يساهم في شفاء المؤمن، وقد يكفي في بعض الحالات.

وقد نصح النبي ﷺ بالعلاج بالقرآن مع العلاج الدوائي المتمثل بالعسل عندما قال: « **عليكم بالشفاءين العسل والقرآن**»(١). وكذلك عندما نصح الرسول ﷺ بالحبة السوداء، و بالحجامة والتلبينة. . وغيرها من العلاجات البدنية.

ويروي **ابن القيم - رحمه الله -** في كتابه الرائع (زاد المعاد) أحاديث صحيحة كثيرة تدعو المؤمن إلى التداوي البدني: (أي الدوائي والجراحي والفيزيائي وغير ذلك. .)، فقد قال: النبي ﷺ: «**لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل**»(٢).

ويعني أن القضية سببية أساساً، أي إذا شَخَصَّ الطبيب الداء، ووصف له الدواء المناسب، فبإذن الله يُشفي المريض، ونجد معنى مشابهاً في قوله ﷺ: «**إن الله لم يُنزل داء إلا أنزل له شفاء عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجة، طب ٧، برقم ٣٤٥٢، وفي الزوائد إسناده صحيح، رجاله ثقات، ورواه البيهقي في شُعب الإيمان.

(٢) رواه البخاري، طب ١، ومسلم، سلام ٦٩، وفضائل الصحابة ٩٢.

(٣) أخرجه البخاري، طب ١، وابن ماجة، طب ١.

ويروي الصحابي أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال : كنتُ عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله ، أنتداوىٰ؟ فقال : **«نعم يا عباد الله، تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد»** .

قالوا : ما هو؟ قال : **«الهرم»**(١) .

الهرم.. داء لا شفاء له :

والهرم هو التبدلات المتكسة التي تصيب جسم الإنسان كلما تقدم في شيخوخته ، والتي لا ينجو منها أحد ، وإن كانت قد تتأخر علاماتها عند البعض .

لكنها كما يرىٰ العلماء مما برمج الجسم عليه ، فكما أن الجسم مبرمج علىٰ النمو من الطفولة إلىٰ البلوغ ، فكذلك إن طال به العمر فهو مبرمج علىٰ تبدلات الشيخوخة .

والنبي ﷺ هنا أراد صرفنا عن إضاعة الجهد في غير طائل في البحث عن علاج لتبدلات الشيخوخة هذه ، وعلىٰ المؤمن الذي يعيش وفق هدي النبي ﷺ ، إذا أصابه أن يأخذ بكل الأسباب ، ويذهب لأمهر الأطباء ، ويأخذ أنجع الأدوية المادية . . كل ذلك مع القرآن والدعاء والصدقة ، دون أن يقتصر علىٰ أيهما ، إنما هي شفاءات يساعد بعضها بعضاً ، ولا يغني بعضها عن بعض إلا في بعض الحالات البسيطة .

وحتىٰ في الأمراض النفسية ، فإن الحال مشابه للأمراض الجسدية ، إذ إن أكثر الأمراض النفسية ينتج عن اضطراب في وظائف الدماغ ، وهو آلة الفكر والشعور لدىٰ الإنسان ، كما تنتج أمراض الكلىٰ عن اضطراب فيها ، وأمراض الكبد عن اضطراب فيه . . وغير ذلك ، ورغم استغراب الكثيرين عندما نقول لهم : إن الدواء يشفي الاكتئاب النفسي ويعيد للإنسان قدرته علىٰ الاستمتاع والسرور والتفاؤل ، ويرفع معنوياته ، فإن النبي ﷺ سبق الجميع عندما قال : **« إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن»**(٢) .

---

(١) رواه أحمد ، وابن ماجه ، وأبو داود ، طب ١ ، والترمذي ، طب ٣ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري ، طب ٨ .

والتلبينة كما قال **ابن القيم** في (زاد المعاد) هي: حساء يصنع من الشعير . . وتذهب ببعض الحزن، وبخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة.

ما يجب الانتباه إليه :

والذي يجب الانتباه إليه أنه ليست كل معاناة نفسية لدىٰ الإنسان ناتجة عن أسباب نفسية بحتة، فالاكتئاب مثلاً كثيراً ما يكون مرضاً كباقي الأمراض التي تصيب الإنسان، ومع أن القرآن شفاء لما في الصدور فإنه ليس من المتوقع أن يكون علاجاً كافياً في كثير من أمراض الاكتئاب، لكنه بالتأكيد سيساعد في شفاء المريض أو تحسن حالته، لكنه لن يغني عن العلاج الدوائي أو الكهربائي أو العلاج النفسي.

وبذلك يكون القرآن شفاء للأمراض النفسية بما فيه من معان وعقائد أكثر بكثير من مجرد قراءته علىٰ المريض، إنه بالدرجة الأولىٰ شفاء بما فيه من علاج نفسي يُغيِّر من نظرة المريض إلىٰ الحياة ومشكلاتها، لكنه لن يكفي إذا كان هناك خلل أو اضطراب في غدة معينة وتحتاج لعلاج طبي، وكثير من حالات القلق المزمن والاكتئاب والوسواس، وحالات الفصام والهوس وغيرها من الأمراض النفسية تنتج عن خلل في كيميائية وكهربائية الدماغ ولن ينفع فيها علاج لا يتضمن إصلاحاً لهذا الخلل.

كما لا يغني العلاج الطبي عن الاعتقاد أن الله هو الشافي، وعن العلاج بالقرآن، وبالصدقة، والعسل وغيرها من الشفاءات التي أرشدنا إليها الإسلام.

وكما أن إصابة الإنسان بمثل هذه الأمراض لا يعني ضعفاً في إيمانه تماماً، فمثلاً إصابته بداء السكري لا تعني ضعفاً في إيمانه، وكذلك علاجها يتطلب الدواء المناسب مثلما يتطلب علاج الداء السكري أو ارتفاع الضغط الشرياني أو غيرهما من الأدوية المناسبة، ولا يقلل من قدر القرآن الكريم الا يكون علاجاً كافياً للداء السكري أو للقصور الكلوي أو لكسر في الساق أو ورم في الدماغ[١].

---

(١) منار الإسلام: العلاج بالقرآن د. محمد كمال الشريف (مصدر سابق).

والسؤال : لماذا يصر البعض على الاقتصار على القرآن والعلاج الديني لعلاج الأمراض النفسية بينما يتجهون إلى المستشفى لعلاج جرح أو كسر؟

ذلك للاعتقاد الشائع بأن المرض النفسي ناتج عن فعل الجن، و هذه مخالفة للشرع . . فإن ترك التداوي الطبي والاقتصار على القرآن فقط مخالفة لأمر النبي ﷺ، ولقد حدثت وفيات كثيرة أثناء إخراج جني ظن المعالج أنه مقيم في جسد مريضه ووفيات تحت العلاج من التلبس المزعوم.

ثانياً : موضوع الأعمال :

إذا ساءت علاقة الزوج بزوجته، أو الزوجة مع الحماة، أو كان الشخص كثير الانفعال، أو إذا تأخر زواج الفتاة، أو خسر الإنسان في تجارته، أو حدث له مكروه . . أو أي عارض من هذه العوارض . . ظن صاحب المشكلة على الفور هو ومن حوله بأنه «أكيد حد عامل له عمل» . . يعني عن طريق الجن، وهذه خرافات تنم عن جهل البعض، وهروبهم من الواقع الأليم الذي يعيشون فيه . .

ذكر لي **مُدرس** أنه كان بعد انتهائه من العمل بالمدرسة، يذهب آخر اليوم للعمل مع فرقة الزار، أي الذين يدَّعون أنهم يقومون بإخراج الجن من الإنس، فسألته : كيف تقومون بعمل هذه الأعمال؟

قال : نحن لنا عيون(١) في كل الأماكن . . تعمل معنا ولا يعرفهم أحد . . يندسون في وسط المجتمع وينقلون لنا كل شيء عندما يعلمون بمرض أحد الناس ويتردد على الأطباء دون شفاء، وهذا شيء طبيعي، فالحالة حالة هم وحزن (نفسية) ولن يفيد فيها العلاج.

وبعد فترة طويلة في العلاج والذهاب للأطباء . . يتدخل الدليل الذي يعمل معنا، ويقوم بزيارة المريض . . ويفتح معه الحديث شيئاً فشيئاً، فيخبره المريض بكل شيء : عن ذهابه للأطباء فترة طويلة بدون فائدة، ويعرف جميع تفاصيل الطعام والشراب وعدم النوم.

---

(١) عيون يعني : أفراد يعملون لحسابهم، مثل المندوبين.

فيقول له عميلنا معنا : ما رأيكم لو ذهبتم به إلى فلان يمكن يكون هناك عمل أو شيء من هذه الأشياء، وهذا الرجل لا يأخذ أجراً وإن تطوعتم له بشيء فلامانع، فهذا هو عنوانه، وإذا أردتم أن أذهب معكم فلامانع عندي.

ويذهب الدليل إلى الشيخ ويعطيه كل البيانات عن المريض، فإذا دخل المريض على الشيخ ظل يحدثه باسمه وباسم أمه وما حدث له وعن ذهابه للأطباء، وعن نظام أكله وشربه ونومه.. فيعتقد المريض أن هذا الشيخ يعرف كل شيء فيُسْلِم له قياده.. فيحدد له موعداً ويأتي في الموعد المحدد، ويدخل غرفة مظلمة وفي الحجرة المجاورة أصوات عالية وطبول عالية وأصوات مزعجة لمدة ساعة مثلاً ثم يفتحوا عليه الحجرة بعد فترة وقد أصابه الرعب واستبد به الخوف، ثم ينادي عليه الشيخ ويقول له: لا تنزعج فهذه الأصوات التي سمعتها أصوات الجن الذين ذهبوا لإحضار العمل.

وبعد أن يهدأ المريض يقول له الشيخ: ادخل الحجرة التي كنت بها، وستجد في الركن الذي على يمين الباب العمل الذي عُمِلَ لك، فيذهب المريض ويحفر فيستخرج لفافة بها قطعة قماش وركن صورة وكمية من الشعر وبعض الأشياء التي يعتقد أنها أخذت من منزله ليتم عمل العمل عليها.

وبهذا يكون المريض قد استخرج العمل بنفسه، فيهدأ ويستريح إلى العام القادم نفس الموعد فيعيد الكرة ويدفع أموالاً طائلة.

هذا ما يحدث باختصار شديد في هذه الخرافات التي يضحكون بها علي أصحاب العقول الفارغة، والقلوب الخالية من الإيمان واليقين والحق.

١٠ ـ المراقبة

المراقبة هي [١] : ثمرة علم العبد ويقينه بأن الله سبحانه وتعالىٰ رقيبٌ عليه، ناظرٌ إليه، سامعٌ لقوله، مُطلعٌ علىٰ عمله في كل وقت، وكل لحظة، وكل نَفَس، وكل طرفة عين، وأنه لابد راجعٌ إليه للحساب علىٰ ما قدَّم.

ولذلك قيل: «مَنْ راقب الله في خواطره، عصمه الله في حركات جوارحه».

وقال ذو النون : «علامة المراقبة، إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظَّم الله، وتصغير ما صغَّرَ الله».

فإذا علم العبد أن الله يراه، فخاف العبد أن يراه الله علىٰ معصية، فابتعد عن الذنوب والمعاصي، وسعىٰ في كل خير.. فهو مراقب لله، خائف منه.

وقيل: «إن مراقبة الله تكون بين تعظيم الله، والسرور به».

فالتعظيم هو: امتلاء القلب بعظمة الله، فلا ينشغل بتعظيم غيره، ويستصحبه هذا التعظيم دائماً.

والسرور هو: فرحة القلب بالله، وبأنه يراك، والأنس بمعيته، وهو حال من أحوال أهل الجنة، وقد قال أحد الصالحين: «إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب». وهذه الأوقات، هي أوقات الأنس والرضا الناتجة عن تعظيم الله وخشيته، ومراقبته[٢] .

---

(١) راقبه : حرسه ولاحظه، راقب الله في عمله : خافه وخشيه ، المعجم الوسيط ، جزء١ ، ص ٣٧٦، مادة: رقب .

(٢) من كتاب (طرق التدريس الحديثة بين النظرية والتطبيق)، د. العويسان، الجزء الثاني، ص١٢١ بتصرف.

والمراقبة .. قضية هامة في حياة المسلم؛ لأن عدمها أو ضعفها يضعف عقيدته، بل إن شئت قل: إنها من أهم قضايا الأمة بل البشرية جميعاً، فمراقبة الله تردع كل ظالم عن ظلمه، وكل صاحب معصية عن فعلها، فما من عبد يفعل الذنب إلا وهو غير مراقب لله، قال تعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٤).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ (آل عمران: ٧).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة: ٧).

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد: ٤).

وإن مرتبة المراقبة: هي مرتبة الإحسان، كما قال رسول الله ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[1].

قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨).

ويقول الشاعر عنها:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقل … خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن اللـه يغفـلُ ساعةً … ولا أن ما تُخفيه عنه يغيب

ودائماً اختلِ بنفسك وقل:

« الله معي .. الله مُطلع عليَّ .. الله ناظري ».

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٣٧، عتق ٨، ومسلم، إيمان ١، ٥، ٦ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حقائق بين يدي المراقبة:

١ ـ ينشر للعبد في كل حركه ثلاثة دواوين[١] :

ـ الديوان الأول : لم فعلت هذا؟

ـ الديوان الثاني : كيف فعلت بعلم أم بظن ؟

ـ الديوان الثالث : لمن فعلت؟! لله أم رياءً للناس[٢] !!

٢ ـ أحوال العبد [٣] :

والعبد لا يخلو ، إما أن يكون في طاعة ، أو في معصية ، أو في مباح :

ـ فمراقبته في الطاعة : بالإخلاص ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات .

ـ وإن كان في معصية : فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء .

ـ وإن كان في مباح : فمراقبته بمراعاة الأدب والشكر للنعمة .

٣ ـ كل الأعمال تحتاج إلى المراقبة . . فما من عمل إلا ويحتاج إلى استحضار عظمة الله ، وفعل ما أمر الله به ، فالأعمال لا تُقبل عند الله إلا بشرطين : أن يكون خالصاً لله ، وموافقاً لسنة النبي المعصوم ﷺ، فمثلاً :

ـ **الجلوس في الطرقات** يحتاج إلى مراقبة ، قال ﷺ: **«إياكم والجلوس في الطرقات»**، فقال الصحابة : **«هذه مجالسنا ما لنا بد»**، قال ﷺ: **«أعطوا الطريق حقها: غض البصر، ورد السلام..»**[٤].

ـ **والنوم** يحتاج إلى مراقبة ، وتنفيذ ما أمر الله به ، فتنام على شقك الأيمن متوضئاً قدر استطاعتك .

---

(١) ديوان : الدفتر يُكتب فيه ، انظر المعجم الوسيط ، أي أن لكل حركة ثلاث دفاتر .

(٢) إحياء علوم الدين ، الغزالي ، ربع المنجيات ، ص ٤٠٠ ، مكتبة زهران .

(٣) المستخلص في تزكية الأنفس ، سعيد حوى ، ص ١٢٥ ، طبعة دار السلام ، ط٣ ، ١٩٨٥م .

(٤) أخرجه البخاري ، مظالم ٢٢ ، ومسلم وأبو داود والترمذي والدارمي ، وأحمد في المسند .

- **والطعام** يحتاج إلىٰ مراقبة، فلا تأكل إلا الحلال، قال رسول الله ﷺ: **«طلب الحلال واجب علىٰ كل مسلم»**(١). وقوله ﷺ: **«يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»**(٢). ولا تأكل رشوة ولا ربا ولا مال يتيم، يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ (النساء: ١٠).

- **الجلوس** فيه مراقبة.. قال ﷺ: **«فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»**(٣).

- **العين** تحتاج إلىٰ مراقبة، قال تعالىٰ: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ (النور: ٣٠). وقول رسول الله ﷺ: **«ياعليّ لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»**(٤).

نتيجة عدم المراقبة:

أ - **في الدنيا:** ذلٌ وخوف واضطراب في الدنيا، لأن الذي يراقب الناس ولا يراقب الله تعالىٰ إذا هَمَّ بفعل معصية، كالسرقة، أو الرشوة، أو نظرة حرام، أو.... فإذا ما أحس أن أحداً يراه، أو اقترب منه أصابه الرعب وتوقف، فمثلاً: أنت تضع الطعام للقطة فتأكل بجوارك وهي مطمئنة، وإذا ما قامت باختطاف الطعام فإنها تمعن في الهرب وتأكل وهي تتلفت يميناً ويساراً.

ب- **في الآخرة:** عنَ ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: **«لأعْلَمَنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً»**، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جَلِّهِم لنا، أن نكون منهم ونحن

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن أنس، وإسناده حسن، وفي الترغيب برقم ٢٥١٦.

(٢) رواه الطبراني في الصغير عن ابن عباس، وفي الترغيب والترهيب، رقم ٢٥٢٢.

(٣) رواه البخاري في التهجد، ومسلم، والترمذي.

(٤) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والدارمي، رقاق ٣، حديث رقم ٢٧٠٩، وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

لا نعلم، قال ﷺ: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل ما تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»(١).

نماذج من المراقبة :(٢)

١ ـ **بنت بائعة اللبن .. نموذج فذ للمراقبة مع شدة فقر أسرتها**، فقد طلبت الأم من ابنتها ليلاً أن تقوم فتخلط اللبن بالماء، فقالت: يا أماه أما سمعت أمير المؤمنين ينهى عن غش اللبن؟ فقالت الأم: أي بنية إن أمير المؤمنين لا يرانا.. فقالت البنت: يا أماه إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فربُّ أمير المؤمنين يرانا.. كل هذا وهي لا تعلم أن أمير المؤمنين يتفقد الرعية ويسمعها، ورجع أمير المؤمنين إلى منزله، وطلب من أحد أبنائه أن يتزوجها، وتزوجها ابنه عاصم، فأنجبت ليلى التي تزوجت عبدالعزيز بن مروان، وأنجبت خامس الخلفاء الراشدين: عمر بن عبد العزيز الذي عمَّ الخير في عهده البشرية كلها.

٢ ـ انطلق **عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس** في سفر فمرا على راع فقالا: يا غلام بعنا شاة، فقال الغلام: أنا لستُ صاحب الغنم، فقالا له: قل لصاحبها أكلها الذئب، فقال الغلام: وأين الله؟ وبعد أن حضر صاحب الغنم اشتريا العبد وأعتقاه، واشتريا الغنم ووهباها له، وانطلقا وهما يرددان: وأين الله؟ وأين الله؟؟

٣ ـ **روى أبو هريرة** ـ رضي الله عنه ـ قال قدمتُ من البحرين بخمسمائه ألف درهم، وفي رواية ثمانمائة ألف درهم، فأتيت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ممسياً فقلت يا أمير المؤمنين اقبض مني هذا المال، قال: وكم هو؟ قلت كذا، قال: وما تدري ما ثمانمائة ألف، قلت، نعم، مائه ألف ومائه ألف، قال: أنت ناعس، اذهب فبت الليلة حتى تصبح، فلما أصبحتُ أتيتهُ فقلت اقبض مني

---

(١) رواه بن ماجة في السنن، كتاب الزهد، الباب ٢٩ ، رقم ٤٢٤٥ ، وقال: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) نذكر النماذج بدون تفصيل، لأنه سيأتي تفصيلها في أمانة المال العام.

هذا المال، فقال: وكم هو؟ قلتُ كذا، فقال أمن طيب هو، قلت: لا أعلم إلا ذاك، فقال عمر «أيها الناس إنه قد جاء مال كثير فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا أو نعد لكم عددنا أو نزن لكم وزناً»(١).

٤ ـ بعد النصر وجمع الغنائم، أرسل قائد الجيش جندياً إلىٰ أمير المؤمنين يحمل صندوقاً مليئاً بالذهب، فَقَدِمَ به من مسافات طويلة جداً، ووضع الصندوق أمام أمير المؤمنين، ففتح أمير المؤمنين الصندوق فوجده مملوءاً ذهباً، فنظر إلىٰ الذهب ونظرَ إلىٰ الجندي وتعجب، فقال أحد الحاضرين: يا أمير المؤمنين عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا. .

كان يمكن لهذا الجندي أن يأخذ ما يريد فهو ما تسلم هذا الذهب علىٰ دفاتر عهدة، أو يقول لأمير المؤمنين قطاع الطرق أخذوا جزءاً منه، ولكن مراقبة الله تفعل الأعاجيب.

٥ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم....**» الحديث. . ودعا كل منهم بعمل صالح راقب الله فيه حتىٰ انفرجت الصخرة وخرجوا(٢).

٦ ـ راودَ رجلٌ جارية عن نفسها: فقالت: أما تستحي؟

فقال: ممن أستحي، وما يرانا إلا الكواكب؟

فقالت: وأين مكوكبها؟

فوائد المراقبة:

فوائد المراقبة أكثر من أن تُحصىٰ، ولكننا نذكر بعضاً منها:

---

(١) المالية العامة للدولة الإسلامية، ص ٢٣٦، طبعة معهد الدراسات الإسلامية العليا، قطب إبراهيم محمد.

(٢) رواه البخاري، أدب ٥، حرث ١٣، بيوع ٩٨، إجارة ١٢، ومسلم، ذِكر ١٠٠ .

١ ـ **المراقبة تؤدي إلى النظافة.** . فلو أن كل مواطن يراقب الله ما ألقىٰ الفضلات في الشارع، لقول رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان**»(١).

٢ ـ **المراقبة تمنع الغش في كل المجالات.** . فلو راقب المقاول الحق سبحانه وتعالىٰ ما غش في عمله وما غش في المواد والخامات التي يستعملها، وما غش التلميذ في الامتحان، لقول رسول الله ﷺ: «**من غشنا فليس منا..**»(٢).

٣ ـ **المراقبة سعادة في الدنيا وسعادة في الآخرة** (٣) .

٤ ـ **المراقبة تمنع كل أنواع الخيانة.** . وخاصة الخيانة الزوجية، ففي إحدىٰ الليالي خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتفقد أحوال المدينة فسمع امرأة تشكو وحدتها وتقول:

تطاول هذا الليل وازورَّ جانبه ... وأَرَّقني ألا خليلٌ أُلاعبه

فو الله لولا الله لا رب غيره ... لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يصدني ... وأُكرم بعلي أن تُنال ركائبه

ويسأل عمر عن أحوالها، فيعرف أن زوجها مع الجيش في إحدىٰ المعارك منذ فترة، فيذهب إلىٰ ابنته حفصة ويسألها: يا حفصة كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فتجيبه: أربعة أشهر، فيسن من فوره قانوناً بألا يغيب في الجهاد جندي متزوج أكثر من أربعة أشهر.

٥ ـ **المراقبة تمنع السرقة.** . اللص لا يسرق إلا في عدم وجود من يراه، فلو علم أن الله مطلع عليه في كل لحظة ما سرق.

---

(١) متفق عليه، في اللؤلؤ والمرجان رقم ٢١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم، إيمان ١٦٤ .
(٣) راجع من هذه الموسوعة، الباب الرابع، السعادة بين الوهم والحقيقة.

٦ ـ **المراقبة تمنع القتل**. . هذا القاتل يخفي آثار جريمة ويفلت من العقاب ما لم يره أحد ويقسم أنه ما فعل ذلك، قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (المجادلة: ١٨).

٧ ـ **المراقبة تمنع المخدرات والمسكرات**. . فلو راقب الله كل من يبيع أو يتعاطىٰ أو يُهَرِّب المخدرات والبانجو والمسكرات. . لأنقذنا ملايين الشباب، ولعادت العزة إلىٰ بلدنا، وحافظنا علىٰ الطاقات والأموال المهدرة.

المطلوب العملي:

١ ـ راقب الله في نفسك، فلا تفعل المعاصي فتوردها موارد التهلكة، واحرص علىٰ الطاعة.

٢ ـ راقب الله في بيتك فلا تسئ معاملة زوجتك وأولادك.

٣ ـ راقب الله في عملك، ولا تقل: أعمل علىٰ قدر الراتب، فهذا حرام، أنت وافقت علىٰ العمل مقابل هذا الأجر فأتم العمل علىٰ أكمل وجه.

٤ ـ راقب الله في الشارع، فلا تتلف المرافق، ولا تفعل ما يخدش الحياء.

٥ ـ راقب الله في كل معاملاتك ولا تأكل أموال الناس، وسدد ديونك سواء كان الدين مكتوباً أو غير مكتوب، وراقب الله في تجارتك، وفي صناعتك، وفي مذاكرتك، وفي عبادتك.

فإذا أردت الدنيا فعليك بالمراقبة، وإذا أردت الآخرة فعليك بالمراقبة، فقد روىٰ أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « **اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بِخُلُقٍ حَسَنٍ** »[1].

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٥٣، والترمذي، بر ٥٥، والحاكم والدارقطني والبيهقي في الشُعب، والشهاب في مسنده، والضياء المقدسي في المختارة عن أبي ذر، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

ويقول الحسن البصري: «. . . علمتُ أن الله مُطّلع عليَّ فكرهت أن يراني على معصية».

ونختم بهذه الحكمة: «لا تعمل عملاً في السر، تستحي منه في العلانية»(١) .

نظرة لطيفة للمراقبة :

توفي **الشيخ خيري ركوة** (٢) ـ رحمه الله ـ في بداية شهر مارس ٢٠٠٧م، وكانت له خواطر رائعة في تفسير آيات القرآن الكريم، وكان من أقواله في المراقبة :

إن العبد يظن أن المراقبة تكون في المعاصي فقط، بمعنى إذا أراد أن يفعل ذنباً أو معصية، فيتذكر مراقبة الله، وأن الله مُطلعٌ عليه، فيخاف من الله وينتهي عن فعل المعصية . . هذه هي النظرة السائدة عند الكثيرين .

ولكن . . لماذا لا تحس برقابة الله عليك في أعمال الخير، فتقف تصلي الليل وتحس أن الله يراك ويراقبك فتسعد وتفرح لأن الله يراك، وأنت صائم أو تتصدق أو تقضي مصالح الناس، تحس برقابة الله عليك، فتفرح وتسعد بهذه الرقابة، فيتعاظم في قلبك فعل الخير، وتزداد منه . . وتقول لنفسك: الحمد لله أن الله يراني وأنا أفعل كذا وكذا من الخيرات . .

بعد أن عرضنا باب العقائد، فبأي الأبواب نبدأ؟

هل باب الفقه والعبادات؟

أم الأخلاق؟ . . أم . . . أم . . . ؟

كلٌ مهم، ولكن سنبدأ ـ إن شاء الله ـ بباب الفقه، لقول الله : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)** ﴾ (سورة المؤمنون) .

---

(١) هذا قولٌ حكيمٌ . . وهو ميزان العمل.

(٢) الشيخ خيري ركوة ـ رحمه الله ـ كان من علماء الأزهر الشريف، وعضو هيئة كبار العلماء.

الله تبارك وتعالىٰ بدأ بالعبادة والفقه، ثم ثنىٰ بالأخلاق . .

والفقه ليس معناه : مطلق الفهم، بل معناه : دقة الفهم، ولطف الإدراك.

قال رسول الله ﷺ: « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** »[١] .

نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن نكون منهم . . آمين .

---

(١) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٦١٥، من حديث معاوية رضي الله عنه.

الباب الثاني

الفقــه والعبـادات

المقدمـــة . . . .

الفصل الأول : الدعائم الفكرية والأخلاقية لفقه الاختلاف .

الفصل الثاني : الشريعة الإسلامية شريعة الزمان والمكان .

الفصل الثالث : البدعة ما لها وما عليها .

الفصل الرابع : الفقه ، وفيه ثلاثة محاور :

١ ـ حقائق قبل الدخول في الفقه .

٢ ـ التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة .

٣ ـ الميراث (علم الفرائض) .

الفصل الخامس : العلوم الشريعية (علم مصطلح الحديث ـ علم أصول الفقه ـ علوم القرآن) .

الفصل السادس : ما يلزم المسلم في يومه من فقه العبادات (الطهارة والصلاة ـ مختارات فقهية ـ الزكاة ـ الصيام ـ المحرمات من النساء) .

الفصل السابع : أسرار العبادات . . وتوجيهات عملية .

الباب الثاني

الفقه والعبادات

مقدمة :

إن الإسلام إذا أردنا تلخيصه في كلمتين اثنتين قلنا :

هو عقيدة وسلوك .. أو إيمان وعمل.

وقد قسم بعض العلماء علوم الإسلام ، فقالوا :

العلم المتكفل ببيان العقيدة وتعاليمها وشرحها هو (علم التوحيد).

والعلم المتكفل ببيان العمل ومعرفة ما له من حكم شرعي هو (علم الفقه).

وهناك علم اختص بالأعمال الباطنة، أي ما يتعلق بأعمال القلوب، محبوبة كانت أو مبغوضة وهو (علم السلوك).

ومن الأئمة من أدخل التوحيد والعقائد تحت اسم الفقه وسماه الفقه الأكبر[1]، كما روي ذلك عن الإمام أبي حنيفة ، ومنهم من أدخل ما لابد من تعلمه من العقائد والآداب في الكتب الموضوعة أساساً للفقه كما نرىٰ في كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ)، وهي مشهورة في الفقه المالكي ، ومشروحة لأكثر من واحد، فقد بدأها بما يجب معرفته من العقائد، وختمها بمجموعة من الأحكام المتعلقة بالآداب والأخلاق مما أمر به أو نهي عنه .

وكما فعل ذلك الإمام الظاهري أبو محمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه المعروف (المحلىٰ) فقد بدأه بأهم ما يجب العلم به من العقائد والأصول .

ولكن الذي اشتهر في الاصطلاح واستقر عليه الأمر ، هو إفراد علم الفقه بالأفعال

(١) وهذا ما أرجحه ؛ لأن كلمة الفقه تعني : منتهىٰ الفهم، بل دقة الفهم، ولأن علم التوحيد كما ذكرنا هو علم الكلام «راجع الباب الأول».

الظاهرة للمكلفين من عبادات أو معاملات، ليعرف به الحلال من الحرام، والصحيح من الفاسد، والمشروع من غير المشروع، وعلى أساسه قامت (مجامع الفقه)(١).

علم الفقه وشموله (٢) :

الفقه كما يعرفه أهله هو: معرفة الأحكام الشرعية العملية المُستنبطة من أدلتها التفصيلية، فهو علم القانون الإسلامي، ولكنه ليس كعلم القانون الوضعي، بل هو أعمق وأشمل وأوسع دائرة.

علم الفقه هو: العلم الذي يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة، والدولة المسلمة بأحكام الشرع سواء منها ما يختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهو ما ينظمه فقه العبادات.

أما ما يتصل بالعلاقة بين المرء ونفسه وهو ما ينظمه (فقه الحلال والحرام) و(أدب السلوك الشخصي).

أما ما يتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته وهو (فقه الأسرة) من الزواج وما يترتب عليه، أو ما يسمى (الأحوال الشخصية).

أما ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض، وهو ما يسمى (المعاملات)، ويدخل في القانون تحت اسم (القانون المدني).

أما ما يتصل بالجرائم والعقوبات وهو ما يسمى في الفقه (الحدود والقصاص والتعزير)، ويدخل في القوانين تحت عنوان (التشريع الجنائي).

أما ما يختص بالصلة بين الدولة والشعب أو بين الحاكم والمحكوم وهو ما يسمى (السياسة الشرعية) ويسمى عند القانونيين (القانون الدستوري) أو (الإداري)، وهناك أيضاً الجهاد والسير وهو ما يدخل تحت اسم العلاقات الدولية.

. . . إلى غير ذلك من أنواع الفقه.

(١، ٢) نحو فقه معاصر، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة.

« إن الأمة الإسلامية هي أمة ملتزمة بعقيدة وشريعة ، وإن الفقه هو الذي يضبط الدورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع ، حتىٰ يكون إيقاعها الحضاري وفق ما يريده الإسلام ، وما يأمر به ، حتىٰ تكون حركتها للإسلام وبالإسلام .

وليس الفقه ـ إذن ـ خاصاً بالأحكام الفردية والأسرية ، بل هو يشمل الحياة الاجتماعية والسياسية والدستورية والمالية والدولية ، وسائر مجالات الحياة .

وقد اعتاد المسلمون في عصور التراجع والانحطاط والانحراف - وإلى اليوم - أن يسألوا الفقه في مسائل الحيض والنفاس والطهارة والصلاة والرضاع والطلاق ونحوها، مما يتعلق بالحياة الشخصية للمسلم، ولايسألوه في الأمور الكبيرة التي تتعلق بمصير الأمة وكيانها ورسالتها، كما نرى ذلك في عصرنا.

- لا يسألونه عن تسلط الحكام العملاء الخونة ، أو الحكام الجبابرة المستبدين علىٰ شعوبهم المقهورة ! .
- لا يسألونه عن نهب المال العام ، والإثراء الحرام ، وتكوين الثروات الضخمة من دماء الكادحين وعرقهم !
- لا يسألونه عن تزوير الانتخابات الذي أصبح ظاهرة مميزة لأوطاننا العربية والإسلامية فنحن ـ دون العالم ـ بلاد التسعات الأربع المعروفة (٩٩ , ٩٩٪) .
- لا يسألونه عن الظلم الاجتماعي : ظلم الأغنياء للفقراء ، والأقوياء للضعفاء والرجال للنساء وأرباب العمل للعمال ، وأصحاب النفوذ للمستضعفين .
- لا يسألونه عن التهاون في أرض الإسلام ، والتنازل لمن اغتصبها بالقوة والاعتراف بأنه أصبح مكانها .
- لا يسألونه عن السكوت علىٰ شعوب إسلامية تذبح وتباد علىٰ مرأىٰ ومسمع من أمة الإسلام ، ولا تجد من يشد أزرها في محنتها ويعينها علىٰ عدوها .

ويوم سأل بعضهم الفقه الإسلامي في قضية حساسة هي: حكم المرتد في شريعة الله... فأجاب الفقه بصراحة على لسان فقهائه ودعاته وقضاته، قامت الدنيا ولم تقعد!»[١] .

---

(١) المصدر السابق .

والواجب على الفقه المعاصر : أن يجيب عن أسئلة الجماعة، كما يجيب عن أسئلة الفرد، إذ ما من واقعة من وقائع الحياة البشرية، ولا عمل من أعمال المكلفين، إلا وللشريعة حكم فيه، اقتضاء أو تخييراً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَه، وجهله من جهله.

فشمول الشريعة مما لا خفاء فيه، ولا خلاف عليه، فهي تشمل حياة المسلم - طولاً - منذ ولادته إلىٰ موته، وتشملها - عرضاً - فتستوعب جوانب حياته كلها في البيت والعمل والطريق والمسجد.. إلخ، وتشملها - عمقاً - فتمتد في حياته الروحية والمادية والفردية، والاجتماعية، والدنيوية، والأخروية علىٰ تفاوت بينها.

ولذلك كان صدر الفقه الإسلامي رحباً يسع الأمة كلها في كل زمان وفي كل مكان، ليس هذا وفقط بل أن الفقه الإسلامي يسع ديانتين علىٰ فراش واحد[1] فلاعجب أن يتسع صدر الفقه لمتشدد كابن عمر، ومترخص كابن عباس، وقياسي كأبي حنيفة، وأثري كأحمد، وظاهري كداود.

هذا ليس خلافاً ولكنه اختلاف، والاختلاف سنة الله في خلقه فهو أمر محمود لأنه يكون عن دليل وبينة وأمر معلوم لم تتفق عليه الآراء.

أما **الخلاف**: فيكون علىٰ غير دليل أو بينة والقصد منه مجرد المنازعة للخروج علىٰ الرأي وإثبات الذات وهذا يعني أن الخلاف هو ضد الشيء وعكسه والخلاف لمجرد الخلاف والحق أن الاختلاف في ذاته ليس خطراً وخصوصاً في مسائل الفروع إن الخطر في التفرق والتعادي الذي حذر منه الله ورسوله.

يقول **الأستاذ: خالد محمد خالد** : «إن عمر الفقيه العبقري لا يحمل داخل عقله فتاوىٰ كالقوالب الجامدة إنما يحمل فهماً يتحرك به في كل الاتجاهات، ويدرك ما لِتَبَاين الظروف وتغاير الأسباب من تأثير في الحادثة، وتأثيره في الحكم»[2].

---

(١) إشارة إلىٰ زواج المسلم من الكتابية.

(٢) بين يدي عمر، خالد محمد خالد، ص ١٣٢، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

الاختلاف المحمود: هو الاختلاف التجميعي: أي ذلك الاجتهاد الفعلي الجاد الذي يبحث في جوانب المسألة ويتعرض لرواياتها المختلفة ويوازن بين الأدلة ودلالتها لكي يخرج برأي أو نظرة تزيد الآخرين قرباً من تفهم القضية محل الخلاف، وتزيدهم تبصرة بأبعاد الموقف المرتبط بها، دون أن تملي رأيها على الآخرين بشكل نهائي لا يجوز خلافه.

وهذا ما كان عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم علماء الأمة العقلاء.. فكان كل واحد منهم يقول رأيه دون تعصب، وكان لهم عبارة مشهورة تتردد على ألسنتهم وهي:

«**رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب**».

وما رأينا واحداً كَفَّر الآخر أو بَدَّعه.

أما الخلاف المذموم: فهو الخلاف التفريقي وهو ذلك الخلاف في الرأي الاجتهادي إذا تعدى نطاق الموقف الفكري النظري ليتشخص في صورة موقف عملي يلزم الآخرين باتباعه وطاعته ويؤسس على ذلك سلوكاً يشكل خطراً على وحدة الأمة المسلمة تهديداً لسلامة الصف المسلم[1].

وهذه الظاهرة إن تُرِكت ستأتي على الأخضر واليابس، وسوف نعيش في هذا الباب حول نقاط يلتقي عليها أبناء الأمة[2] كي يعود المسلمون إلى مجدهم واعتزازهم بدينهم.. يقول الشاعر:

أخي في الهند أو المغرب ... أنا منك أنت بي

لا تسأل عن عنصري عن نسبي ... إنه الإسلام أمي وأبي

---

(١) منبر الإسلام ربيع الأول عام ١٤٢٨هـ الشيخ: شوقي عبد اللطيف أيوب.

(٢) فعلى المسلم أن يختار من الآراء ما ترتاح إليه نفسه، فكلهم من رسول الله مقتبس، وكما قال الكمال بن الهمام ـ شيخ المحققين عن الحنفية ـ: لا يُمنع من تتبع رخص المذاهب مانع شرعي، إذ للإنسان أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل، (انظر: مقدمة الفقه على المذاهب الأربعة، العبادات، طبعة دار الشعب).

أخي القارئ الحبيب .. رأيتُ الخلاف والشقاق بين أبناء الصحوة الإسلامية بقصد أحياناً وبغير قصد أحياناً أخرى، والبعض يحاول أن ينتصر لرأيه ولهواه ولشيخه.. فتأثرت تأثراً شديداً وقلت : ربنا واحد، ورسولنا واحد، وعقيدتنا واحدة، .. أمة تجمعها هذه الروابط لا ينبغي لها أن تتفرق وتتناحر فرقاً وجماعات..

« وإنه لا يزعجني أن يكون للصحوة الإسلامية المعاصرة أعداء من خارجها، يتربصون بها، ويكيدون لها، فهذا أمر منطقي اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الخير والشر في هذا الكون الذي نعيش فيه: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الفرقان: ١٣).

وقال الله في شأن أعداء الملة والأمة: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: ٢١٧)

إنما الذي يزعجني ـ كما ذكرت ـ ويذيب القلب حسرات أن تعادي الصحوة نفسها، ويكون عدوها من داخلها، ويضرب بعضها بعض، ويكيد بعضها لبعض، وأن يكون بأسها بينها.

والذي يدمي القلب أكثر وأكثر أن يوجد بين الدعاة والعاملين من يبذر بذور الفرقة أينما حل، وأن يبحث عن كل ما يوقد نيران الخلاف، ويورث العداوة والبغضاء، وأن يكون تركيزه دائماً على مواضع الاختلاف لا على نقاط الاتفاق»(١).

وهو دائماً:

١ ـ معجب برأيه، مغرور بنفسه

٢ ـ مُزكٍ لنفسه وجماعته، يتعصب للأشخاص والمذاهب.

٣ ـ سيء الظن، متهم لغيره.

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي، ص٥، طبعة دار الوفاء ودار الصحوة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

وعلاجاً لهذه الظاهرة الخطيرة نعيش في هذا الباب ـ إن شاء الله تعالى ـ مع هذه الفصول :

الفصل الأول : الدعائم الفكرية والأخلاقية لفقه الاختلاف.

الفصل الثاني : الشريعة الإسلامية شريعة الزمان والمكان.

الفصل الثالث : البدعة ما لها وما عليها.

الفصل الرابع : الفقه ، وفيه ثلاثة محاور:

١ ـ حقائق قبل الدخول في الفقه.

٢ ـ التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة.

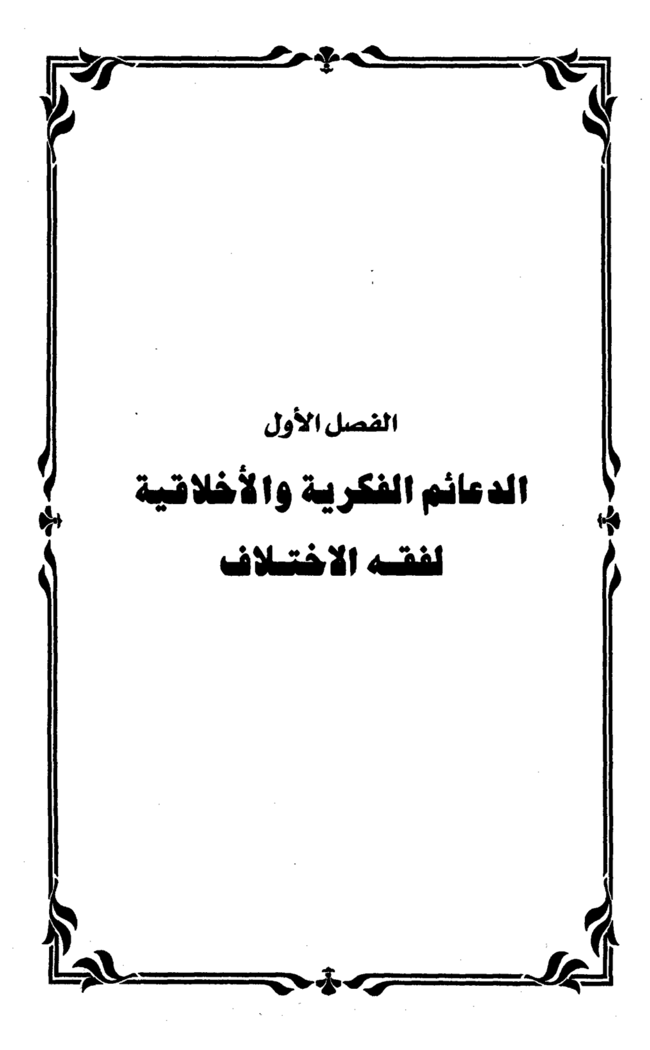
٣ ـ الميراث (علم الفرائض) .

الفصل الخامس : العلوم الشريعية (١) (علم مصطلح الحديث ـ علم أصول الفقه ـ علوم القرآن).

الفصل السادس : ما يلزم المسلم في يومه من فقه العبادات (الطهارة والصلاة ـ مختارات فقهية ـ الزكاة ـ الصيام ـ المحرمات من النساء ـ توجيهات عملية).

---

(١) الصواب أن تقول : العلوم الشريعية ، نسبة إلى الشريعة . . لأن كلمة العلوم الشرعية تشمل جميع علوم الدين : (قرآن، وحديث، وفقه . . .) وتشمل جميع علوم الدنيا : (فلك، طب، هندسة، كيمياء، ميكانيكا، صناعة)، وسيأتي ذلك مفصلاً في الباب الرابع إن شاء الله تعالى .



الفصل الأول

الدعائم الفكرية والأخلاقية لفقه الاختلاف

الفصل الأول

الدعائم الفكرية والأخلاقية لفقه الاختلاف (١)

أولاً: دعائم فكرية:

١ ـ الاختلاف في الفروع ضرورة ورحمة وسعة.

٢ ـ اتباع المنهج الوسط.

٣ ـ التركيز على المحكمات لا المتشابهات.

٤ ـ تجنب القطع والإنكار في المسائل الاجتهادية(٢).

٥ ـ ضرورة الاطلاع على اختلاف العلماء.

٦ ـ تحديد المفاهيم والمصطلحات.

٧ ـ شغل المسلم بهموم أمته الكبرى.

٨ ـ التعاون في المتفق عليه.

٩ ـ التسامح في المختلف فيه.

١٠ ـ الكف عمن قال: لا إله إلا الله.

ثانياً: دعائم أخلاقية:

١ ـ الإخلاص والتجرد من الأهواء.

٢ ـ التحرر من التعصب للأشخاص والمذاهب والطوائف.

٣ ـ إحسان الظن بالآخرين.

---

(١) هذه الدعائم مأخوذة من كتاب الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي.

(٢) للمزيد: اقرأ كتاب الفقه الاجتهادي للشيخ علي السايس.

٤ ـ ترك التنطع والتجريح للمخالفين.

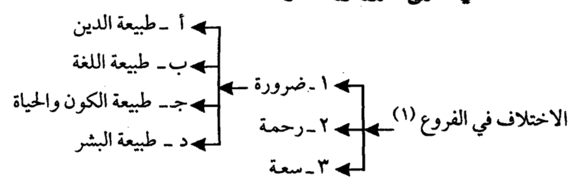
٥ ـ البعد عن المراء واللدد في الخصومة.

٦ ـ الحوار بالتي هي أحسن.

وبعد هذا الإيجاز سنأخذ في التفصيل :

أولاً : الدعائم الفكرية لفقه الاختلاف

١ ـ الاختلاف في الفروع ضرورة ورحمة وسعة :



١ ـ الاختلاف ضرورة :

أ ـ طبيعة الدين :

لو شاء الله لجعل الدين كله وجهاً واحداً، وصيغة واحدة لا تحتمل خلافاً، ولا تحتاج اجتهاد، ومن حاد عنها قيد شعره فقد كفر، ولو شاء الله أن يتفق المسلمون على كل شيء ولا يقع منهم اختلاف في شيء ولو كان فرعاً من الفروع أو أصلاً من الأصول غير الضرورية لأنزل كتابه كله نصوصاً محكماتٍ قاطعة الدلالة لا تختلف فيها الأفهام ولا تتعدد التفسيرات، لكن الله تعالى لم يُرد ذلك لتتفق طبيعة الدين مع طبيعة اللغة وطبيعة الناس ويوسع الأمر على عباده.

---

(١) الفروع تقوم على الاجتهاد والظن وتقبل الاحتمال ويعذر التقصير فيها وهي في درجة تالية للأصول ومرتبتها متأخرة قال عنها أبو حنيفة : «عِلْمُنا هذا رأي فمن جاء بأحسن منه قبلناه»، بينما الأصول هي من المعلوم من الدين بالضرورة ولا يجوز الخلاف حولها وهي قائمة على اليقين والقطعية (مجلة الأزهر جمادى الآخرة عام ١٤٣٠ هـ ص ٨٨٤).

إن الله أراد أن يكون في كتابه المحكمات، وهن أم الكتاب ومعظمه، وفيه المتشابهات وهن أقله، وهذا للابتلاء وشحذ العقول أن تجتهد، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ٧).

بل إننا نجد قبل مرحلة الفهم والتفسير مرحلة القراءة نفسها، فقد تعددت القراءات في كتاب الله إلى سبع بل إلى عشر، وهي القراءات المتلقاه من الأمة بالقبول، ولم يَر أحدٌ من علماء المسلمين في ذلك أي حرج لأنها كلها ثابتة ومتواترة عن رسول الله ﷺ، روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهة فقال: «كلاكما محسن ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»(١).

ب ـ طبيعة اللغة:

في القرآن الكريم نصوص منها ما يدل بالمنطوق ومنها ما يدل بالمفهوم ومنها العام والخاص والمطلق والمقيد ومنها ما دلالته قاطعة وما دلالته محتملة راجحة أو مرجوحة وما يعتبر راجحاً عند زيد يعتبر مرجوحاً عن عمر.

خذ مثلاً لذلك آية الطهارة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة: ٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، كتاب فضائل القرآن، أنبياء ٥٤ .

■ كم في هذه الآية من الآراء والاختلافات والأفهام وكلها تتعلق بأمور لُغوية؟
■ هل الترتيب بين الأعضاء الأربعة مغسولة وممسوحة فرض أم ليس بفرض ؟
■ وهل الغاية في قوله: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وقوله : ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ داخلة أم لا؟
■ وهل الباء في قوله : ﴿ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ تفيد الإلصاق أو التبعيض أو هي زائدة؟
■ وما تأويل قراءة : ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بالجر؟
■ وما المراد بقول الله تعالىٰ: ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ هل هي لمس البشرة للبشرة؟ أم كناية عن الجماع كما يقول ابن عباس؟
■ وما المراد بالصعيد في التيمم ؟ أهو التراب أم كل ما كان من جنس الأرض؟؟

وهكذا. . أسئلة كثيرة وكثيرة في آية واحدة . .

جـ ـ طبيعة البشر :

كما ينفرد الناس كلهم في صورة الوجه ونبرة الصوت (وبصمة) بنانه، يتفرد كذلك بلون تفكيره وميوله، والمواقف والأعمال، وإن من العبث كل العبث صب الناس كلهم في قالب واحد في كل شيء وجعلهم نسخاً مكررة ومحاولة محو كل اختلاف بينهم، فهذا مخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليه .

* **وهذا اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد**، والتنوع دائماً مصدر إثراء وخصوصية وهو آية من آيات الله الدالة علىٰ عظيم قدرته وبديع حكمته : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾ (الروم: ٢٢).

* **والله جعل النباتات والزروع مختلفة** والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه: ﴿ **يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ** ﴾ (الرعد: ٤).

* **ومن الناس من يميل إلى التيسير**، ومنهم من يميل إلىٰ التشديد، ومنهم من يأخذ بظاهر النص، ومنهم من يأخذ بفحواه وروحه، وكُلنا يعلم قصة

حديث رسول الله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»[1] .

فالذي أخذ بظاهر النص صلىٰ في بني قريظة بعد المغرب، والذي أخذ بروح النص صلىٰ في الطريق قبل المغرب، وأقرهما النبي ﷺ.

ومن الناس من يسأل عن الخير، ومنهم من يسأل عن الشر .

ومن أبرز أمثلة الاختلاف ما عرف بين الصحابيين الجليلين عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس :

القضية	رأي عبد الله بن عمر	رأي عبد الله بن عباس
١ - لعاب الأطفال	يبعد الأطفال حتىٰ لا يسيل لعابهم تحرزًا مما يشتبه في نجاسته	يضمهم ويقول إنما هم رياحين نشمها .
٢ - في الوضوء	يغسل باطن عينيه في الوضوء .	لا يغسل .
٣ - لمس المرأة	ينقض الوضوء .	لا ينقض الوضوء .
٤ - الحجر الأسود	يزاحم علىٰ الحجر ويقول: هوت الأفئدة إليه فأريد أن يكون فؤادي معهم .	يكره المزاحمة، ويقول: لايؤذي ولا يؤذىٰ[2] .

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر ، باب صلاة الطالب والمطلوب، ومسلم في الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو .

(٢) كما في الفتح جـ ٣ .

وقبلهما اختلف **الشيخان: ابو بكر وعمر** رضي الله عنهما في أُسارىٰ بدر، كما يذكر ابن كثير في تفسيره لسورة الأنفال، في قول الله تعالىٰ: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ...﴾** (الأنفال: ٦٧-٦٩)

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن هاشم، عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: استشار النبي ﷺ الناس في الأسارىٰ يوم بدر فقال: «**إن الله قد أمكنكم منهم**»، فقام عمر بن الخطاب فقال: «يا رسول الله، اضرب أعناقهم»، فأعرَض عنه النبي ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس**»، فقام عمر فقال: «يا رسول الله اضرب أعناقهم»، فَأَعْرَضَ عنه ثم عاد، ثم قال النبي ﷺ للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق فقال: «يا رسول الله نرىٰ أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء»، فذهب عن وجه الرسول ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم، وَقَبِلَ منهم الفداء، وأنزل الله: **﴿لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** (الأنفال: ٦٨)(١)

إن طبائع الناس وأمزجتها تختلف من شخص لآخر، حتىٰ بين الأشقاء، وحتىٰ بين الأنبياء الأشقاء، وانظر إلىٰ موسىٰ وهارون عليهما السلام، ومن الصحابة: الحسن والحسين رضي الله عنهما.

د - طبيعة الكون:

قال تعالىٰ: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾** (فاطر).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢٤٣، والترمذي والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، مختصر تفسير ابن كثير، طبعة دار الصابوني، ص ١١٨، تفسير الآية ٦٨ من سورة الأنفال.

وهذا كما ذُكر اختلاف تنوع، وليس تضارب أو تعارض، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ (الملك: ٣).

٢ ـ الاختلاف رحمة:

عن ابن عباس مرفوعاً عنه ﷺ: «**اختلاف أمتي رحمة**»(١).

وهذا المعنىٰ يؤيده حديث: «**إن الله تعالى حد حدوداً فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان منه فلا تبحثوا فيها**»(٢).

سيأتي تفصيل هذا الحديث في الفصل التالي ـ إن شاء الله ـ.

وهذه منطقة تُسمىٰ منطقة العفو، أو كما يسميها أهل القانون: (الفراغ التشريعي)، ليحاول كل فقيه أن يملأها، فبعضهم يأخذ بالقياس، وبعضهم يأخذ بالاستحسان، وبعضهم يأخذ بالعرف والاستصلاح، وغيرهم يذهب إلىٰ البراءة الأصلية.

والرحمة هنا تتمثل في أمرين:

١ ـ ترك النص لبعض الأحكام (السكوت عنها).

٢ ـ صياغة ما نص عليه من الأحكام في غالب الأمر صياغة مرنة تتسع لتعدد الأفهام وتنوع الآراء والاجتهادات.

يقول **عمر بن عبد العزيز** وهو من أئمة الهدىٰ: «ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن لنا رخصة»(٣).

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة تحت رقم ٣٩ حرف أ، وذكر له تخريجاً مفصلاً، وذكره الخطابي في غريب الحديث.

(٢) رواه الدارقطني، وحسنه النووي في الأربعين، وعند الترمذي، لباس ٦، وابن ماجة ـ أطعمة برقم ٣٣٦٧، بلفظ: «**الحلال ما أحلّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**».

(٣) رواه البيهقي في المدخل وفي فيض القدير، من حديث قتادة، المقاصد الحسنة، ص ٧٠، طبعة دار الكتاب العربي.

فالاجتهاد مشروع، واختلاف الرأي لازم، والشرع لم يَحْرِم المجتهد المخطئ من الأجر، وكُلٌّ يعمل بما ترجَّح له، وهذا معنى التوسعة والرحمة هنا، وليس معناه أن جميع الأقوال وإن تناقضت (صواب)، بل الصواب أحدها، وإذا لم تتناقض فالصواب فيها متعدد.. ولكن الجميع هنا محمودون مأجورون كما قال الله: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء: ٧٩).

نظرة سريعة إلى تاريخ الاختلاف:

١ ـ اختلاف الأنبياء:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) ﴾ (طه).

وقد اختلف موسى والعبد الصالح، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا... ﴾ (سورة الكهف، الآية ٦٥: الآية ٧٨).

واختلف داود وسليمان عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء: ٧٩).

٢ ـ الاختلاف كان موجوداً في عهد النبي ﷺ فأقره.. ولم ينكره.. ولم يعنف أصحابه:

- فها هو النبي ﷺ يأمر مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة.. وصلى بعضهم في الطريق، والبعض الآخر في بني قريظة(١).
- رجلان تيمما وصليا وبعد الصلاة حضر الماء، فتوضأ أحدهما وأعاد الصلاة، ولم يُعد الآخر، فقال النبي ﷺ للذي أعاد: «**لك الأجر مرتين**» وقال للآخر: «**أصبت السنة**»(٢).

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري، ص ٢٧٨، الطبعة السابعة عشر، طبعة ٢٠٠٥م.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٣٣٨، والنسائي برقم ٤٣٣، وابن ماجه بأسانيد صحيحة، =

٣ ـ الاختلاف كان موجوداً في عصر أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد :

ـ حينما أراد هارون الرشيد أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على مافيه، شاور الإمام مالك، فقال مالك : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل سُنة مضت، قال هارون : وفقك الله يا أبا عبد الله(١).

ـ وصلى الإمام الشافعي رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة الإمام أبي حنيفة فلم يقنت تأدباً معه، وقال : «ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق»(٢)، فالإمام أبوحنيفة لا يقنت في صلاة الفجر، فقنوت الفجر عند الشافعية سُنَّة(٣)، هل لو كان هذا القنوت تبطل بتركه الصلاة، هل كان الشافعي سيتركه؟! وهل كان احترامه للإمام أبي حنيفة أكبر من التشريع فيترك التشريع؟ لا والله، ولكنه يعلم أن الصلاة صحيحة بالقنوت وصحيحة بغيره !!.

٤ ـ وفي زمن التابعين أيضاً نجد الاختلاف ولكنه الاختلاف البناء :

قال : محمد ـ رحمه الله ـ (صاحب أبو حنيفة) في أماليه : لو أن فقيهاً قال لامرأته : أنت طالق البتة وهو ممن يراها ثلاثاً ثم قضى عليه قاضٍ بأنها رجعية وسعه المقام معها (أي تكون رجعية ويراجعها).

وعلى هذا ينبغي للفقيه المقضي عليه الأخذ بقضاء القاضي ويدع رأيه ويلزم نفسه ما ألزمه القاضي، ويأخذ ما أعطاه (يعني يترك رأيه وينفذ رأي القاضي).

=والدارمي بسند حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال الذهبي على شرط مسلم.. وسيأتي تفصيل هذا الحديث وتخريجه في مقدمة بين يدي الفقه.

(١) حكاه السيوطي، حجة الله البالغة، جـ١ .

(٢) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي، ص٨٧، الطبعة الأولى، دار الوفاء ١٩٩٠م.

(٣) قنوت الفجر عند الشافعي سُنَّة :

ـ وإن ترك القنوت في الفجر سجد للسهو لأنه من عمل الصلاة (الأم، جـ١، ص ٢٤٤).

ـ وسنن الصلاة بعد الدخول فيها : التشهد الأول، والقنوت في الصبح (متن أبي شجاع، ص٦٥).

فالاختلاف قائم وموجود منذ وجود البشرية ، وسيظلُ موجوداً إلىٰ أن تقوم الساعة إن شاء الله . . لكن هناك اختلاف محمود . . واختلاف مذموم . . والثاني هذا الذي نُحذر منه .

صور وأسباب الاختلاف المذموم :

١ ـ ما كان سببه البغي واتِّبَاع الهوى، وهو الذي ذم الله به اليهود والنصارى:

قال تعالىٰ : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢١٣).

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ﴾ (الجاثية).

٢ ـ الاختلاف الذي يؤدي إلى تفرق وتعادي الأمة، وتنازع الطوائف ويلبسها شيعاً، وهو ما حذر منه القرآن وأمر بالتقوى :

قال تعالىٰ : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦).

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

وقال تعالىٰ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الروم).

٢ ـ اتباع المنهج الوسط :

يقول الله تعالىٰ في ختام الوصايا العشر : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

روىٰ الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «**هذه سبيل الله مستقيماً**»، ثم خطَّ عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ .. ﴾ (١) .

وعن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً(٢). يقول **النووي**: «المتنطعون المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»(٣).

وروىٰ عبدالله بن عباس عن النبي ﷺ، أنه قال: « **إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»(٤).

(١) قال الشيخ شاكر : إسناده صحيح رواه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي، ورواه النسائي كما ذكر ابن كثير، والدارمي، مقدمة ٢٣، وابن ماجة، مقدمة ١، وأحمد ٣/ ٣٩٧ .

(٢) رواه مسلم في كتاب العلم حديث ٢٦٧٠ .

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم، جـ ٥ .

(٤) رواه أحمد ١/ ٢١٥ ـ ٣٤٧، والنسائي، مناسك ٢١٧، وابن ماجة، مناسك ٦٣، =

والقرآن ينبه على هذا الأصل حين قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ (المائدة: ١٠١).

والنبي ﷺ يُحذر من كثرة الأسئلة التي تنتهي بالتشديد على المسلمين، وذلك حين قال: «**إن أعظم المسلمين جرماً رجل سأل عن شيء لم يحرم فَحُرم من أجل مسألته**»(١).

وروى أنس قال: سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة (أي استقصوا في السؤال)، فغضب فصعد المنبر فقال: «**لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم**»، قال: فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، ثم أنشأ عمر فقال: «رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، أعوذ بالله من الفتنة»(٢).

وقد حكى أحد مرافقي **الشيخ محمد الغزالي** ـ رحمه الله ـ فقال: ركبنا الطائرة وحان وقت الصلاة فأردنا التيمم، فقلت له: كيف نتيمم وكراسي الطائرة مكسوة بالجلد ولا يوجد تراب عليها؟

يقول: فنبهني الشيخ إلى أن الله لا يريد منا أن نضع التراب على وجوهنا، ولكن هو فقط الامتثال لله، اضرب على أي مكان جلد أو غيره ثم تيمم(٣).

٣ـ التركيز على المحكمات لا المتشابهات:

عن عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدَر فكأنما يُفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: «**أبهذا أُمرتُم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض؟! بهذا هلكت الأمم قبلكم**»(٤).

=والحاكم وابن خزيمة وابن حيان، كما في صحيح الجامع الصغير.

(١) رواه البخاري في الاعتصام، ومسلم في الفضائل عن سعد بن أبي وقاص، و اللؤلؤ والمرجان حديث ١٥٢١.

(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤة والمرجان ١٥٢٣.

(٣) سوف نعيدها في التيمم.

(٤) رواه ابن ماجة في مقدمة باب القدر بإسناد صحيح، ورجاله ثقات، وفي مسند أحمد ٦٧٤١.

٤ ـ تجنب القطع والإنكار في المسائل الاجتهادية:

سُئل **شيخ الإسلام ابن تيمية** عمن يقلد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد فهل يُنكر عليه أم يُهجر؟ وكذلك من يعمل بأحد القولين!!

فأجاب: الحمد لله ـ مسائل الاجتهاد من عمل منها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ، وإذا كان في المسألة قولان فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به وإلا قلد بعض العلماء الذي يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين والله أعلم(١) .

قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره: إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه ، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه .

ومثل ذلك الكثير:

* الوضوء من مس الذَّكَر ، ولمس النساء .
* خروج النجاسات من غير السبيلين .
* القهقهة .
* القراءة بالبسملة سراً أو جهراً .
* التيمم بضربة أو ضربتين إلى الكوعين أو المرفقين .
* التيمم لكل صلاة أو تيمم واحد (٢) .

ورُوي أن عمر رضي الله عنه لقي رجلاً فقال له : ما صنعت؟ يعني في مسألة كانت معروضة للفصل فيها ، فقال الرجل : قضى علي وزيد بكذا .

فقال عمر : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، قال الرجل : فما يمنعك والأمر إليك؟

(١) مجموعة الفتاوى، لابن تيمية ، جزء ٢٠، ص ٢٠٧ .
(٢) مجموعة الفتاوى، لابن تيمية ، جزء ٣٠ ، ص ٧٩ ـ ٨١ .

قال عمر : لو كنتُ أردك إلىٰ كتاب الله أو إلىٰ سنة نبيه ﷺ لفعلت ، ولكن أَرُدُّكَ إلىٰ رأي والرأي مشترك(١) .

٥ ـ ضرورة الاطلاع على اختلاف العلماء:

كل عالمٍ يغترف من بحر الشريعة وما أوسعه فيجب الاطلاع علىٰ اختلاف الفقهاء كوجوب العلم بما أجمعوا عليه ، فإن اختلافهم رحمة واتفاقهم حجة .

ولذلك قالوا: من لم يعرف اختلاف العلماء فليس بعالم .

وقالوا : من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه .

وآفة كثير من الدخلاء علىٰ العلم أنهم لا يعرفون إلا رأياً واحداً، ووجهة واحدة، أخذوا عن شيخ واحد ولم يتيحوا لأنفسهم أن يسمعوا رأياً آخر ، والعجيب أن هؤلاء ينهون عن التقليد ، وهم يقلدون المعاصرين ، ورفضوا تقليد الأئمة القدامىٰ ، وينكرون المذاهب وجعلوا من آرائهم مذهباً جديداً ، وهم ينكرون علم الكلام القديم ، وأنشأوا علم كلام جديد .

إن موقف هؤلاء من الحقيقة..

كموقف العميان من الفيل في القصة الهندية المشهورة (٢) ..

فمثلاً مسألة رمي الجمار في الحج ، فيها آراء كثيرة ، ويمكن فيها التيسير ، وتثير في أيامنا هذه جدلاً واسعاً لارتباطها دائماً بالزحام الشديد في الحج الذي يؤدي دائماً إلىٰ كارثة موت كثير من الحجاج كل عام ، فلقد اختلف الفقهاء في وقت الرمي ، فمنهم من قال : قبل الزوال ، ومنهم من قال : بعد الزوال ، بل اختلف الفقهاء أصلاً في حكم الرمي نفسه ، فالجمهور قالوا بأنه واجب ، والمالكية قالوا بأنه سُنَّة .

إن آفة **الحَرْفِيين** ممن يُطلق عليهم الآن « الظاهرية الجدد»(٣) أنهم يحسبون أن

---

(١) إعلام الموقعين ، جـ ١ ، ص ٧٤ .
(٢) تفصيلها في الباب الثالث ، فقه القضايا المعاصرة (الفِرَق والجماعات) .
(٣) هذه التسمية أطلقها د . يوسف القرضاوي .

باستطاعتهم حذف الخلاف أو حسمه في المسائل الشرعية الاجتهادية فرعية أو أصلية بجمع الناس علىٰ ما يرونه حقاً أو صواباً ورفض ما عداه ويعتبرونه باطلاً وخطأً.

ونسي هؤلاء أن **الإعجاب بالرأي** أحد المهلكات، وبحسب المرء من الشر أن **يحقر أخاه المسلم**، ومن ذلك أن يحقر رأيه.

فالصحابة رضوان الله عليهم جميعاً سمعوا من الرسول ﷺ أوامر في بعض الأحيان، ومع ذلك يترخصون في تركها لعلمهم أنها لم تكن عازمة جازمة، فإذا ثبت لهم ذلك باللفظ أو القرينة كانوا أسرع الناس إلىٰ تنفيذها.

* ففي حديث «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم واصبغوا**»[1]، رأيناهم يرون الأمر هنا لمجرد الإرشاد أو الاستحباب، فمنهم من صبغ ومنهم من لم يصبغ، ومنهم من صبغ بالحناء وبغيرها، ومنهم من صبغ بالسواد.

* كذلك حديث « **لا تسم ابنك ولا غلامك نافعاً ولا يساراً ولا عطاءً**»[2]، رأيناهم يسمون بها، فهذا نافع مولىٰ ابن عمر، وسليمان بن يسار، وعطاء بن أبي رباح.

* وكذلك رأينا ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يحمل حديث: «**من مس فرجه فليتوضأ**»[3] علىٰ الاستحباب، وعنده الوضوء من أكل لحوم الإبل يراه للاستحباب، خلافاً لمنهج إمامه أحمد في المثالين[4].

---

(١) أخرجه البخاري، باب الخضاب، رقم ٥٥٥٩، ومسلم، باب في مخالفة اليهود بالصبغ.

(٢) أخرجه مسلم، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة، بلفظ: «لا تسم غلامك رباحًا، ولايسارًا، ولا أفلح، ولا نافعًا»

(٣) أخرجه الترمذي، باب الوضوء من مس الذكر، (صحيح).

(٤) يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الجزء ٢٢، ص ١٠ من الفتاوىٰ: وأما المسلم إذا ترك الواجب قبل بلوغ الحجة، أو متأولاً، مثل ترك الوضوء من لحوم الإبل، أو مس الذكر، أو صلىٰ في أعطان الإبل.. فهل يجب عليه قضاء هذه الواجبات؟

علىٰ قولين في المذهب الراجح، والأولىٰ أنه يُعذر لأن التوبة تَجُبّ ما كان قبلها لاسيما توبة المعذور الذي بلغه النص أو فهمه بعد أن لم يكن تمكن من فهمه.

٦ـ تحديد المفاهيم والمصطلحات :

إن تحديد المفاهيم وتوضيح المصطلحات وإزالة الغبش واللبس عنها يُقَرِّبَ المسافة بين المختلفين، وقد يزول الخلاف من أساسه إذا صحت النيات، ومن ذلك مصطلحات: الإيمان والكفر والشرك والنفاق والجاهلية . . وهكذا(١) .

أولاً : الإيمان (٢) :

في اللغة: التصديق بالقلب .

في الشرع: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان .

قيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق . . . ومن أخل بالشهادة فهو كافر .

الإيمان على خمسة أوجه:

ـ إيمان مطبوع : هو إيمان الملائكة .

ـ إيمان معصوم : هو إيمان الأنبياء .

ـ إيمان مقبول : هو إيمان المؤمنين .

ـ إيمان موقوف : هو إيمان المبتدعين .

ـ إيمان مردود : هو إيمان المنافقين .

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) ﴾ (المؤمنون) .

---

(١) سيأتي في الفصل التالي تعريف باقي المصطلحات، مثل : (البدعة، السنة، الراتبة، النافلة) .

(٢) التعريفات للجرجاني، ص ٣٤ ، طبعة ١٩٣٨م .

المراد هنا الكامل الإيمان، وليس المعنى أنه من لم يخشع في صلاته أو لم يُعْرِض عن اللغو مثلاً يكون كافراً، بل هو مؤمن ناقص الإيمان.

ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ في الحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»(١).

وهذا لا يعني نفي أصل الإيمان بل كماله، وليس معناه أن من ارتكب واحدة من هذه الكبائر يكون كافراً كفراً مخرجاً من الملة، ولو كان المنفي هنا هو أصل الإيمان لكان كل من هؤلاء مرتداً، وكانت العقوبة في الجميع واحدة، وهي عقوبة المرتد ولم تتنوع العقوبات ما بين جلد ورجم وقطع.

وكقول رسول الله ﷺ أيضاً: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢). وقوله أيضاً: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا**»(٣). وقوله أيضاً: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**»(٤).

ثانياً: الشِركُ(٥):

أشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾ (لقمان: ١٣).

الشِركُ: اعتقاد تعدد الآلهة.

وينقسم الشرك إلى:

١- الشرك الأكبر: أن يجعل مع الله إلهاً آخر: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٦.
(٢) متفق عليه من حديث أنس عن أبي هريرة، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٢٨.
(٣) مسلم، إيمان ٩٣، عن أبي هريرة.
(٤) رواه البزار والطبراني عن أنس، وإسناده حسن، وفي الترغيب رقم ٣٧٠٦.
(٥) المعجم الوسيط: ، جـ٢، ص ٤٩٩، مادة: شرك.

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ (النساء: ٤٨). وهذا هو الشرك الجلي المطلق الحقيقي.

٢ - **الشرك الأصغر** ويُطلق على بعض المعاصي التي تنافي كمال التوحيد مثل حديث: « **من حلف بغير الله فقد أشرك** »[١]. وحديث: « **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** »[٢].

ثالثاً: الكُفر:

كفر الرجل كُفراً: لم يؤمن بالوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو بثلاثتها[٣].

الكفران: ستر نعمة المنعم بالجحود، أو يعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم[٤].

منه ما هو أكبر أصلياً أم طارئاً مثل كفر الملاحدة والدهريين والشيوعين وغيرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء: ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (المائدة).

والكفر الطارئ هو كفر الردة، الذي يخرج صاحبه من الإسلام بيقين لا يقبل الشك، كأن يُنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو يعمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر، وقد يعود صاحبه للإسلام بعد إظهار الحقائق له، ولذلك عُد كفراً طارئاً.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، حديث ٦٦٤٦، ومسلم في كتاب الأيمان، وأحمد والحاكم، وقال الترمذي: حديث ابن عمر حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، طب ١٧، وابن ماجة، طب ٣٩، والحاكم عن ابن مسعود.

(٣) المعجم الوسيط، جـ٢، ص ٣٢٨.

(٤) التعريفات للجرجاني، ص ١٦٢.

الكفر الأصغر : كفر دون كفر ما يطلق على المعاصي كما قيل : المعاصي بريد الكفر ، أو إنه شبيه بأعمال الكافرين ، أو المراد كفر النعمة مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤).

وقول رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر»(١).

وحديث : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(٢) .

وحديث : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»(٣) .

رابعاً : النفـاق :

النفاق : إظهار الإيمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب(٤) .

ويدخل في هذا التعريف :

أ - **نفاق العقيدة :** ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ... ﴾ (المنافقون: ١) ، وهو المُخرج عن دائرة الإسلام ، كما وصف الله تعالى به المنافقين في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ⑧ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ⑨ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ⑩ ﴾ (البقرة) .

وأولئك الذين توعدهم الله بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٤٥). . وذلك لأنهم يُبطنون الكفر ويتظاهرون بالإيمان .

---

(١) متفق عليه عن عبدالله بن مسعود ، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٤٣ .

(٢) مسلم في كتاب الأيمان عن جابر بن عبد الله .

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم عن بريدة ، والترمذي برقم ٢٦٢١ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٤) إظهار الخير ، وإبطان الشر .

ب ـ **نفاق العمل:** أي تكون فيه خصال المنافقين وأخلاقهم وهو يشبههم في أعمالهم وسلوكهم، ولكنه مصدق بقلبه بالله ورسوله واليوم الآخر، مثال حديث: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»(١).

٧ ـ شغل المسلم بهموم أمته الكبرى:

أكثر ما يوقع الناس في حفرة الاختلاف المذموم وينأىٰ بهم عن الاجتماع والائتلاف فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة والآمال العظيمة، وإذا فرغت الأنفس من الهموم الكبيرة اعتركت علىٰ المسائل الصغيرة، واقتتلت فيما بينها علىٰ غير شيء.

الناظر الآن للأمة الإسلامية يجد الكل قد تكالب عليها، والآن بعد أن أصبح العالم كقرية صغيرة تستطيع أن تنظر إلىٰ الفضائيات في دقائق معدودة فترىٰ في كل بقعة علىٰ الأرض كيداً للأمة الإسلامية، وانتهاكاً وقتلاً وظلماً لأهلها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: سأله أحد أهل العراق عن دم البعوض في حالة الإحرام، فأنكر عبدالله علىٰ السائل هذا التنطع والتعمق في السؤال عن هذه الدقائق، علىٰ حين أن قومه خذلوا الحسين رضي الله عنه حتىٰ سفك دمه، فقال عبدالله بن عمر: «هؤلاء يسألون عن دم البعوض وقد سفكوا دم ابن بنت رسول الله ﷺ»(٢).

من الخيانة للأمة أن يحمىٰ وطيس المعركة بين المسلمين، وتنصب المجانيق، وتتقاذف الناس بكلمات أشد من الحجارة، وأنكىٰ من السهام من أجل مسائل تحتمل أكثر من وجه، وتقبل أكثر من تفسير، فهي من مسائل الاجتهاد.

من يحمل هذه الهموم للأمة؟(٣)

١ ـ هم التخلف العلمي والتكنولوجي والحضاري.

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٨.
(٢) ستقف علىٰ مزيد من هذا الأمر في فصل الفهم للإسلام، كما سيأتي في باب التفسير.
(٣) نملة حملت هم أمتها، فمن يحمل هم أمتي؟ (سيأتي في باب الدعوة التفسير).

٢ ـ هم التظالم الاجتماعي والاقتصادي .

٣ ـ هم الاستبداد والتسلط السياسي .

٤ ـ هم التغريب والغزو الفكري والثقافي .

٥ ـ هم العدوان والاغتصاب الصهيوني .

٦ ـ هم التجزئة والتمزق العربي والإسلامي .

٧ ـ هم التسيب والانحلال الأخلاقي .

٨ ـ التعاون في المتفق عليه :

« إن بعض من ينتسبون إلى الصحوة الإسلامية والعمل الإسلامي اهتموا أكبر الاهتمام بالمسائل الخلافية ، فهو شغلها بالنهار ، وحلمها بالليل ، حولها يتركز البحث ، ولها تُقام الدروس ، ويدور الجدل ، ومن أجلها تُحمى معارك الكلام والخصام .

إنني أود لو أن رجال المسلمين جميعاً حرصوا على إطلاق لحاهم ، فأحيوا هذه السنة من سنن الفطرة ، وخرجوا من خلاف من أوجبها من الأئمة وتميزوا عن غيرهم من الأمم ، ومع هذا لا أود أن نشغل الناس بهذا أو نُفسق من لا يعفيها ، فهذا أمر عمت به البلوى ، ولهذا أسفت حين ذَكَرَ لي بعض الشباب أن أحد المولعين بالخلافيات ألقى تسع محاضرات في وجوب إعفاء اللحية وتحريم أخذ شيء منها»(١) .

في فترات ضعف الأمة تنصرف العقول والأفكار إلى صغائر الأمور ، بدلاً من أن تنصرف الأمة إلى عظائم الأمور وعليائها ، فتنهض من كبوتها ، وتفيق من غفلتها ، حتى لا تدهسها الأمم الأخرى . . في هذه الفترات تنصرف الأمة إلى ما يسمى (الترف الفكري في التأليف) وأسميته (الخواء الفكري والاضمحلال المعرفي) وبالمثال يتضح المقال :

نحن الآن في فترة ضعف شديدة . . ومع ذلك انظر إلى بعض المؤلفات :

فهذه رسالة أُلِّفَتْ أسماها صاحبها : (نهي الصحبة عن النزول على الركبة) .

---

(١) د. يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية ، ص ١٤٥ .

كتاب آخر عنوانه : (الواحة في جلسة الاستراحة) . .

وهذه هيئات للصلاة يا أمتي لا تحتاج هذه الضجة .

كتاب آخر عنوانه : (أسفار الصبح في قنوت الصبح) .

وحتى لا نتجه نفس الوجهة التي نحذر منها.. نركز على المتفق عليه.

إن المشكلة الكبرى للأمة في تضييع الأمور المتفق عليها.

* مشكلة المسلمين ليست فيمن يقول : **استوى على العرش** بمعنى استولى أو كناية عن عظمه سلطان الله ، بل فيمن يجحد العرش ورب العرش .

* مشكلة المسلمين ليست فيمن **يجهر بالبسملة** أو يخفضها ولا يقرؤها في الصلاة ، ولا فيمن يرسل يديه في الصلاة أو يقبضها ، أو يرفع يديه عند الركوع أو الرفع منه أو لا يرفعها ، إنما مشكلة المسلمين فيمن لا ينحني يوماً لله راكعاً ، ولا يخفض جبهته ساجداً ، ولا يعرف المسجد .

* مشكلة المسلمين ليست فيمن **يأخذ بأحد المذاهب** في إثبات هلال رمضان أو شوال ، إنما مشكلة المسلمين فيمن لا يعرف صياماً ولا قياماً ، بل يفطر عمداً جهاراً أو نهاراً بلا خشية ولا حياء .

* مشكلة المسلمين ليست في عدم تغطية الوجه بالنقاب واليدين بالقفازين كما هو رأي البعض ، بل مشكلة المسلمين في تعرية الرؤوس والنحور والظهور ولبس القصير الفاضح والشفاف الواصف .

* **إن المشكلة حقاً هي** : وهن العقيدة ، وتعطيل الشريعة ، وانهيار الأخلاق ، وإضاعة الصلوات ، ومنع الزكوات ، واتباع الشهوات ، وشيوع الفاحشة ، وانتشار الرشوة ، وخراب الذمم ، وترك الفرائض الأصلية ، وارتكاب المحرمات القطعية ، وموالاة أعداء الله ورسولهِ والمؤمنين .

* مشكلة المسلمين تتمثل في إلغاء العقل ، وتجميد الفكر ، وقتل الحرية ، وإماتة الحقوق ، ونسيان الواجبات ، وتفشي الأنانية ، وإهمال سنن الله في الكون والمجتمع ، وإعلاء الحكام على الشعوب ، والقوة على الحق .

* مشكلة الأمة المسلمة الحقيقية هي : إضاعة أركان الإسلام، ودعائم الإيمان، وقواعد الإحسان، وهي الثلاثة التي سأل عنها جبريل رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح المشهور : « **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** »(١).

■ ألسنا متفقين على أن القرآن كلام الله، وأنه تعالى متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص؟ فلنتعاون على غرس الإيمان في الأنفس الناشئة والشباب بعيداً عن الجدل الفلسفي والكلامي.

■ ألسنا متفقين على أن الإلحاد أعظم خطراً يهدد البشرية؟ فلنحصن الشباب من وباء الإلحاد ؟ .

■ ألسنا متفقين على أركان الإسلام الخمسة؟ فلنتعاون على حسن تعليمها للمسلمين والاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية الحديثة.

■ ألسنا متفقين على مكارم الأخلاق؟ فلنتعاون على إشاعة الأخلاق الفاضلة، قال رجل: يا رسول الله ، إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: « **ستنهاه صلاته** »(٢).

■ ألسنا متفقين على مجموعة طيبة من الأحكام الشرعية القطعية الثابتة بمحكم القرآن والسنة؟ فلنتعاون على رعايتها وحسن تطبيقها وحمايتها.

■ ألسنا متفقين على أن الصهيونية اليوم خطر داهم، خطر ديني - خطر عسكري - خطر سياسي - اقتصادي - اجتماعي - وخطر أخلاقي وثقافي وحضاري وأنها تريد هدم الأقصى وأنها تطمح في المدينة وخيبر؟ فلماذا لا نتعاون على أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به؟ لماذا لا نتعاون أن نقف في وجه اليهودية الماكرة الزاحفة على البلاد الإسلامية؟

---

(١) الحديث الثاني في الأربعين النووية، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رواه مسلم.

(٢) رواه الحافظ أبو بكر البزار، والإمام أحمد في مسنده، وانظر مختصر ابن كثير في تفسير سورة العنكبوت، الآية ٤٥ ، وكنز العمال، جـ١ ، رقم ٢٤٤٢ .

هذا غيض من فيض وما زال في النفس الكثير، فيها الألم وفيها الحسرة وفيها الحزن!! ولكن لماذا لا يتناسى الإسلاميون خلافاتهم الجزئية في المسائل الاجتهادية والأمور الفرعية لتتضام الجهود، وتلتئم الصفوف وتتوحد الجبهة في مواجهة القوى الضخمة المعادية لهم، والمتربصة بهم، والتي تختلف فيما بينها وتتفق عليهم؟

إن المتفق عليه ليس بهين ولا قليل، فهو يحتاج إلى جهود تشغل كل الطاقات، وحرام على الصحوة الإسلامية أن تعترك فيما بينها على اللحية والثوب والنقاب والحجاب والسدل والقبض والتأويل والتفويض وتحريك الأصابع في التشهد، وهي أمور اختلف فيها علماؤنا، ولن نستطيع حسمها مهما حاولنا، لأنها من طبيعة ديننا، فالتزم بما شئت في المسائل الخلافية، ولاتُلزمني برأيك، ولاأُلزمك برأيي، ولانجعلها مادة للخلاف وعند البعض قد تؤدي للاقتتال.

٩ ـ التسامح في المختلف فيه :

إذا كان التعاون في المتفق عليه واجب، فأوجب منه هو التسامح في المختلف فيه حتى تكتمل القاعدة الذهبية بشقيها وهي التي صاغها **العلامة السيد محمد رشيد رضا** رحمة الله صاحب مجلة المنار (وتفسير المنار) وهي القاعدة التي تقول: **«نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»**.

والمقصود بالتسامح هنا: ألا نتعصب لرأي ضد رأي آخر في المسائل الخلافية، ولا لمذهب ضد مذهب، ولا إمام ضد إمام، بل نرفع شعار التسامح، وهذا التسامح هو المنشود، لكن يحتاج إلى مبادئ منها :

١ ـ احترام الرأي الآخر، (فكلٌ من رسول الله ﷺ قد أخذ).

٢ ـ إمكانية تعدد الصواب(١)، مثل تعدد أوجه القراءة إلى سبع أو عشر قراءات، ورأينا تلاميذ الأئمة يخالفون شيوخهم، مثل أبي يزيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة في المذهب المالكي يقتني كلباً للحراسة مخالفاً ما أثر عن مالك من كراهة ذلك، فلما لامه من لامه على مخالفته لإمام

---

(١) وهناك من قال : الصواب واحد غير متعين، قال العلماء : فإن تعين يكون بغلبة الظن، وغلبة ظنك لا تُلزِم غيرك.

المذهب، قال: «لو كان مالك في زماننا لاتخذ أسداً ضارياً»، وفي واقعة بني قريظة لم يُحدد الصواب، ولا أين صلىٰ النبي ﷺ.

٣ ـ حتمية الاختلاف في تكييف الواقع.

١٠ ـ الكف عمن قال: لا إله إلا الله:

عن **عبدالله بن عمر** رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**»(١).

وقصة **أسامة بن زيد** مع الرجل الذي قتله في المعركة بعدما قال الرجل: لا إله إلا الله، وقول النبي ﷺ له ثلاث مرات: «**أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟**». قال: «يارسول الله قالها تعوذاً من السيف»، فلم يقبل منه النبي ﷺ ذلك، وقال: «**هلا شققت عن قلبه؟ اللهم إني أبرأ إليك مما فعل أسامة**». يقول أسامة: «تمنيت أن لم أكن أسلمت إلا ساعتها»(٢).

ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولابخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، حتىٰ إن المصلي الجمعة خلف فاجر اختلف الناس في إعادة الصلاة وكرهها أكثرهم، حتىٰ قال أحمد بن حنبل في رواية عبدوس: من أعادها فهو مبتدع، وهذا أظهر القولين، لأن الصحابة لم يكونوا يعيدون الصلاة إذا صلوا خلف أهل الفجور والبدع، ولم يأمر الله تعالىٰ قط أحداً إذا صلىٰ كما أمر بحسب استطاعته أن يعيد الصلاة»(٣).

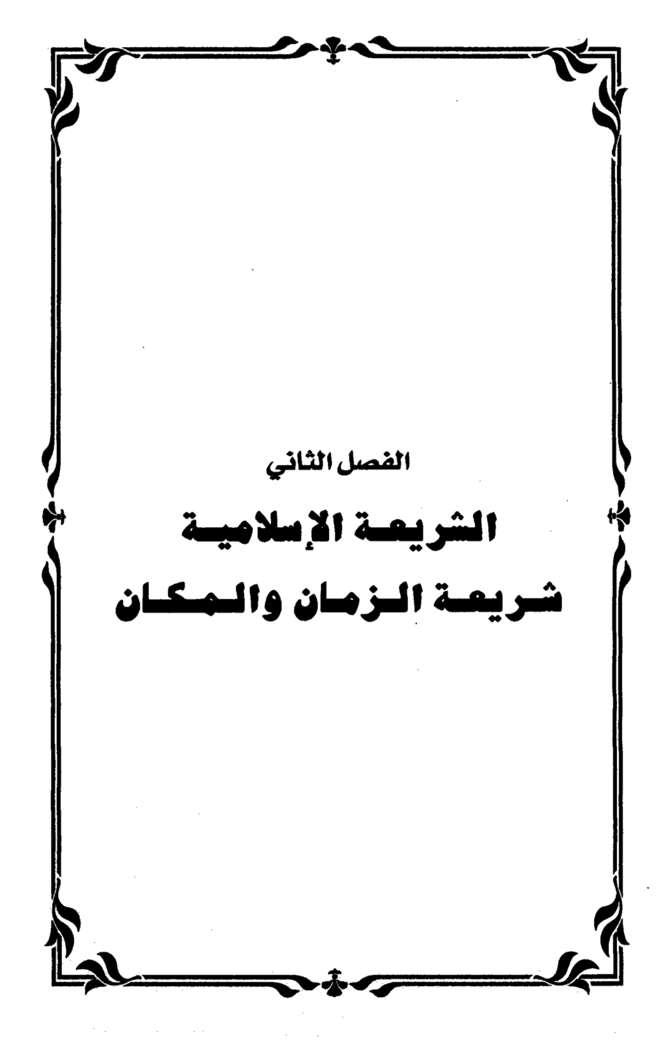
هذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية بوضوح منكراً أشد الإنكار علىٰ من يكفرون الناس بذنب أو خطأ، داعياً إلىٰ التزام الجماعة وعدم الشذوذ عنها، ومجوزاً الصلاة وراء المبتدع أو الفاجر.

---

(١) رواه البخاري، أدب ٧٣، ومسلم، إيمان ١١١.

(٢) أخرجه مسلم بلفظ: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا؟»، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.

(٣) فتاوىٰ ابن تيمية جـ ٣.



الفصل الثاني

الشريعة الإسلامية
شريعة الزمان والمكان

الفصـل الثـاني

الشريعة الإسلامية شريعة الزمان والمكان

كلما جاء طور بشري نزل تشريع يناسب هذا الطور البشري، حتى إذا وصل العقل البشري لقمة النضج جاء هذا التشريع ليخاطب العقل الراشد[1]: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾، وحيث إن هذه الشريعة تصلح لجميع الأماكن وجميع الأزمنة فلابد أن تكون لها خصائص تميزها حتى تفي بهذا الغرض الذي هي من أجله.

وسوف نوجز خصائص الشريعة [2] ومزاياها :

١ ـ الربانيــة :

أي أن أحكامها ومبادئها وأنظمتها ليست من وضع بشر يحكمه القصور والعجز والمؤثرات والهوىٰ، وإنما شارعها صاحب الخَلْق والأمر الذي أحسن كل شيء خلقه، والمؤمن حين يندفع إلىٰ تطبيق المنهج الرباني علىٰ نفسه يندفع بكليته وهو مرتاح عن رغبة وإخلاص وصدق وطواعية.

٢ ـ العالمية :

هي رحمة للعالمين، وهداية للناس كافة، ومنهاج للبشر عامة، وليست

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء الثالث، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) الفرق بين الدين والشريعة :

الدين : أن تؤمن بالله واليوم الآخر، وتقيم أركان الإسلام والعبادات، والدين منسوب إلىٰ الله تعالىٰ، والمِلَّة منسوبة إلىٰ الرسول، والمذهب منسوب إلىٰ المجتهد.

الشريعة : هي طرق العبادة، ومبادئ المعيشة والاجتماع، وقوانين ما بين العباد من المعاملات والعلائق، والحدود بين الحلال والحرام.

وعندنا وسيلتان لمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية، وهما: القرآن والسُنَّة.

انظر: مبادئ الإسلام، للمودودي، ص ١١٧ .

ويقول الجرجاني: الشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل الشريعة هي الطريق في الدين.

تشريعاً لجنس من البشر، ولا إقليم من الأرض، بل هي للإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه.

روىٰ الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خمساً لم يعطهن نبي قبلي: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وَجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وأُعْطِيتُ الشفاعة، وكل نبي كان يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس كافة**»(١).

ولهذا قال ربعي بن عامر لرستم: «نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعتها، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام»(٢).

وهذه بعضُ الآيات التي توضح أن الخطاب الإسلامي موجَّهٌ إلى البشر كافة:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات: ١٣).

﴿ **وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (يوسف: ١٠٤).

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

٣ـ الشمول (٣).

ويعني أن الإسلام دين شامل يحتوي مظاهر الحياة جميعاً.

---

(١) رواه البخاري، تيمم ١، صلاة ٥٦، جهاد ١٢٢، ومسلم، مساجد ٣.

(٢) الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله ناصح علوان، ص ١٩.

(٣) الإسلام دين شامل، ونحن لم نذكر ذلك في مكان واحد من الموسوعة، ولكن كلما تعرضنا لناحية من نواحي المجتمع الإنساني أخذنا زاوية الشمول المناسبة له، ليحدث التكامل في نهاية الموسوعة، راجع الباب الثالث (قضايا معاصرة ـ أنظمة الإسلام).

٤ ـ العطاء والتجدد (١) **:**

أحكام المعاملات والمسائل الدستورية والنظم الاقتصادية العلاقات الدولية، وأيضاً العدل والشورىٰ، **يقول الأصوليون:** «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، والذي لا يقبل التجدد مسائل العقيدة وأحكام العبادات وحرمة الزنا والربا والخمر والاختلاط والتبرج والسفور . . . »؛ لأنها مسائل وردت فيها نصوص قطعية لامجال للاجتهاد فيها، فهي منطقة مُحرَّمة لا يدخلها الاجتهاد، يقول علماء الأصول: «لا مجال للاجتهاد في مورد النص»(٢) .

٥ ـ التوازن بين المادة والروح :

قال تعالىٰ : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (الجمعة: ١٠).

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من رسول الله وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . .

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**(٣).

---

(١) الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله ناصح علوان، طبعة دار السلام، ص ٢٩ .

(٢) مما يدل علىٰ عطاء الشريعة وتجددها أنها أتت بهذه القواعد التشريعية الميسرة: «الضرر يُزال» ـ «الضرر لا يزال بالضرر» ـ «يحتمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام» ـ «الضرورات تبيح المحظورات» ـ «ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها».

(٣) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٨٨٥ .

٦ ـ التوازن بين مصلحتي الفرد والمجتمع:

ظاهرة أخرىٰ فريدة في التشريع الإسلامي ألا وهي وجود التناسق والانسجام بين حياة الفرد وحياة الجماعة، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة: ١٧٩).

وقد مثل ﷺ مسئولية الفرد تجاه المجتمع، والمجتمع تجاه الفرد بالسفينة حتىٰ تسلم بسلامة عقيدتها وأخلاقها، فعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيسقون الماء فيصبّون على الذين في أعلاها، فقال الذين في أعلاها لا ندعكم تصعدون فتؤذننا، فقال الذين في أسفلها: فإنا نقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم غرقوا جميعاً**»(١) .

حتىٰ العبادات كلها تحث علىٰ الجماعة ـ صلاة ـ زكاة ـ حج. . . .

٧ ـ اليسر والبساطة والمعقولية :

﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (البقرة: ١٨٥).

﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

مِنْ يُسر الشريعة أن شرعت لنا الحج مرة واحدة للمستطيع، والزكاة للغني المالك للنصاب، وخمس صلوات في اليوم للصحيح، فإن سقم يمكن التيمم، والجمع والقصر، وشرع الصوم شهراً، وأباحت تناول المحرمات كشرب الخمر وأكل الميتة للاضطرار، ومن البساطة والمعقولية أن الصلة بين الخالق والمخلوق قائمة علىٰ الاعتقاد، وأن الله هو رب كل شيء، وأنه يقبل التوبة من عباده.

ومن سماحتها ايضاً: ربط العقيدة بالعمل الصالح، وأن المسلم من سلم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشركة باب ٦، شهادات ٣٠، ٤٠، أحمد ٤/ ٣٦٨، ٣٦٩، والترمذي، باب فتن ١٢، وقال: حسن صحيح.

المسلمون من لسانه ويده، و بالنية الصالحة تقلب العادة عبادة. وكذلك فقد حاربت الشريعة الإسلامية البدع والخرافات والأوهام، وكل ما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٨ ـ التكميل والختم والهيمنة:

مكملة لأنها جمعت في طياتها دعوات الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣). وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠). وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨)

٩ ـ الأصالة والخلود:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

١٠ ـ العدل:

هدف الشريعة إقامة العدل بين الناس جميعاً، وتحقيق الإخاء بينهم، وصيانة دماءهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم، كما صان دينهم وأخلاقهم.

قال علماء الاجتهاد والأصول: «إن من مقاصد التشريع الإسلامي خمسة: حفظ الدين ـ النفس ـ العقل ـ النسب (العرض) ـ المال»، وليست غاية الشريعة تحقيق مصلحة طبقة دون طبقة، أو جنس دون جنس، أو أمة دون أمة، أو تحقيق مصلحة مادية وإهمال الخلقية والروحية، أو تحقيق مصلحة دنيوية بقطع النظر عن المصالح الأخروية، وهذه الاعتبارات كلها مستحيل أن تتحقق في تشريع بشري.

عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية (١)

العامل الأول: سعة منطقة العفو المتروكة قصداً :

الحلال	منطقة العفو (المسكوت عنه)	الحرام
افعل	اجتهد	اترك

منطقة العفو هذه واسعة، تُركت قصداً من الشارع وذلك بنص الحديث: «**إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض أشياء فلا تضيعوها، وحَرَّم أشياء فلاتنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»(٢).

انظر إلىٰ كلمة «**لا تبحثوا عنها**» إنها نزلت علىٰ الصحابة في زمن الوحي حتىٰ لا يترتب علىٰ تقعرهم تشدد من إيجاب واجبات، أو تحريم محرمات، لقول رسول الله ﷺ: «**ذروني ما تركتكم**»(٣).

وكذلك حديث سلمان: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينس شيئاً**»(٤)، ثم تلا قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم: ٦٤).

ولذلك نجد من الأهمية الإشارة إلىٰ مقاصد السكوت التشريعي، وذلك لأسباب منها:

أ - سد باب الاتهام بالبدعة.

ب - قطع الطريق علىٰ الشطط والغلو.

---

(١) هذه العوامل من كتاب د. يوسف القرضاوي، عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية.

(٢) رواه الدارقطني، وحسنه النووي في الأربعين عن أبي ثعلبة الخُشني، راجع تخريجه كاملاً في جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص ٣٧٦، وهو الحديث الثلاثون في الأربعين النووية.

(٣) رواه البخاري، اعتصام ٣، حج ٤١١، فضائل ١٣١.

(٤) رواه البزار ورجاله ثقات والحاكم برقم ٣٤٦٩، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي.

مقاصد السكوت التشريعي (١)

إن الشارع يكلف الخلق بما شرع فلا يتصور له سكوت هو عبث: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٥). ولا يجوز عليه أن يترك الناس سدىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة: ٣٦).

وإنما لابد لسكوته من حكمة يتغياها ومقصد يرمىٰ إليه وكما أن نطق الشارع تكليف فإن في سكوته تكليفاً وهو في حال النطق تكليف بالفعل أو بعدم الفعل وفي حال السكوت هو تكليف بالبحث والنظر وبذل الوسع واستنفاد الطاقة في التعرف علىٰ الحكمة الكامنة في سكوته والمقصد الذي يرمىٰ إلىٰ تحقيقه بهذا السكوت، توسلاً بذلك وتوصلاً من خلاله إلىٰ معرفة ما يجب علينا أو يجوز لنا فعله أو الامتناع عنه.

السكوت وكمال التشريع:

الأصل في التشريع الإسلامي أنه دال للناس علىٰ الخير والبر كله جميعه بصورهما كافة ناه عن الشر كله والإثم جميعه بصورهما ووجوههما كافة.

وليس ذلك إلا نتيجة مباشرة لإحاطة العلم الرباني بكل شيء: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ (مريم).

والشاهد في هاتين الآيتين قول الله ـ تعالىٰ جده ـ: ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾، فهما جملتان دالتان علىٰ إحاطة علم الله تبارك وتعالىٰ بما كان، وبما هو كائن، وبما سوف يكون.

وأن هذه الإحاطة لا ينال منها النسيان.

---

(١) مجلة الرسالة، أ. د. محمد سليم العوا، العدد ٢٨، ص ٨٨، مركز الإعلام العربي.

قال الإمام القرطبي في تفسير جملة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ المعنىٰ: أنه عالم بجميع الأشياء متقدمها ومتأخرها، ولا ينسىٰ منها شيئاً[(1)].

وفي تفسير الإمام الطبري: «لم يكن ربك ـ رب السموات والأرض ـ نسياً: لأنه لو كان نسياً لم يستقم ذلك، (أي أمر السموات والأرض)، ولهلك لولا حفظه إياه»[(2)].

ونقل الحافظ ابن كثير في تفسيره ما رواه الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في سننه وغيرهما عن أبي الدرداء يرفعه: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾»[(3)].

ولقد أدىٰ لفظ ـ عافية ـ وفي بعض الروايات عفو ـ ببعض العلماء إلىٰ القول بأن بين مرتبتي الحظر والإباحة ـ بدرجاتهما ـ مرتبة تسمىٰ مرتبة العفو[(4)].

مقاصد السكوت

المقصد الأول: الرحمة بالخلق:

يظهر ذلك واضحاً في أحاديث كثيرة: «**إن الله حد حدوداً...**» وحديث: «**ذروني ما تركتكم**»، وحديث: «**إن أعظم المسلمين في المسلمين جُرماً من سأل عن شيء لم يُحرم فحُرم عليهم من أجل مسألته**»[(5)].

والرحمة مقصد عام للتشريع كله يكفي أن يدل عليه تسمية الله ـ تعالىٰ جده ـ نفسه الرحمن الرحيم فحيثما ظننتها مقصودة من نطق أو سكوت للشارع الحكيم، فاشدد يديك بها فإنك ـ إن شاء الله ـ علىٰ أصل من أصول الإسلام العظيم.

---

(1) القرطبي: أحكام القرآن، طبعة دار الكتب المصرية (مصورة) ١٩٦٧م، جـ١١، ص ١٣٠.
(2) ابن جرير الطبري، التفسير، المطبعة الأميرية ١٣٢٨ هـ، جـ١٦، ص ٧٩.
(3) ابن كثير في التفسير، طبعة كتاب الشعب بالقاهرة، جـ٥، ص ٢٤٥.
(4) الزركشي البحر المحيط، والشاطبي الموافقات.
(5) رواه البخاري ٧٢٨٩، ومسلم ٢٣٥٨.

المقصد الثاني : منع المشقة ورفع الحرج:

كما في الحديث الصحيح إن رسول الله ﷺ أخر صلاة العشاء يوماً حتى نام النساء والولدان فخرج وهو يمسح الماء عن شقه (يعني ماء الوضوء)، يقول: «**إنه للوقت لولا أن أشق على أمتي**»(١)، وفي رواية صحيحه: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها هكذا**» (يعني في ذلك الوقت)، ومثل ذلك أيضاً حديث السواك.

المقصد الثالث : حفظ نظام الدولة والتخفيف عن الحكام بعده:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**انتدب الله لمن خرج في سبيله ـ لا يخرجه إلا إيمان به وتصديق برسله ـ أن يرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو يدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، و لوددت أني أقتل ثم أحيا ثم أُقتل، ثم أحيا ثم أُقتل**»(٢).

وللحديث مقصد آخر سوى منع المشقة ودفع الحرج، ذلكم هو حفظ نظام الدولة ببقاء رأسها فيها يدير شؤونها وينظم أحوالها ويمد المقاتلين بما قد يحتاجون إليه من المدد والعُدة.

المقصد الرابع : منع الفتنة :

في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «**لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام**»(٣).

المقصد الخامس : المحافظة على الحقوق المكتسبة :

عن عليّ وغيره أن رسول الله ﷺ أتي عام حجة الوداع زمزم وبنو عبدالمطلب

---

(١) البخاري عن ابن عباس ٥٧١، عن ابن عمر ٧٢٣٩، ومسلم عن عبدالله بن عمر ٦٣٩، وعن عائشة ٦٣٨.

(٢) رواه البخاري، رقم ٣٦.

(٣) رواه البخاري، رقم ١٥٨٥.

يحملون منها الماء للسقاية فقال: «**يا بني عبدالمطلب لولا أن يغلبكم الناس عليهه لنزعت**»(١).

أي لحملت الماء من البئر معكم، وذلك حتى لا تضيع الحقوق المكتسبة: «**فقد كان بنو عبدالمطلب عند بعثة النبي ﷺ لهم السقاية والعمارة ولبني عبدمناف الرفادة ولبني عبدالدار السدانة والحجابة**»(٢).

المقصد السادس: التخفيف من التكليف بالترغيب في العمل والترهيب منه:

في أحاديث كثيرة نرى رسول الله ﷺ يقول: «**لو يعلم الناس... لفعلوا...**» مثل: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**»(٣)، وفي حديث: «**لو يعلم الناس ما في العتمة (صلاة العشاء) والصبح لأتوهما ولو حبوا**»(٤).

والمقصد أن يطمع الفاعل للمأمور به في عظيم الثواب ولا ييأس التارك أو فاعل المنهي عنه من رحمة ربه.

المقصد السابع: ترك الحرية للأمة في تنظيم شئون حياتها:

وهذا المقصد من أهم المقاصد، حيث يتضح فيه الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية من حياة الناس، ومن أمثلة ذلك:

ـ **المثال الأول: إدارة الشأن السياسي:** الشورى وسيأتي الحديث عنها في الفصل الثالث.

ـ **المثال الثاني: رئاسة الدولة:** انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يعين خليفة أو يدلهم على طريقة يختارون بها الخليفة، ودون أن يضع نظاماً لرئاسة الدولة يلتزمه المسلمون بعده، ومن هنا اختلفت الطريقة التي تولى بها كل من الخلفاء الراشدين الأربعة الخلافة.

---

(١) رواه أحمد في المسند ١٣٤٨، والترمذي ٨٨٥، وقال: حسن صحيح.

(٢) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف للسهيلي، جـ١، ص ٥٨.

(٣، ٤) رواه البخاري، أذان ٩، ٣٢، ومسلم، صلاة ١٢٩.

وليس لهذا سبب إلا أن يُترك الناس أحراراً في تنظيم شئون حياتهم بحسب ما يرونه محققاً للمصلحة أو مانعاً للمفسدة، وهو نفسه ما فهمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سأله أصحابه وهو طعين وشيك الموت: نولي بعدك الحسين؟ قال: «لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر»(١).

أقول: ومن هنا فإن أي وسيلة لاختيار الحاكم هي وسيلة مشروعة طالما أنها تستند إلى الشورى للحديث: **«الإمارة شورى»**(٢).

- **المثال الثالث: العدالة القضائية :** أمر القرآن الكريم بالعدل القضائي أمراً مباشراً صريحاً: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ (النساء: ٥٨).

أما تفصيلات إنشاء نظام القضاء وإدارة مرفق العدالة فقد تركها النص القرآني والنبوي عمداً ليختار الناس في كل زمان ومكان ما يناسب أحوالهم ويحقق مصالحهم(٣).

- **المثال الرابع: الشأن الاقتصادي :** لم يأت التشريع الإسلامي في الشأن الاقتصادي إلا بعموميات تحتمل حلولاً لا تحصى بحسب اجتهاد الناس في تطبيق أحكام هذه العموميات على واقعهم الاقتصادي.

لقد حرم الإسلام الربا ونهى عن أكل المال بالباطل وكفل حرية الكسب الحلال وأمر بإحياء الأرض الموات وأمر بكفالة الفقير.

هذه مبادئ أساسية قررها التشريع الإسلامي، أما سكوت التشريع عن التفصيلات فمقصده ترك الناس أحرار في تنظيم حياتهم الاقتصادية، يأتي في الباب الثالث تفصيل للنظام الاقتصادي في الإسلام.

---

(١) المدخل للشيخ محمد مصطفى شلبي، ص ٢٨٢ ، طبعة القاهرة ١٩٦٦م.

(٢) رواه عبدالرازق الصنعاني في مصنفه، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٩٧٢م، جـ٥، ص ٤٤٦ .

(٣) سيأتي تفصيل ذلك في الباب الثالث .

يقول د.سليم العوا: «والذي يظهر للمتتبع لمواضع التشريع ومستجدات الواقع ـ أنه لو لا السكوت التشريعي لتعذر أو تعسر بناء نظم الحياة على أساس من الشريعة الإسلامية واستصحاب فقهها»(١).

العامل الثاني: اهتمام النصوص بالأحكام الكلية:

إن معظم النصوص جاءت في صورة مبادئ كلية وأحكام عامة، ولم تتعرض للجزئيات والتفصيلات والكيفيات إلا فيما كان شأنه الثبات والدوام برغم تغير الزمان والمكان، كشئون العبادات والزواج والطلاق والمواريث ونحوها من شئون الأسرة، فقد عالجته الشريعة بالتفصيل الملائم سداً لباب الابتداع والتحريف في أمور العبادة، وحسماً للنزاع والصراع في أمور الأسرة، وإرساءً لدعائم الاستقرار في الجانبين معاً وهما أخطر أمور الحياة. أما فيما عدا ذلك مما يختلف تطبيقه باختلاف الأزمنة والأمكنة والأموال والعوائد فكانت النصوص فيه غالباً عامة مرنة إلى حد بعيد حتى لا يُضيق الشارع على الناس إذا ألزمهم بجزئيات قد تصلح لعصر دون عصر ولإقليم دون إقليم.

العامل الثالث: قابلية النصوص لتعدد الأفهام:

لا عجب أن يتسع صدر الفقه الرحب لمن يأخذ بالعزيمة كابن عمر، ومن يأخذ بالرخصة كابن عباس، والقياسي كأبي حنيفة، والأثري كأحمد، والظاهري كداود!! فرأينا مدرسة الرأي، ومدرسة الحديث والأثر، وأهل الألفاظ والظواهر، وأهل المعاني والمقاصد والمتوسطين والمعتدلين بين هؤلاء وأولئك.

العامل الرابع: رعاية الضرورات والأعذار والظروف الاستثنائية:

كما في الحديث الشريف: « **إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**»(٢).

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ٢٨، ص ٩٦.

(٢) رواه أحمد، جـ ٣ رقم ١٠٨، مجمع الزوائد، جـ ٣، ورجاله رجال الصحيح، والبزار والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.

وحديث : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(١).

العامل الخامس: تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف :

من المعلوم أن أحكام الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد، وإقامة القسط بينهم، وإزالة المظالم والمفاسد عنهم، وهذا ما ينبغي مراعاته عند تفسير النصوص وتطبيق الأحكام، فلا يجمد الفقيه على موقف واحد دائم يتخذه في الفتوى أو التعليم أو التأليف أو التقنين، وإن تغير الزمان والمكان والعرف والحال، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

كلام ابن القيم في تغير الفتوى:

حيث إن الفتوى تتغير وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد والنيات، ذكر ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) فصلاً لذلك قال فيه :

« هذا فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدالة إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن أُدخلت فيها بالتأويل»(٢).

الفتاوى نوعان :

أولاً : ثابتة : لا تتغير عن حالة واحدة عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات والحدود المقررة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك.. فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

---

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب ١٦ عن ابن عباس، قال في الزوائد: إسناده صحيح.

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم، جـ ٣ ص ١٤، ١٥ .

ثانياً : متغيرة : تتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيرات وأخبارها وأجناسها وصفاتها، فإن الشرع ينوع فيها بحسب المصلحة إلى أن قال ابن القيم: «وهذا باب واسع اشتبه فيه على كثير من الناس الأحكام الثابتة التي لا تتغير بالتعزيرات التابعة للمصالح وجوداً وعدماً»(١).

دليل تغير الفتوى من القرآن:

يقول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ** ﴾ (الأنفال: ٦٥).

ثم قال الله تعالى: ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الأنفال: ٦٦).

دليل تغير الفتوى من السنة:

* قال عبد الله بن عمرو بن العاص: كنا عند النبي ﷺ فجاء شاب فقال: يارسول الله، أُقَبِّلُ وأنا صائم؟ قال: «**لا**»، فجاء شيخ فقال: يا رسول الله، أُقَبِّلُ وأنا صائم؟ قال: «**نعم**»، فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله ﷺ: «**قد علمتُ نظر بعضكم إلى بعض، إن الشيخ يملك نفسه**»(٢).

* وقال ﷺ: «**كنتُ نهيتكم عن إدخار لحوم الأضاحي فكلوا وأطعموا وادخروا**»(٣).

* وقال ﷺ: «**كُنت نهيتكم عن زيارة القبور.. ألا فزوروها**»(٤).

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، جـ١ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٢٠ـ ١٨٥، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح .

(٣) رواه مسلم، جنائز ٩٧٧، وعند الترمذي برقم ١٥١٠ .

(٤) رواه مسلم، جنائز ٩٧٧، وعند الترمذي برقم ١٠٥٤ .

* وجاء رجلٌ يسأل النبي ﷺ عن وصية جامعة، فقال له: «**لا تغضب**»، وقال لآخر: «**قُل آمنت بالله ثم استقم**»(١)، وقال لثالث: «**أمسك عليك لسانك**»(٢). . وهكذا يعطي لكل إنسان من الدواء ما يرىٰ أنه أشفىٰ لمرضه، وأصلح لأمر. .

* وعن أبي هريرة أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن أي الأعمال أفضل فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهادٌ في سبيل الله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور** »(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ترىٰ الجهاد أفضل العمل؟ قال: «**لكُنَّ! ! أفضل الجهاد حج مبرور**»(٤).

هدي الصحابة في تغير الفتوى :

١ ـ تغير فتواهم في عقوبة شارب الخمر :

* عن أبي هريرة قال: أتي النبي برجل قد شرب فقال: «**اضربوه**»، قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم أخزاك الله، فقال ﷺ: « **لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان**»(٥).

* وسُئِل ابن شهاب: كم جَلَدَ رسولَ الله في الخمر؟ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فرض حداً فيها، كان يأمر من حضر أن يضربوه حتىٰ يقول: ارفعوا(٦).

* وقد ذُكِرَ في الفتح أن رسول الله ﷺ لم يضرب الشارب أصلاً في بعض المواقف. .

---

(١) رواه مسلم، إيمان ٦٢، وأحمد في المسند، جـ ٣/ ٤١٣ .

(٢) أخرجه الترمذي، زهد ٦١، رقم ٢٤٠٦، وقال: هذا حديث حسن، والطبراني في الكبير.

(٣، ٤) رواه البخاري، إيمان ١٨، مواقيت ٥، توحيد ٤٧، ٤٨، ٥٦، جهاد ١، ٦٢، ومسلم، إيمان ١٣٥، ١٣٧ .

(٥) رواه البخاري، حدود ٤ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق عن معمر وابن جريج، وفي رواية مسلم، حدود ٣٨ : «فقال يا عبدالله ابن جعفر، قم فاجلده فجلده، وعليٌّ يَعُدُّ حتىٰ بلغ أربعين، فقال أمسك»

* و عن ابن عباس لم يوقت رسول الله ﷺ في الخمر حداً، قال ابن عباس : وشرب رجل فسكر فانطلق به إلىٰ النبي ﷺ، فلما حاذىٰ دار العباس انفلت فدخل فيها فالتزمه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فضحك ولم يأمر بشيء(١).

* وجعل عمر رضي الله عنه حد السكران حد الفرية، لأنه إذا شرب افترىٰ وقذف الأبرياء، وحد الفرية ثمانون جلدة.

* وعن السائب بن يزيد قال: كنا نؤتىٰ بالشارب علىٰ عهد رسول الله ﷺ وإِمْرَة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتىٰ كان آخر إِمْرَة عمر فجلده أربعون جلدة، حتىٰ إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين جلدة(٢).

٢ ـ تغير فتوى الصحابة في زكاة الفطر:

منهم من أخرج نصف صاع ومنهم من قال: صاع(٣).

٣ ـ تغير فتوى عمر رضي الله عنه في زكاة الخيل:

عندما جاء أهل الشام إلىٰ عمر فقالوا: إنا أصبنا أموالاً خيلاً ورقيقاً نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور، قال: «ما فعله صاحباي قبلي فأفعله»(٤).

---

(١) عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله لم يفت في الخمر شيئًا وقال ابن عباس شرب رجل الخمر فسكر فلقىٰ يميل في الفج، فانطلق به إلىٰ النبي ﷺ، فلما حاذىٰ بدار العباس انفلت فدخل علىٰ العباس فالتزمه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فضحك وقال: (أفعلها) ولم يأمر بشيء، رواه أبو داود في كتاب الحدود، باب ٣٥، وكذا أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ١ رقم ٣٢٢.

(٢) في رواية البخاري، حدود حديث رقم ٦٧٧٣، ومسلم، حدود، حديث رقم ١٧٠٦، عن أنس: «أُتِي رسول الله ﷺ برجل قد شرب الخمر، فضربه بالنعال نحواً من أربعين، ثم أُتِي أبو بكر فصنع مثل ذلك، ثم أُتِي به عمر، فاستشار الناس، فقال ابن عوف: أقل الحدود ثمانون، فضربه عمر.

(٣) لم يُخرج نصف صاع إلا معاوية وما وافقه في ذلك أحد، والحديث عن أبي سعيد في صحيح مسلم، وسيأتي تفصيل ذلك بمشيئة الله في باب الفقه.

(٤) رواه أحمد والطبراني، عوامل السعة والمرونة، د. القرضاوي، ص ٩٢.

عن يعلي بن أمية قال: ابتاع عبد الرحمن أخو يعلى من رجل من أهل اليمن فرساً أنثى بمائة قلوص (ناقة شابة) فندم البائع ولحق بعمر، فقال: غصبني يعلى وأخوه فرساً لي، فكتب عمر إلى يعلى أن الحق بي، فأتاه فأخبره الخبر، فقال: إن الخيل لتبلغ هذا عندكم؟ ما علمت أن فرساً يبلغ هذا!! فنأخذ من كل أربعين شاه ولانأخذ من الخيل شيئاً خذ من كل فرس ديناراً فضرب على الخيل ديناراً ديناراً[1].

فتوى عمر في المؤلفة قلوبهم:

عمر بن الخطاب[2] ـ رضي الله عنه ـ قام بتوجيه سهم المؤلفة قلوبهم إلى ما ينفع المسلمين، فإذا حان الوقت وتمخض عن وجود أصحابه كان لهم حقاً محفوظاً يُعطى لهم، للحديث الذي في الصحيح: «**بدأ الإسلامُ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**»[3]، وذهبت الأحناف إلى أن سهم المؤلفة قلوبهم قد سقط بإعزاز الله لدينه، فقد جاء عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس، وطلبوا من أبي بكر نصيبهم، فكتب لهم به، وجاءوا إلى عمر، وأعطوه الخطَّ، فأبى ومزقه، وقال: هذا شيء كان النبي ﷺ يعطيكموه، تأليفاً لكم على الإسلام، وأغنى عنكم، فإن ثبتُّم على الإسلام، وإلا فبيننا وبينكم السيف، قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق والبيهقي، راجع عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، د. القرضاوي، ص ٩٣ .

(٢) كثيراً ما يُقال في كتب الفقه أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أوقف سهم المؤلفة قلوبهم، وأوقف حد السرقة في عام المجاعة، وهذا السياق ليس دقيقاً.

وللدقة العلمية نقول: أن ذلك ليس من قبيل وقف النص أو تعطيله، وإنما من قبيل عدم توافر شروط تطبيق النص وهو ما يُعبر عنه باصطلاح «زوال الوصف».

لأنه لا يملك أحد أن يُوقف نصاً، أو يُعطِّل حدّاً من حدود الله، فلقد وجد العلماء أن شروط حد السرقة في عام الرمادة لا تنطبق على السارق من حيث قيمة المسروق، أو الحرز، كما قال العلماء: «من سرق ليأكل لا حدَّ عليه».

(٣) رواه ابن ماجة، فتن ١٥، والدارمي، رقاق ٤٢، وأحمد ٢/ ٣٨٩، والترمذي، إيمان ١٣، حديث رقم ٢٦٢٩، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . . ﴾ (الكهف: ٢٩).

فرجعوا إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، فقالوا: الخليفة أنت أم عمر؟ بَذَلْتَ لنا الخطَّ فمزَّقه عمر، فقال: هو إن شاء الله (١).

والحقيقة أن سهم المؤلفة قلوبهم لم يسقط ولم يُنسخ بفعل عمر بن الخطاب، وإقرار أبو بكر لذلك (٢).

فتوى عمر في طلاق الثلاث:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«من إلزامه رضي الله عنه للمطلق ثلاثاً بكلمة واحدة بالطلاق وهو يعلم أنها واحدة، ولكن لما رأى إكثار الناس منه رأى عقوبتهم بإلزامهم به».

تغير فتوى عمر في عام المجاعة:

١ ـ تأخير جباية زكاة الماشية حتى يزول القحط وينزل المطر، فلما كان العام القادم جمع الزكاتين.

٢ ـ ترك القطع لمن سرق في هذا العام.

جمع القرآن وكتابته في المصاحف:

تم الجمع في عهد أبي بكر، وكتابة المصحف في عهد عثمان، وإحراق ما سواها على عكس ما كان في عهد الشيخين.

تغير فتوى ابن عباس في توبة القاتل:

« روى ابن أبي شيبة بسنده: أن رجلاً جاء إلى ابن عباس فقال:

أَلِمن قتل مؤمناً توبة؟

---

(١) راجع فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، ص ٦٠٠، طبعة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

(٢) إذا أردت البحث العلمي في تأصيل هذه القضية، راجع فقه الزكاة، ص ٦٠٠ ـ ٦١١.

قال : لا إلىٰ النار ، .

فلما ذهب قال له جلساؤه : ما هكذا كنت تفتنا ، فما بال هذا اليوم؟

قال : «إني أحسبه مغضباً يريد أن يقتل مؤمناً» .

فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك .

وفي عهد التابعين نرىٰ الإمام الشافعي له مذهب وفقه وهو في العراق ، وحينما حضر إلىٰ مصر كانت له آراء أخرىٰ وكتب المذهب الجديد .

وكان السبب الرئيسي في تغيير جُل مذهبه ما بدا له من السنن التي لم تبلغه في العراق»[1] .

وفي العصر الحالي:

سُئل أحد الدعاة[2] في مؤتمر في اليونان عن زواج المسلم من الكتابية؟ فقال : جائز فتم الاعتراض عليه من الحاضرين وقالوا له : كيف ذلك إن قانون اليونان يقضي أنه إذا اختلفت ديانة الأب والأم يتبع الأولاد ديانة الأم ، فقال علىٰ الفور : «لا يجوز زواج المسلم من الكتابية هنا» .

وحينما ذهب إلىٰ فرنسا سُئل نفس السؤال ، وقبل الإجابة سأل المسلمين الحاضرين في المؤتمر : ما قانون الدولة هنا؟ قالوا له قانون الدولة يقضي إذا اختلفت الديانتان للأب والأم يتبع الأولاد ديانة الأب ، فقال : «يجوز زواج المسلم من الكتابية هنا» .

الخلاصة :

«أن يأتي اللفظ أو التركيب التشريعي مطلقاً أو حمَّالاً ذا وجوه يتسع بمرونته الفائقة للمصالح المتجددة والمتعددة» ، فهذا ليس عيباً في التشريع ، بل هي من مميزات التشريع ، ومن ذلك :

---

(١) عوامل السعة والمرونة ، د. يوسف القرضاوي ، مصدر سابق .

(٢) هو الشيخ وجدي غنيم .

١ ـ ما علم الله تغيره وتبدله من الأساليب والوسائل والصور والأشكال، ساق لعباده تشريعه فيه على هيئة الأصل الكلي الذي يتحدد به المعنى الإجمالي الملزم، ثم يكون للأمة المسلمة بعد ذلك حرية واسعة في اختيار أساليب التطبيق ووسائل التنفيذ، مقيدة بقواعد الشريعة العامة وضوابطها الكلية، ومثال ذلك:

النص على مبدأ الشورى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

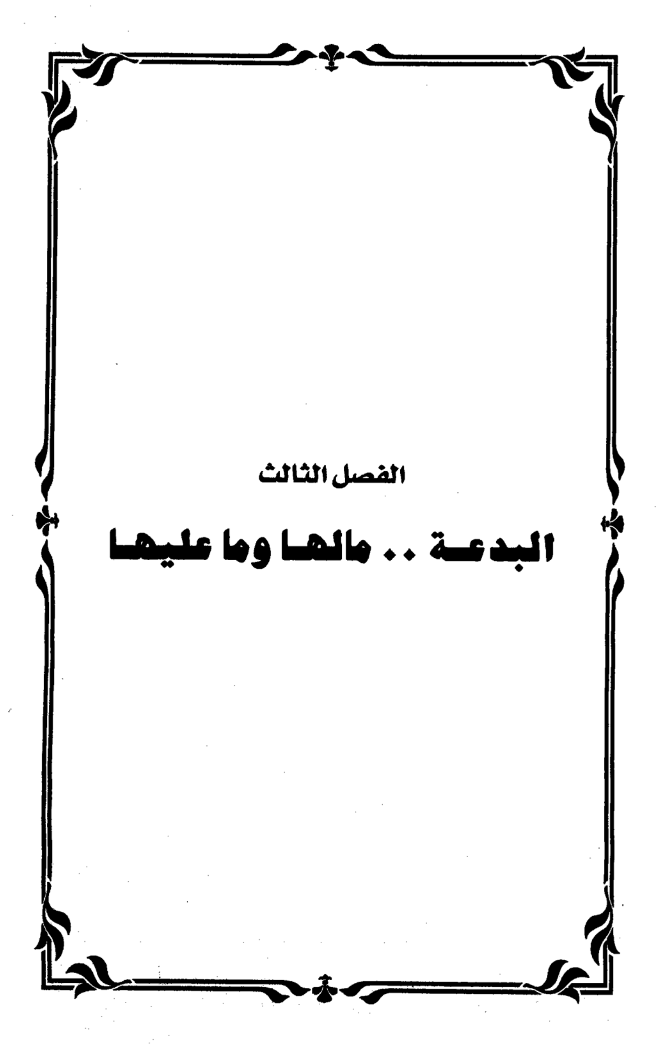
وإعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

تشمل كل أنواع القوة في كل عصر.

٢ ـ ما أراد الله تعالى في (التوسعة) على عباده من وجوه الأحكام، فيأتي اللفظ الحمَّال الذي يندرج تحته وجهان فصاعداً، وهذا النوع للتيسير على العباد وحفز همم أهل الاجتهاد لاستخراج الأحكام المناسبة لظروف الأمة من هذه النصوص المرنة، ومن أمثلة ذلك: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨). فمن أخذ القرء على أنه الحيض أو أنه الطهر وَسِعَهُ ذلك، ولو شاء ربنا لحدد تحديداً، ولكنه أراد التوسعة والتيسير»[1].

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٧١١.



الفصل الثالث

البدعة .. مالها وما عليها

الفصل الثالث

البدعة ما لها وما عليها

ابْتُلِيَت أمتنا في هذه الأيام بكثير من البلايا والخطوب، وذلك لضعفها، ومن أخطر هذه البلايا (فوضى الفهم للإسلام)(١).

ولقد دأب بعض أبناء الحركة الإسلامية ينظرون إلى الناس إذا تحركوا يميناً يقولون: هذه بدعة، وإذا تحركوا يساراً قالوا: هذه بدعة، إذا جلسوا قالوا: هذه جلسة مبتدعة، وإذا وقفوا . . . حتى قال أحدهم: إن البدعة هي كل ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ.

فرد عليه الآخر: إذن أنت بدعة، قال: له كيف؟

قال: لأنك تفعل كثيراً مما لم يفعله النبي ﷺ، ولأنك لم تكن موجوداً على عهد رسول الله ﷺ.

نسأل الله أن يسلم الأمة من (قطع الليل المظلم)(٢) .

فكان لزاماً علينا بل وواجب علينا تجلية هذا الأمر بوضوح لنعرف لهذا الأمر حدوده ما له وما عليه، فمن شروط قبول العمل: الإخلاص والموافقة للشرع.

معنى السُّنَّة والبدعة :

السنة في أصل اللغة : السنة فعل من السن: وهو انتهاج الطريق والسير فيه، فسنة كل أحد هي طريقته التي تبعها، ومنهجه الذي يسلكه عادة في أمر الدين أو غيره كانت من الأمور الحميدة أو غيرها. ولذا في الحديث: «**من سن في الإسلام**

---

(١) سيأتي توضيح لهذا الموضوع الخطير مع الواجبات العملية فيه، وذلك في باب الدعوة والتفسير من هذه الموسوعة.

(٢) المراد بها الفتن كما في الحديث: «**ستكون فتناً كقطع الليل المظلم**»، رواه مسلم، إيمان ١٨٦ .

سنة حسنة ... ومن سن في الإسلام سنة سيئة...»(١) .

إذن: اللغة تُسمي الطرائق الجديدة بدعاً من حيث كونها غير مسبوقة بأمثالها، تسميها كذلك سنناً من حيث إن سلوك الواضع لها يجعلها عادة متبعة .

إذن السنة والبدعة بمعنى واحد . . .

السنة في استعمال الشرع : كلمتا السنة والبدعة في الاستعمال الشرعي تستعملان في الشئون الدينية(٢) .

السنة في الصدر الأول : تتناول من الطرائق الدينية ما كان حقاً وصواباً ، الذي رسمه لنا كتاب الله وبينه رسوله ﷺ.

البدعة في أصل اللغة: البَدْع و (البديع) المخترَع الجديد الذي لم يسبقه نظير .

البدعة: الاختراع والاستحداث الأول لصُنعه أو مذهب أو سيرة أو غير ذلك من أمور الدين والدنيا ولما كانت حقيقة الابتداع في اللغة متناولة لاختراع الأمور المستحسنة أو المستهجنة جرت هذه المادة :

١ ـ مجرى المدح تارة: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (الأنعام: ١٠١).

٢ ـ ومجرى الذم تارة: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ (الحديد: ٢٧).

٣ ـ وقد لا تكون مدح ولا ذم: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٩)

أي : ما كنت أول رسول من الله للبشر .

البدعة في استعمال الشرع : ما كانت تتناول في حقيقتها إلا ما هو باطل وضلال، وهي تلك الطرق المخترعة التي ليس لها مستند في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولذلك ورد ذمها بصنيع العموم والشمول: «..**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(٣).

(١) رواه مسلم، علم ١٥ ، زكاة ٦٩ .

(٢) الميزان، د. محمد عبدالله دراز، ص ٤٢ ، طبعة دار القلم، ط. الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٣) رواية أحمد، وتعليق شعيب الأرنؤوط : (صحيح ورجاله ثقات)، أما الحديث : «... وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»، رواه مسلم، جمعة ٤٣ ، والترمذي وأبو داود عن العرباض بن سارية .

وعلماء الشريعة بعد الصدر الأول فريقان:

١ ـ فريق وقف عند الاستعمال الشرعي كما هو.

٢ ـ وفريق عنده السنة هي الطريقة الدينية التي جرىٰ العمل بها نفسها علىٰ عهد رسول الله والبدعة: كل أمر جديد لم يعهد بشخصه ولم يسبق بصورته المعنية في عهد النبوة.

هل البدع كلها ضلالات مذمومة؟:

١ ـ **فأما على الاصطلاح الأول في أصل اللغة:** كل اختراع في الدين لا دليل عليه من جهة الشرع إنما هو اغتصاب لمنصب الشارع، واستدراك عليه، وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع فهو كفر بواح وإلا فأقل ما يقال فيه أنه باطل مردود علىٰ صاحبه: ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾ (يونس: ٣٢).

قال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**(١).

ويقول الإمام مالك (٢): « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، فما لم يكن يومئذ ديناً فلن يكون اليوم ديناً: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ (المائدة: ٣). ولذلك جعل الإمام الشاطبي(٣) البدع كلها ضلالات مذمومة.

٢ ـ **أما الاصطلاح الثاني في أصل التشريع:**

المحدثات تنقسم إلىٰ:

١ ـ **السيئ:** كل ما لم يشهد له دليل معتبر شرعاً فهو بدعة مذمومة.

٢ ـ **الحسن:** كل ما شهد له دليل من كتاب الله أو سنة أو إجماع أو أي دليل من الأدلة التي أرشد إليها الكتاب والسنة فهو حسن، وإن لم يكن قد وجد بنفسه علىٰ عهد النبوة.

---

(١) أخرجه البخاري، صلح ٥، ومسلم، أقضية ١٧.

(٢، ٣) الميزان، د. محمد عبد الله دراز، ص ٤٤.

قال الشافعي [١] : «البدعة بدعتان : محمودة، فما وافق السنة فهو محمود، ومذمومة، فما خالف السنة فهو مذموم».

* الشافعي : فيما رواه البيهقي قال:

المحدثات ضربان:

١ ـ ما أُحْدِثَ يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه بدعة الضلالة.

٢ ـ وما أُحْدِثَ من الخير يخالف شيئاً من ذلك فهو البدعة المحمودة أو قال: بدعة غير مذمومة.

وسار على هذا **شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام**[٢] وتلميذه **شهاب الدين القرافي** وقسموا البدعة إلى أقسام خمسة:

١ ـ الواجب: كجمع المصحف.

٢ ـ المباح: التوسع في ألوان الطعام.

٣ ـ المندوب: كجماعة التراويح وبناء القناطر والمدارس.

٤ ـ المكروه: كزخرفة المساجد.

٥ ـ الحرام: كالرهبانية والخوض في القدر لأن النبي ﷺ حذَّر من ذلك لأنه يؤدي إلى القول على الله بغير علم.

والخلاف بين الفريقين هو خلاف اسمي:

فالفريق الأول سمى ما فُعل في زمن النبي ﷺ سنة نبوية.

والفريق الثاني سماه بدعة مستحسنة أو سنة صحابية.

ولذلك قال ﷺ: «**...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[٣]، يمكن إجراؤه على كلا الاصطلاحين، فإذا سلكت به المسلك الثاني في

(١، ٢) الميزان، د. محمد عبد الله دراز، ص ٤٦.

(٣) رواه أبو داود، سنة ٥، وابن ماجة، مقدمة ٦، والدارمي، مقدمة ١٦، وأحمد ٤/١٢٦، والترمذي، علم ١٦، برقم ٢٦٧٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الاصطلاح الشرعي جعلت العطف بين ذاتين متغايرين، وإذا سلكت به المسلك الأول جعلت العطف بين صفتين لموصوف واحد كما تقول فلان كاتب وشاعر.

وكذلك قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال في الطاعة لله، وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.. فقد عطف الأمر على الرسول ﷺ وجعل ما سنه الكل سنة(١).

وهنا يظهر سؤالان:

السؤال الأول: هل كل مخالفة للشرع تسمى بدعة؟(٢)

ليس كل مخالفة للشرع تسمى بدعة..

إنما البدعة جعل هذه المخالفة ديناً، فمن تمحل لمعصية حتى صبغها بصبغة الدين وأدخلها في حدود الشريعة فقد ابتدع.

كما أن كل من عمل عملاً بغيرية الأوضاع الشرعية كان مبتدعاً ولو لم يكن ذلك العمل في أصله محرماً ولا مكروهاً، كأن يعمد إلى مباح فيجعله قربة، أو إلى قربة مندوبة فيجعلها واجبة، أو إلى مشروع فيضعه في غير موضعه.

أما الذي يعمل بالمعصية انقياداً لشهوته أو غَضَبِه وهو غير مستحل لها فهو عاص غير مبتدع حتى لو فشت المعاصي والمنكرات في الناس وأصبحت عادة لا تأخذ اسم البدع بمجرد هذا الاشتهار، اللهم إلا إذا اعتقد الناس مشروعيتها أو أفضى أمرهم إلى اعتقاد ذلك بأن يعمل بها من هم أهل للاقتداء في الدين أو يسكتوا على إنكارها فيظن الناس أنها من الدين هنالك يعرض لها اسم البدعة وحكمها.

(١، ٢) الميزان، د. محمد عبد الله دراز، ص ٤٩ .

السؤال الثاني: هل تختص البدع بقسم العبادات من الشريعة ؟ (١)

جعل الله لكل عمل حكمة، ولم يجعل لأحد الخيرة في نقض ما أبرمه بتحليل ما حرم، أو بتحريم ما أحل، سواء كان هذا العمل من قسم العبادات صلاة وصوم، أو من قسم العادات بيوع، أنكحة، أطعمة وأشربة، فكلاهما قد حددت له الشريعة حدوداً واسعة أو ضيقة لا يحل لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا نعني بالتغير مجرد المخالفة العملية، فقد علمت أن هذا وحدة لا يسمى ابتداعاً، وإنما نعني به التغيير في التشريع بجعل غير المشروع مشروعاً والمشروع غير مشروع أو التغيير في العمل مع اعتقاد مشروعية ذلك وارتكابه باسم الدين نفسه هذا هو ما نسميه ابتداعاً، ولا يسع أحد أن يخالف في تسميته بذلك.

فائـدة:

الشاطبي يعتبر كل مخالفة يضعها الحاكم على الناس وضعاً تضاهي به الأحكام المشروعة، كوضع المكوس على الناس، ووضع أحكام غير شرعية يتحاكم إليها الناس في معاملاتهم كل هذا يعتبره بدعة.

يقول **د. دراز** : ونحن لا نتابعه على تسمية هذه التشريعات الوضعية بدعاً دينية إلا لو كانت مظنة لأن يعتقد الناس أنها تشريع سماوي.

أما فيما دون ذلك فإنما نسميها معصية منكرة كبيرة ظاهرة نسأل الله أن يعافي المسلمين عما قريب.

والآن نسأل: **ما الميزان الذي نعرف به ما يعد من الدين وما لا يعد منه؟**

إذا كان كل ما فعله النبي ﷺ أو فُعل في عصره أو أقره فهو السنة المطلوبة إذن لهان الفصل في القضية حقاً، واستبان فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود لأول نظرة إلى السيرة النبوية، ولكن الأمر ليس كذلك.

فليس كل ما فعله النبي ﷺ يكون في حقنا مأموراً به، أو مأذوناً في فعله،

(١) الميزان، د. محمد عبد الله دراز، ص ٤٩ .

ولاكل ما تركه يكون بالنسبة لنا منهياً عنه، أو مأذوناً في تركه . . بل لابد من تفصيل ذلك الأمر.

١ ـ فعل النبي ﷺ في أصول الفقه تقرر على أنواع منها (١) :

أ ـ ما يكون تشريعاً خاصاً له من دون المؤمنين مثل دخول مكة بغير إحرام ـ تزوجه بأكثر من أربعة . . . فتارك مثل هذه الأمور ليس تاركاً للسنة، بل هو قائم بها.

ب ـ ما يكون تشريعاً عاماً له ولأمته لا على معنى الأمر والطلب بل على معنى التمييز والإباحة . . تزوج زوجة زيد متبناه لا ليتزوج المؤمنين أزواج أدعيائهم . . ومن هذا النوع أيضاً أفعاله الجبلية الصادرة بمقتضى طبيعته البشرية ـ حركاته ـ طعامه ـ شرابه ـ نومه ـ والأمر بالتزام هذه الأشياء وتحريها في أوقاتها وأماكنها أمر ظاهر البطلان.

جـ ـ ما يكون تشريعاً عاماً له ولنا أيضاً، ولكن يكون مطلوباً منا متابعته فيه وجوباً أو ندباً، وذلك إذا اقترن بالفعل طلب المتابعة كقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٢)، وقوله ﷺ: «**خذوا عنى مناسككم**»(٣).

أو كان قد ورد طلب قولي لم تبين كيفيته، ثم ورد فعل قامت القرائن على أنه وقع بياناً لذلك الطلب. كقطع يد السارق إلى الكوع وتارك هذا الأمر تارك للسنة.

ولذلك كان عمر بن الخطاب ينهى الناس عن نزول بعض المنازل التي نزل بها النبي ﷺ وصلى فيها ولم يكن النزول فيها من شعائر الحج وكان يقول: «من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل فيها ولكن لا يتحراها».

أما عبدالله بن عمر فكان ينزل حين ينزل النبي ﷺ، ويصلح ركابه حيث أصلح النبي ﷺ ركابه.

---

(١) الميزان، د. محمد عبد الله دراز، ص ٥٢ .
(٢) أخرجه البخاري، أذان ١٨، ٦٠، أدب ٢٧ .
(٣) رواه مسلم، حج ٣١٠، باب: «لتأخذوا مناسككم».

٢ ـ وأما ترك النبي ﷺ على أنواع :

أ ـ ترك الشيء خصوصية كتركه قبول الصدقات لحرمتها عليه وعلىٰ آله .

ب ـ قد يترك المباح جبلة وعيافة طبع ، كما ترك أكل الضب ، لأنه لم يكن بأرض قومه .

جـ ـ وقد يترك بعض المطلوب لقيام مانع منها ، كما ترك إعادة بناء الكعبة علىٰ قواعد إبراهيم ، لأن العرب حديثو عهد بالجاهلية وقوله ذلك للسيدة عائشة ، كما ترك المواظبة علىٰ صلاة التراويح في المسجد ، لأنه كان يترك العمل وهو يحبه خشية أن يفرض .

د ـ وقد يترك المطلوب لعدم تحقق مقتضيات في عهده ﷺ ، كما ترك جمع المصحف .

ففي كل أولئك لا يكون الترك سنة ملزمة حتىٰ يعد الفاعل لما تركه مبتدعاً ، وإنما يكون ذلك في أمر ثبت النهي عنه بالقول كعدم الأذان لصلاة العيدين ، فالترك ههنا تشريع متيقن .

٣ ـ ما أقره النبي ﷺ :

« الأفعال التي وقعت في زمنه ﷺ ليست كافية لنا لتحديد السنة المطلوبة بصورة الحياة وأسلوب المعيشة من ألوان الطعام والشراب واللباس . . . أفنعد كل من خالف عوائد العرب في ذلك الزمان مبتدعاً حتىٰ فيما لم يرد أمر به ولا نهي عن خلافه؟

الجواب : إن ذلك يفضي بنا إلىٰ شناعة شديدة جداً ، فإن إلزام العالَم كله عادة واحدة ، وصورة واحدة ، منافٍ لقواعد الشريعة التي روعي فيها اختلاف الطبائع البشرية ، واختلاف العوائد في الأزمان والأقطار والأشخاص .

بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام وجد معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ المراكب النفيسة والثياب الهائلة ، واتخذ الحجاب ، وسلك مسالك الملوك ، فسأل عن ذلك فقال : «إنا بأرض قوم نحن فيها بحاجة إلىٰ هذا» ، فقال له عمر : «لاآمرك ولا أنهاك»(١) .

---

(١) الميزان ، د . محمد عبد الله دراز ، ص ٢٢ .

وإن الله تعالىٰ ندبنا إلىٰ التدبر معاً في كتابه ووضع بجانب أكثر الأحكام عللها وغاياتها لنتخذ منها أصولاً ومقاييس نرد إليها أشباهها ونظائرها يستوي في ذلك الأمر والنهي والتقرير للحقوق والواجبات.

* فنحن إذا سمعناه يقول افعلوا كذا ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة، عرفت أن من مقاصد الشرع اتقاء المهالك في هذا وغيره.
* وإذا سمعناه يقول لا تفعلوا كذا إن الله لا يحب المفسدين، فهمنا أنه ينهىٰ عن كل ما منه إفساد.
* وإذا سمعناه يقول: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا** .. ﴾ (الحج: ٣٩)، عرفنا مشروعية الدفاع عن النفس بكل وسيلة.
* وإذا سمعناه يقول: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ (النساء: ٣٤)، فهمنا أنه لا ولاية لأحد علىٰ أحد إلا بسبب وهبي أو كسبي.

٤ ـ ما رسمه النبي ﷺ لأصحابه:

رسم النبي ﷺ لأصحابه طريق النظر في مقاصد التشريع، ودربهم علىٰ استنباط الأحكام منها، فكان يستشيرهم فيما لم ينزل وحي، ويسمع منهم ويُعَدِّل لهم كما في مسألة الإعلام بوقت الصلاة قبل الأذان، ومسألة الأسرىٰ في بدر.

■ بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلىٰ أرض الشام (مؤتة) قُبيل فتح مكة وأمَّر عليهم زيداً بن حارثة، وقال: «**إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة**»(١)، واستشهد الثلاثة فأخذ الراية خالد بن الوليد من غير انتظار أمر لأنه رأىٰ المصلحة في ذلك فسر النبي ﷺ ولقبه بسيف الله.

■ وكان بلال مواظباً علىٰ صلاة شيء من النافلة كلما توضأ من غير أن يسمع في ذلك نصاً خاصاً، وإنما أخذه من الترغيب في مطلق الصلاة، وقد مدحه النبي

---

(١) رواه البخاري، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٢/ ٦١١ .

ﷺ، وبشَّره بالرؤيا المعروفة، ففي الحديث: سأل النبي ﷺ بلال بن رباح عند صلاة الغداة: «**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة**»(١) .

فقال بلال: «ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بهذا الطهور ما كتب الله لي أن أصلي» . وسكوت النبي ﷺ إقرار . . وإقراره تشريع .

لاحظ أن بلالاً ليس مبتدعاً . . ولو كان في زماننا لقالوا له: أنت مبتدع، فلو كان خيراً لفعله رسول الله ﷺ، فهذا فعل فعله صحابي ولم يفعله رسول الله ﷺ .

■ في غداة غزوة ذات السلاسل، أصبح عمرو بن العاص جنباً، وكان الجو بارداً فخشي أن يغتسل بالماء، وتلا قول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ (النساء: ٢٩). وتيمم وصلى إماماً بالصحابة، وذكر ذلك للنبي ﷺ، فلم يعنفه وضحك ولم يقل شيئاً(٢)، فكان ذلك إقراراً من النبي ﷺ، والإقرار حجة، لأن النبي ﷺ لا يقر على باطل .

■ كذلك أخذ الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ يجتهدون فيما يجدّ من النوازل التي لم تُعهد في عصر النبوة، والتي لم يرد فيها رسم عملي ولا نص قولي بخصوصها، مثل:

ـ مسألة الجَد مع الأخوة.

ـ ومسألة الطلاق قبل النكاح .

---

(١) رواه البخاري، فضائل الصحابة ٦ ، ومسلم، فضائل الصحابة ١٠٨ .

(٢) رواه أحمد ٤/ ٢٠٣، وأبو داود، طهارة ١٢٤، باب إذا خاف الجُنب البرد أيتيمم؟، وذكر الحديث رقم ٣٣٤، عن عبد الرحمن بن جبير «مصري مولى خارجة بن حذافة»، وليس هو ابن جبير بن نضير، ورواية برقم ٣٣٥، عن أبي قيس، قيس مولى عمرو بن العاص، بلفظ فقال: «**يا عمْرو صلَّيتَ بأصحابك وأنت جُنب؟**»، وفي المستدرك رقم ٥٨٩، وكنز العمال ٢٧٥٦٣ .

ـ وقتل الجماعة بالواحد.

ـ والحلف بالحرام.

ـ والميراث والقصاص والبيوع .

ـ وجمع القرآن في مصحف واحد ووضع النقط عليه.

ولم يكن شيء من ذلك فعله النبي ﷺ ولا أمر به .

فائدة : « إن الشريعة حين أطلقت العقل من عِقَاله، وفتحت له باب البحث والنظر، فهل نقول: إنها ألقت له حبله على غاربه، وخولته حق إهدار النصوص والوقائع الجزئية في سبيل الأخذ بتلك الكليات والمقاصد؟

بالطبع لا . . فلو استقام هذا الأمر لظهرت ضلالات لا حدَّ لها، لأن فساد هذا المقياس هو الذي قامت عليه حجة المشركين في عبادة الأصنام، إذ قالوا: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ (الزمر : ٣).

وحجتهم في طرح ثيابهم وكشف عوراتهم عند الطواف بالبيت إذ قالوا: «لانطوف بثياب عصينا الله فيها»(١)، وحجة قريش في الوقوف بالمزدلفة وترك سنة إبراهيم في الخروج إلى عرفة إذ قالوا: «كيف نفارق الحرم ونحن حماة الحرم»(٢).

المحظورات التي يقف عندها الناظر في أمر السنة والبدعة:

١ ـ لا يستطيع أن يحبس نظره على خصوص النصوص وصور الوقائع العينية، و إلا لبقيت الشريعة ناقصة محتاجة إلى التكميل، أو وقفت جامدة لا لين فيها وَقْتِيَة لا بقاء لها.

٢ ـ لا يستطيع أن يعتمد على الكليات والمقاصد وحدها و إلا لخرج بها إلى اللين الذي لا عزيمة فيه والسعة التي لا حدود لها حتى تصبح وضعاً عقلياً لا هدياً سماوياً.

---

(١) رواه البخاري عن عائشة، كتاب التفسير ج ٩

(٢) رواه مسلم عن عائشة كتاب الحج ج ٤

٣ـ لا يستطيع أن يأخذ بأي هذين النظرين شاء، وإلا لتناقضت الأنظار وكانت الفوضى والاضطراب في التشريع، وكيف يجرؤ مسلم أن يهدر أحد جانبي الشريعة وهي كل لا يتجزأ؟ وقد ذمَّ الله ذلك، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة: ٨٥). ولكن عليه أن يفهم النصوص في ظل المقاصد.. وأن يسعى لتحقيق المقاصد دون إخلال بالنصوص[١].

ضوابط يجب معرفتها للناظر في أمر السُنَّة والبدعة[٢]:

الأول: سعة معنى العبادة:

العبادة في الإسلام لها معنى واسع يشمل كل جوانب النفس والحياة، والفرد والمجتمع.

وقد تُطلق ويُراد بها معناها (العام) الذي يعني كل انقياد وطاعة لله عز وجل، ومنهاجه، فتكون (الاعتقادات، والأخلاق، والمعاملات) كلها عبادات من حيث إنها طاعة وانقياد لله تعالى.

وقد تطلق بمعناها (الاصطلاحي) أعني: ما كان داخلاً في باب الطاعات العملية كما قيل: (عمل المؤمن كله عبادة) فيدخل فيها الأقوال والأفعال على الوجه التالي:

١ـ **(العبادات المحددة)** من الشارع على صورة أو هيئة معينة، بحيث لا تصح العبادة إلا بالتزام هذه الكيفية الشرعية المخصوصة.

فروضاً: كالصلاة، والزكاة والصيام والحج والوضوء وغسل الجنابة أو ما كان من جنسها: نفلاً محدداً (مؤكدا أو مستحباً) مثل: الوتر، والسنن الراتبة، وصوم يوم عاشوراء أو يوم عرفة، وثلاثة أيام من كل شهر والعمرة ونحو ذلك.

---

(١) الميزان، د. محمد عبد الله دراز، ص ٥٩.

(٢) الضابط: يجمع فروع باب واحد، القواعد الفقهية، د. محمد بكر إسماعيل، ص٨.

أو نفلاً : محدداً فيه سعة كسائر التطوعات التي ندبنا إليها من صلاة وزكاة وحج وصيام من غير تعيين ولا تقييد في وقت أو عدد وبشرط أن تلتزم حدود الشريعة وشروطها مع الأصل.

٢ ـ **(العبادات المطلقة)**: التي وضعها الشارع وندب إليها من غير تقييد بصورة معينة أو كيفية مخصوصة وإن كان قد جعل لها آداباً أو شروطاً مثل: الدعاء وقد جاء في الأثر: **«الدعاء هو العبادة»**(١)، وجاء: **«الدعاء مخ العبادة»**، ومثل التفكر في خلق السماوات والأرض والذكر المطلق ومدارسة العلم.

قال تعالى: ﴿**وَمَاكَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ (التوبة: ١٢٢).

وقال تعالى مادحاً أولي الألباب: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ (آل عمران: ١٩١)، وهي جامعة للذكر والتفكر والدعاء.

ومن العبادات : ما وضع الشارع لفظه ولم يقيد أداءه بكيفية مخصوصة وهذا النوع مشترك في النوعين كتلاوة القرآن والدعاء المأثور في المناسبات، وأدعية النوم والاستيقاظ، ودخول المسجد والخروج منه، ودخول المنزل والخلاء، وعند المطر، وعند سماع أصوات الحيوانات، وهبوب الريح(٢).

٣ ـ **الأعمال المباحة جميعاً**: إذا قُرنت بنية القربى كالنكاح ينوى صاحبه العفاف، والرياضة ينوي التقوي للجهاد، والتجارة والعلم. فإذا زاول الشخص هذه الأعمال المباحة وبدون نية للعبادة لا يكون له ثوابها، ولكن إذا اقترنت بنية

---

(١) رواه ابن ماجة، دعاء ١، وأحمد ٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، والترمذي في تفسير سورة البقرة، آية ٦٠، حديث رقم ٢٩٦٩، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) راجع الدعاء في الباب الثالث.

حسنة تحولت إلى عبادة ينتفع هو بها في الدنيا ، ويكون له أجر العبادة وثوابها ، وذلك مشروط بإتيانها على الوجه الشرعي مقيدة بشروطه بعيدة عن محرماته .

يقول ابن تيمية رحمه الله: « العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدمين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة»[١] .

الثاني : قواعد ومصطلحات مهمة :

التطوع لغة : تَطَّوع : لاَنَ ، أو تكلفَّ الطاعة ، أو تَنَفلَّ، أي قام بالعبادة طائعاً مختاراً دون أن تكون فرضاً لله [٢] ، ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ ﴾ (البقرة: ١٨٤) .

التطوع شرعاً: ما يُنْشِئه الإنسان لنفسه من عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى ، ويشمل جميع أنواع التطوع من : صلاة - صيام - زكاة . . ولا يرتبط بوقت ولا بعدد أو بالمواظبة أو بقيامها فرادىٰ أو جماعة .

مشروعيته : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **«إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كُتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك»**[٣] .

---

(١) رسالة العبودية ص ٣٨ ، المنهاج القرآني ، د. عبد الستار فتح الله ، ص ٤٤٦ .

(٢) معجم الوسيط ، جـ ٢ .

(٣) رواه أبو داود، صلاة ١٤٥ ، والنسائي، صلاة ٩ ، وابن ماجة ، إقامة ٢٠٢ ، والدارمي، صلاة ٩١ ، برقم ١٣٥٥ ، وقال ابن حجر : إسناده صحيح .

أقسام التطوع :

١ ـ تطوع مطلق :

يقتصر فيه على النية (مثلاً نية الصلاة). يقول **النووي**: «فإذا شرع في تطوع ولم ينو عدد فله أن يُسلم من ركعة، وله أن يزيد فيجعلها ركعتين أو ثلاثة أو مائة أو ألف أو غير ذلك، وإن صلى عدداً لايعلمه ثم سَلَّمَ صح بلا خلاف»(١).

روى **البيهقي** بإسناده أن أبا ذر صلى عدداً كثيراً فلم سلم، قال له الأحنف بن قيس: هل تدري انصرفت على شفع أم على وتر؟ قال: إن لا أكن أدري فإن الله يدري، إني سمعتُ خليلي أبا القاسم ﷺ يقول ثم بكى، ثم قال: إني سمعتُ خليلي أبا القاسم ﷺ يقول: **«ما من عبدٍ يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحطَّ عنه بها خطيئة»**(٢).

٢ ـ تطوع مقيد :

أ ـ **الرواتب** : يشمل سنة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء وهناك مؤكدة كالوتر.

ب ـ **غير الرواتب**: يندب الإتيان بها من غير تأكيد قبل العصر وقبل المغرب وقبل العشاء.

السنة عند الفقهاء:

يُعرِّف **الجرجاني**(٣) السُنَّة فيقول: «السُنَّة في الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب، فالسُنَّة ما واظب النبي ﷺ عليها مع الترك أحيانًا».

ويقول **د. السباعي** : «السُنَّة في اصطلاح الفقهاء هي ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة(٤)، لذا نجد القاعدة الفقهية تقول: من السنة ترك السنة.

---

(١) نص عليه الشافعي في الإملاء، راجع فقه السنة، جـ١، ص ١٥٤.

(٢) رواه مسلم، صلاة، باب ٤٣، فضل السجود والحث عليه، حديث رقم ٤٨٨، وعند الدارمي، صلاة ١٥٧، والترمذي برقم ٣٨٨، وعند أحمد في المسند ٥/ ١٦٤ وغيرهم.

(٣) راجع: التعريفات، للجرجاني، ص ١٢٥، تعريف رقم ٩٨٨.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٥٨، د. مصطفى السباعي.

الثالث: البدعة والإبداع:

هناك فرق بين البدعة والإبداع. . فمن المواقف الفكرية التي تحتاج إلىٰ جلاء موقف الإسلام منها: الإبداع، ذلك أن المتعصبين للإسلام والمتعصبين ضد الإسلام اتفقوا علىٰ موقف خاطئ من رأي الإسلام في الإبداع انطلاقاً من تفسيرهم لحديث رسول الله ﷺ: «**إن أصدق الحديث كتاب الله، وإن خير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[١].

فانطلاقاً من هذا الحديث ظن البعض تحريم الإسلام لكل إبداع ولجميع المحدثات والمستجدات، وإنما نميز بين إبداع يخالف ويناقض الكتاب والسنة وهي البدعة في ثوابت الدين التي تخالف ما يجب فيه الاتباع ويحرم فيه الابتداع، وبين الإبداع المحمود في الفكر الإنساني، والصناعات العمرانية، بل وفي الفضائل الدينية التي لا تقع في حيز المخالفة لأصدق الحديث: كتاب الله تعالىٰ، ولأفضل الهدي: سنة رسول الله ﷺ، بل ودون وعي بأن اشتمال الكتاب والسنة علىٰ أفضل الحديث والهدي لا يعني نفي الفضل عن جميع ما لم يرد فيها[٢].

ونحن نتساءل:

- أليس فعل الحُباب بن المنذر في معركة بدر[٣] إبداعاً؟ أم هو من البدعة؟
- ثم أليس الجهاد من الدين أم من أمور الدنيا، فيجتهد فيه الحباب بن المنذر؟
- ثم أليس هناك تأييد من الله لرسوله ﷺ فيطلعه الله علىٰ أفضل خطط القتال؟
- أم أن هذا قصد الشارع أن يتعود المسلمون الإبداع فيما يستجد في كل شيء للدين أو للدنيا بعيداً عن أصول التشريع وثوابته.

---

(١) رواه مسلم، جمعة ٤٣، ٤٥.

(٢) الفارق بين البدعة والإبداع، د. محمد عمارة، افتتاحية مجلة الرسالة العدد ١٥ ربيع أول سنة ١٤٢٦هـ، إصدار: مركز الإعلام العربي.

(٣) كلام الحُباب كخبير عسكري في وقوف الجيش، قال: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله أم هي الحرب والخدعة والمشورة؟ قال ﷺ: «بل هي الحرب والخدعة»، قال الحباب: «ليس هذا بموقف أري أن نجعل عين بدر خلفنا فإذا عطشنا شربنا ولم يجدوا هم الماء، فيصيبهم العطش ويكون ذلك سلاح معنا»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي»، الرحيق المختوم، ص ١٩٦.

ثم انظر إلى الإبداع حينما قال سلمان الفارسي لرسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب: «يا رسول الله نحن كنا إذا حوصرنا خندقنا، لنحفر خندقاً حول المدينة»(١) ، وقد كان ذلك!!.

فهذا كله ليس من البدع . . .

والآن نعيش مع الواقع وكيفية الخلاص من هذه الكلمات والعبارات التي يلقيها بعض أبناء الصحوة الإسلامية سواء عن علم أو عن جهل بها.

لذا فالواجب علينا إيضاح هذه الأمور ليعود للأمة مجدها وعزها، بعيداً عن الافتراء على شريعة الإسلام البيضاء الناصعة لأن قواعد الدين وأسسه وضعها النبي ﷺثم تركت لك الشريعة الباب على مصراعيه.. لكي تتطوع وتُبْدع، فالتجديد سُنَّة يقررها رسول الله ﷺ عندما يقول: «**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»(٢) ، فإن التجديد لا يمكن إلا أن يكون ثمرة للإبداع، أو مُثْمِراً لمقادير قَلَّتْ أو كَثُرت من الإبداع.

من الأقوال الخاطئة :

١ ـ لو كان خيراً لفعله رسول الله ﷺ :

هذا سيف يُشهر في وجه من فعل أي خصلة من خصال الخير والنوافل، يقال له: هذه بدعة، لو كان خيراً لفعله النبيﷺ.

ونقول: لا يستطيع نبي مرسل ولا ملك مقرب أن يفعل كل الخير، ولا أن يحيط به، حتى الملائكة الساجدة من يوم أن خُلقت إلى يوم القيامة، وهذا الحشد الهائل العابد «.. **أطت السماء وحق لها.. ما فيها موضع قدم إلا وفيها ملك ساجد**»، ثم تكون النتيجة: «**سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**»(٣) .

---

(١) رواه البخاري، باب غزوة الخندق ٢/ ٥٨٨، راجع الرحيق المختوم، ص ٢٦٩ .

(٢) رواه أبو داود، ملاحم ١، ١٧، أحمد ٢/ ٨٨ .

(٣) أخرجه الترمذي، زهد ٩، وابن ماجة، زهد ١٩، وأحمد ٥/ ١٧٣، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وعند الترمذي برقم ٢٣١٢ .

أيْ : لم يفعلوا الخير كله .

والسؤال : هل تطلق البدعة على كل ما لم يفعله النبي ﷺ ؟ (١)

١ ـ جمع القرآن في المصحف، أليس خيراً؟ . . لم يفعله النبي ﷺ .

٢ ـ المداومة على صلاة التراويح جماعة، أليس خيراً؟ . . لم يفعله النبي ﷺ .

٣ ـ التقويم الهجري، أليس خيراً؟ . . لم يفعله النبي ﷺ .

بل إن الله قد يُعطي علماً لأحد أتباع الأنبياء، لم يعطه للنبي نفسه: ففي قصة سليمان والهدهد، قال الهدهد: ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾ (النمل: ٢٢). فالهدهد من جنود سليمان، وأعطاه الله جزءاً من العلم لم يعطه لسليمان .

كذلك موسى كليم الله عليه السلام ورسوله، ذهب لرجل صالح أعطاه الله علماً، وطلب من موسى أن يتعلم منه، قال تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ (الكهف: ٦٥ـ٦٦).

وهناك أفعال فعلها الصحابة ولم يفعلها النبي ﷺ .. مثل :

حَديث بلال مع رسول الله ﷺ، حينما سأله أن يحدثه بأرجى عمل عمله . . الذي مرّ بنا منذ قليل . . وقد يفعل المسلم طاعات أقل من فعل النبي ﷺ ولا يُعد عدم فعله هذا بدعة بل بشره النبي ﷺ بالفلاح برغم أنه ترك شيئاً من السُّنَّة :

---

(١) ذكر الأستاذ محمد حسين في كتاب «اللُّمع في تجلية البدع» ستة وسبعين مسألة لم يفعلها رسول الله ﷺ ، بل فُعلت بعده . .

ـ هل نقل الهدي المذبوح خارج مكة لفقراء العالم الإسلامي بدعة؟

ـ هل دعاء ختم القرآن في يوم محدد ، والحرص على حضوره بدعة؟

ـ هل خلع الناس لأحذيتهم لأداء الصلوات بدعة؟ فقد كانوا يصلون بأحذيتهم في عهد النبي ﷺ ولا يخلعونها .

ـ هل تسجيل الخطب والدروس على أشرطة ووضع الأجهزة لذلك بدعة؟ فهذا لم يكن معمولاً به في عهد الصحابة وعهد النبوة . . راجع كتاب اللُّمع، ص ١٤٠ وما بعدها، طبعة دار الدعوة، ٢٠٠٤م.

عن طلحة بن عبيد الله يقول : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال له رسول الله ﷺ : «خمس صلوات في اليوم والليلة» ، قال : هل عليَّ غيرهن؟ قال : «لا، إلا أن تتطوع» ، قال : رسول الله ﷺ : «وصيام شهر رمضان..» ، قال : هل عليَّ غيره؟ قال : « لا، إلا أن تتطوع » ، وذكر رسول الله ﷺ الزكاة ، فقال : هل عليَّ غيرها؟ قال : «لا ، إلا أن تتطوع» ، فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أفلح إن صدق»(١) .

وفي تصوري أن هذا الحديث من أفضل الأحاديث التي تحث على فعل السنة، رغم أن ظاهرة غير ذلك، لأن الإنسان يحب الأشياء التي يتطوع فيها أن يكون مختاراً لأنه قد يزيد بكثير جداً على ما هو مسنون تطوعاً.

ولا يُسمى ذلك بدعة ، فأوجه الخير كثيرة جداً لا يحيطها المخلوق .

وهل كان هدهد سليمان مبتدعاً حينما قال : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (النمل : ٢٢) .

يقول د. دراز : «لا يوجد أحد يفعل تطوعاً ويعتبره ديناً»(٢) . وعلى هذا لايدخل التطوع في دائرة البدعة ، مهما كان هذا التطوع زماناً ومكاناً وهيئة(٣) .

٢ ـ أنت مقصر في السنة .. أنت عدو السنة:

هذا سهم طائش مردود على من يطلقه ، إذا أطلقه على أهل الإيمان .

نقول لهؤلاء ، يقول الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن : ١٦) .

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان والصوم والشهادات ١٦ ، ومسلم في الإيمان ، أبو داود في الصلاة ، والنسائي في الصلاة والصيام والإيمان ، والدارمي في الصلاة ٢١٨ الموطأ ٩٤ .

(٢) لأن التطوع إذا اعتبر دينًا (أي : فرضاً) فإنه بدعة .

(٣) وعلى هذا فلا دليل مع الذي قال في الفضائيات : إن الذي يختم الصلاة فيسبح مثلاً ٢٧ أو ٣٧ يُعتبر مبتدع!! ، وأقول : إن الذي لا يختم الصلاة ليس مبتدعًا . . فهل الذي يسبح ٢٧ أو ٣٧ مرة مبتدع وآثم؟!!

عن أبي هُريرَة عبد الرحمن بن صخر رضي اللّه عنه قال: سَمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «مانَهيتكم عنه فاجتنبوهُ، وما أمَرتكُم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين مِنْ قبلكُم كثرةُ مسائلهم واختلافهم على أنبِيَائهم»(١).

انظر إلى قوله : «ما استطعتم».

هذا الاتهام (لا تحب السنة ـ عدو السنة) لا يمل أصحابه من ترديده، حتى وصل بهم الأمر إلى الإعجاب بأنفسهم والنظر إلى غيرهم من عَلٍ، فكلنا يترك بعض السنة، وكلنا يفعل بعضها.

فيا من تتهم غيرك بترك السنة وبأنه عدو السنة، ماذا فعلت أنت من السنة، هل السنة كلها: السواك ـ الجلباب ـ غطاء الرأس ـ الطيب . . ؟

أليس: قيام الليل، وصيام النوافل من السنة؟

بل إنك تُغيِّر (تستبدل) أنبوبة الغاز مرة أو مرتين في الشهر . . لكثرة الطبخ . . وقد سمعتَ أن الهلال ثم الهلال ثم الهلال يمر ولا يوقد في بيت رسول الله نار . . فلماذا لا تلتزم بهذه السُنة؟

وسُئِلت عائشة: «ما كان طعامكم يا خالة؟».

قالت: «الأسودان التمر والماء»(٢).

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: **«رأيت رسول الله ﷺ يتلوى في اليوم من الجوع ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه»**(٣).

فقط انظر إلى موقفك من تأخر الزوجة في تجهيز الطعام لحظات، لو ظللنا

---

(١) البخاري في كتاب الاعتصام، ومسلم فضائل ١٣٠، النسائي حجج، مالك في الموطأ كتاب قصر الصلاة ٩٤، أحمد في السنن ٢ / ٢٥٨، رواه الشافعي في الرسالة.

(٢) البخاري هبه ١، أطعمه ٤١، مسلم، زهد ٣٨، ترمذي، تفسير ١٠٢، بن ماجة زهد ١٠، ١٢، أحمد ١، ٤، ٦ /.

(١) رواه مسلم، زهد ٣٤، ٣٦، والترمذي، زهد ٣٩، وابن ماجة، زهد ١٠، الدقل هو: رديء التمر.

نتساءل سوف يتضح التقصير الذي نحن فيه جميعاً، وإننا نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يغفر لنا تقصيرنا، وأن يأخذ بأيدينا إلى تنفيذ سنة نبينا ﷺ، والواجب أن نتعاون ونتناصح، وندعو لإخواننا كما علَّمنا القرآن الكريم: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠).

بل هناك بعض الفرائض لا يفعلها بعض المتدينين، مثل: المطالبة بتحكيم شرع الله، والأخذ على أيدي الظالمين، والمطالبة بحقوق العباد في الحريات والأمان.

٣ـ هذه لم ترد عن النبي ﷺ:

هذه عبارة مثبطة للكثير من الناس، يجلس المسلم بجوار المسلم وبعد الصلاة يمد يده إلى من بجواره ليصافحه فينتفض من مكانه وكأن عقرباً لسعه ويقول: هذه بدعة لم ترد عن النبي ﷺ، وتقوم الدنيا، وتلقى الخطب والمحاضرات وتنسخ الأشرطة: هذه المصافحة لم تردعن النبي ﷺ، فهي إذن بدعة !!

أقول: إن الصلاة (العبادة) انتهت بالتسليم، فلا بدعة إذن !

١ ـ فضل المصافحة:

روى البخاري عن أبي الخطاب قتادة، قال: قلت لأنس: أكانت المصافحة(١) في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم(٢).

وعن البراء قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا»**(٣). هذا الحديث مطلق عام وليس فيه قيد ولا تخصيص(٤)، وطالما أن الشارع لم يحدد المصافحة أين ومتى فيظل الأمر على عمومه وإطلاقه.

---

(١) المصافحة: الإفضاء بصفحة اليد إلى صفحة اليد، ذكره النووي.

(٢) رواه البخاري، استئذان ٢٧، والترمذي، وفي الترغيب والترهيب فصل عن الترغيب في المصافحة من الحديث رقم ٣٩٣٥ إلى الحديث ٣٩٥١.

(٣) أبو داود، ذكره النووي في رياض الصالحين، ص ٢٨٧، طبعة دار الوفاء.

(٤) المطلق لا يقيد إلا بقيد، والعام لا يخصص إلا بمخصص (سيأتي توضيح ذلك).

٢ - **القاعدة الفقهية تقول :**

الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل بالتحريم[١] .

والسؤال : هل ورد نهى عن المصافحة ؟!

الحقيقة أنه لم يرد، فظل الأمر مشروعاً لا شيء فيه وأصبح هذا من المسكوت عنه، وهو أكبر منطقة في الشريعة الإسلامية (منطقة العفو)[٢] .

٣ - **الواقع :**

قال لي أحد الفضلاء : في يوم جمعة انتهى الخطيب من خطبته وعند تسوية الصفوف وإتمامها وقفنا للصلاة فإذا الذي بجواري شقيق زوجتي وبيني وبينه خصام منذ أربع سنوات وما استطاعت لجان الصلح فعل شيء وما إن انتهينا من الصلاة صافح كل منا من بجواره وبالطبع صافحته وصافحني، ومن يومها والأمور تسير بخير والحمد لله . .

والآن نقول : إن ذلك ليس ببدعة، والتوصية أن يصافح المسلم أخاه في أي مكان وزمان وعقب جميع الصلوات، ولأن الصلاة (تحليلها التسليم) انتهت بالتسليم فجاز فعل أي مباح بعدها . . يصافح، ينام، يأكل، يشرب . وعلى هذا فالذي قال : إنها بدعة لا دليل معه ينهض لذلك الأمر . . فافعل ولا حرج .

٤ - **الدبلَة حرام.. لأنها تَشَبُّه بالنَّصَارَى :**

قرأت في تحريم هذه الدبلة فتاوى وفيها شرائط مسجلة يقولون فيها بحرمة هذه الدبلة لأنها عادة غير إسلامية في الزواج !

ونقول : أليس الزواج بصورته الحالية كان سائداً قبل الإسلام كما قالت السيدة عائشة : «زواج الناس اليوم»[٣] ؟

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٢٦٤ وما بعدها، القواعد الفقهية، د. بكر إسماعيل، القاعدة ١٥ ص ٦٠٨ .

(٢) راجع العامل الأول في الفصل الثاني .

(٣) رواه البخاري، نكاح ٣٦، بلفظ : «منها نكاح الناس اليوم» .

هل نترك الزواج الآن لأنه كان موجوداً قبل ذلك؟ لا . . لكن الإسلام أقر هذه الصورة ووضع لها الضوابط والشروط اللازمة .

وإذا كانت الدبلة عادة غير إسلامية . . فإن تأبير النخل عادة قبل الإسلام ، ولما قال : النبي ﷺ بتركها ، ثم علم أن النخل أنتج شيصاً قال : أنتم أعلم . . .

وإذا كانت الدبلة عادة غير إسلامية للتشبه باليهود والنصارىٰ ، فالنهي عن التشبه فيما هو ليس شعاراً خاصاً علىٰ ملتهم هو نهي علىٰ سبيل الإرشاد لا التحريم .

كما في الحديث : « **إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم واصبغوا**»(١) .

فمن الصحابة من صبغ ، ومنهم من لم يصبغ ، ومنهم من صبغ بالحناء وغيرها ، ومن صبغ بالسواد . . هل الذين لم يصبغوا مبتدعين؟ ! !

وهل تستطيع أن تلزم المسلمين جميعاً أن يصبغوا مخالفة لغيرهم؟

وما تراشق الصحابة بالكلمات وما فسَّق أحد منهم الآخر ، فإذا أردت عدم التشبه وحرمت الدبلة لأنها تَشَبُّه ، فلا نأكل أنواع أطعمتهم ، ولا نلبس مثل زِيِّهم ، ولا تركب مثل وسائل مواصلاتهم ، ولا تتعلم نفس علومهم التي اخترعوها .

يقول **الشيخ محمد الغزالي** ـ رحمه الله ـ : «لو قلنا لكل شيء في الشارع قف مكانك وعُد إلىٰ بلدك لوقف المسلمون في الشارع حفاةً عُراةً جياعاً ، معظم ما في الشارع ليس من إنتاج المسلمين» .

وخلاصة القول : إن الأمر في هذه المسألة كما في سابقتها ولم يرد فيها نص بالنهي فهي في منطقة العفو في الشريعة الإسلامية ، فلا بدعة إذن فلا شيء عليك إن لبستها ، ولا شيء عليك إن طرحتها .

ألم يتحدث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بكلماتٍ ويأتي القرآن ليوافق ذلك ، ولم يُنكر عليه النبي ﷺ هذا الأمر ، ولم يتهمه بالزيادة أو الابتداع ، فعن أنس ابن مالك قال : قال عمر : وافقتُ ربي في ثلاث ، ومن هذه الأشياء :

---

(١) رواه البخاري ، أنبياء ٥٠ ، ولباس ٦٧ ، ومسلم ، لباس ٨٠ .

١ ـ قال يوماً: يا رسول الله، أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ يقول الرسول ﷺ: «بلى»، فيقول عمر: فلو اتخذت منه مصلىٰ؟ فما هي إلا أيام حتىٰ نزل الوحي بالآية الكريمة: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة: ١٢٥).

٢ ـ قال عمر: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البرُّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب في سورة الأحزاب.

٣ ـ واجتمع علىٰ رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقال عمر: «عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن»، فنزلت الآية كذلك(١).

هل كان يجب أن نقول لعمر: لا تتكلم لو كان خيراً لقاله النبي ﷺ؟

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»(٢).

وصية لأحبابي في الله:

إذا كنت علىٰ رأي فقهي في مسألة خلافية وغيرك علىٰ رأي فقهي آخر في نفس المسألة فلا تتهمه بالابتداع.. فإن فعلت ذلك فأنت المبتدع، لأنك تريد أن تجعل من الرأي الذي تتبعه مذهباً جديداً تحاول إلزام الناس به، فلا تفعل ذلك لأن الكل من رسول الله ﷺ قد أخذ.

أنت تنكر المذاهب وجعلت من رأيك مذهباً جديداً..

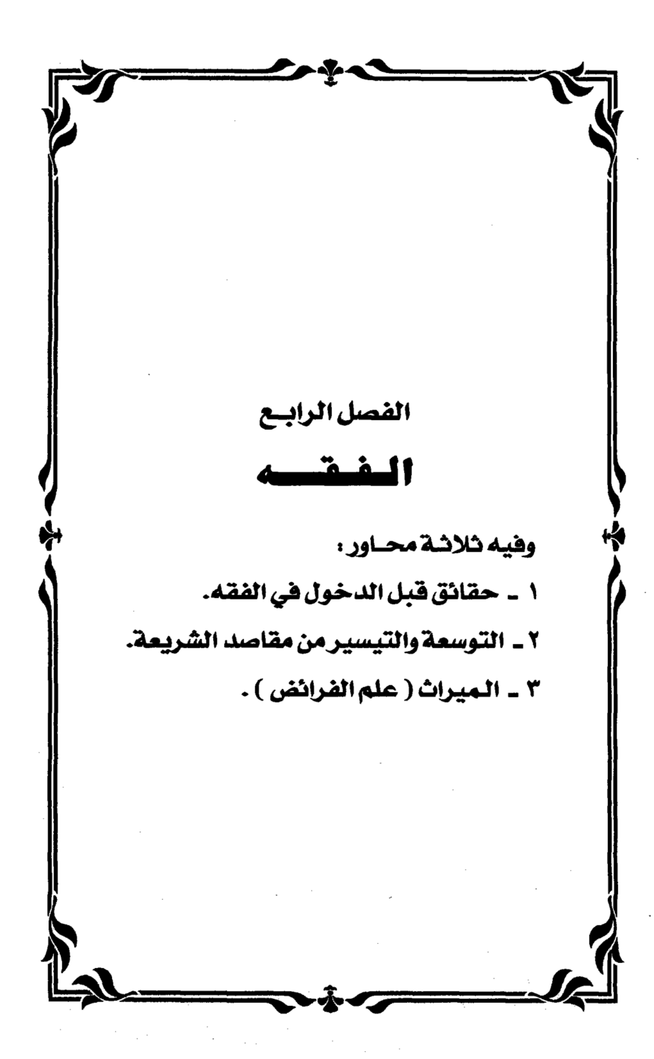
ويقول **الدكتور عبد الرحمن البر**: «المبتدع في الحقيقة هو من ابتدع إنكار ما ليس بمنكر، وهو من يُفتي بغير علمٍ ولا هُدىً ولا كتابٍ منير» (٣).

---

(١) أخرجه البخاري، صلاة ٣٢، تفسير سورة التحريم.

(٢) أخرجه الترمذي، مناقب ١٨، وابن ماجة، مقدمة ١١، وأحمد ٢/ ٥٣ ـ ٩٥ ـ ٤٠١، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وهو عنده برقم ٣٦٨٢.

(٣) التذكرة، د. عبد الرحمن البر، ص ٣٩.



الفصل الرابع

الفقه

وفيه ثلاثة محاور:

١ ـ حقائق قبل الدخول في الفقه.

٢ ـ التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة.

٣ ـ الميراث (علم الفرائض) .

الفصل الرابع

الفقه

الفقه في اللغة هو العلم بالشيء، والفهم له.

وفي القرآن ليس مطلق الفهم، بل دقة الفهم:

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ ﴾ (هود: ٩١).

وسنعرض في هذا الفصل من خلال ثلاثة محاور :

أولاً: حقائق ينبغي أن تعلمها قبل الدخول في الفقه.

ثانياً: التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة.

ثالثاً: الميراث (علم الفرائض) .

أولاً: حقائق ينبغي أن تعلمها قبل الدخول في الفقه

١ - النبي ﷺ لم يحمل الصحابة على الاتفاق فيما يحتمل الاختلاف :

فنحن من باب أولى لم ولن نستطيع أن نجمع الأمة على ذلك .

■ فلقد أمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: « **من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة** » . فمنهم من صلى في الطريق، ومنهم من صلى بعد العشاء الآخرة في بني قريظة، وأقرّ النبي ﷺ هؤلاء جميعاً على اجتهادهم ولم يعنف أحداً من الطائفتين(١) .

■ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيداً طيباً فصليا، ثم وجدا الماء في

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٢٧٨ ، غزوة بني قريظة .

الوقت، فتوضأ أحدهما وأعاد الصلاة ولم يُعِد الآخر، ثم آتيا رسول الله ﷺ فذكرا له ذلك، فقال للذي لم يُعد: «أصبت السنة و أجزأتك صلاتك»، وقال للذي توضأ وأعاد: «لك الأجر مرتين»(١).

من إجابة النبي ﷺ لهما لم يعرفا من الأفضل فيهما !!

هل الأفضل الذي أصاب السنة، أم الذي له أجر مرتين؟

أنت لا تستطيع أن تفاضل بينهما.

كذلك لم يتهم الأول منهما الآخر بأنه (مفرط في السنة، أو مرتكباً لبدعة).

ولم يتهم الثاني أنه متشدد؛ لأن التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة.

■ وهذا عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل يصلي جنباً متيمماً إماماً مع وجود الماء، وعندما حكى ذلك للنبي ﷺ، ضحك، ولم يعنفه(٢).

هنا نتأكد أن نبذ الخلاف في كل الأمور وفي كل وقت غير مقدور عليه لأنه مغاير لطبيعة الأشياء، فالواجب علينا إذن أن نعرف كيف نختلف، وقد أرشد القرآن الكريم إلي السلوك السوي عند الخلاف: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (النساء: ٥٩).

٢ ـ الفقه الإسلامي يسع الجميع في كل زمان ومكان:

فإذا كان الفقه الإسلامي يسع ديانتين(٣) تحت سقف واحد، وعلى فراش واحد(٤) ألا يسع الفقه الإسلامي أبناء الأمة الإسلامية فلا يختلفون ولا يشتجرون؟

---

(١) رواه أبو داود، صلاة ٢١١، طهارة ١٢٦، والنسائي، غسل ٢٧، عيدين ٨، ٣٢، وابن ماجة، طهارة ٨٧، والدارمي، وضوء ٦٥، برقم ٧٤٤، وسنده حسن، ورواه ابن السكن بإسناد صحيح موصول، وله شاهد من حديث ابن عباس، انظر: سبل السلام، جـ ١.

(٢) ورد في فصل البدعة في رقم ٤، ما رسمه النبي ﷺ لأصحابه.

(٣) ديانتين: أرى أن نقول تشريعين بدل ديانتين؛ لأن الدين واحد وهو الإسلام.

(٤) لأنه يجوز أن يتزوج المسلم بالكتابية.

وهذا الإمام الشافعي(١) . . عنده القنوت في صلاة الفجر سنة، وعندما كان قريباً من بلد الإمام أبي حنيفة في العراق ترك القنوت في الفجر احتراماً لمذهب الإمام أبي حنيفة، الذي يقول بعدم القنوت في الفجر، فهل الشافعي ممكن أن يجامل أبا حنيفة على حساب الإسلام فيترك ما تبطل الصلاة بدونه؟!

بالطبع . . لا . . ولكنه يعلم حقيقة أن الفجر بالقنوت صحيح وبدون القنوت صحيح، وكأن الأمر يدل على التوسعة والتيسير في الشريعة الإسلامية فحسب.

أسوأ خلاف شاهدته : ونحن في الروضة الشريفة قمنا إلى الصلاة فأخذ أحدهم يُطيب بعض المصلين من زجاجة عطر كانت معه، فاعترض عليه أحدهم وقال: هذا الطيب يفطر الصائم عندنا، وقال الآخر: عندنا لا يفطر. وبدأت الأصوات ترتفع. . فقلت لهما: كل واحد منكما يعمل بما عنده، ومن يفطر التطيب عنده لا يأخذه.

٣ ـ الفهم :

سيدنا موسى لم يطلب أن يكون أفصح الخلق، ولا أخطب الناس، بل طلب أن يكون كلامه مفهوماً: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) ﴾ (طه).

٤ ـ التركيز على الثوابت :

قال تعالى: ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ ... ﴾ (النمل: ٢٥). الهدهد لم يركز على القضايا الفرعية، ولكنه ركَّز على قضية الثوابت.

٥ ـ من القواعد الفقهية الهامة :

إن أي مسألة فقهية فيها خلاف معتبر بين الفقهاء ليس لك أن ترجح رأياً على الآخر، ولا أن تتهم من يأخذ بالآراء الأخرى. بمعنى أنه ليس لك أن تلزمني برأي فقهي تراه أنت أو تعتنقه(٢)، فكل مسلم له ظروف زمانية ومكانية، فالشافعي في

---

(١) الصحوة الإسلامية، د. القرضاوي، وسبق الإشارة إليه.

(٢) حتى ولو كان الرأي الفقهي خاص بي وأنا صاحبه، مر بك الآن أن الشافعي لم يلتزم رأيه هو في القنوت بل تركه.

العراق، غير الشافعي في مصر، عندما أنشأ مذهبه الجديد.

٦ - الخروج من الخلاف مستحب (١) :

ينبغي التمسك بهذه القاعدة لأن مآلها الاحتياط في الدين، وجلب المنفعة، والتأليف بين قلوب الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فنبذ الخلاف مستحب شرعاً.

وأصل هذه القاعدة ما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: **«لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باباً يدخل الناس منه وباباً يخرج الناس منه»**(٢).

ولصحة هذه القاعدة ما رواه أبو داود في سننه أن ابن مسعود أنكر على عثمان إتمام الصلاة في السفر، ثم صلى خلفه متماً وقال: «الخلاف شر»، وفي رواية: «إني أكره الخلاف»(٣).

امثلة على هذه القاعدة :

أ - يستحب الإتيان بالمضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة رعاية لمن أوجبها فيه.

ب - يستحب مسح جميع الرأس لمن يرى أن مسح بعض الرأس هو الواجب، رعاية لمن قال: بوجوب مسح جميعه.

جـ - غسل المني بالماء لمن يرى طهارته رعاية لمن قال: بنجاسته.

د - تبييت النية قبل الفجر في صوم النفل لمن يُجَوِّزُ حصولها بعد طلوع الشمس رعاية لمن قال: بوجوب تبييتها قبل الفجر كصيام الفرض.

---

(١) القاعدة الرابعة من الباب الرابع: سد الذرائع ومراعاة الخلاف، محمد بكر إسماعيل، كتاب القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، ص ١٢٦ .

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب «من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه»، جـ ١، ص ٤٠ .

(٣) فتح الباري، لابن حجر، أورده نقلاً عن سنن أبي داود، والبيهقي بألفاظ متقاربة، وفي الفتح باب «الصلاة بمنى»، جـ ٢، ص ٥٦٤ .

٧ ـ كثرة الآراء الفقهية:

إنما تساعد على وحدة المسلمين؛ لأنها تمثل مجالاً خصباً لوحدتهم فكل من يأخذ برأي فقهي هو من الأمة ولم يخرج منها والواقع أن الأمة تحتاج إلى الفهم؛ لأنها متفرقة مع هذه الآراء؛ لأن هناك خللاً في الفهم.

٨ ـ الإسلام يحتاج إلى كل الأفراد بكل الآراء الفقهية:

فالإسلام كما كانت حاجته لخالد بن الوليد قائداً، كانت حاجته لحسان ابن ثابت شاعراً. . فالإسلام يحتاج إلى الخِمار ويحتاج إلى النقاب، ويحتاج إلى الحزن والفرح، ويحتاج إظهار الالتزام ويحتاج إخفاء ذلك. . .

ثانياً : التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة الإسلامية

المسألة الأولى: زكاة الفطر

كيف نُخرج زكاة الفطر؟

وهل يمكن إخراج القيمة مكان العين أم أن إخراج العين لابد منه؟(١)

الجواب : من مقاصد الزكاة مصلحة الفقير ، فلا بد وأن تدور الزكاة مع المصلحة ، كما رأينا أن عمر بن الخطاب وجَّه سهم المؤلفة قلوبهم لزوال الوصف .

وفي هذه المسألة نجد أبا حنيفة وأصحابه ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري وخامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز أجازوا إخراج القيمة في زكاة الفطر ، قال النووي : وهو الظاهر من مذهب البخاري وصححه ، قال ابن رشيد : وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم .

ولذا نجد في هذه المسألة مجيزين ومانعين ، ولكل أدلته ، وقد ذهب شيخ الإسلام **ابن تيمية** مذهباً وسطاً بين الفريقين المتنازعين قال فيه :

«والأظهر في هذا أن إخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع منه ، ولهذا قرر النبي ﷺ الجبران بشاتين أو عشرين درهماً ولم يعدل إلى القيمة ، ولأنه متى جوز إخراج القيمة مطلقاً فقد يعدل المالك إلى أنواع رديئة ، وقد يقع في التقويم ضرر ، ولأن الزكاة مبناها على المواساة ، وهذا معتبر في قدر المال وجنسه ، وأما إخراج القيمة للحاجة أو للمصلحة أو العدل فلا بأس به»(٢) .

والذين أجازوا إخراج القيمة هم خير القرون بعد قرن الصحابة وهم التابعون ، فقد روى ابن أبي شيبة عن عون قال : سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز

---

(١) د. يوسف القرضاوي ، كتاب فقه الزكاة ، ص ٩٤٨ وما بعدها ، طبعة الرسالة .

(٢) النص المنقول عن ابن تيمية ، جـ ٢٥ ، ص ٨٥ ، من مجموع الفتاوى .

يقرأ إلى عدي بالبصرة (الوالي على البصرة): «يؤخذ من أهل الديوان من أعطياتهم من كل إنسان نصف درهم».

وعن الحسن قال: «لا بأس أن تعطى الدراهم في صدقة الفطر».

وعن عطاء: «أنه كان يعطي في صدقة الفطر ورقاً» أي: دراهم فضية.

ومما يدل على هذا القول: الحديث الذي رواه الدراقطني عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: « **أغنوهم** (يعني المساكين) **في هذا اليوم**».

وفي رواية البيهقي: « **أغنوهم عن طواف هذا اليوم**».

والإغناء يتحقق بالقيمة كما يتحقق بالطعام، وربما كانت القيمة أفضل في تحقيق الإغناء، فكثرة الطعام عند الفقير قد تحوجه إلى بيعها بأقل من قيمتها، والقيمة تمكنه من شراء ما يلزمه من الأطعمة والملابس وسائر الحاجات.

وذكر **ابن المنذر** الإجماع على جواز إخراج نصف صاع من البر[1].

بينما روى مسلم عن أبي سعيد أن هذا **قول معاوية**: «مُدَّين من سمراء الشام تعدل صاعاً من تمر»، فقال أبو سعيد: « فأخذ الناس بذلك، وأما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه أبداً ما عشت».

وروى **مسلم** أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنه، «**أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر صاع من تمر أو صاع من شعير، فجعل الناس عدله مُدَّين من حنطة**».

وقال **النووي** في شرحه: «والواجب في الفطرة عن كل نفس صاع، فإن كان في غير الحنطة والزبيب وجب صاع بالإجماع، وإن كان حنطة وزبيب وجب صاع عند الشافعي ومالك والجمهور، وقال أبو حنيفة وأحمد: نصف صاع لحديث معاوية، ويجيب الجمهور على دليل الأحناف بأن حديث معاوية لا يعدو أن يكون قول صحابي خالفه أبو سعيد وغيره ممن هم أطول صحبة، وأعلم بأحوال النبي ﷺ كما أن القياس يدل على مساواة الحنطة بغيرها في تقدير الصاع»[2].

---

(١) ص ١٩، رقم ١١٣، ط. التوفيقية.

(٢) فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، ص ٩٣٣، طبعة الرسالة، وهو المرجع الرئيس لهذه المسألة.

* ونجد أن هذا الأيسر في عصرنا وخاصة في المناطق الصناعية التي لا يتعامل فيها الناس إلا بالنقود[1] .

والمجتمعات الآن أصبحت كثيفة ومعقدة ويندر فيها الآن، بل لا تجد من يطحن ويعجن ويخبز، فالقيمة مع هذه الحالة أولىٰ، وكيف نكلف المسلم في مدينة كالقاهرة فيها أكثر من عشرة ملايين من المسلمين بإخراج الحبوب التي لم تعد من الميسور إحضارها ولا من النافع للفقير إعطاؤها، وفرق بين من يكون عنده الطعام ويضن به علىٰ الفقير ومن ليس عنده إلا النقود كأهل المدن فيسوي الفقير بنفسه، والزكاة إنما جعلت لإغناء الفقير عن الطواف في يوم العيد والأغنياء يتمتعون بمالهم وعيالهم، ولينظر امرؤ لنفسه :

هل يرىٰ أنه يغني الفقير عن الطواف إذا أعطاه صاع تمر أو شعير في بلد مثل القاهرة في مثل هذه الأيام؟

وماذا يفعل بهما الفقير إلا أن يطوف ليجد من يشتريها ببخس من القيمة ليبتاع لنفسه أو أولاده ما يتقوتون به؟

وهذا ما كان يحدث كل عام في رمضان حول الحرم المكي . .

كنتُ أرىٰ كل عام أكواماً من أكياس الأرز الأبيض تعد بالآلاف، يجلس بها التجار حول الحرم ويأتي الرجل الثري ليخرج الزكاة فيتجمع حوله آلاف من فقراء البلدان الإسلامية فيوزع عليهم الزكاة، كل واحد كيس أرز قيمته عشرة ريالات، ثم ينصرف الرجل، أما التاجر فجالس كما هو، ثم يبدأ بشراء الأرز من الفقراء، فيأخذ الكيس بخمسة ريالات، ويضطر الفقراء إلىٰ البيع للتاجر مرة أخرىٰ، وبذلك يكون الفقير قد خسر نصف نصيبه من الزكاة .

إذ كيف يحمل الفقراء إلىٰ بلدانهم أطناناً من الأرز؟

هل يحملونها في الطائرة أو السفينة؟

ولقد سعدتُ في العامين الأخيرين، أن وجدت هذه الظاهرة المؤلمة تختفي

(١) راجع عوامل المرونة والسعة في الفصل الثاني من هذا الباب .

نسبياً وأصبح الناس هناك يخرجون القيمة فيسعد الفقير ويأخذ حقه ولا يضيع منه شيء(١) ، فجزىٰ الله علماء الأمة خير الجزاء.

فائـدة: من الأفضل الإسـراع في إخراج زكاة الفطر من أول رمـضـان حتىٰ يستطيع الفقير شراء ما يلزمه. . وآخر وقت لإخراجها قبل صلاة العيد.

وبعد هذا العرض أقول لك: إن الزكاة شُرعت لمصلحة الفقير ، فيجب أن تدور مع مصلحة الفقير حيث دارت ، وهذه المصلحة تختلف زماناً ومكانًا ، فخذ بأي الرأيين وماتراه أفضل سواء أخرجت القيمة ، أو أخرجت العين. . فالأمر فيه توسعة وتيسير إن شاء الله.

---

(١) زكاة الفطر (صدقة الفطر) : واجبة عند الجمهور علىٰ كل فرد من المسلمين صغيرا وكبيراً ، ذكر أو أنثىٰ ، وتجب علىٰ المسلم الحر المالك لقوته (طعامه) وقوت عياله يومًا وليلة ، مقدارها ٢,٥ كيلو جرام من القمح أو الشعير أو التمر أو اللبن المجفف (الأقط) ، ويلاحظ أن زكاة الفطر :

١ ـ تختلف من شخص إلىٰ شخص ، فهذا واجب في حقه قمح ، وذاك واجب في حقه زبيب ، وهذا واجب في حقه تمر.

٢ ـ تختلف من بلد إلىٰ بلد فقيمتها مرتبطة بالأسعار في المكان الذي تقيم فيه أنت ، وقد يختلف من محافظة إلىٰ محافظة أخرىٰ في البلد الواحد.

المسألة الثانية: حِلَقُ (مجالس) الذِكْر

منشأ القضية: إنه لما رأىٰ المربون والمصلحون عزوف الناس عن ذكر الله ـ وهو أسمىٰ العبادات ـ ورأوا جهلهم بالمأثور منه، ونظروا في الآثار النبوية فوجدوا حثاً وإقراراً من النبي ﷺ، لهذا اللون من العبادة وهو الاجتماع للذكر فندبوا إليه، فقام آخرون وقالوا: هذا بدعة ولم يفعله النبي ﷺ، فكان لابد من توضيح القضية.

وبداية أنا أسأل هذا المُنْكِر : لماذا تقول هذا ؟

سيقول: لأنه لم يفعله النبي ﷺولم يأمر به.

أقول لك: من أين جئت بهذا؟

هل أحصيت الأحاديث ولم تجد فيها ما يدل علىٰ هذا؟

هل وجدت آثاراً ونصوصاً تنهىٰ عن ذلك ؟

سيرد بنفس الرد السابق: لأن الجواب الحق عن هذه الأسئلة لا .

سأبادر وأقول له: وجدت آثاراً ونصوصاً تحض علىٰ هذا حضاً واضحاً جلياً غير معارض بغيره، وهاك هي:

١ ـ عن أبي واقد الحارث بن عوف أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا علىٰ رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأىٰ فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرضَ، فأعرضَ الله عنه**»(١) .

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال معاوية: خرج رسول الله ﷺ علىٰ حلقة في المسجد فقال: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: «**جلسنا نذكر الله**»، قال: «**آ الله ما**

(١) رواه البخاري، علم ٨، صلاة ٨٤، ومسلم، سلام ٢٦١، وذكره النووي في رياض الصالحين رقم ٣/ ١٤٤٩، باب فضل حِلَق الذكر، ص ٤١٥، وفي الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٠٩ باب: الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع علىٰ ذكر الله تعالىٰ.

أجلسكم إلا ذلك؟»، قالوا: «آالله ما أجلسنا غيره»، قال: «أما إني لاأستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»(١) .

٣ ـ عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلَت سيئاتكم حسنات»(٢) .

٤ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة»(٣) .

٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم بهم ـ : ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول كيف لو رأوني؟ قال: فيقول: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً.

قال: فما يسألون؟ قال: فيقولون يسألونك الجنة، قال: فيقول وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر، رقم ٤٨٦٩ ، والترمذي، والنسائي، راجع المتجر الرابح للحافظ الدمياطي، ص ٣٢٧، طبعة دار البيان العربي.

(٢) رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني، والبيهقي، وقال المنذري في الترغيب: رواته مُتحج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي، ورقم الحديث في الترغيب ٢١٨٨، برواية أحمد عن أنس، ورواية الطبراني عن سهل.

(٣) رواه أبو داود، علم ١٣ ، برقم ٣٦٦٧ .

قال: مم يتعوذون؟ قال: من النار، قال: فيقول وهل رأوها ؟ قال: يقولون لا والله ما رأوها، قـال: يقول فكيف لو رأوها ؟ قـال: يقولون: لو رأوها كـانوا أشد منها فـراراً، وأشد منها مـخافة، قال: فـيقول: أشهـدكم أني قد غفـرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فـيهم فلان ليس منهم إنما جـاء لحاجة، قـال: هم الجلـساء لايشقى جليسهم»(١).

وفي رواية مسلم إلا أنه قال: «إن لله تبارك وتعالى مـلائكة سيارة.. »، وفيها زيادة: «..ويهللونك» أي: يقولون لا إله إلا الله، وفيها أيضاً: «قالوا ويستغفرونك قال: فـيقول: قد غـفرت لهم وأعطيتهم مـاسألوا وأجرتهم مما استـجاروا»، وكذلك رواه الترمذي نحو روايه مسلم.

٦ ـ عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « ياأيها الناس ارتعـوا في رياض الجنة». قلنا: يا رسـول الله، ومـا رياض الجنة؟. قـال: «مجـالس الذكر». ثم قال: « اغدوا وروحـوا واذكروا، فمن كـان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده، ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه»(٢).

٧ ـ عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري مرفوعاً: « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة»(٣).

أفلا تدل كل هذه النصوص الواضحة الجلية على شرعية وسنية ومكانة حِلَق الذكر؟، وفي هذه الأحاديث ما يلي:

١ ـ خروج النبي ﷺ على جماعة من أصحابه يذكرون الله ولم ينههم، بل بيَّنَ لهم عظيم ثوابهم ومكانتهم عند ربهم.

---

(١) متفق عليه، انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي، حديث ١٧٢٢، ص ٥٩٦، طبعة دار الحديث، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، والحديث حسن، وفي الترغيب رقم ٢١٩٢ .

(٣) رواه مسلم، ذكر ٢٥، ٣٨، ٣٩ .

٢ ـ دلالته على أن مجالس الذكر هي رياض الجنة في الدنيا .

٣ ـ تفضيله ﷺ أن يجلس مع قوم يذكرون الله على أعمال كثيرة .

٤ ـ بيان أنهم لا يقومون إلا مغفوراً لهم .

٥ ـ مباهاة الله تعالى بهم الملائكة .

٦ ـ التماس الملائكة هذه المجالس وبحثهم عنها .

٧ ـ نزول جبريل على النبي ﷺ خاصة ليبين له عظيم مكانتهم عند الله .

وأقول للمخالف : لماذا قال رسول الله ﷺ: «**حلَق الذكر**»، ولم يقل جماعة الذكر؟ ولم يقل من (يذكرون الله) بلفظ التعميم، ولكنه قال: «**حلَق الذكر**»[١]، أي متحلقين .

وأنا أسألك: بالله عليك إذا كانوا متحلقين يذكرون الله كيف سيكون ذكرهم؟

ـ هل سيذكرون الله كلٌ على حدته بذكر خاص به ، فما فائدة الْحلق إذا ؟

ـ هل سينطقون بالذكر الواحد كلهم معاً ؟ من المحتمل . .

ـ هل يذكر أحدهم الله والباقي يرددون ورائه ؟ من المحتمل أيضاً . .

حقاً إن هذا يحتاج إلى تفكير ـ اللهم أن يتفق التفكير مع العقل والشرع إذاً قل لي أيها المخالف لماذا تمنعه ؟ لماذا تبدعه ؟ لماذا تمنع هذا الخير؟

اعلم يا أخي أن القول بتبديع ما هو مشروع . . إنما هو عين البدعة : ﴿**وَلاتَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**﴾ (النحل: ١١٦).

فالخلاصة من الكلام أن حلق الذكر بطريقتها المعهودة مشروعة .

سيقول المخالف : لم يفعل النبي ﷺ ذلك ؟

(١) الرواية الوارد فيها لفظ (حلَق الذكر) عند الترمذي برقم ٣٥١٠، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»، قالوا: وما رياض الجنة؟، قال: «**حلَقُ الذكر**».

أقول له :

١ ـ أقره النبي ﷺ والإقرار سنة ، ومن المعلوم أن السنة إما قول أو فعل أو تقرير(١).

٢ ـ من المعلوم أن النبي ﷺ كان يترك أشياء وهو يدل عليها مخافة أن تفرض علينا ، لأنك ترىٰ أن أفهام أهل العلم لما يفعله النبي ﷺ تختلف .

فمنهم من يأخذ الأمر علىٰ الوجوب دائماً ما لم يصرفه صارف إلىٰ الندب ، ومنهم من يأخذ الأمر علىٰ الندب ما لم يؤكد بغيره أنه واجب ، فقد كان ﷺ يترك أشياء مخافة أن يظن فريق أنها فرض وهذا من رحمته بأمته ، وما تركه لصلاة التراويح في رمضان في جماعة ببعيد ، وما تركه لجعل مجالس العلم وهي عبادة منتظمة وفي أوقات محددة إلا من هذا القبيل .

وقد نقل **الحافظ ابن رجب** مثل هذا الكلام في جامع العلوم والحكم .

إن هذا الذي يرمي الناس بالبدع ، يفعل أشياءً لو سألناه عنها لما كانت عنده إجابة ، ولكان ـ علىٰ رأيه هو ـ مبتدع ، فإذا سألته : لماذا تتحدث أنت أو غيرك من المخالفين بكلمة بين صلاة التراويح؟ هل أثر هذا عن النبي ﷺ ؟ هل معنىٰ أنه لم يصلنا أن الرسول ﷺ فعلها ، اتهمناك بأنك مبتدع؟

سبحان الله . . وفي رياض الصالحين باب « استحباب الاجتماع علىٰ القراءة »(٢) . والقراءة ذكر ، قال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر : ٩) .

---

(١) دليل الإقرار : حديث أبو واقد المتقدم في بداية المسألة .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**، رواه مسلم، راجع : رياض الصالحين، ص٣٢٢ ، طبعة دار الوفاء .

المسألة الثالثة : صلاة النفل في جماعة

■ **أولاً**: عن أنس رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ، فقمت أنا ويتيم خلفه، وأم سليم خلفنا[١]، واليتيم هو ضُمَيْره، وهو جد حسين بن عبد الله بن ضميره. وأم سليم هي أم أنس واسمها مُليكة مصغراً.

وفي سُبل السلام: وضع هذا الحديث تحت عنوان: (الجماعة في النفل والصلاة للتعليم)، وقال دل الحديث على:

١ - صحة النفل في جماعة.

٢ - أن الصغير يُعتد بوقوفه، ويسد الجناح، وهو الظاهر من لفظ اليتيم، إذ «**لا يُتْمَ بعد الاحتلام**»[٢].

٣ - أن المرأة لا تُصف مع الرجال وأنها تنفرد في الصف[٣].

■ **ثانياً: في نيل الأوطار للشوكاني**:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقمت عن يساره فأخذ رسول الله برأسي من ورائي فجعلني عن يمينه**»[٤]، وكانت ليلة ميمونة خالة ابن عباس. وفي رواية أحمد: وأنا ابن عشر سنين.

ذكر الشوكاني هذا العنوان: (جواز الصلاة باثنين أحدهما صبي أو امرأة)، وبعد أن ذكر الحديث قال: دل هذا الحديث على:

أ - صحة الصلاة للتعليم.

ب - جواز انعقاد الجماعة باثنين أحدهما صبي.. قال: البعض بمنع انعقاد وإمامة من معه صبي فقط.. والحق أنه ليس مع هؤلاء المانعين دليل،

---

(١) رواه البخاري، أذان ٧٨.

(٢) رواه أبو داود - وصايا ٩.

(٣) سبل السلام للإمام الصنعاني، جـ ٢ ص ٥٣.

(٤) رواه البخاري، علم ٤١، وضوء ٥، أذان ٥٧، ٥٩، دعوات ١٠، لباس ٧١، ومسلم، مسافرين ١٨١، ١٨٤، ١٨٧.

ولم يستدل لهم في البحر إلا بحديث « رُفع القلم »، ورفع القلم لايدل على عدم صحة صلاته وانعقاد الجماعة به وعلى هذا ظل الأمر صواباً.

جـ ـ صحة صلاة النوافل جماعة.

د ـ موقف المؤتم الواحد يكون على يمين الإمام.

٢ ـ عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: « **من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا ركعتين جميعاً كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**»[١]، وفي الحديث دليل على:

أ ـ صحة الإمامة وانعقادها برجل وامرأة، فلقد كانت عائشة تأتم بغلامها، وعن عائشة أنها قالت: « **كان النبي ﷺ إذا رجع من المسجد صلى بنا**»[٢].

ب ـ وصرح الهادي أنه يجوز للرجل أن يؤم بالمحارم في النوافل، وجوز ذلك المنصور بالله مطلقاً[٣].

■ **ثالثاً: في فقه السنة:** عن ابن عمر قال: قال رسول الله: « **صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة**»[٤].

حكم صلاة الفريضة في جماعة: سنة مؤكدة.. أما الجماعة في النفل فهي مباحة سواء قل الجمع أو كثر، فقد ثبت أن النبي ﷺ صلي ركعتين تطوعاً وصلي معه أنس، كما صلت أم سليم وأم حِرام خلفه، وتكرر هذا ووقع أكثر من مرة[٥].

والآن بعد هذه الأدلة الساطعة على (صلاة النفل جماعة)[٦] وعدم وجود دليل واحد على المنع.. أقول لك: ومع هذا فالأمر فيه توسعة وتيسير.

---

(١) أخرجه النسائي وابن ماجة مسنداً، ورواه أبو داود بإسناد صحيح، وذكره النووي في رياض الصالحين رقم ١١٨٣، وأخرجه ابن ماجة برقم ١٣٣٥.
(٢) أخرجه الإسماعيلي، وقال: حديث غريب، وفي التلخيص الحبير، كتاب صلاة الجماعة، جـ٢، ص ١٥٥.
(٣) نيل الأوطار جـ ٣ ص ١٤٢، ١٤٣.
(٤) رواه مسلم، مساجد ٢٤٩، ٢٥٠.
(٥) فقه السنة، جـ ١، هامش صلاة الجماعة.
(٦) وعند البخاري: باب صلاة النوافل جماعة، كتاب التهجد ٢٩، عن أنس وعائشة.

المسألة الرابعة: الأفراح الإسلامية

والدف لمن؟! .. وهل هناك غناء إسلامي ؟

ثارت هذه الأيام ثورات على الأفراح الإسلامية التي قدمت البديل الإسلامي في الزواج، وهذا الهجوم ما بين مؤيد ومعارض، والذي يؤلم أن يخرج أحد أبناء المسلمين ويملأ الأسواق شرائط تهاجم الأفراح الإسلامية، بل ويتجرأ فيلغي حديث رسول الله عن الغناء فيقول: لا يوجد غناء إسلامي ولا دُف.

وسوف نناقش بإذن الله هذه القضية من خلال النقاط التالية:

١ ـ مشروعية الدف وأنه للرجال والنساء على السواء.

٢ ـ الغناء الإسلامي حث عليه النبي ﷺ بالنص الحرفي.

٣ ـ بعض التوصيات للأفراح الإسلامية والقائم عليها.

١ ـ مشروعية الدف وأنه للرجال والنساء:

١ ـ عن محمد بن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: **«فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح»**(١). قوله: «فصل ما بين الحلال والحرام: الدف» أراد إعلان النكاح.

٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **« أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال»**(٢). وأخرجه الترمذي بلفظ: **«أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف»**(٣).

---

(١) رواه الترمذي، نكاح ٦، رقم ١٠٨٨، وقال: حديث حسن، وأخرجه النسائي في النكاح ٣٣٦٩، وابن ماجة في النكاح ١٨٩٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٨٤، والبيهقي في السنن ٧/ ٢٨٦.

(٢) رواه ابن ماجة، نكاح ٢٠ برقم ١٨٩٥، وفي الزوائد: في إسناده خالد بن إلياس أبو الهيثم العدوي، اتفقوا على ضعفه.

(٣) رواه الترمذي برقم ١٠٨٩، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجة في النكاح ١٨٩٥، والبيهقي في السنن ٧/ ٢٩٠.

ويقول الإمام الشوكاني [1] في ص ١٨٨ : «يجوز في النكاح ضرب الأدفاف ورفع الأصوات بشيء من الكلام نحو أتيناكم أتيناكم ونحوه لا بالأغاني المهيجة والمشتملة على وصف الجمال والفجور ومعاقرة الخمور، فإن ذلك يحرم في النكاح كما يحرم في غيره، وكذلك سائر الملاهي المحرمة».

والأمر هنا يدل على أنه مباح لقوله ﷺ: «**واضربوا عليها بالدف**»، لا يبعد أن يكون مندوباً، لأن ذلك أقل ما يفيده الأمر في قوله: «**أعلنوا هذا النكاح**».

٣ ـ عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «**ياعائشة ماكان معكم من لهو.. فإن الأنصار يعجبهم اللهو**» [2].

٤ ـ عن ابن عباس قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أهديتم الفتاة ؟**» (يعني أرسلتموها بيت بعلها)، قالوا: نعم، قال: «**أرسلتم معها من يغني؟**»! قالت: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الأنصار قوم فيها غزل، فلو بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم**» [3].

والسؤال هنا: هل ضرب الدف خاص بالنساء ؟

أم أنه للرجال والنساء ؟؟

الدف مشروع للرجال والنساء وهذه هي الأدلة:

١ ـ الأحاديث التي ذُكرت يقول فيها النبي ﷺ: أعلنوا ـ اضربوا. وهذا فعل اتصلت به واو الجماعة التي لا تكون إلا بجماعة الذكور أو جماعة بها ذكور، فهو إذن خاص بالرجال، أو يشمل الرجال والنساء، ولو كان خاصاً بالنساء لقال: «أعلن. . واضربن».

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني، جـ٦ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) رواه البخاري ، نكاح ٦٣ .

(٣) رواه ابن ماجة، النكاح ٢١، رقم ١٩٠٠، وفي الزوائد: صحيح الإسناد، بعد أن أثبت أبو حاتم أنه رأى ابن عباس، كما قال في نيل الأوطار، ورواه أحمد، جـ٣، رقم ٣٩١ .

٢ ـ المعروف في التشريع الإسلامي أن النساء تُخَاطَب ضمن الرجال مثل حديث : «**سبعة يظلهم الله في ظله .... شاب نشأ في طاعة الله**» . فهل إذا كانت شابة نشأت في عبادة الله ألا تدخل في هذا الحديث؟

بالطبع تدخل . . لأن النساء تُخَاطَب ضمن خطاب الرجال ، إلا إذا كان الأمر خاص بالنساء مثل :

﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ (النور : ٣١) .

﴿ **لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ** ﴾ (الطلاق : ١) .

فهنا يأتي بنون النسوة ، ولا يجوز في التشريع الإسلامي أن تخاطب الرجال ضمن النساء ، والأمر التكليفي يكون للرجال(١) ومعهم النساء .

وبعد أن زال هذا الغبش واتضح لك أن الدف للرجال وللنساء فنقول لك : إن التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة الإسلامية .

٢ ـ يقول البعض: إنه لا يوجد غناء إسلامي :

نقول وبالله التوفيق : أنت لا تستطيع أن تنكر نظرية علمية أو غيرها بالرغم أنه لا يوجد إسناد صحيح يوصلك إلىٰ قائلها ، وقد يكون قائلها سرقها من غيره ونسبها لنفسه وكتبها باسمه ، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر حديث رسول الله ﷺ ، وذلك لوجود الإسناد ، فلولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، حتىٰ الغرب أنفسهم يقولون : عندكم علم لا يوجد علىٰ الأرض مثله ، ألا وهو : (علم الإسناد والرجال) .

فالذي ينكر الغناء الإسلامي نقول له : أنت تنكر حديث رسول الله ﷺ الذي

---

(١) كنت أتحدث في مناسبة زواج في المسجد ، وبعد ما ذكرت من أدلة علىٰ أن الدف للرجال والنساء ، وقف شاب وقال : ولكن الدف للنساء ، فهل سمعت أن أبا بكر أو عمر أمسك دفًا؟ فقلت له : وهل سمعت أن أبو بكر أو عمر نهىٰ عن ضرب الدف أو حدده للنساء دون الرجال ، أو حتىٰ هل نهىٰ النبي ﷺ الرجال عن ضرب الدف؟

راجع قاعدة (الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم) ، وحديث منطقة العفو في الفصل الأول والثاني .

رواه ابن ماجة ، ورواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس : «.. أرسلتم معها من يغني لها » . . وأنت لاحظ الآتي :

* استخدم الرسول ﷺ لفظ الغناء الصريح . . وليس لفظاً يحتمل التأويل ، بل لفظ صريح (أغنيتم ؟) . .

* النبي ﷺ علّمها بعض الغناء على سبيل المثال لا الحصر : (أتيناكم أتيناكم) .

* الغناء الإسلامي مشروع ولا يستطيع أحد أن ينكره للرجال(١) ولا للنساء وبنص الحديث .

٣ ـ بعض التوجيهات العملية للأفراح الإسلامية (٢) :

١ ـ احرص أخي المسلم على منع الاختلاط الفاحش المتسيب بين الرجال والنساء .

٢ ـ احرص على أن يكون زي العروس مطابقاً لمواصفات الزي الشرعي للمرأة ، فلا يجوز السفور والتبرج في ليلة الزواج ، فإذا كانت العروس في وسط النساء وتأمن دخول الرجال عليها فيجوز لها أن تجلس معهن بالزي المناسب لذلك غير متبرجة (٣) .

٣ ـ كلمات الأناشيد تكون سهلة واضحة تخدم هدفاً ، وتحقق غاية .

٤ ـ من العيوب التي ينبغي تلافيها أن صوت الدف قد يكون عالياً لدرجة أنه يغطي على الكلمات الطيبة الهادفة .

٥ ـ يجب الحرص على انتقاء الكلمات الهادفة ، والتي تُدْخِل السرور على الحاضرين .

---

(١) أما مشروعيته للرجال : حداء أنجشة وتسرع الأبل ، فيقول له النبي ﷺ : «أرفق يا أنجشة بالقوارير» ، البخاري ، كتاب الأدب ١١٦ .

(٢) سيأتي تفصيل هذه المسألة كاملاً في فقه القضايا المعاصرة (الغناء والموسيقى) .

(٣) راجع آداب النظر في باب تربية الأولاد من هذه الموسوعة .

المسألة الخامسة : الخمار والنقاب

الأصل في هذه المسألة : هل الوجه والكفان عورة أم ليسا بعورة؟

وسوف نناقش هذه المسألة من :

١ ـ الناحية الحديثية.

٢ ـ الناحية الفقهية.

٣ ـ الآراء من عهد الصحابة إلىٰ الآن.

٤ ـ من الناحية الأصولية.

هذه مسألة خلاف كبير من عهد الصحابة إلىٰ فقهاء اليوم . . يحسمها هذا السؤال الذي سنجيب عنه بجميع الأدلة : هل الوجه والكفان عورة ؟

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ (النور : ٣١).

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (النور : ٣٠).

هذه الآية تشعر بأن في المرأة شيئاً مكشوفاً يمكن النظر إليه، لذلك أمر الله تعالىٰ بغض النظر عنهن، وما ذاك غير الوجه والكفين.

١ ـ من الناحية الحديثية :

يقول الإمام القرطبي لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة للصلاة والحج، فإن الاستثناء راجع إليهما .

يدل علىٰ ذلك حديث أبي داود والذي رواه عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت علىٰ النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال : «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا**». وأشار إلىٰ وجهه وكفيه(١).

---

(١) رواه أبو داود، لباس ٣١، رقم ٤١٠٤، وقال : مرسل، ورواه الطبراني في الأوسط قال : «وفيه ابن لهيعة»، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقد قوىٰ البيهقي الحديث من جهة أخرىٰ، ووافقه الذهبي.

وعن الفضل بن العباس أن امرأة من خثعم استفتت رسول الله ﷺ في حجة الوداع (يوم النحر) والفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ، (وكان الفضل رجلاً وضيئاً) فوقف رسول الله للناس يفتيهم، فأخذ الفضل بن عباس يلتفت إليها وكانت امرأة حسناء (وضيئة)، فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها، وتنظر إليه، فأخذ رسول الله ﷺ بذقن الفضل فحول وجهه من الشق الآخر، فكنت أنظر إليها فنظر إليّ النبي فقلب وجهي عن وجهها، ثم أعدت النظر فقلب وجهي عن وجهها، حتى فعل ذلك ثلاثاً وأنا لا أنتهي.

فقال له العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟

قال: «**رأيت شاباً وفتاة لم آمن الشيطان عليهما**»(١).

وكان ذلك في حجة النبي ﷺ يعني بعد فرض الحجاب.

وعن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**».

قالوا: يا رسول الله ما لنا بُد.

قال: «**فإن أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقها**».

قالوا: وما حق الطريق؟

قال: «**غض البصر، كف الأذى، رد السلام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»(٢).

وقال شريك عن أبي ربيعه: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ٣ / ٢٩٥، ومسلم ٤ / ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري ١١ / ٩، ومسلم ٣ / ٧.

(٣) أبو داود ١ / ٣٣٥، الترمذي ٤ / ١٤، وصححه على شرط مسلم والبيهقي وأحمد، وقال الترمذي حديث حسن غريب.

وعن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله عن نظر الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري[١] .

٢ ـ من الناحية الفقهية :

١ ـ يجوز للخاطب النظر للوجه والكفين فإن كانا عورة لما جاز له النظر إليهما .

٢ ـ شروط صحة الصلاة (ستر العورة ـ دخول الوقت ـ استقبال القبلة ـ طهارة المكان والبدن والثياب)، فإذا كان الوجه والكفان عورة فصلاة المرأة باطلة[٢] لأنها تكشف وجهها وكفيها في الصلاة فلو انكشفت العورة بطلت الصلاة وطالما أنها مأمورة بكشفهما فليسا بعورة .

٣ ـ كذلك في أسمىٰ عبادة وهي الحج مأمورة حين تحرم أن تكشف الوجه والكفين .

وبناءً علىٰ هذا فمن قال: بأن الوجه والكفين عورة، فقوله لا دليل معه .

٣ ـ من ناحية الآراء من عهد الصحابة حتى الآن :

١ ـ ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (النور: ٣١) . . يقول ابن مسعود: يعني الثياب، ويقول أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٣١٦ وقول ابن مسعود وهو الثياب لامعنىٰ له لأنه يُرىٰ الثياب عليها دون شيء .

٢ ـ يقول ابن عباس: ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ يعني الوجه والخاتم والكف .

٣ ـ وابن حزم في المحلىٰ جزء ٣ ص ٣٤٩ عورة المرأة: جميع جسمها حاشا الوجه والكفين فقط .

٤ ـ في المجموع جزء ٣ ، ص ١٧٣ قال المصنف: « وأما الحرة فجميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين » .

---

(١) مسلم ٦ / ١٨٢ ، وأبو داود ١ / ٣٣٥ ، والترمذي ٤ / ١٤ ، والدارمي ٢ / ٢٧٨ ، والحاكم ٢ / ٣٩٦ ، وأحمد ٤ / ٣٥٨ ، والبيهقي .

(٢) كلمة الشيخ محمد الغزالي، للشيخ بن باز . . رحمة الله للجميع .

٥ ـ وفي المُغني لابن قدامة الجزء الثاني مسألة : إذا انكشف من المرأة الحرة شيء سوى وجهها أعادت الصلاة. والاتفاق على أن الوجه والكفين ليسا بعورة .

٦ ـ وفي الفقه على المذاهب الأربعة (الشافعية، والمالكية، والحنابلة) أن الوجه والكفين ليسا بعورة.

٧ ـ عقد **الإمام الشوكاني**[١] في نيل الأوطار باباً أسماه : (المرأة الحرة كلها عورة إلا وجهها وكفيها).

٨ ـ رأي **الشيخ الشعراوي**[٢] . . عندما سُئِلَ **فضيلة الإمام : هل النقاب واجب ؟ وهل الحجاب يكفي زياً إسلامياً.. إن كثيراً من الفتيات يردن توضيحاً من الإمام من باب الاطمئنان على أن الحجاب يكفي زياً إسلامياً؟**

الإجابة : الذي أعرفه للأدنى : ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ .

في الأعلى : ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ .

وأما ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ . .

معنى هذا أن فيه شيئاً يُرَى ! !

وعلى هذا فالحجاب كاف، ولكن صاحبة النقاب حرة في أن تلبس كما تشاء. . وضرب الإمام مثلاً بالامتحان بالنسبة للفتاة المنقبة قائلاً : إذا أدخلت نفسها فيما يشترط فيه أن يُرى الوجه فعليها أن تلتزم بهذا و إلا لا تذهب .

و إلا كان هذا عدم فهم للدين وعدم فهم للواقع ! !

في بعض الحالات يجب كشف الوجه أمام القاضي، فمن ترفض ذلك فإنها تأثم لتضييع الحقوق المترتبة على عدم قبول شهادتها .

٩ ـ أما **الشيخ الألباني** : فقد أَلَّفَ كتاباً أسماه «حجاب المرأة المسلمة»، وسُمِّي في الطبعة الثانية «جلباب المرأة المسلمة»، وهُوجِمَ الشيخ بسبب قوله إن الوجه

---

(١) نيل الأوطار، جـ٢، مجلد ١، ص ٤٢٣، والإمام الشوكاني توفي عام ١٢٥٥هـ.

(٢) كتاب (سؤال وجواب) ، ص ١٩ ، طبعة دار المعارف، عام ١٩٨٨م،

والكفين ليسا بعورة هجوماً شديداً، وقالوا له : يا شيخ خالفت فتواك تقواك كيف تقول الوجه والكفين للمرأة ليسا عورة، وزوجتك وبناتك منتقبات؟

فكان رده ـ رحمه الله ـ : إن بيان الحكم الشرعي للمسلمين واجب عليَّ، أما إذا فعلت زوجتي وبناتي أكثر من المفروض عليهـن، فلله الحمد والمنة .

١٠ ـ وبعد أن ذكر الألباني في مقدمة الطبعة [١] حديث الفضل بين العباس قال ـ رحمه الله ـ: وهذا الحديث يقرر أن كشف المرأة عن وجهها ولو كانت جميلة حق لها إن شاءت أن تأخذ به فعلت، وليس لأحد أن يمنعها من ذلك بزعم خشية الافتنان بها .

وأقول :إن هذا الاختلاف لا يضر ، فالتوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة .

٤ ـ من الناحية الأصولية:

هذا أمر خلافي بين الفقهاء، والقاعدة تقول: (الأمر الخلافي بين الفقهاء ليس فيه أمر بمعروف ولا نهي عن منكر) فلا يجوز لصاحبة الخمار أن تطلب من المنتقبة خلع النقاب ولا يجوز للمنتقبة أن تطلب من صاحبة الخمار أن تلبس النقاب .

ويبقى سؤال: هل إذا طلب الأب من ابنته خلع النقاب والبقاء على الخمار (أو عدم لبس النقاب) هل تطيعه في ذلك أم لا ؟

الإجابة: الواجب أنها تطيعه ولا إثم عليها، كما أنه لا إثم عليه أيضاً لأنه لم يأمرها بمعصيـة !! وذلك لأنه في حدود طاعة الوالدين .

روىٰ أحمد عن معاذ بن جبل: أوصاني رسول الله ﷺ : **« ألا تشرك بالله شيئاً وإن قُتِّلتَ وحُرِقت ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك»**[٢] .

(١) جلباب المرأة المسلمة، للشيخ الألباني، ص ٢٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ٢٣ ، برقم ٤٠٣٤ ، من حديث أبي الدرداء، وقال في الزوائد: إسناده حسن، والإمام أحمد في مسنده جـ ٤ رقم ١١ .

المسألة السادسة : لون ثياب المرأة

هل للمرأة لون معين من الثياب أسود مثلاً أو أبيض؟

١ ـ في نيل الأوطار للإمام الشوكاني باب أسماه (النهي عن المعصفر للرجال وجواز لبسه للنساء)، وذلك للحديث: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من ثنية فالتفت إليَّ وعليَّ ريطة مدرجة بالعصفر، فقال: «**ما هذا ؟**»، فعرفت ما كره فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم فقذفتها فيه ثم أتيته من الغد فقال: «**يا عبد الله ما فعلت بالريطة؟**»، فأخبرته فقال: «**ألا كسوتها بعض أهلك**»(١) .

٢ ـ وفي نيل الأوطار، في باب لبس الأبيض والأسود ص ٩٩ ـ ١٠٠ : (لم يرو حديث من الأحاديث يقول بوجوب أو استحسان لبس الأسود للنساء، أو أي ألوان معينة كزي للنساء).

٣ ـ فإذا ذكرنا شروط زيّ المرأة المسلمة نجد أن من الشروط: (ألا يكون ثياب شهرة)، أي تشتهر به بين الناس حتى ولو كان وضيعاً بل ومرقعاً، وقد ذكر الألباني في صفحة ٤ وما قبلها نقلاً عن الشوكاني ص ١١١ حديث ابن عمر: «**من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه النار**»(٢).

قال الشوكاني في هذا الحديث ما نصه: « وليس هذا الحديث مختصاً بنفيس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لبسه ويعتقدوه».

٤ ـ يقول ابن رسلان: «إذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف؛ لأن التحريم يدور مع الاشتهار، والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع»(٣) .

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجة برقم ٣٦٠٣، وزاد فيه: «فإنه لا بأس بذلك للنساء».

(٢) أخرجه ابن ماجه ، جـ٢ ، برقم ٣٦٠٧، بسند حسن.

(٣) نيل الأوطار، شرح حديث رقم ٥٨٤، ص ٤٧٠، طبعة دار الحديث ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥ ـ ثم نجد في شرح السنة للبغوي: قال معمر عن أيوب عن عائشة بنت سعد قالت: «رأيت ستاً من أزواج النبي ﷺ يلبسن المُعصفر»(١). وعنوان البخاري لهذا: (باب الثياب الخضر).

ومما تقدم من الأحاديث:

يرى العلماء أن الثياب المصبوغة بعصفرٍ وزعفران يحرم لبسهما على الرجال دون النساء، فالمرأة تلبس الأخضر المصفر والأحمر المزعفر (الأصفر).

والصواب : أن تلبس المرأة ألوان غير مميزة عن عامة النساء فلو لبست المرأة ثوباً مرقعاً واعُتبر لبساً لفئة محدودة واشتهروا به، كان ثوب شهرة ويحرم لذلك.

والأمر ـ يا أختي المسلمة ـ فيه توسعة وتيسير وهذا من مقاصد الشريعة.

بعد هذا العرض نقول للمرأة :

لك أن تأخذي بالخمار أو النقاب أو أي لون للثياب فلا حرج إذن، ولكن أرجو أن تتوجه الأخت صاحبة الخمار وصاحبة النقاب إلى المسلمة المتبرجة التي ترتدي البنطلون والقميص والتي ترتدي الميكروجب أو أي لباس مخالف لشرع الله.. فلا يصح أن نترك النساء العاريات دون نصح وتوجيه، ثم تتشاجر الملتزمات على لون الثياب أو الجلباب.

التوجيهات العملية في هذا الموضوع :

أختي المسلمة:

أرجو أن نتوجه إلى المجتمع يداً واحدة، وقلباً واحداً قبل أن يكثر الخبث، قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الأنفال: ٢٥).

ايها المسلمون : أسأل الله أن نفيق من غفلتنا قبل أن يدهمنا الطوفان..

---

(١) أخرجه عبد الرازق في المصنف، و إسناده صحيح، برقم ١٩٩٥٦، جـ١١، ص ٧٦ .

أو نكون مـثل : الذي رأىٰ رجـلاً أشرف علىٰ الغرق في النهـر ثم ينظر إليـه ويقول لاشك أنه جائع سوف اذهب الآن مسرعاً لإحضار الطعام له ويجتهد في إحضار الطعام ويأتي فيجده قد مات غرقاً. . . هل أفاد الطعام ؟

أو نكون مثل : مجموعة من الأصدقاء يجلسون معاً، فجاءت عصابة وأوقفت فرداً من المجموعة، وبدأت تقطع منه بالسكين، وأصدقاؤه ينظرون إليه، قال أحدهم : ألا ترون أن صديقنا جلبابه طويل، ومط آخر شفتيه وقال: لا يوجد غطاء علىٰ رأسه، وتململ الآخر في مكانه وهز كتفيه وقال: إنه حليق وشعره كذا. . . وبدأت العصابة تحز رقبة صديقهم بالسكين وهم فيما هم فيه. .

ألم يكن الأولىٰ بهؤلاء الأصدقاء أن يهبوا لتخليص صديقهم من القتل أولاً؟

المسلمون الآن يُذبحون ونحن في خلافاتنا غرقىٰ !!

يقول ابن القيم في الاشتغال بالفروع عن الأصول :

١ ـ كمثل رجل دخل والإمام راكع فانشغل بدعاء الاستفتاح إلىٰ أن قام الإمام من الركوع فلا قرأ الفاتحة ولا لحق بالركعة.

٢ ـ كمثل رجل دخل في عباءته حية وانشغل أحمراء هي أم سوداء؟ إلىٰ أن لدغته ومات.

ارجو أن تكون هذه النماذج التي ذكرت دروساً وعبراً ودافعاً للعمل والتخلص من أمثالها.. وليست لتثبيط الهمم؟؟

المسألة السابعة : اللحية

هذه المسألة كَثُرَ فيها الكلام وأصبحت من أسباب الفرقة والشقاق بين المسلمين، وخاصة أبناء الصحوة الإسلامية، ولذلك أقوم بتحقيقها علمياً حتىٰ تضع الحرب أوزارها .

الحديث الأول : عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: « **خالفوا المشركين، ووفروا اللحى، وأحفوا الشوارب**»(١) .

الحديث الثاني : عن أبي مسلمة وسليمان بن يسار عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: « **إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»(٢) .

الحديث الثالث : أخرج البخاري في باب الزكاة في الإسلام حدثنا عبد الله ابن مسلمة عن مالك عن (عمه) أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيدالله يقول: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتىٰ دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال له رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**»، قال: هل علىٰ غيرهن؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**»، قال: رسول الله ﷺ: «**وصيام شهر رمضان..**»، قال: هل علىٰ غيره؟ قال: « **لا، إلا أن تتطوع**»، وذكر رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا ، إلا أن تتطوع**»، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد علىٰ هذا ولاأنقص منه، فقال رسول الله ﷺ: « **أفلح إن صدق**»(٣) .

هذه الأحاديث الثلاثة في درجة واحدة من الصحة، فقد أخرجها الإمام البخاري في صحيحة، اثنان منها في صفحة واحدة. .

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٣ اللباس، باب قص الشارب، والإمام أحمد جـ ٢ رقم ٥٢ .

(٢) أخرجه البخاري (أنبياء ٥٠، باب الخضاب، لباس ٦٧)، ومسلم لباس ٨٠ ، و أبو داود ترجل ١٨، والنسائي زينة ١٤، وابن ماجه لباس ٣٢، والإمام أحمد جـ ٢ رقم ٣٤٠ .

(٣) أخرجه البخاري (إيمان ٣، صوم ١، شهادات ٢٦، حيل ٣)، ومسلم ايمان ٨، ٩ ، وأبو دادود صلاة ١، والنسائي (١صلاة ٤، صيام ١، ايمان ٢٣) الدارمي صلاة ٢٠٨، ومالك في الموطأ سفر ٩٤ وقال في الموطأ: رواه الشافعي في الرسالة فقرة رقم ٣٤٤ بتحقيق أحمد محمد شاكر .

اختلف الفقهاء في حلق اللحية على ثلاثة أقوال:

١ ـ قول بالتحريم.

٢ ـ قول بالكراهية.

٣ ـ قول بالإباحة لأنها من سنن الفطرة.

أما عن الرأي الأول الذي قال أصحابه بتحريم حلق اللحية، نقول لهم الآتي:

١ ـ في علم أصول الفقه . . الحرام هو ما طلب الشارع الكف عنه على وجه الحتم والإلزام فيكون تاركه القاصد بذلك وجه الله مأجوراً مطيعاً وفاعله آثماً عاصياً ويُعاقب. وعلى هذا فالحرام هو ما رتب الشارع عقوبة على فعله، فإذا لم يرتب الشارع عقوبة على الفعل يخرج من دائرة الحرام.

٢ ـ في القواعد الأصولية: «الخلاف في المسألة لا يُوجب على المكلفين فيها أمراً أو نهياً» . والفقهاء في مسألة اللحية اختلفوا على ثلاثة أقوال.

٣ ـ تأمل الحديث الثاني «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون**»، وقارنه بالحديث الأول «**وفروا اللحى**»، نجد أنهما في نفس درجة الصحة، بل وفي نفس الصفحة من صحيح البخاري، والأمر في الحديث الثاني كما في الحديث الأول مبني على المخالفة ومع ذلك من الصحابة من صبغ شعره ومنهم من لم يصبغ، ولم يقل أحد أن فعل هذا الصحابي الذي لم يصبغ فعلاً حراماً، ونادراً ما تجد الآن من يصبغ من المسلمين ولم يقل أحد أن الذين لم يصبغوا فعلوا فعلاً حراماً . . فكيف يكون الفعل في الحديث الأول حرام وفي الحديث الثاني ليس حراماً . . !! وطالما أن عدم الصبغ ليس حراماً . . إذاً حلق اللحية ليس حراماً.

من هذا العرض الموجز نجد أن حلق اللحية ليس حراماً.. وعلى هذا فالقول بالتحريم قول مرجوح ولا دليل عليه.

وأما القول الذي عليه الصواب ويؤيده علم الأصول وآراء الفقهاء والمحدثين والذي نراه موافقاً للأصول الشرعية هو القول بكراهية[1] حلق اللحية.

وأما القول بالإباحة لأنها من سنن الفطرة لا أرجحه ولا أميل إليه.

---

(١) المكروه: ما طلب الشارع تركه لا على وجه الحتم والإلزام، أو: ما يُمدح تاركه ولا يُذم فاعله.

المسألة الثامنة: الإسبال (١)

أخرج البخاري في كتاب اللباس باب قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ (الأعراف: ٣٢).

وقال النبي ﷺ: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مَخيلة**»(٢).

وقال ابن عباس: «كُل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سَرَفٌ أو مَخيلةٌ».

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»،

فقال أبو بكر: «يا رسول الله، إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده».

فقال رسول الله: «**إنك لست ممن يفعله خيلاء**»(٣).

ثم أورَدَ البخاري بعد هذا الباب: باب من جَرّ إزاره من غير خُيلاء.

العلة هنا: الخيلاء، وهي تدور مع المعلول، فإذا انتفت العلة فلا حرج بعد ذلك.

قال النووي: يحرم الإسبال على سبيل الخيلاء، ويكره من غير خيلاء.

إن ثوب أبي بكر يطول ولكنه ليس كبراً، وسواء تعهده أو لم يتعهده فلا حرج في ذلك، ولو كان هناك حرج لأوصاه النبي ﷺ أن يداوم على تعهده.

ولذلك يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -: قد يأتيك رجل كَمِيِّش الثياب (يعني ثيابه قصيرة حتى قرب ركبته) وفي قلبه من الكبر ما لا تستطيع الجبال الرواسي أن تحمله، فهل نفعه قِصَر ثوبه؟(٤).

---

(١) الإسبال: إرخاء الثوب (تطويله).

(٢) أخرجه البخاري، لباس، باب «قُل من حرَّم زينة الله».

(٣) أخرجه البخاري، لباس ١، ٢، ٥، فضائل الصحابة ٥، مسلم، لباس ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٨.

(٤) هموم داعية، ص ٢٩، دار الحرمين للنشر، طبعة ١٩٨٣، الدوحة، قطر، توزيع دار الاعتصام.

أقول : الآن يرتدي الشباب (برمودة) وهي بنطال إلى منتصف الساق، يسير به الشباب في الشارع في قمة الزهو والخيلاء، فهل هذه البرمودة على السُنَّة؟!

أم أن الكبر هو علة الإسبال ؟!(١) .

قال لي أحد الشباب : هناك ستة أحاديث مثل « **ما أسفل الكعبين في النار** » . . وهذه الأحاديث الستة تمنع الإسبال بدون علة الكبر !! وحديث واحد يتحدث عن الكبر؟

قلت له: هذا الحديث « **من جرَّ ثوبه خيلاء...** » رواه البخاري ومسلم.

فهو حديث صحيح إذن؟

قال: نعم .

قلت له: سوف آخذ به ، وخذ أنت بالستة الباقية، فأنا لم أطالبك أن تأخذ بهذا الحديث الصحيح ، فلماذا تطالبني أن آخذ بالأحاديث التي أخذت بها؟ هل هي أعلى مرتبه من الصحيح ؟(٢) .

ثم قلتُ له: خلاصة الكلام . . طالما أنها أحاديث صحيحة وردت عن النبي ﷺ فكل منا يأخذ بأيها شاء، ولا أحد يُلزم الأخر بما أخذ هو به . .

ونقول: طالما انتفى الكبر سواء طالت الثياب أم قصرت، فلا شيء في ذلك، فالتوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة.

---

(١) أخشى أن يأتي اليوم الذي يُقال فيه إن هذه البرمودة تقليد للمشركين، ويجب أن نخالفهم، فنطيل الثياب مخالفة لهم!!

(٢) راجع مراتب الصحيح في علوم الحديث من هذا الباب .

المسألة التاسعة : الدعاء للميت عند القبر بعد الدفن والعظة للأحياء

عند الدفن أكبر مجال للعبرة و العظة للأحياء، حيث يضعون بأيديهم عزيزاً عليهم، ومع هذا لا نتورع عن الخلاف والشقاق حتى في الأشياء المستحبة.

فمن الأشياء المستحبة بعد الفراغ من الدفن الاستغفار للميت، وسؤال التثبيت له، للحديث الذي رواه عثمان: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**»(١).

فلو كانت هناك هيئة معينة، أو طريقة معينة، أو ألفاظ معينة لذكرها رسول الله ﷺ لأنها تعتبر تشريع، أما وإن النبي ﷺ لم يذكر شيئاً، فالأمر مطلق، وأي شيء يفعل فيه في إطار هذا الحديث فلا حرج.

ونلاحظ: أنه لم يرو عنه ﷺ غير ذلك.. المهم أن تدعو للميت، ولك أن تأخذ بأي رأي فقهي ولا تلزمني برأي أنت تميل إليه، لك أن تدعو للميت إما جماعي والناس تُؤمِّن(٢)، وإما فردي، وإما جهراً وإما سراً، وإما قائماً وإما جالساً.

أما كيفية تنفيذ الحديث: «**استغفروا لأخيكم...**» فإنها متروكة لظروف المكان وظروف الزمان وظروف الأشخاص، كُلٌ حسب ظرفه، المهم الاستغفار للميت حتى ولو عبر مكبر الصوت.

مقترح عملي لهذه اللحظات :

ماذا تفعل عند إنزال الجنازة القبر؟؟

الجواب : عندما توضع الجنازة على الأرض لا داعي لكثرة الكلام والصوت العالي، ويتقدم أقارب الميت لدفنه، وإن كانت امرأة فالأولى أن يحملها محارمها

(١) رواه البخاري، جنائز ٦٠، مناقب الأنصار ٣٨، ومسلم، جنائز ٦٤.

(٢) راجع في ذلك كتاب: التذكرة في حكم الموعظة والدعاء على المقبرة، للأستاذ الدكتور عبدالرحمن البر، طبعة شركة منارات.

وينزلوا الجثة إلى القبر، وعندها يبدأ أحد الحضور في تذكير الناس بمعنىً يناسب الحال في حدود خمس إلى عشر دقائق حتى إغلاق باب القبر(١) .

وعندما يغلق باب القبر يقول: الآن أغلق القبر ندعو للميت(٢)، وإما أن يدعو هو أو يكون هناك غيره من يدعو والجميع يؤمن يقول آمين هنا ينصرف المعجلون.

وبعد أن ينتهي من الدعاء يطلب من الحضور أن يستمر باقي المشيعين في الدعاء للميت لمدة عشر دقائق كل على حدة .

وللإنسان قبل وفاته أن يوصي بعض الأفراد، أو يذكر ذلك في وصيته بمن يقف بعد الدفن عند قبره، ويحدد لهم مدة ذبح وسلخ جزور (الجزور: واحدة من الإبل).

---

(١) في رياض الصالحين، للنووي، باب رقم ١٦٠، الموعظة عند القبر، عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا ومعه مَخْصَرَة (عصا) فنكس (طأطأ رأسه) وجعل ينكت بمخصرته ثم قال: **«ما منكم من أحد إلا وقد كُتبَ له مقعده من النار ومقعده من الجنة»**، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكّل على كتابنا؟ فقال: **«اعملوا فكلٌ مُيسَّر لما خُلقَ له»**، وذكر تمام الحديث، متفق عليه، وحديث البراء بن عازب حينما وضعت الجنازة قال: **«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع عن الدنيا...»**.

(٢) في رياض الصالحين، باب ١٦١، الدعاء للميت بعد دفنه والاستغفار والقراءة، روى مسلم عن **عمرو بن العاص** قال: **«إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور، حتى أستأنس بكم»**. وقال الشافعي -رحمه الله-: **«يُستحب أن يُقرأ عنده شيءٌ من القرآن، وإن ختموا القرآن كله كان حسناً»**، رياض الصالحين، ص ٣٠٢ .

المسألة العاشرة : هل الشرب قائماً بدعة ؟

إن إلزام العالَم كله عادة واحدة وصورة واحدة منافٍ لما نعلمه قطعاً من قواعد الشريعة، وإنها قد روعي فيها اختلاف الطبائع البشرية واختلاف العوائد (جمع عادة) في الأزمان والأقطار والأشخاص.

ثم إن ذلك مناقض لنصوص الشريعة التي تأبى التضييق والحرج.

ثم إن إلزام الناس بأسلوب الحياة العربية في الجزيرة من ألوان الطعام والشراب والمساكن والملابس يُفضي بنا ذلك إلى شناعة شديدة جداً[1] .

من الأشياء المخزية والمخجلة أن تجد عراكاً شديداً والسبب أن فلاناً شرب واقفاً، فقد انصرف جُل همنا إلى الهيئة، نقول اشرب قائماً أو اشرب جالساً أو حتى لو شرب مضطجعاً فلا شيء في ذلك على الإطلاق، المهم ماذا تشرب؟

أتشرب طيباً أم خبيثاً؟ أتشرب حلالاً أم حراماً؟

أتشرب مسرفاً ومبذراً أم تشرب متوسطاً معتدلاً ؟

هل تشعر بنعمة الله عليك فيما تشرب ؟!

أحاديث الشرب قائماً :

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«سقيتُ النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم»**[2].

* وعن عمر رضي الله عنه قال: **«كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام»**[3] .

---

(١) د. محمد عبدالله دراز، الميزان بين السنة والبدعة، ص ٥٤، ٥٥، بتصرف شديد، طبعة دار القلم، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) متفق عليه ، انظر اللؤلؤ والمرجان، رقم ١٣١٥ ، ص ٤٣٣ ، طبعة دار الحديث ٢٠٠٥م.

(٣) رواه الترمذي، أشربة ١٢ ، وابن ماجة، أطعمة ٢٥ ، والدارمي، أشربة ٢٣، وقال الترمذي: حسن صحيح.

* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائماً وقاعداً»(١).

حديث الشرب قاعداً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يشربن أحد منكم قائماً فمن نسي فليستقئ**»(٢).

وعند المحدثين نجد أن من مراتب الصحيح كالآتي: متفق عليه - انفرد به البخاري - انفرد به مسلم، والأحاديث المذكورة ضمن هذه المراتب الصحيحة، فلاأفضلية لهيئة من هيئات الشرب على الأخرى.

ويقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - : «يرى الفقهاء أن الشرب عن قيام مباح، وأنه عن قعود أفضل، ولا حرمة فيما لو شرب قائماً، ويُخيَّل إليَّ أن الأحوال التي تكتنف المرء هي التي تحدد طريقة شُربه، فلا عزيمة في القعود، ولا جريمة في القيام»(٣).

والآن: المطلوب أن نشرب الحلال أما الهيئة إما أن تشرب قائماً أو جالساً، فالتوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة.

---

(١) رواه الترمذي، أشربة ١٢، والنسائي، سهو ١٠٠، وأحمد: ١/ ١٠١، ١٠٤، ١١٤، ٢/ ١٧٤، ١٧٦، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم، أشربة ١١٦.

(٣) هموم داعية، الشيخ الغزالي، ص ٢٨.

المسألة الحادية عشرة : دعم المجاهدين من مصارف الزكاة [١]

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٦٠).

يلاحظ أن المذاهب الأربعة اتفقت في هذا المصرف على أمور ثلاثة :

١ ـ أن الجهاد في سبيل الله قطعاً.

٢ ـ مشروعية الصرف من الزكاة لأشخاص المجاهدين بخلاف الصرف لمصالح الجهاد ومعداته.

٣ ـ عدم جواز صرف الزكاة في جهات الخير والإصلاح بناء السدود والقناطر وإنشاء المساجد والمدارس وإصلاح الطرق وتكفين الموتى.. إنما عبء هذه الأمور على موارد بيت المال الأخرى من الفيء والخراج.

تحرير أرض الإسلام من حكم الكفار :

لا شك أن من أهم ما ينطبق عليه معنى الجهاد في عصرنا هو العمل لتحرير الأراضي الإسلامية من حكم الكفار الذين استولوا عليها وأقاموا فيها حكمهم بدل حكم الله، سواء أكان هؤلاء الكفار يهوداً أم نصارى أم وثنيين أو ملحدين لا يدينون بدين، فأي جزء من أرض الإسلام يُحتل يجب على جميع المسلمين محاربة المحتل، يبدأ بذلك الأقرب للجزء المحتل حتى يشمل الوجوب المسلمين جميعاً، إن لم تقم الكفاية إلا بالجميع.

ولم يبتلَ المسلمون في عصر كما ابتلوا اليوم بوقوع كثير من ديارهم في قبضة الكفرة المستعمرين، وفي مقدمة هذه الديار فلسطين التي سلط عليها شذاذ الآفاق

---

(١) حث فضيلة د. يوسف القرضاوي على إخراج أموال الزكاة والنذور وكفارات الأيمان لدعم المناضلين في فلسطين باعتبارها من أهم المصارف.

من اليهود، ومثل ذلك كشمير، وأريتريا، والحبشة، وتشاد[١]، وقبرص، وسمرقند، وبخارىٰ أوزبكستان، والشيشان، واسترداد هذه البلاد كلها وتخليصها من براثن الكفر وأحكام الكفار؛ واجب علىٰ كافة المسلمين بالتضامن، وإعلان الحرب المقدسة لإنقاذها فريضة إسلامية.

فإذا قامت حرب في أي جزء من هذه الأجزاء بهذا القصد ولهذه الغاية: **(تخليص البلدان من أحكام الكفر وطغيان الكفرة)** فهي بلا نزاع جهاد في سبيل الله يجب أن يمول ويعان وأن يُدفع له قسط من مال الزكاة، يقل ويكثر حسب حصيلة الزكاة من جهة، وحسب حاجة الجهاد من جهة ثانية، وحسب حاجة سائر المصارف الأخرىٰ شدة وضعفاً من جهة ثالثة، وكل هذا موكول لأهل الحل والعقد وذوي الرأي والشورىٰ من المسلمين إن وجدوا[٢].

---

(١) المقصود بذكر اسم هذه الدول ليس عينها ولا حصرها، ولكن ما يكون علىٰ شاكلتها في كل زمان.

(٢) عن كتاب فقه الزكاة جـ ٢، ص ٦٦١، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

ثالثاً : الميراث : « علم الفرائض »

من عظمة التشريع الإسلامي : « حق الإرث »(١) :

من المبادئ المقررة في الشرع الإسلامي : «حق الإرث»، فإذا مات الشخص وترك مالاً، ورثه أقرباؤه، الأقرب فالأقرب، ونال المستحقون للميراث سهاماً معينة من تركة الميت، إذا ما توافرت شروط الميراث وأسبابه، وزالت موانعه حسب القواعد المقررة في الشرع الإسلامي.

أولاً : مميزات حق الإرث في الإسلام (٢) :

وحق الإرث يقوم على أساس من :

١ ـ الفطرة. ٢ ـ العدل.

٣ ـ احترام إرادة المالك.

٤ ـ يدفع إلى بذل المزيد من الجهد والنشاط.

٥ ـ يحقق ضماناً اجتماعياً لأفراد الأسرة الواحدة.

٦ ـ يفتت الثروات ويمنع تكديسها.

فهو لهذا كله مبدأ عظيم من مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي.

وبعد هذا الإيجاز نأخذ بشيء من التفصيل :

١ ـ أما قيام الميراث على أساس من الفطرة، فنقول: إن الفطرة في الإنسان اهتمامه بذريته وقلقه عليهم إذا أحس بتركهم بلا مال، ورغبته في أن يوفر لهم مايستعينون به في حياته وبعد موته.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٢٥٤، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) سيأتي بالتفصيل ميراث المرأة في الباب السادس، للرد على شبهة أن الرجل يأخذ ميراث ضعف ميراث المرأة.

٢ ـ **وأما قيامه على أساس من العدل** ، فإن الإنسان في حياته يعيل أولاده وبقية من هو مكلف بإعالتهم كأمه وأبيه وزوجته ، وقد يلزم بهذا الإنفاق إلزاماً عن طريق القضاء إذا امتنع ، والغالب عدم امتناعه ، فمن العدل أن تكون أمواله بعد موته لأولئك الذين كان هو السبب في وجودهم ، كأولاده ، أو كانوا هم السبب في وجوده مثل أبويه ، ليستعينوا بهذه الأموال بالإنفاق منها على أنفسهم ، كما كان هو في حياته ينفق منها عليهم .

٣ ـ **وأما قيامه على أساس احترام إرادة المالك** ، فإن الإنسان يرغب رغبة أكيدة أن تكون أمواله بعد موته لأقربائه لا لغيرهم ، فيجب احترام إرادته هذه ، ودفع أمواله إلى ورثته بعد موته ، وقد فصَّل الشرع الإسلامي هذا ، فبين حصص هؤلاء الأقرباء من الميراث على نحو دقيق عادل ، ولاشك أن المسلم يسره ويرضيه أن تصير أمواله إلى ورثته من بعده وفقاً لهذا التقسيم الشرعي العادل .

٤ ـ **وأما أن مبدأ الإرث يدفع إلى المزيد من بذل النشاط والجهد** ، فأمر واضح لأن الإنسان لا يعمل لنفسه فقط ، وإنما يعمل لمن يهمه شأنهم من أفراد أسرته أيضاً ، فهو يجهد نفسه ليسد حاجاتهم مع حاجات نفسه ، وكما أنه يعمل لتوفير حاجاتهم الحاضرة ، فكذلك يبذل جهداً آخر لتوفير ما يسد حاجاتهم في المستقبل ، فإن بقي على قيد الحياة تولى الإنفاق بنفسه عليهم ، وإن مات تولوا هم بأنفسهم الإنفاق من أمواله التي تركها لهم .

وعلى هذا فإذا منع التوارث فإن الإنسان تضعف همته في العمل ، ويقلل نشاطه الاقتصادي ، لأنه يعلم بأن ثمرة جهوده لا ترجع إلى أفراد أسرته الذين يهتم بأمرهم ، ولاشك أن المجتمع سيخسر كثيراً من فتور الناس عن العمل ، ومن ضعف دوافعهم على بذل كل ما يستطيعون من جهد ونشاط اقتصادي .

٥ ـ **ومبدأ الميراث يحقق ضماناً اجتماعياً داخل الأسرة** ، لما يوفره من أموال تعود إلى الأحياء منهم إذا مات أحدهم وترك مالاً ، فلا يضيع الصغير واليتيم والأرملة ، ولا يصيرون عالة على المجتمع ، وفي هذا تخفيف عن كاهل الدولة في سد حاجات المحتاجين .

٦ ـ والميراث يفتت الثروات ويمنع من تكديسها في أيدٍ قليلة ، لأن تركة الإنسان بعد موته تقسم على عدد غير قليل من أقربائه، ولما كان الإنسان غير مخلد في الدنيا، وعمره في الغالب قصير لا يتجاوز بضع عشرات من السنين، فإن الثروة التي قد يجمعها الإنسان في حياته لابد أن تتفتت بعد زمن قصير، وتفتيت الثروات الكبيرة مما يرغب فيه الإسلام، ويسلك لتحقيقه سبلاً كثيرة هادئة مريحة لا عنف فيها ولا اهتزاز، ومن هذه السبل تقرير مبدأ الميراث.

واخيراً .. فإن تنظيم الإرث في الإسلام جاء على غاية في العدل والدقة، مما لا نجد له نظيراً مطلقاً في أي شرع آخر، فقد لوحظ فيه مدى قرب الوارث من الميت، ومدى حاجته، وتكاليفه، وإعانته للمورث، وفي ضوء ذلك وغيره جاءت حصص الورثة مختلفة، ومن أمثلة هذا الاختلاف أن نصيب الابن ضعف نصيب البنت، قال تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** .. ﴾ (النساء: ١١)، لأن حاجة الابن إلى المال أكثر من حاجة البنت لكثرة التكاليف المالية عليه، فالرجل هو الذي يدفع المهر في النكاح دون المرأة، وهو المكلف بالإنفاق على زوجته وعلى أولاده، فمن العدل إذن أن يكون نصيبه في الميراث ضعف نصيب أخته.

ثانياً : فقه المواريث :

هو علم الفرائض؛ لأن الله تعالى هو الذي تولى بيان السهام وقدرها تقديراً لا يحتمل الزيادة أو النقصان دون سائر العبادات، حيث ترك بيان إجمالها لرسول الله ﷺ.

أركان الميراث: ثلاثة أركان (١) :

١ ـ وارث : هو الشخص الذي يستحق أن يكون خليفة عن الميت كأبيه وابنه وزوجته بسبب من أسباب الميراث.

٢ ـ مُوَرِّث: وهو الميت المالك لمال أو حق.

٣ ـ موروث: وهو المال والحقوق التي تورث كحق حبس العين المرهونة استيفاءً للدين ـ وحق المبيع للحصول على الثمن (أي التركة).

---

(١) سيأتي في الأصول تعريف : الركن، الشرط، السبب، المانع.

أسباب الميراث :

١ ـ الزواج الصحيح : بعد العقد الصحيح قبل الدخول أو بعده أو في أثناء العدة من طلاق رجعي، أما إذا كان عقد الزواج باطلاً[(١)] أو فاسداً[(٢)] فلا توارث بين الزوجين.

٢ ـ قرابة : هي كل صلة سببها الولادة وتنحصر في فروع الميت وأصوله وهم الحواشي : كالأخوة (النسب الحقيقي)، والذين يرثون بالقرابة هم أصحاب الفروض : العصبات النسبية ـ ذوو الرحام.

٣ ـ الولاء : قرابة حكمية سببها نعمة المعتق على معتقه (ولاء عتاقة ـ ولاء موالاة).

موانع الميراث :

١ ـ الرق : حيث إن العبد وما ملكت يداه لسيده.

٢ ـ القتل : للحديث : «**ليس للقاتل شيء**»[(٣)]، لا ميراث لقاتل، فإن قتل إنسان زوجته أو أصله كالأب أو فروعه كالابن عمداً لا يرث؛ لأن إباحة توريث القاتل تنشر الجريمة للحصول على نعمة المال والثراء ومن تعجل شيء قبل الأوان حُرم منه، ولأن التوارث يقوم على أساس الموالاة والنصرة، والقتل قاطع للموالاة.

٣ ـ اختلاف الدين : للحديث : «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**»[(٤)].

---

(١) عقد الزواج الباطل وهو : ما افتقر إلى ركن من أركانه (الإيجاب والقبول) أو مع قيام المانع (الحرمة).

(٢) عقد الزواج الفاسد وهو : ما وقع فيه الخلل في شرط من شروطه، أو وصف من أوصافه.

(٣) أبو داود ١٨ ، والدارمي، فرائض ٤١ عن ابن عباس، وأحمد ١ ٤٩١ ، وأخرجه النسائي والدارقطني ، وقوّاه ابن عبد البر ، وله شواهد كثيرة.

(٤) رواه البخاري، حج ٤٤ ، مغازي ٤٨ ، فرائض ٢٦ ، ومسلم، فرائض ١ .

شروط الميراث :

١ ـ موت المورث حقيقة أو حكماً (حكم قاض)، أو تقديراً (الردة).

٢ ـ تحقق حياة الوارث حقيقة أو حكماً (حمل) عند موت مورثه.

٣ ـ ألا يوجد مانع من الميراث.

الحقوق المتعلقة بالتركة :

١ - **تجهيزه وتكفينه في المتوسط دون تبذير أو تقتير،** إذا كان هناك أطفال قصر لاتؤخذ من التركة أموال سرادقات العزاء، وهذه تذكرة لولي أمر هؤلاء القصر، وإذا أراد أحد إقامة هذه السرادقات فمن ماله بعيداً عن تركة الأيتام.

٢ - **تسديد ديونه،** للحديث: «**نفس المؤمن مُعَلَّقة بِدَيْنه حتى يُقْضَى عنه**»(١)، والدَّينُ نوعان:

١ ـ **نوع بين العبد وربه** : (زكاة ـ كفارات) وهذا يسقط بالموت (والأولى للورثة والأفضل سداد هذا الدين) للحديث: عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، أفأقضيه عنها؟»، قال ﷺ: «**نعم.. فَدَيْنُ الله أحق أن يُقْضَى**»(٢).

٢ ـ **نوع بين العباد** : وهذا الدين إما أن يثبت في حالة الصحة أو يكون ثبت في حالة المرض، وهذا النوع من الديون يسدد فإذا لم يتسع ماله لسداد هذه الديون قسمت الديون الباقية على أصحابها بنسبة ما لكل منهم في الميراث:

■ **مثال: رجل مات عن زوجة وابن وبنت وترك ١٢٠٠ جنيه وكان عليه دين ٥٠٠٠ جنيهاً:**

---

(١) أخرجه الترمذي، جنائز ٧٦٠، رقم ١٠٧٩، وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه ابن ماجة، أحكام ٢٤١٣، وأحمد في المسند ٩٣٨٧، والدارمي، بيوع ٢٥٩١.

(٢) أخرجه البخاري، ١٨٥٢.

- **الحل :** يتم تجهيزه (الكفن ـ الغسل ـ الدفن) مثلاً تكلف ٢٠٠ جنيه، يتم سداد الألف من الديون، ويتبقىٰ عليه ديون ٤٠٠٠ جنيه، توزع كالآتي :

علىٰ الزوجة ثُمن الدين (الـ٤٠٠٠ جنيه) = ٥٠٠ جنيه تقوم بسدادها .

والباقي من الديون ٣٥٠٠ يوزع علىٰ الابن والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين .

- **سؤال: لماذا قدم الدَّين على الوصية ؟ بالرغم من قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾** (النساء: ١١).

- **الإجابة:** لأن الدين واجب ابتداءً والوصية تبرع والبداية بالواجب أولىٰ .

٣ ـ **تنفيذ وصايا الميت:** بحيث تكون هذه الوصايا صحيحة من الناحية الشرعية فإذا أوصىٰ بشيء يخالف الشرع لا ينفذ .

٤ ـ **تقسيم باقي التركة على المستحقين للأرث.**

الوصية الواجبة :

روي عن جمع من التابعين وأئمة الحديث والفقه منهم : سعيد بن المسيب، والحسن البصري، والإمام أحمد، وأبو داود، والطبري، وابن حزم أن الوصية واجبة للأقربين غير الوارثين (١) .

ونقل عن طاووس إذا أوصىٰ لغير قرابته ردت الوصية إلىٰ قرابته ونقض فعله، واستندوا إلىٰ قول الله : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة: ١٨٠).

واستدلوا بالآية علىٰ الوجوب، لأن كتب بمعنىٰ فرض، وحقاً علىٰ المتقين أي : ثابتاً، وهذا التعبير أبلغ ما يدل علىٰ الوجوب والإلزام، وتبقىٰ نصاً في القريب(٢) غير الوارث للحديث : **«لا وصية لوارث»**.

---

(١) الزوجة ليس لها وصية واجبة، ولا الزوج له وصية واجبة .

(٢) يشترط في الوصية الواجبة، انه لا يرث ميراثاً طبيعياً.

يقول ابن حزم في المحلى: جزء ٩ ص ٢، ٣: «الوصية فرض على كل من ترك مالاً ومات ولم يوص ففرض أن يُتصدق عنه بما يتيسر، ولابد لأن فرض الوصية واجب.

وعلى هذا جاء قانون الوصية الجديد ٧١ في ٢٤ يونية ١٩٤٦م بوصية واجبة تكون لفرع من يموت في حياة أحد أبويه حقيقة أو حكماً كالمفقود أو يموتان معاً كالغرقى والحرقى.. بمثل ما كان يستحقه هذا الولد ميراثاً في تركته لو كان حياً عند موته في حدود الثلث بشرط أن يكون غير وارث وأن لا يكون الميت قد أعطاه بغير عوض من طريق تصرف آخر وإن كان أعطاه أقل منه وجبت به بقدر ما يكمله وهذه الوصية (الواجبة) مقدمة على غيرها من الوصايا.

كيفية تقسيم الوصية الواجبة:

تقسم كالميراث للذكر مثل حظ الأنثيين وما يخص كل أصل يقسم على فروعه، والتقسيم كالآتي:

١ ـ نفرض الفرع الذي توفي في حياة والديه حياً ونقدر نصيبه كما لو كان موجوداً.

٢ـ نُخرج هذا المقدار من أصل التركة إن كان أقل من الثلث وإلا فتقتصر على إخراج الثلث.

٣ ـ نُقسم الباقي على الورثة الموجودين من غير نظر إلى فرع المتوفى.

والوصية الواجبة تتفق مع الميراث فيما يأتي:

١ ـ أنها توجد وتنفذ وإن لم ينشئها المتوفى

٢ ـ أنها لا تحتاج إلى قبول فتنفذ جبراً كالميراث.

٣ ـ أنها لا ترتد برد من تجب له.

٤ ـ أنها تقسم كقسمة الميراث حتى ولو شرط الموصي تقسيمها على غير طريق الميراث.

■ **مثال: توفي رجل عن زوجة وبنتين وأخت شقيقة وبنت ابن توفى أبوها في حياة والده.**

■ **الحل:** ثلث التركة لبنت الابن التي توفى أبوها، لأنه لو كان حياً لأخذ أكثر من ذلك، فلا يزيد عن الثلث، والباقي يوزع كالآتي:

الزوجة	البنتين	الأخت الشقيقة
الثمن	الثلثين	ما بقي تعصيباً

وعلى هذا سيكون نصيب بنت الابن أكثر من نصيب البنت .

الوارثــون :

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) ﴾ (النساء).

من لا يسقط من الميراث بحال :

(الزوج ـ الزوجة ـ الأب ـ الأم ـ الابن والبنت).

هؤلاء لا يحرمون من الميراث، ولكن يحجبون حجب نقصان أي يقل نصيبهم عند وجود الفرع الوارث (ابن وبنت).

الفروض المقدرة :

الفرض هو النصيب الذي حددته الشريعة للوارث لا يزيد بالرد (١)، ولاينقص إلا بالعول(٢) .

والفروض هي : (النصف ـ الربع ـ الثمن ـ الثلثان ـ الثلث ـ السدس) .

أصحاب الفروض :

هم من لهم سهم مقدر في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ لا ينقص إلا بالعول، ولايزيد إلا بالرد، وهؤلاء لهم الصدارة فلا يؤخذ شيء من التركة إلا بعد استفياء نصيبهم .

العَصَبَات :

هم الأقارب الذين لا تتوسط بينهم وبين الميت أنثى، وهم ثاني المستحقين بعد أصحاب الفروض جمع عاصب (هو من ليس له سهم مقدر ـ يأخذ ما بقي بعد أصحاب الفروض) .

ذوو الأرحام :

وهم الذين لهم قرابة بالميت عن طريق أنثى، وليسوا من العصبة، وليس لهم مقدار في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، مثل ابن البنت ـ ابن العمة والخالة، وهؤلاء يرثون عند عدم وجود العاصب مطلقاً، وعند عدم وجود صاحب الفرض ما عدا الزوجة أو الزوج .

---

(١) الرد : تنقص أنصبة الورثة عن الواحد الصحيح وليس هناك عاصب يستحق الباقي، فيرد الباقي على أصحاب الأنصبة بقدر أنصبتهم

(٢) العول : زيادة مجموع أنصبة الورثة عن الواحد الصحيح فيدخل النقصان على أصولهم مجمعًا، وسئل علي رضي الله عنه وهو يخطب على منبر الكوفة عن رجل مات وترك زوجته وبنتين وأبوين، فرد السائل : أليس للزوجة الثمن أجاب على قافية الخطبة : قد صار ثمنها تسعًا ، وتسمى بالمسألة المنبرية .

م	الوارثون	عدد أحوالهم	أحوالهم
١	الـزوج	٢	١ ـ النصف : عند عدم وجود الفرع الوارث مطلقًا . ٢ ـ الربع : عند وجود الفرع الوارث .
٢	الزوجة	٢	١ ـ الربع : عند عدم وجود الفرع الوارث مطلقًا ٢ ـ الثمن : عند وجود الفرع الوارث .
٣	الأم	٣	١ ـ الثلث : عند عدم وجود الفرع الوارث ، وعدم اثنين من الأخوة فصاعداً . ٢ ـ السدس : عند وجود الفرع الوارث أو اثنين من الأخوة فصاعداً . ٣ ـ ثلث الباقي : في أحد المسألتين الغراوتين(١) وهما أحد الزوجين مع الأبوين .
٤	الأب	٣	١ ـ المال كله : إذا انفرد . ٢ ـ السدس فرضًا : مع وجود الفرع الوارث المذكر وإن نزل . ٣ ـ السدس والباقي : مع وجود الفرع الوارث المؤنث وإن نزل .
٥	الأخوة لأم	٣	١ ـ السدس للواحد ذكراً كان أو أنثى . ٢ ـ الثلث : للاثنين فأكثر مع التساوي بين الذكر والأنثى . ٣ ـ الحجب : يحجبون بالفرع الوارث مطلقًا «ذكراً أو أنثى وإن نزل» بالأصل الوارث مطلقًا «الأب والجد وإن علا» .

(١) سُميتا بالعمريتين ، لقضاء سيدنا عمر بن الخطاب فيهما بأن للأم ثلث الباقي ، وسُميتا بالغراوتين لأن الأم غرت فيهما بأن لها ثلث التركة وهو في الحقيقة ثلث الباقي ، أو نسبة إلى الغراء نظراً لشهرتها فهما كالكوكب الأغر ، انظر : المغني لابن قدامة ، جـ٦ ، ص ٢٨٣ .

م	الوارثون	عدد أحوالهم	أحوالهم
٦	البنات	٣	١ ـ النصف : للواحدة إذا انفردت . ٢ ـ الثلثان : للاثنين فأكثر مع عدم المعصب . ٣ ـ التعصيب بالغير : مع وجود الابن الشقيق أو الأب .
٧	بنات الابن	٦	١ ـ النصف : للواحدة إذا انفردت . ٢ ـ الثلثان : للاثنتين فأكثر مع عدم المعصب . ٣ ـ السدس : عند وجود البنت الصلبية تكملة للثلثين . ٤ ـ التعصيب بالغير : مع وجود ابن الابن الشقيق أو لأب ٥ ـ الحجب : بابن الابن الأعلى منهن درجة . ٦ ـ الحجب : باثنتين فأكثر من بنات الصلب إلا إذا كان في درجتها أو أسفل منهن «ابن الابن» فيعصبها .
٨	الأخوات الشقيقات	٥	١ ـ النصف : للواحدة إذا انفردت . ٢ ـ الثلثان : للاثنتين فصاعداً . ٣ ـ التعصيب بالغير : مع الأخ الشقيق . ٤ ـ التعصيب مع الغير : مع البنت الصلبية أو بنت الابن أو هما معًا . ٥ ـ الحجب : مع وجود الفرع المذكر وإن نزل والأصل المذكر وهو الأب .
٩	الأخوات لأب	٦	١ ـ النصف : للواحدة إذا انفردت . ٢ ـ الثلثان : للاثنين فصاعداً . ٣ ـ السدس : مع الأخت الشقيقة تكملة للثلثين . ٤ ـ التعصيب بالغير مع الأخ لأب .

م	الوارثون	عدد أحوالهم	أحوالهم
			٥ ـ التعصيب مع الغير مع البنت أو بنت الابن أو هما معاً. ٦ ـ حجبها : تحجب بالابن وإن نزل، وبالأب دون الجد، وبالأخ الشقيق، وبالأختين الشقيقتين، وبالأخت الشقيقة، إذا صارت عصبة مع الغير: مثال : بنت شقيقة أخت لأب $\frac{1}{2}$ الباقي محجوبة بالشقيقة
١٠	الجدات	٢	١ ـ السدس : للواحدة فأكثر. ٢ ـ الحجب بالأم مطلقًا (من جهة الأب أو من جهة الأم)، وبالأب إذا كانت من جهته، وتحجب القربىٰ البعدىٰ ما لم تكن البعدىٰ من جهة الأم، فإن كان كذلك فيكون بينهما مناصفة.
١١	الجد	٧	١ ـ المال كله : إذا انفرد. ٢ ـ السدس فرضًا مع الابن وإن نزل. ٣ ـ السدس والباقي إذا كان معه فرع وارث مؤنث. ٤ ـ المقاسمة إن كان معه أخ واحد أو أختان. ٥ ـ استواء الثلث والمقاسمة إذا كان معه أخوان أو أربع أخوات. ٦ ـ الأفضل من أحد أمرين، ثلث جميع المال أو المقاسمة إذا كان معه عدد من الأخوة يزيد علىٰ مثليه، ثلاثة أخوة أو خمس أخوات. ٧ ـ الأفضل من أحد أمور ثلاثة.

تطبيقات : حالات الزوج :

١ - **يأخذ النصف فرضاً** إذا لم يوجد فرع وارث :

توفيت عن :	زوج	أخ شقيق
	$\frac{١}{٢}$	الباقي تعصيباً لعدم وجود فرع

٢ - **يأخذ الربع** إذا وجد فرع وارث :

توفيت عن :	زوج	بنت
	$\frac{١}{٤}$	$\frac{١}{٢}$

حالات الزوجة :

١ - الربع فرضاً إذا لم يوجد فرع وارث .

٢ - الثمن إذا وجد فرع وارث .

حالات الأب :

١ - **يأخذ السدس فرضاً** : إذا وجد فرع وارث مذكر :

توفي عن :	أب	زوجة	ابن
	$\frac{١}{٦}$	$\frac{١}{٨}$	الباقي

٢ . **يأخذ السدس فرضاً** والباقي تعصيباً إذا وجد للميت فرع وارث مؤنث :

ماتت عن :	أب	بنت ابن	زوجة
	$\frac{١}{٦}$	$\frac{١}{٢}$	$\frac{١}{٤}$ فرضاً للفرع الوارث الباقي تعصيباً للأب

٣ ـ **يأخذ الباقي تعصيباً** بعد أصحاب الفروض : إذا لم يوجد للميت فرع وارث مذكراً أو مؤنثاً

مات عن :	زوجة	أب
	لعدم وجود فرع $\frac{1}{4}$	الباقي تعصيباً

حالات الأم :

١ ـ **ترث السدس فرضاً** إذا وجد فرع وارث أو أخوة وأخوات في أي جهة :

مات عن :	زوجة	أم	بنت	
لوجود فرع	$\frac{1}{8}$	$\frac{1}{6}$	$\frac{1}{2}$ منفردة	
مات عن :	زوجة	أخت شقيقة	أخ لأم	أم
لعدم الفرع	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{6}$ فرضاً	$\frac{1}{6}$

٢ ـ **ترث الثلث فرضاً** في حالة :

١ ـ لعدم وجود فرع وارث للميت مطلقاً

٢ ـ لا يوجد عدد من الأخوة والأخوات

٣ ـ ألا تنحصر التركة في الأبوين مع أحد الزوجين .

توفي عن :	أم	أخ شقيق
فرضاً	$\frac{1}{3}$	الباقي

٣ ـ **ترث الأم الثلث الباقي** من التركة :

وذلك إذا انحصر الميراث في الأبوين وأحد الزوجين :

مات عن :	أب	أم	زوجة
	(للذكر مثل حظ الأنثيين)		$\frac{1}{4}$

ماتت عن :	زوج	أب	أم
	$\frac{١}{٢}$	الباقي	$\frac{١}{٣}$ الباقي

حالات البنت :

البنت الصلبية هي كل بنت أتت للمتوفى بدون واسطة . .

١ ـ **تستحق النصف فرضاً**: إذا كانت واحدة وليس معها عاصب .

مات عن :	أب	بنت	زوجة
	$\frac{١}{٦}$+ الباقي تعصيباً	$\frac{١}{٢}$	$\frac{١}{٨}$

٢ ـ **تستحق الثلثين فرضاً** بشروط :

إذا كانت أكثر من واحدة وليس معها معصب (الابن)

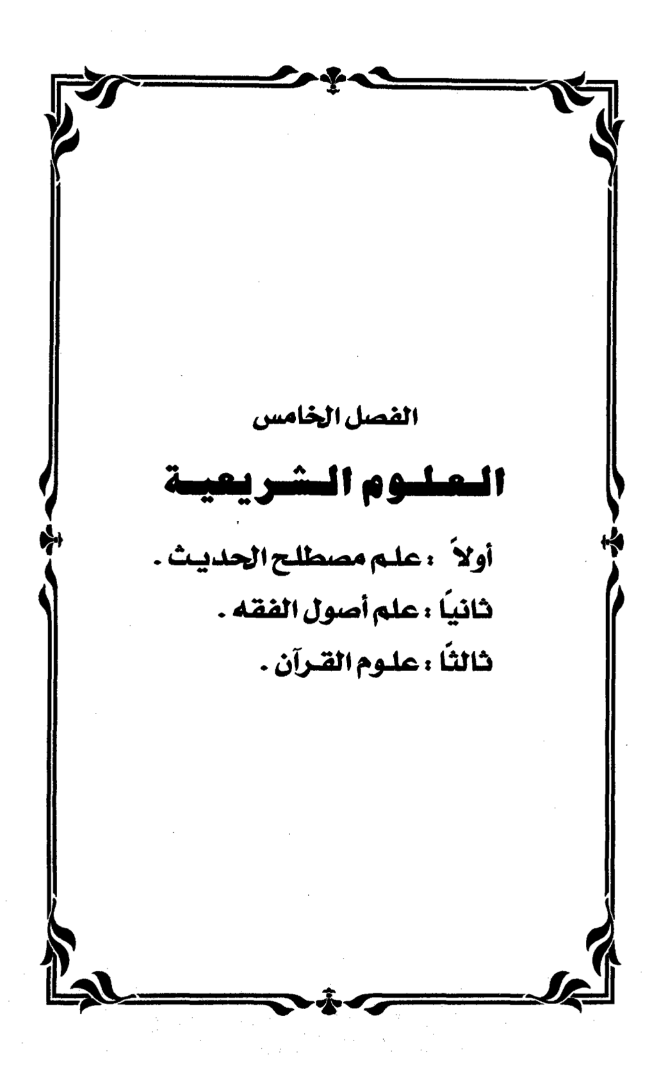
ماتت عن :	زوج	بنتين	أم
	$\frac{١}{٤}$	$\frac{٢}{٣}$	$\frac{١}{٦}$

مات عن :	زوجة	بنتين	أخت لأب
	$\frac{١}{٨}$	$\frac{٢}{٣}$	الباقي تعصيباً

٣ ـ **ترث بطريق التعصيب بالغير**: واحدة أو أكثر ومعها معصب

البنت لا يحجبها أحد عن الميراث أصلاً، وفي حالة ارثها بالفرض قد يُرد عليها، وقد يدركها العول . .

مات عن :	زوجة	ابن	بنت
	$\frac{١}{٨}$	الباقي للذكر مثل حظ الأنثيين	



الفصل الخامس

العلوم الشريعية

أولاً : علم مصطلح الحديث .

ثانيًا : علم أصول الفقه .

ثالثًا : علوم القرآن .

الفصل الخامس

العلوم الشريعية

وهذه العلوم لا تخص فئة دون أخرى، ولكن من الضروري والمهم بمكان أن يحيط المسلمون بها إجمالاً، فليس عندنا في الإسلام رجل دين، كما في الأديان الأخرى.

وليس حديثنا في هذا الفصل بغية التعمق في تلك العلوم، والذي لا يرضى بغيره أهل التخصص، ولكننا نطوِّف حولها لتجليتها أمام عيون عامة المسلمين، وإظهار عظمتها، وحاجة الأمة إليها، وجهود العلماء فيها . .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«نضر(١) الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وَرُبَّ حامل فقه ليس بفقيه»(٢).

وفي رواية ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ:

« .. فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع»(٣).

وإن شاء الله سنتحدث عن علوم ثلاثة هي :

أولاً : علم مصطلح الحديث .

ثانياً : علم أصول الفقه .

ثالثاً : علوم القرآن .

---

(١) نضر : أصبح ذو رونق وبهجة.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب العلم ١٠ ، والترمذي، كتاب العلم ٧، برقم ٢٦٥٦ ، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجة، مقدمة ١٨ ، ومناسك ٧٦، والدارمي.

(٣) أخرجه الترمذي، علم ٧، برقم ٢٦٥٧ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

أولاً : علم مصطلح الحديث

هو علم بأصول وقواعد، يُعْرَف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد .

نبذة تاريخية عن نشأة علم المصطلح والأطوار التي مر بها (١) :

يلاحظ الباحث المتفحص أن الأسس والأركان الأساسية لعلم الرواية ونقل الأخبار موجودة في الكتاب العزيز والسنة النبوية، فقد جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ (الحجرات: ٦).

وجاء في السنة قوله ﷺ: «**نضَّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع**»(٢)

وفي رواية:

«**.. فَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وَرُبَّ حامل فقه ليس بفقيه**»(٣).

ففي هذه الآية الكريمة وهذا الحديث الشريف مبدأ التثبيت في تحمل الأخبار، وكيفية ضبطها، ووعيها والتدقيق في نقلها للآخرين.

وامتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها، لاسيما إذا شكُّوا في صدق الناقل، فظهر بناء على هذا موضوع الإسناد وقيمته في قبول الأخبار أو ردها.

---

(١) د. محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث، ص ٧ .

(٢) رواه الترمذي، علم ٧، وقال عنه: حسن صحيح.

(٣) المصدر نفسه، ولكن قال عنه: حسن، وروى الحديث أبو داود، علم ٣٦٦٠، وابن ماجة، مقدمة ٢٣٠، زهد ٤١٠٥، وأحمد، رقم ٢١٠٨٠، والدارمي، مقدمة ٢٢٩ .

فقد جاء في مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر أي أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»، وقوله أيضاً: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم»(١) .

وبناء على أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده فقد ظهر علم الجرح والتعديل، والكلام عن الرواة، ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الخفية، وظهر الكلام في بعض الرواة لكن على قلة، لقلة الرواة المجروحين في أول الأمر.

ثم توسع العلماء في ذلك حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية ضبطه وكيفية تحمله وأدائه، ومعرفة ناسخه من منسوخه، وغريبه وغير ذلك، إلا أن ذلك كان يتناقله العلماء شفوياً.

ثم تطور الأمر وصارت هذه العلوم تكتب وتسجل، لكن في أمكنة متفرقة من الكتب ممزوجة بغيرها من العلوم الأخرى كعلم الأصول، وعلم الفقه، وعلم الحديث مثل كتاب (الرسالة)، وكتاب (الأم) للإمام الشافعي.

ولما نضجت العلوم، واستقر الاصطلاح، واستقل كل فن عن غيره، وذلك في القرن الرابع الهجري، أفرد العلماء علم المصطلح في مؤلفات مستقلة، **وكان من أول من أفرده بالتصنيف القاضي أبو محمد الحسين بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠ هـ في كتابه (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي).**

علم الحديث رواية ودراية :

ينقسم علم الحديث إلى رواية ودراية:

١ـ **علم الحديث رواية**(٢) : هو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة وروايتها وضبطها وتحديد ألفاظها.

---

(١) مقدمة صحيح مسلم، ٥، باب بيان أن الإسناد من الدين، ص ٨٠، ٩٢، ط. مكتبة الإيمان.

(٢) النفيس في علوم الحديث ، د. الأحمدي عبد الفتاح، ص ١٠ .

حكمه : واجب كفائي عند التعدد، والعيني على من انفرد، وكذا علم الحديث دراية.

واضعه : محمد بن محمد مسلم بن شهاب الزهري في خلافة عمر بن عبدالعزيز بعد موت النبي ﷺ بنحو مائة سنة.

فائدته :المحافظة على سنة الرسول ﷺ للعمل بها واستنباط الأحكام منها.

٢ـ **علم الحديث دراية** : هو علم يُعرف به أحوال السند والمتن من صحة وحسن وضعف، وعلو ونزول، ورفع ووقف، وقطع وكيفية التحمل والأداء، وصفات الرجال وغير ذلك. فموضوع علم الحديث دراية: الراوي والمروي.. وإن شئت قلت: (السند والمتن) وتقسيماته :

أ ـ علم الحديث. ب ـ علم أصول الحديث جـ ـ علم مصطلح الحديث.

واضعه:أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي.

وقال ابن الأكفاني في كتابه (إرشاد القاصد إلى أسنى المطالب):

- **علم الحديث الخاص بالدراية** : علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات ومايتعلق بها.
- **فحقيقة الرواية**: نقل الخبر وإسناده إلى مَنْ عُزي إليه بتحديث أو أخبار، وغير ذلك.
- **وشروطها** : تحمل الراوي لما يرويه بنوع من أنواع التحمل من سماع أو عرض وإجازة ونحوها.
- **أنواعها**: الاتصال والانقطاع ونحوها.
- **وأحكامها**: القبول أو الرد.
- **حال الرواة**: العدالة والجرح.
- **شروطهم**: أي في التحمل والأداء.
- **أصناف الروايات**: أي المصنفات من المسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها من أحاديث وآثار.
- **ما يتعلق بها**: هو معرفة اصطلاح أهلها(١).

---

(١) مقدمة تدريب الراوي، للسيوطي، ص٤٠ وما بعدها، ط. دار التراث، ط٢ عام ١٣٩٢هـ.

مصطلحات

الحديث :

أ - **لغة:** الجديد .

ب- **اصطلاحاً** (١) : ما أضيف إلىٰ النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية أو ما هَمَّ به النبي ﷺ .

الإسناد (٢) **:**

له معنيان :

أ - عزو الحديث إلىٰ قائله مسنداً .

ب- سلسلة الرواة الموصولة للمتن « مرادف للسند » .

السند: سلسلة الرجال الموصلة للمتن ، وقيل : هو الإخبار عن طريق المتن .

آخر السند : هو الصحابي .

المتن :

أ - **لغة:** ما صلب وارتفع من الأرض .

ب- **اصطلاحاً:** ما ينتهي إليه السند من الكلام .

■ **المُسْنَد :** كل كتاب جمع فيه مرويات كل صحابي علىٰ حده - أو هو الحديث المرفوع المتصل سنداً . تقول مسند الإمام أحمد .

■ **المُسْنِد:** هو من يرويٰ الحديث بسنده سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرد الرواية ، وهو أدنىٰ درجة من المحدث .

---

(١) الحديث والخبر والأثر كلها بمعنىٰ واحد عند بعض العلماء ، وقد يختلف الأثر والخبر عن الحديث عند الكثير من العلماء .

(٢) انظر : تدريب الراوي ، السيوطي ، ص ٤١ ، ٤٢ .

- **المُحَدِّث** : هو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ويَطَّلع على كثير من الروايات وأحوال رواتها، أو هو من عرف الأسانيد والعلل، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحفظ جملاً من المتون، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني، وألف جزء من الأجزاء الحديثة.
- **الحافظ:** أعلى درجة من المحدث بحيث يكون ما يعرفه في كل طبقة أكثر مما يجهله.
- **الحاكم:** هو من أحاط علماً بجميع الأحاديث حتى لا يفوته منها إلا اليسير.
- **الإسناد العالي** (١) : هو الإسناد الذي قل عدد رجاله، وحُكمه قد يكون صحيحاً وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً.
- **الإسناد النازل** : هو الإسناد الذي كثر عدد رجاله ـ حكمه قد يكون حسناً صحيحاً أو قد يكون ضعيفاً.
- **الراوي الأعلى** : الذي روى الحديث عن النبي ﷺوهو الصحابي (أول الرواة من ناحية الرسول ﷺ).
- **السلسلة الذهبية** (٢) : مالك عن نافع عن ابن عمر، وعن البخاري أنها أصح الأسانيد(٣) .
- **رواه الخمسة** : الإمام أحمد ـ الترمذي ـ النسائي ـ أبو داود ـ ابن ماجة.
- **رواه أصحاب السنن** : الترمذي ـ النسائي ـ أبو داود ـ ابن ماجة ـ الدارمي.
- **اخرجاه:** لما رواه البخاري ومسلم.
- **رواه الجماعة:** البخاري ومسلم مع الخمسة (أو رواه السبعة).
- **متفق عليه:** اتفاق الشيخين على صحته.

---

(١) الإسناد : يقول ابن المبارك : الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وقال الثوري : الإسناد سلاح المؤمن، إذا لم يكن معه سلاح بأي شيء يقاتل، وقال ابن المبارك أيضاً : مثل الذي يطلب أمر دينه بلا سند كمن يرتقي السطح بغير سلم.

(٢) راجع الباعث الحثيث لابن كثير، ص ٢٩ وما بعدها، لمعرفة أصح الأسانيد لأبي بكر ـ عمر ـ ابن مسعود ـ عائشة ـ وغيرهم كثير.

(٣) تدريب الراوي للسيوطي، جـ١، ص ٧٥، لا يُجزم في إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقاً.

علوم الحديث

الحديث

١- متواتر

المتواتر: هو الحديث الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في أول السند ووسطه وآخره.
اكتسب الصحة بكثرة الرواة فاستغني عن صفاتهم.

- **ما تواتر لفظه:** مثل حديث: «من كذب على متعمداً» رواه نحو مائتين.
- **ما تواتر القدر المشترك منه:** مثل حديث رفع اليدين في الدعاء. روى عنه ﷺ نحو مائة حديث فيها رفع اليدين.

٢- آحاد

الآحاد: هو ماليس بمتواتر (ويجب العمل به إذا توافرت فيه شروط القبول) وينقسم إلى:
- ■ **غريب:** ما رواه واحد ولو في طبقة واحدة من الإسناد.
- ■ **عزيز:** ما رواه راويان ولو في طبقة واحدة من الإسناد.
- ■ **مشهور:** ما رواه ثلاثة أو أكثر بحيث لا يصل عددهم إلى حد التواتر.

والآحاد إما **مقبول** أو **مردود**

المقبول

هو ما توافرت فيه شروط القبول (تعريف الصحيح)

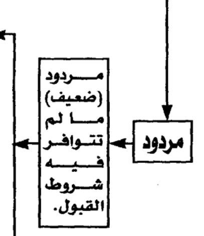
(أ) **صحيح:** هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعله.. **ومراتب الصحيح هي:**
١- متفق عليه (أي اتفاق الشيخين على صحته).
٢- انفرد به البخاري. ٣- انفرد به مسلم.
٤- صحيح على شرطيهما ولم يخرجاه.
٥- صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه .
٦- صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.
٧- ما صح عند غيرهما.

■ أضاف الترمذي :
١ - **حسن صحيح** : له سندان روى بسند صحيح وروى بسند حسن فهو أقوى من الصحيح.
٢ - **حسن صحيح غريب** : الغرابة حكم بتفرد الراوي والصحة والحسن حكم على الحديث أو على سنده.

(ب) **حسن** : ما اتصل سنده بنقل العدل خفيف الضبط عن مثله وسلم من شذوذ وعله.
١ - **حسن لذاته:** الصحيح لغيره لأن الصحة لم تأت من ذات السند وإنما جاءت من انضمام غيره له.
حديث: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، وأخرجه الشيخان.

تابع...

٢ ـ حسن لغيره: هو الضعيف إذا تعددت طرقه ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو كذبه ويرتقى إلى الحسن لغيره بأمرين: أن يروى من طريق آخر أقوى ـ أو يكون سبب الضعف سوء الحفظ أو انقطاع السند أو جهالة في الرجال. وحكمه مقبول. ومثال على ذلك «امرأة تزوجت على نعلين فقال لها النبي ﷺأرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فأجاز».



١ ـ المردود بسبب السقط من السند :
١ـ المنقطع: الذي سقط من إسناده راوٍ أو أكثر في أي موضع.
٢ـ المعضل: ما سقط من إسناده راويان فأكثر على التوالي أثناء السند لا في أوله.
٣ـ المرسل: ما رفعه التابعي إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. ما سقط منه الصحابي.
٤ـ المعلق: الذي حذف من أول إسناده راوٍ أو أكثر على التوالي.
٥ـ المدلس: (تدليس الإسناد ـ تدليس الشيوخ).
٦ـ المرسل الخفي: يروى عمن لقيه أو عاصره ـ ما لم يسمع منه بلفظ يحتمل السماع كـ «قال».

٢ ـ المردود بسبب الطعن في الراوي :
أ ـ الطعن في العدالة :
١ـ كذب(موضوع).
٢ـ التهمة بالكذب (متروك)
٣ـ الفسق.
٤ـ الجهالة.
٥ـ البدعة.
ب ـ الطعن في الضبط :
١ـ كثرة الغلط والغفلة (المنكر).
٢ـ الوهم (المعلل)
٣ـ مخالفة الثقات:
(أ) مدرج الإسناد.
(ب) مدرج المتن.
(جـ) مقلوب.
(د) مضطرب.
(هـ) محرف.
(و) مزيد في سند متصل.
٤ـ سوء الحفظ:
(أ) لازم (شاذ). (ب) طارئ (الاختلاط).

قدمنا لمصطلح الحديث بالتعريفات، ثم لوحة شاملة، ونأخذ الآن في التفصيل:

أولاً: أقسام الحديث باعتبار وصوله إلينا:

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
١ ـ المتواتر	ما رواه جمع عن جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في أول السند ووسطه وآخره. شروط المتواتر(١): ١ ـ أن يرويه عدد كثير وقد اختلف في العدد قالوا: ٤، ٥، ٧، ١٠، ١٢، ٤٠، ٧٠ والمختار أنه عشرة. ٢ ـ أن توجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند. ٣ ـ أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب. ٤ ـ أن يكون مستند خبرهم الحس مثل (الرؤية ـ السماع أو الشم او الذوق أو اللمس).	ـ يفيد العلم الضروري. ـ يجب الاحتجاج به(٢) من غير بحث. ـ المتواتر كله مقبول ولا حاجة إلى البحث عن أحوال الرواة فلكثرة عددهم استغني عن صفاتهم.	ينقسم المتواتر إلى قسمين: ١ ـ متواتر لفظي، مثل: حديث «من كذب علي متعمداً»، رواه نحو مائتين من الصحابة. ٢ ـ متواتر معنوي: أي تواتر الجزء المشترك منه مثل حديث: «رفع اليدين في الدعاء».
٢ ـ الآحاد	خبر الآحاد هو ما لم يجمع شرط أو أكثر من شروط	مقبول إذا تحققت فيه شروط القبول.	ينقسم إلى: ١ ـ غريب مطلق،

(١) تدريب الراوي، السيوطي، جـ٢، ص ١٧٦ وما بعده.

(٢) يقول السيوطي: يجب العمل به من غير بحث عن رجاله، انظر: تدريب الراوي، جـ٢، ص ١٧٦، وفي شرح تحفة الفِكَر لابن حجر، ص ١٢: «والمتواتر لا يُبحث عن رجاله، بل يجب العمل به من غير بحث».

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
	المتواتر وينقسم إلى: أ ـ الغريب، وهو ما رواه راو واحد ولو في طبقة واحدة من الإسناد ولا تضر الزيادة عن واحد في باقي طبقات السند؛ لأن العبرة للأقل.		ففي أصل سنده (الطرف الذي فيه الصحابي) راوٍ واحد مثل حديث **«إنما الأعمال بالنيات»**. ٢ ـ غريب نسبي، ماكانت الغرابة في أثناء السند.
ب ـ العزيز	لا يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند.	مقبول إذا تحققت فيه شروط القبول	ما رواه الشيخان من حديث أنس والبخاري من حديث أبي هريرة: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**.
جـ ـ المشهور	ما رواه ثلاثة أو أكثر في كل طبقة لا يصل إلى حد التواتر ومنه المستفيض[1]، وقيل: هو مرادف للمشهور، وقيل: هو أخص لأنه يشترط في المستفيض أن يستوي طرفا إسناده.	مقبول إذا تحققت فيه شروط القبول.	**«أن رسول الله قنت شهراً يدعو على رعل وذكوان»** الشيخان. **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»** متفق عليه.

(١) تدريب الراوي للسيوطي، جـ ٢، ص ١٧٣.

ثانياً: باعتبار القبول والرد :

وخبر الآحاد بنقل العدل الضابط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح .

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
١ ـ الصحيح	ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعله. **شروطه:** اتصال السند ـ عدالة ـ ضبط ـ عدم العلة ـ عدم الشذوذ.	وجوب الاحتجاج به بإجماع أهل الحديث، لا يسع المسلم ترك العمل به .	في البخاري : «أن النبي قرأ في المغرب بالطور» .
٢ ـ الحسن	ما اتصل سنده بنقل العدل خفيف الضبط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة .	هو كالصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوة .	«مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير...»[٢] حديث حسن.
٣ ـ الصحيح لغيره	هو الحسن لذاته إذا روىٰ من طريق آخر مثله أو أقوىٰ منه وسمىٰ كذلك ؛ لأن الصحة لم تأت من ذات السند وإنما جاءت من انضمام غيره له .	مقبول يحتج به ، فهو أعلىٰ مرتبة من الحسن لذاته ، ودون الصحيح لذاته .	«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» أخرجه الترمذي والشيخان
٤ ـ الحسن لغيره	هو الضعيف إذا تعددت طرقه، ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو كذبه، **لكن متى يرتقى الضعيف إلى درجة الحسن لغيره[١]؟** ١ ـ أن يروىٰ من طريق آخر مثله أو أقوىٰ منه . ٢ ـ أن يكون سبب الضعف إما سوء حفظ راويه أو انقطاع في سنده او جهالة في رجاله .	مقبول يحتج به ، وإن كان أدنىٰ مرتبة من الحسن لذاته .	الترمذي وحسنه : « أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟ »، قالت : نعم، فأجاز .

(١) تيسير مصطلح الحديث، الطحان، ص ٣٧

(٢) رواه الترمذي، صلاة ١٧٦ ، رقم الحديث ٢٣٨ .

١ ـ بين البخاري ومسلم :

من حيث	البخاري	مسلم
١ ـ الشرط	شرط البخاري في الاتصال أقوىٰ وأتقن، حيث اشترط عنده التلقي والمعاصرة(١) : أن يكون الراوي قد ثبت له لقاء من روىٰ عنه ولو مرة.	اكتفىٰ فقط بالمعاصرة، ولم يشترط التقاء الراوىٰ بمن يروي عنه.
٢ ـ الاستفادة	قطّع الأحاديث في الأبواب بسبب استنباط الأحكام منها وأورد كثيراً منها في مظنته ولذلك قلت الفائدة لصعوبة البحث فالأبواب متفرقة وحسب فهم البخاري فيصعب علىٰ الطالب جمع الطرق يمتاز البخاري بالتراجم.	جمع طرق الحديث في مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فسهل تناوله(٢) وسهل البحث وهذه ميزة تسهل علىٰ الطالب النظر في وجوه الحديث واستثمارها .
٣ ـ شيوخه	علي بن المديني وغيره	البخاري وغيره، فمسلم تلميذ البخاري ولم يزل يستفيد منه، وقال الترمذي: «لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء»(٣).
٤ ـ عدد الأحاديث	قال ابن الصلاح(٤): «ما في البخاري بالمكرر سبعة آلاف حديث ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً وبغير المكرر أربعة آلاف»، وحرر ابن حجر في مقدمة فتح الباري المتون بلا تكرار ٢٦٠٢، والمتون المعلقة المرفوعة ١٥٩، ويكون المجموع ٢٧٦١.	وجميع ما في صحيح مسلم بلا تكرار أربعة آلاف، وفي صحيح مسلم بشرح النووي آخر حديث رقم ٣٠٣٣.

(١) أصول الحديث النبوي، د. الحسيني هاشم، ص ٣٧، طبعة دراسية لمعهد الدراسات الإسلامية، دار الشباب للطباعة، ١٩٨٥م.

(٢) تدريب الراوي، ص ٩٥ .   (٣) نخبة الفكر، لابن حجر، ص ٣٨ .

(٤) الباعث الحثيث، لابن كثير، ص ٣٥ ، باب عدد ما في الصحيحين من الحديث.

٢ ـ مراتب الصحيح :

١ ـ ما اتفق عليه الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ أي اتفقا على صحة الحديث .

٢ ـ ما رواه البخاري .

٣ ـ ما رواه مسلم .

٤ ـ ما كان على شرط البخاري ومسلم .

٥ ـ ما كان على شرط البخاري .

٦ ـ ما كان على شرط مسلم .

٧ ـ ما صح عند غيرهم : قال في تدريب الراوي أصح من صنف في الصحيح ابن خزيمة ثم ابن حبان ثم الحاكم ، فينبغي أن يُقال أصحها بعد مسلم ما اتفق عليه الثلاثة ، ثم ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ثم ابن حبان والحاكم ، ثم ابن خزيمة فقط ، ثم ابن حبان فقط ، ثم الحاكم فقط إن لم يكن الحديث على شرط أحد الشيخين ، ويجب متابعة الحاكم لتساهله في التصحيح .

٣ ـ شرح شروط الصحيح [١] :

١ ـ اتصال السند : كل راوٍ من رواته قد أخذه مباشرة عمن فوقه من أول السند إلى منتهاه .

٢ ـ عدالة الراوي : كل راوٍ من رواته اتصف بكونه مسلماً بالغاً عاقلاً غير فاسق ، وغير مخروم المروءة .

٣ ـ ضبط الرواه : أي كل راو من رواته كان تام الضبط .

أ ـ ضبط صدر : وهو أن يُثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء .

ب ـ ضبط كتاب : وهو صيانته لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدِّيَ منه .

---

(١) تيسير مصطلح الحديث ، د. الطحان ، ص ٢٥ .

٤ ـ عدم الشذوذ ألا يكون الحديث شاذاً والشذوذ هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه.

٥ ـ عدم العلة: ألا يكون الحديث معلولاً: والعلة سبب غامض خفي يقدح في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه.

٤ ـ ما المراد بقولهم هذا حديث صحيح؟

المراد أن الشروط الخمسة السابقة قد تحققت فيه إلا أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر لجواز الخطأ والنسيان على الثقة، والمراد بقولهم هذا حديث غير صحيح: أنه لم يتحقق فيه شروط الصحة الخمسة كلها أو بعضها.

٥ ـ ما معنى قول الترمذي: حسن صحيح، حسن صحيح غريب:

للعلماء في ذلك أجوبة متعددة أحسنها كما يقول د. الطحان ما قاله ابن حجر وارتضاه السيوطي وملخصه:

أ ـ إن كان للحديث إسنادان فأكثر فالمعنى حسن باعتبار إسناد صحيح باعتبار إسناد آخر.

ب ـ وإن كان له إسناد واحد فالمعنى حسن عند قوم صحيح عند قوم آخرين وغاية ما فيه أنه حذف حرف التردد؛ لأن حقه أن يقول صحيح أو حسن فكأن القائل يشير إلى الخلاف بين العلماء في الحكم على هذا الحديث أو لم يترجح لديه الحكم بأحدهما، وعلى هذا فما قيل فيه ذلك دون ما قيل فيه صحيح؛ لأن الجزم بالصحة أقوى من التردد. ، أما حسن صحيح غريب: فالغرابة حكم بتفرد الرواي.

٦ ـ مرتبة قولهم (١): «حديث صحيح الإسناد» أو «حسن الإسناد»:

أ ـ قول المحدثين: هذا حديث صحيح الإسناد دون قولهم: هذا حديث صحيح.

---

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. الطحان، ص ٣٤ .

ب ـ وكذلك قولهم: هذا حديث حسن الإسناد دون قولهم هذا حديث حسن.

لأنه قد يصح أو يحسن الإسناد دون المتن لشذوذ وعلة، أما إذا قال المحدث هذا حديث صحيح فقد تكفل لنا بتوفير شروط الصحة الخمسة في هذا الحديث.

أما إذا قال هذا حديث صحيح الإسناد: فقد تكفل لنا بتوفير ثلاثة شروط من شروط الصحة وهي: اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبطهم، أما نفي الشذوذ والعلة فلم يتكفل بهما لأنه لم يتثبت منهما.

٧ ـ الحديث المقبول:

«هو ما ترجح صدق المخبر به، **وحكمه:** وجوب الاحتجاج والعمل به»(١).

ينقسم إلى:

أ ـ معمول به.

ب ـ غير معمول به.

يقول ابن حجر(٢): ثم المقبول إن سلم من المعارضة فهو المُحكم وإن عُورض بمثله فإن أمكن الجمع فهو مُختلف الحديث أو ثبت المتأخر فهو الناسخ والآخر منسوخ وإلا فالترجيح ثم التوقف.

تعريف المحكم: هو الحديث المقبول الذي سلم من معارضة مثله.

امثلة للحديث المحكم: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»(٣)، و**«إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء»**(٤).

---

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. الطحان، ص ٢٣.

(٢) نخبة الفكر، لابن حجر، ص ٥٨.

(٣) رواه البخاري، زكاة ٧، (في الترجمة)، ومسلم، طهارة ١.

(٤) متفق عليه، وفي اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٢٧، من حديث أنس، ورقم ٣٢٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

تعريف مختلف الحديث:

هو الحديث المقبول المعارَض بمثله مع إمكان الجمع بينهما .

وفي حالة التعارض بين الأحاديث إذا كان الحديث المعارض مردود فلا أثر له ؛ لأن القوي لا تؤثر فيه مخالفة الضعيف وإن كانت المعارضة (بمثله) :

١ ـ إما أن يمكن الجمع بين مدلوليهما بغير تعسف ويسمى هذا النوع (مختلف الحديث)، ومثَّل له ابن الصلاح بحديث: « **لا عدوى ولا طيرة**»(١). مع حديث: «**فر من المجزوم فرارك من الأسد**»(٢).

يقول ابن الصلاح أن نفيه ﷺ للعدوى باق على عمومه وقد صح قوله ﷺ: «**لا يعدي شيء شيئاً**»(٣)، وقوله لمن عارضه بأن البعير الأجرب يكون في الإبل الصحيحة فيخالطها فتجرب فرد عليه النبي ﷺ بقوله: «**فمن أعدى الأول ؟**»، يعني أن الله سبحانه ابتدأ ذلك في الثاني كما ابتدأه في الأول، وأما الأمر بالفرار من المجزوم فمن باب سد الذرائع ؛ لأن الشخص إذا حدث له شيء من ذلك بتقدير الله ظن أن ذلك بسبب مخالطته فيعتقد صحة العدوى فيقع في الحرج .

٢ ـ وإن لم يمكن الجمع فلا يخلو إما أن يعرف التاريخ (أو) لا فإن عرف وأثبت المتأخر به أو بأصرح منه (فهو الناسخ والآخر المنسوخ) .

تعريفات:

اعلم أن تصنيف الحديث على أنواع إنما هو باعتبارات مختلفة بعضها خاص بالمتن وبعضها خاص بالسند وبعضها يتعلق بكليهما وحتى لا يشتبه الأمر نذكر تعريفات هذه الأقسام(٤):

---

(١) رواه البخاري، طب ١٩، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٤، ومسلم، سلام ١٠٣، ١٠٧، ١١٠، ١١٤، ١١٦ .

(٢) أخرجه البخاري، مرضى ١٩ .

(٣) رواه البخاري ، طب ٢٥، ٥٢، ٥٤، ومسلم، سلام ١٠١، ١٠٢ .

(٤) الباعث الحثيث، ابن كثير ، أ. أحمد شاكر، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

١ ـ فالمرفوع والموقوف والمقطوع منظور فيها إلى المتن فقط .

ـ المرفوع : ما أضيف إلى النبي ﷺ سواء كان له سند أم لا .

ـ الموقوف : ما أضيف إلى الصحابي .

ـ المقطوع : ما أضيف إلى التابعي فما دونه .

٢ ـ وأما المتصل والمعلق والمرسل والمعضل والمنقطع فمنظور فيها إلى الإسناد فقط . فما لم يحذف شيء من رواته فهو المتصل سواء كان مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً وإن سقط شيء من رواته كانت هذه الأقسام المعلق والمرسل والمعضل والمنقطع .

٣ ـ وأما المسند فمنظور فيه إلى الإسناد والمتن معاً أي أنه لا يطلق إلا على ما كان مرفوعاً متصلاً

والحديث المردود : هو الذي لم تتوافر فيه شروط القبول (الضعيف)، وقيل : هو ما لم يترجح صدق المخبَر به، وحكمه : أنه لا يُحتج به ولا يجب العمل به»[١] .

والحديث الضعيف: ما لم يجمع صفة الحسن بفقد شرط من شروطه .

حكم رواية الضعيف: جائزة عند أهل الحديث مع بيان حكم الحديث أما الموضوعة فلا يجوز إلا لطالب علم مع البيان .

حكم العمل بالضعيف: الذي عليه جمهور العلماء أنه يستحب العمل به في فضائل الأعمال، لكن بشروط وهي :

١ ـ ألا يكون شديد الضعف .

٢ ـ أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به .

٣ ـ أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط[٢] .

---

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. الطحان، ص ٢٣ .

(٢) تدريب الراوي، للسيوطي، جـ١، ص ٢٩٨ .

القسم الأول: المردود بسبب السقط من الإسناد :

المراد بالسقط من الإسناد: انقطاع سلسلة الإسناد بسقوط راو أوأكثر عمداً أو غير عمد من بعض الرواة من أول السند أو من آخرة أو من أثنائه .

أنواع السقط:

١ ـ سقط ظاهر : (معلق ـ مرسل ـ معضل ـ منقطع) .

٢ ـ سقط خفي : لا يدركه إلا الأئمة الحذاق المُطّلعون على طرق الحديث وعلل الإسناد :

أ ـ المدلس . ب ـ المرسل الخفي .

المردود بسبب السقط من الإسناد :

١ ـ السقط الظاهر:

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
١ ـ المعلق	ما سقط من رواته راوٍ أو أكثر من بدء السند (ما حذف من مبدأ إسناده فأكثر على التوالي)، ومن صور المعلق : ١ ـ أن يحذف جميع السند ويقال مثلاً: قال رسول الله ﷺ ٢ ـ ومنها أن يحذف إلا الصحابي أو إلا الصحابي والتابعي ٣ـ ومنها. أن يحذف من حدثه ويضيفه إلى من فوقه .	مردود لأنه فقد شرط من شروط القبول وهو اتصال السند (ذُكر ذلك في المردود للجهل بحال الراوي المحذوف) .	ما أخرجه البخاري في مقدمة باب ما يذكر في الفخذ قال أبو موسى : **«غطى النبي ركبتيه حين دخل عثمان»**(١) .

(١) حكم المعلقات في البخاري : تتبعها ابن حجر ووصل المحذوف في كتابة تغليق التعليق، أي تم إغلاق باب المعلقات التي في البخاري .

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
٢ ـ المرسل	إذا كان المحذوف من آخر السند (أي الصحابي) أي ما سقط من آخره من بعد التابعي وصورته أن يقول التابعي (سواء كان كبيراً أو صغير)(١). قال رسول الله كذا، أو فعل أو فُعِل بحضرته كذا.	ذكر الإمام مسلم في مقدمة كتابة أن المرسل ليس بحجة، قال ابن الصلاح رأىٰ جماعة حفاظ الحديث سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه.	أخرج مسلم في صحيحه عن سعيد ابن المسيب أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن المزابنة (سعيد بن المسيب من كبار التابعين والتابعي هو من لقىٰ الصحابي مسلماً ومات علىٰ الإسلام).
٣ ـ المعضل	ما سقط من إسناده إثنان فأكثر علىٰ التوالي .	حديث ضعيف وهو أسوأ حالاً من المرسل والمعلق.	ما رواه الحاكم أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «للمملوك طعامه وكسوته».
٤ ـ المنقطع	ما سقط من إسناده اثنين غير متوالين في موضعين وقيل هو (ما لم يتصل علىٰ أي وجه كان انقطاعه) المنقطع عند المتأخرين: قالوا اسم عام لكل انقطاع في السند ما عدا صور ثلاثة من صور الانقطاع وهي حذف أول السند او آخره أو اثنين غير متوالين.	ضعيف بالاتفاق	عن حذيفة مرفوعاً: «إن وليتموها أبو بكر فقوىٰ أمين لا تأخذه في الله لومة لائم. . .». قطع في موضعين ـ عبد الرازق والثوري(٢).

(١) كبار التابعين: هو من اجتمع بكثير من الصحابة وأكثر الرواية عنهم، أما صغار التابعين: من اجتمع بقليل من الصحابة ولم يكثر الراوية عنهم.

(٢) النخبة، لابن حجر، ص ٧١ .

٢ ـ السقط الخفي :

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
١ ـ المدلس	إخفاء عيب في الإسناد وتحسين ظاهره وينقسم إلىٰ : ١ ـ تدليس الإسناد : أن يرويٰ الراويٰ عمن قد سمع منه ما لم يسمع منه بلفظ محتمل لسماع وغيره مثل (قال أو عن) ولا يصرح بأنه قد سمع منه هذا الحديث فلا يقول : (سمعت أو حدثني) . ٢ ـ تدليس التسوية : هو رواية الراوي عن شيخه ثم إسقاط راوٍ ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر فيسوي الإسناد كله ثقات (هو أسوأ نوع من التدليس) . ٣ ـ تدليس الشيوخ : هو أن يرويٰ الراوي عن شيخ حديثاً سمعه منه فيسميه أو ينسبه أو يصفه بما لا يُعرف	١ ـ تدليس الإسناد مكروه جداً قال فيه العلماء : «التدليس أخو الكذب» . ٢ ـ تدليس التسوية أشد كراهة منه . ٣ ـ تدليس الشيوخ أخف في الكراهة ؛ لأن المدلس لم يسقط أحد، وإنما الكراهة بسبب تضييع المروي عنه، وتوعير طريق معرفته علىٰ السامع حكم رواية المدلس : إن صرح بالسماع	**(تدليس الشيوخ):** **الأغراض الحاملة على التدليس**[1] : ١ ـ ضعف الشيخ أو كونه غير ثقة . ٢ ـ تأخر وفاته فشاركه في السماع منه جماعة دونه . ٣ ـ صغر سنه بحيث يكون أصغر من الراوي عنه . ٤ ـ كثرة الرواية عنه فلا يحب الإكثار من ذكر اسمه . **الأسباب الحاملة على تدليس الإسناد:** ١ ـ توهيم علو الإسناد ٢ ـ فوات شيء من الحديث عن شيخ سمع منه الكثير . ٣ ـ ضعف الشيخ

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. الطحان، ص ٥٧ .

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
	به كي لا يُعرف مثل : حدثنا عبد الله بن أبي عبدالله ، ويريد أبا بكر بن أبي داود السجستاني .	(سمعت) قبلت ، وإن لم يصرح لم تقبل .	أو كونه غير ثقة . ٤ ـ تأخر وفاته فشاركه في السماع منه جماعة دونه . ٥ ـ صغر سنه بحيث يكون أصغر من الراوي عنه . **بم يُعرف التدليس؟** ١ ـ إخبار المدلس نفسه إذا سئل كما جرىٰ لابن عيينة . ٢ ـ نص إمام من أئمة هذا الشأن بذلك .
٢ ـ المرسل الخفي	أن يرويٰ عمن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه بلفظ يحتمل السماع وغيره كـ (قال) .	هو ضعيف لأنه نوع من المنقطع	ما رواه ابن ماجة مرفوعاً «رحم الله حارس الحرس» ويعرف الإرسال الخفي : ـ بنص الأئمة علىٰ عدم اللقاء . ـ إخباره عن نفسه . ـ مجيء الحديث من وجه آخر .

فائدة:

قد يرد المدلس بصيغة من صيغ الأداء تحتمل وقوع (اللقىٰ) بين المدلس ومن أسند عنه (كعن) وكذا (قال). . .

المعنعن: قول الراوي فلان عن فلان .

والمؤنّن قول الراوي: حدثنا فلان أن فلاناً قال .

أسباب الطعن في الراوي:

طعن في العدالة أو طعن في الضبط .

إما أن يكون:

١ ـ لكذب الراوي في الحديث النبوي بأن يروي عنه ﷺ ما لم يقله متعمداً ذلك وهو الموضوع .

٢ ـ أو تهمته بذلك ـ (أي بالكذب) بألا يروىٰ ذلك الحديث إلا من جهته ويكون مخالفاً للقواعد المعلومة وهو المتروك .

٣ ـ فحش غلطه ـ أي كثرته .

٤ ـ أو غفلته عن الإتقان .

٥ ـ أو فسقه ـ أي بالفعل والقول مما لا يبلغ الكفر

٦ ـ أو وهمه بأن يروي علىٰ سبيل التوهم .

٧ ـ أو مخالفته (أي للثقات) .

٨ ـ أوجهالته: بأن لا يُعرف فيه تعديل ولا تجريح معين .

٩ ـ أو بدعته: هي اعتقاد ما أحدث علىٰ خلاف المعروف عن النبي ﷺ كأن يعتقد أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية .

١٠ ـ أو سوء حفظه، وهو عبارة عمن يكون ليس غلطه أقل من إصابته .

القسم الثاني : المردود بسبب الطعن في الراوي :

١ ـ طعن في العدالة .

٢ ـ طعن في الضبط .

القسم	تعريفه .. شروطه	حكم العمل به	مثال
طعن في العدالة ١ ـ الموضوع	إذا كان الطعن في الراوي هو الكذب فالحديث موضوع، وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ .	لا تحل روايته إلا مع بيان وضعه لحديث مسلم: **«من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين»** .	يعرف الموضوع بإقرار الواضع أو قرينة في الراوي أو قرينة في المروي ـ من دواعي الوضع التقرب إلى الله بأحاديث الفضائل
٢ ـ المتروك	إذا كان سبب الطعن التهمة بالكذب للراوي، والمتروك هو الحديث الذي في إسناده راوٍ متهم بالكذب .	رتب ابن حجر شر الضعيف الموضوع يليه المتروك، ثم المنكر ثم المعلل ثم المدرج ثم المقلوب ثم المضطرب .	
٣ ـ المنكر	إذا كان سبب الطعن في الراوي فحش الغلط أوكثرة الغفلة أو الفسق فحديثه المنكر، وهو ما رواه الضعيف مخالفاً لما رواه الثقة(١) .	ضعيف جداً	ومن أمثلته : **«كلوا البلح بالتمر فإن ابن آدم إذا أكله غضب الشيطان»** .

(١) النخبة، لابن حجر ، ص ٧٤ وما بعدها، طبعة مكتب الغزالي، دمشق ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م
وأقول : إن هذه الكلمات والتقسيمات للمردود قد ترد لها معانٍ أخرى عند بعض الأئمة لذا وجب التنويه لمراعاة ذلك .

٤ ـ المُعلل :

هو الحديث الذي اطلع الحافظ البصير فيه على علة قادحة في صحته، مع أن ظاهره السلامة منها، وقد قسم الحاكم أجناس المعلل إلى عشرة منها:

١ ـ أن يكون روى بالعنعنة وسقط منه رجل دل عليه طريق أخرى محفوظة.

٢ ـ أن يكون الحديث محفوظاً عن صحابي ويروى عن غيره لاختلاف بلاد رواته كرواية المدنيين عن الكوفيين.

٣ ـ أن يُروى الحديث مرفوعاً من وجه وموقوفاً من وجه.

٥ ـ المدرج :

إذا كان سبب الطعن في الراوي مخالفته للثقات فينتج عن هذه المخالفة خمسة أنواع من علوم الحديث هي المدرج والمقلوب والمزيد في متصل الأسانيد والمضطرب والمصحف.

● **المدرج** : هو زيادة الراوي ـ الصحابي فمن دونه ـ في متن الحديث أو سنده يحسبها من يروي الحديث أنها منه وهي ليست منه.

المدرج قسمان: مدرج الإسناد، و مدرج المتن.

أقسام مدرج الإسناد: ذكر في النخبة أنها أربعة أقسام منها أن يسوق الراوي الإسناد فيعرض له عارض فيقول كلاماً من عند نفسه فيظن السامع أن ذلك هو متن ذلك الإسناد فيرويه عنه كذلك.

مدرج المتن: هو أن يقع في المتن كلاماً ليس منه فتارة يكون في أوله وتارة في أثنائه وتارة في آخره وهو الأكثر.

● **المقلوب** : ما بُدل فيه راوٍ براوٍ آخر في طبقة أو أخذ إسناد متنه فركب على متن آخر أو بدّل الأصل المشهور في متنه بما لم يشتهر كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله : قال بعضهم: حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله» مخالفاً لما في الصحيحين: حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

أقسام المقلوب: هناك مقلوب السند، ومقلوب المتن.

● **المزيد في متصل الأسانيد** : هو أن يزيد راو في الإسناد لم يذكره غيره[١] ، أو هو زيادة راو في أثناء سند ظاهره الاتصال[٢] .

● **المضطرب** :ما روي على أوجه مختلفة متساوية في القوة، أو هو أن يختلف الرواة فيه على شيخ بعينه أو من وجوه أُخر متعادلة لا يترجح بعضها على بعض، وينقسم إلى مضطرب السند ومضطرب المتن، والأول أكثر، أي أن مضطرب السند أكثر من مضطرب المتن.

● **المُصَحَّف** : هو تغيير الكلمة في الحديث إلى غير ما رواها الثقات لفظاً أو معنىً أو هو ما كان فيه تغيير حرف أو حروف بتغير النقط مع بقاء صورة الخط كتصحيف العوام (بن مزاحم) إلى مزاحم. . . والمحرف ما كان فيه التغيير في الشكل كتحريف (يوم كُلاب) بضم الكاف إلى (يوم كِلاب) بكسرها. والمُصحف والمُحرف مترادفين.

٦ ـ الشاذ والمحفوظ [٣] :

الشاذ: هو ما رواه المقبول مخالفاً لمن هو أولى منه، ويقع الشذوذ في السند كما يقع في المتن، وحكمه مردود

المحفوظ: هو ما رواه الأوثق مخالفاً لرواية الثقة وحكمة أنه حديث مقبول.

الجهالة بالراوي :

هي عدم معرفة عين الراوي أو حالة.

أسباب الجهالة:

١ ـ كثرة نعوت الراوي من اسم أو كنية أو لقب أو حرفة أو صفة أو نسب.

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٨ .
(٢) تيسير المصطلح، د. الطحان ، ص ٧٣ .
(٣) المصدر السابق، ص ٧٩ .

٢ ـ قلة روايته فلا يكثر الأخذ عنه فربما لم يرو عنه إلا واحد.

٣ ـ عدم التصريح باسمة لأجل الاختصار فيسمى الراوي غير المصرح باسمه «المبهم».

أنواع الجهالة :

١ ـ مجهول العين: هو من ذكر اسمة ولكن لم يرو عنه إلا راو واحد ـ حكم روايته: لا تقبل إلا إذا وُثق.

٢ ـ مجهول الحال: (المستور) هو من روى عنه اثنان فأكثر لكن لم يوثق.

٣ ـ المبهم: هو من لم يصرح باسمه في الحديث.

البدعة :

هي السبب التاسع من أسباب الطعن في الراوي:

أنواع البدعة:

١ ـ **بدعة مكفرة:** أي يكفر صاحبها بسببها كأن يعتقد ما يستلزم الكفر: والذي تُرد روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة أو من اعتقد عكسه(١).

٢ ـ **بدعة مفسقة:** أي يفسق صاحبها بسببها وهو من لا تقتضي بدعته التكفير أصلاً.

---

(١) شرح النخبة، ص ١٠١، ثم ذكر المحقق كلام العلامة محمد نجيب المطيعي في حاشيته على (نهاية السول) فالحق قبول رواية كل من كان أهل القبلة، يصلي بصلاتنا، ويؤمن بكل ما جاء به رسولنا مطلقاً متى كان يقول بحرمة الكذب، فإن كان كذلك لا يمكن أن يبتدع بدعة إلا وهو متأول فيها مستند في القول بها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بتأول رآه باجتهاده، وكل مجتهد مأجور وإن أخطأ، نعم إذا كان ينكر أمراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة أو اعتقد عكسه كان كافراً قطعاً؛ لأن ذلك ليس محلاً للاجتهاد، بل هو مكابرة لما هو متواتر من الشريعة معلوم من الدين بالضرورة فيكون كافراً مجاهراً فلا يُقبل مطلقاً حرم الكذب أو لم يحرمه.

حكم رواية المبتدع: إن كانت بدعته مكفرة ترد روايته، وإن كانت بدعته مفسقة، فالجمهور أنه تُقبل روايته بشرطين:

١ ـ ألا يكون داعية إلى بدعته.

٢ ـ ألا يروي ما يروج بدعته.

سوء الحفظ:

سيء الحفظ هو من لم يرجح جانب إصابته على جانب خطئه

سيء الحفظ نوعان:

١ ـ أن ينشأ سوء الحفظ معه من أول حياته ويسمى خبرة الشاذ وحكم روايته مردوده

٢ ـ أن يكون سوء الحفظ طارئاً عليه إما لكبره أو لذهاب بصره أو لاحتراق كتبه ويسمى (المختلط).

حكم روايته:

١ ـ ما حدث قبل الاختلاط وتميز ذلك فمقبول.

٢ ـ ما حدث بعد الاختلاط مردود.

٣ ـ ما لم يتميز قبل الاختلاط أو بعده... يُتوقف فيه حتى يتميز.

طرق التحمل .. وصيغ الأداء:

التحمل (١) : معناه تلقي الحديث وأَخْذِه عن الشيوخ.

والأداء : معناه رواية الحديث وإعطاؤه للطلاب.

هل يشترط لتحمل الحديث الإسلام والبلوغ ؟

في تدريب الراوي تحت عنوان: «كيفية سماع الحديث وتحمله وضبطه»: تُقبل رواية المسلم البالغ ما تحمله قبلها، أي في حالة الكفر، وفي حالة الصبا، ولا خلاف

---

(١) تحمَّل فلان: تجلد وصبر، المعجم الوسيط، جزء أول، ص ٢٠٦ .

في قبول رواية ما تُحمل في حالة الكفر، حديث جبير بن المطعم المتفق عليه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ بالطور، وكان في فداء أسرىٰ بدر، وفي رواية للبخاري: «وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»(١).

أما الخلاف في تحمل الصبي: هل لصحة سماع الصغير سناً معينة؟

فقد حدد العلماء ذلك بخمس سنين، وقال بعضهم: الصواب اعتبار التمييز، فإنْ فَهِمَ الخطاب وردَّ الجواب كان مميزاً صحيح السماع.

الرواة والطبقات:

١ ـ **الصحابة**(١): الصحابي اصطلاحاً هو: من لقي النبي ﷺ مسلماً ومات علىٰ الإسلام ولو تخللت ذلك رده علىٰ الأصح.

اهمية ذلك: لمعرفة الصحابة فوائد منها يُعرف المتصل من المرسل.

الصحابي يُعرف بالآتي: التواتر كأبي بكر وعمر وباقي العشرة المبشرين ـ الشهرة ـ إخبار صحابي ـ إخبار ثقة من التابعين.

تعديل جميع الصحابة: كلهم عدول سواء من لابس الفتنة منهم أم لا وهذا بالإجماع.

اكثرهم حديثاً: ستة من المكثرين هم:

١ ـ أبو هريرة روىٰ ٥٣٧٤ حديثاً، وروىٰ عنه أكثر من ثلاثمائة رجل.

٢ ـ ابن عمر روىٰ ٢٦٣٠ حديثاً.

٣ ـ أنس بن مالك روىٰ ٢٢٨٦ حديثاً.

٤ ـ عائشة أم المؤمنين روت ٢٢١٠ حديثاً.

٥ ـ ابن عباس روىٰ ١٦٦٠ حديثاً.

٦ ـ جابر بن عبد الله روىٰ ١٥٤٠ حديثاً.

---

(١) تدريب الراوي، للسيوطي، جـ ٢، ص ٤.

(٢) تيسير المصطلح، د. الطحان، ص ١٣٩ وما بعدها.

طبقات الصحابة [1] : اختلف في عدد طبقاتهم فمنهم من جعلها باعتبار السبق إلى الإسلام أو الهجرة أو شهود المشاهد.

١ ـ قسمهم ابن سعد خمس طبقات مثل (قوم أسلموا كالعشرة ـ أصحاب دار الندوة ـ من هاجر إلى الحبشة ـ أصحاب بيعة العقبة الأولى ـ أصحاب العقبة الثانية).

٢ ـ قسمهم الحاكم إلى اثنتي عشرة طبقة.

الطبقة: هم القوم المتشابهون أي قوم تشابهوا في السن والمعاصرة وتلاقوا ومن الممكن الأخذ عن بعضهم البعض.

٢ ـ التابعين:

التابعي هو : من لقي صحابياً مسلماً ومات على الإسلام وقيل هو من صحب الصحابي.

اهمية ذلك: تمييز المرسل من المتصل.

طبقات التابعين: جعلهم مسلم ثلاث طبقات وجعلهم ابن سعد أربع طبقات وجعلهم الحاكم خمس عشرة طبقة.

المخضرمون: المخضرم هو الذي أدرك الجاهلية وزمن النبي ﷺ ولم يره والمخضرمون من التابعين على الصحيح وقيل نحو عشرين شخصاً.

استدراكات :

١ ـ من علوم الحديث: علم الجرح والتعديل:

نشأة الجرح والتعديل : أول ما نشأ في وجود النبي ﷺ وهي أولية إجمالية.

وإن كانت التوسعة ظهرت فيما بعد... فقد جرح النبي ﷺ وعدل بنفسه جاءت إليه الصحابية «فاطمة بنت قيس» وقالت : يا رسول الله يريد أن ينكحني فلان وفلان، فأخبرني؟ فجرحهما النبي ﷺ وقال لها : «**انكحي فلاناً**» «أسامة بن

---

(١) تدريب الراوي، للسيوطي، ص ٢٢١.

زيد»(١)، وأيضاً قوله : «**بئس أخو العشيرة**»(٢). وقوله : «**لا غيبة لفاسق**»(٣).

وقد عرف الصحابة خطورة الكذب على أحاديث رسول الله ﷺ، من أجل ذلك تشددوا في الرواية والخوف من العقاب للحديث : «**مَنْ كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(٤).

أهميته: يستفاد منه معرفة تواريخ ومواليد الرواة ووفياتهم ومعرفة أقوال علماء الجرح والتعديل في كل واحد من سلسلة الإسناد وبه يتبين إن كان الحديث مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً أو مرسلاً تحاشياً من الوقوع في الخطأ عند الحكم على الحديث قبولاً أو رداً.

الجرح(٥): رد رواية الراوي لعلة قادحة فيه (في شخصه) كأن يكون به فسق أو تدليس أو شذوذ وله مراتب كثيرة مثل أكذب الناس ـ أوضع الناس ـ فلان ركن في الكذب ـ دجال ـ وضّاع للحديث.

التعديل(٦) : هو وصف الراوي بما يقتض قبول روايته ـ وله مراتب أيضاً مثل أوثق الناس ـ أثبت الناس ـ فلان ثقة ثقة ـ ثقة ثَبْت ـ ثقة حُجة ـ ثقة متقن.

٢ ـ المُسْتَخْرَج:

أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب(٧).

الاستدراك: أن يقصد عالم جمع أحاديث يستدركها على مصدر أو مصادر معينة، كما استدرك الحاكم الأحاديث الصحيحة التي على شرط الشيخين أو على شرط أحدهما ولم يخرجاها.

---

(١) رواه مسلم، رضاع ١٠٣ ، طلاق ٣٦ ، والترمذي وأبو داود .

(٢) رواه البخاري، أدب ٣٨، ٤٨ ، و مسلم ، بر ٧٣ .

(٣) أخرجه البيهقي مرفوعاً ، مسند القضاعي وفي الشعب بسند جيد.

(٤) رواه البخاري، علم ٣٨ ، ومسلم، إيمان ١١٣ .

(٥) التدريب، ص ٢٤٣ جزء أول.

(٦) شرح النخبة، لابن حجر، ص ١٥٣ .

(٧) الباعث الحثيث، لابن كثير ، أ. أحمد شاكر، ص ٣٧ .

٣ ـ الاعتبارات والمتابعات والشواهد [١] :

التابع : ما يوجد موافقاً لحديث آخر من لفظة ومن رواه من الصحابة سواء وافقه في كل السند أو بعضه .

الشاهد: ما يوجد موافقاً لحديث آخر في المعنىٰ .

ويقول ابن حجر في النخبة : «فإن وجد متن يشبهه فهو الشاهد»[٢] .

الاعتبار: هو تتبع الطرق من الجوامع[٣]، والمسانيد[٤]، والأجزاء لذلك الحديث الذي يُظن أنه فرد ليعلم هل له متابع أم لا .

٤ ـ مصطلحات تطلق على كل من الحديث الصحيح والحسن [٥] :

هذه المصطلحات وردت في كلام العلماء تعبيراً عن قبول الحديث غير لفظي الحديث الصحيح والحسن ومنها :

أ ـ الحديث الجيد أو القوىٰ أو الثابت : يرىٰ أكثر العلماء أنه يطلق علىٰ الصحيح ولكن قال العلماء عن إطلاق «الصحيح» إلىٰ «الجيد» لكون الحديث في أدنىٰ مراتب الصحة وأعلىٰ مراتب الحسن .

ب ـ الحديث الصالح : يشمل في إطلاق العلماء كلاً من الصحيح والحسن كما يستعمله بعض العلماء في الضعيف الذي يصلح للترقية ومن ذلك قول أبي داود عن أحاديث كتابه السنن «وما كان فيه وهن شديد فقد بيَّنْت وما سكتُ عنه فهو صالح» .

جـ ـ الحديث الثابت : يشمل الصحيح والحسن وقصره بعض العلماء علىٰ الصحيح فقط .

---

(١) أصول الحديث النبوي، د. الحسيني هاشم، ص ٧٧، طبعة دراسية، ١٩٨٥م .

(٢) النخبة، لابن حجر، ص ٥٥، ص ٥٦ .

(٣) الجوامع : جمع جامع، فهو ما كان مرتباً علىٰ أبواب الفقه كالبخاري وبقية الكتب الستة، أو علىٰ ترتيب الحروف الهجائية، وقيل الجامع : هو المصنف الذي اجتمعت فيه أقسام الحديث، أي أحاديث العقائد ـ أحاديث الأحكام ـ أحاديث الرقائق ـ أحاديث التفسير ـ والسير والتاريخ والفتن .

(٤) المسانيد : هي جمع مسند، والمراد به هنا كتاب ذكر فيه الأحاديث علىٰ ترتيب الصحابة، بحيث يوافق حروف الهجاء، أو يوافق السوابق الإسلامية، أو يوافق شرافة النسب .

(٥) تيسير علوم الحديث، د. عبد الرحمن البر، ص ٢١٤ .

ثانياً : علم أصول الفقه

أصول الفقه .. موضوعه ونشأته (١) :

من المتفق عليه بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم أن كل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال سواء أكان من العبادات أم المعاملات أم الجرائم أم الأحوال الشخصية أم من أي نوع من أنواع العقود أو التصرفات له في الشريعة الإسلامية حكم ، وهذه الأحكام بعضها بينتها نصوص وردت في القرآن والسنة ، وبعضها لم تبينها نصوص في القرآن أو السنة ، ولكن أقامت الشريعة دلائل عليها ونصبت أمارات لها بحيث يستطيع المجتهد بواسطة تلك الدلائل والأمارات أن يصل إليها ويتبينها .

ومن مجموعة الأحكام الشرعية المتعلقة بما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال ، المستفادة من النصوص فيما وردت فيه نصوص ، والمستنبطة من الدلائل الشرعية الأخرى فيما لم ترد فيه نصوص تَكَوَّن الفقه .

ومن مجموعة هذه القواعد والبحوث المتعلقة بالأدلة الشرعية من حيث دلالتها على الأحكام ، وبالأحكام من حيث استفادتها من أدلتها ومما يتعلق بهذين من اللواحق والمتممات تكونت أصول الفقه .

موضوعه :

موضوع البحث في علم الفقه : هو فعل المكلف من حيث ما يثبت له من الأحكام الشرعية ، فالفقيه يبحث في بيع المكلف وإجارته ورهنه وتوكيله وصلاته وصومه وحجه وقتله وقذفه وسرقته وإقراره ووقفه لمعرفة الحكم الشرعي في كل ما يقع من هذه الأفعال .

---

(١) علم أصول الفقه : عبد الوهاب خلاف ، ص ١١ .

وأما موضوع البحث في علم أصول الفقه : فهو الدليل الشرعي الكلي من حيث ما يثبت به من الأحكام الكلية ، فالأصولي يبحث في القياس وحجيته والعام وما يقيده والأمر وما يدل عليه وهكذا.

نشأته :

أصول الفقه صاحبت الفقه ولازمته منذ نشأته ، بل كانت موجودة قبل نشأة الفقه ، لأنها قوانين للاستنباط ، وموازين للآراء ، ولكن لم تظهر الحاجة إلىٰ تدوينها أولاً .

ففي زمن النبي ﷺ ما كانت هناك حاجة للكلام عن قواعد هذا العلم فضلاً عن تدوينه ، لأن النبي ﷺ كان هو مرجع الفتيا ، وبيان الأحكام ، فما كان هناك من داع للاجتهاد والفقه ، وحيث لا اجتهاد ، فلا مناهج للاستنباط ، ولا حاجة إلىٰ قواعده .

١ - **وبعد وفاة النبي الكريم ﷺ** ظهرت وقائع وأحداث كان لابد من مواجهتها بالاجتهاد واستنباط أحكامها من الكتاب أو السنة ، إلا أن فقهاء الصحابة لم يشعروا بالحاجة إلىٰ الكلام عن قواعد الاجتهاد ومسالك الاستدلال والاستنباط ، لمعرفتهم باللغة العربية ، وأساليبها ، ووجوه دلالة ألفاظها وعباراتها علىٰ معانيها ، ولإحاطتهم بأسرار التشريع وحكمته ، وعلمهم بأسباب نزول القرآن وورود السنة .

وكان نهجهم في الاستنباط : أنهم كانوا إذا وردت عليهم الواقعة التمسوا حكمها في كتاب الله ، فإن لم يجدوا فيه رجعوا إلىٰ السنة ، فإن لم يجدوه في السنة اجتهدوا في ضوء ما عرفوا من مقاصد الشريعة ، وما تومي إليه نصوصها أو تشير ، ولم يجدوا عسراً في الاجتهاد ، ولا حاجة لتدوين قواعده ، وقد ساعدهم علىٰ ذلك ما كان عندهم من ذوق فقهي اكتسبوه من طول صحبتهم للنبي ﷺ ، وملازمتهم له ، وما امتازوا به من حدة الذهن ، وصفاء النفس ، وجودة الإدراك .

وهكذا انقضى عصر الصحابة ولم تدون قواعد هذا العلم ، وكذلك فعل التابعون ، فقد ساروا علىٰ نهج الصحابة في الاستنباط ، ولم يحسوا بالحاجة إلىٰ تدوين أصول استخراج الأحكام من أدلتها ، لقرب عهدهم من عصر النبوة ،

ولتفقههم على الصحابة وأخذهم العلم منهم .

٢ - **إلا إنه بعد انقراض عصر التابعين اتسعت البلاد الإسلامية،** وَجَدَّت حوادث ووقائع كثيرة، واختلط العجم بالعرب على نحو لم يعد بسببه اللسان العربي على سلامته الأولى، وكثر الاجتهاد والمجتهدون، وتعددت طرقهم في الاستنباط، واتسع النقاش والجدل، وكثرت الاشتباهات والاحتمالات، فكان من أجل ذلك كله أن أحس الفقهاء بالحاجة إلى وضع قواعد وأصول وضوابط للاجتهاد، يرجع إليها المجتهدون عند الاختلاف، وتكون موازين للفقه وللرأي الصواب .

وقد استمدت تلك القواعد من: أساليب اللغة العربية، ومبادئها، ومما عرف من مقاصد الشريعة وأسرارها، ومراعاتها للمصالح، وما كان عليه الصحابة من نهج في الاستدلال، ومن مجموع هذه القواعد والبحوث تكون علم أصول الفقه .

٣ - **وقد بدأ هذا العلم، بصورته المدونة وليداً** على شكل قواعد متناثرة في ثنايا كلام الفقهاء وبيانهم للأحكام، فقد كان الفقيه يذكر الحكم، ودليله، ووجه الاستدلال به، كما أن الخلاف بين الفقهاء كان يعضد بقواعد أصولية، يعتمد عليها كل فقيه لتقوية وجهة نظره، وتعزيز مذهبه، وبيان مأخذه في الاجتهاد .

٤ - **وقد قيل: ان أول من كتب في أصول الفقه هو ابو يوسف،** صاحب أبي حنيفة، ولكن لم يصل إلينا شيء من كتبه .

والشائع عند العلماء: إن أول من دون هذا العلم، وكتب فيه بصورة مستقلة، هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ.

فقد أَلَّفَ فيه رسالته الأصولية المشهورة، وتكلم فيها عن القرآن، وبيانه للأحكام، وبيان السنة للقرآن، والإجماع والقياس، والناسخ والمنسوخ، والأمر والنهي، والاحتجاج بخبر الواحد، ونحو ذلك من الأبحاث الأصولية .

وكان نهجه في الرسالة يتسم بالدقة، والفهم، وإقامة الدليل على ما يقول، ومناقشة آراء المخالف بأسلوب علمي رائع رصين .

وبعد الشافعي، كتب أحمد بن حنبل كتاباً في طاعة الرسول ﷺ، وآخر في الناسخ والمنسوخ، وثالثاً في العلل، ثم تتابع العلماء في الكتابة، وأخذوا ينظمون أبحاث هذا العلم، ويوسعونه ويزيدون عليه.

وسوف يكون حديثنا من خلال هذه المحاور السبعة :

المحور الأول : شرح المصطلحات.

المحور الثاني : خريطة أصول الفقه.

المحور الثالث : أقسام الحكم التكليفي.

المحور الرابع : الحكم الوضعي.

المحور الخامس : أدلة الأحكام.

المحور السادس : مقاصد الشريعة.

المحور السابع : الاجتهاد.

المحور الأول : شرح المصطلحات

الأصـول (١) :

أ - **لغة** : جمع أصل وهو ما يُبْتَنى عليه غيره سواء كان الابتناء حسياً أو عقلياً.

ب - وقد يرد اللفظ بمعانٍ عدة عند استخدامه باختلاف المقصد منه :

١ - **الدليل** : يقال أصل المسألة الإجماع أي دليلها ولذلك قيل أصول الفقه أي أدلته.

٢ - **الراجح** : الأصل في الكلام أي الراجح في الكلام والكتاب أصل بالنسبة للقياس أي الراجح هو الكتاب.

٣ - **القاعدة** : إباحة الميتة للمضطر على خلاف الأصل أي على خلاف القاعدة.

٤ - **المستصحب** : يقال الأصل براءة الذمة أي يستصحب خلو الذمة من الانشغال بشيء حتى يثبت خلافه.

الفقه :

أ - **لغة** : العلم بالشيء والفهم له، وفي القرآن يدل على أن المراد منه ليس مطلق الفهم، بل دقَّة الفهم، ولطف الإدراك، ومعرفة غرض المتكلم، قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ﴾ (هود: ٩١).

ب - **اصطلاحاً**: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية أو هو هذه الأحكام.

الأحكام :

أ - **لغة** : هو إثبات أمر لآخر إيجاباً أو سلباً مثل قولنا الشمس مشرقة أو غير مشرقة ـ الماء ساخن أو غير ساخن

---

(١) الوجيز، د. عبدالكريم زيدان، ص ٨٥، طبعة دار التوزيع والنشر، طبعة ١٩٩٣م .

ب- **اصطلاحاً**: ما يثبت لأفعال المكلفين من وجوب أو ندب أو حرمة أو كراهة أو إباحة أو صحة أو فساد أو بطلان.

الشرح :

١ ـ كونها شرعية أي منسوبة إلى الشرع فلا يدخل في التعريف الأحكام العقلية مثل الواحد نصف الاثنين، النار محرقة.

٢ ـ يشترط في الأحكام أن تكون عملية عبادات ـ بيوع ـ معاملات، أما ما يتعلق بالعقيدة والأخلاق لا تدخل في التعريف.

الأدلـة :

١ ـ **تفصيلية**: هي الأدلة الجزئية التي يتعلق كل منها بمسألة خاصة، وينص على حكم معين لها . . (١) .

٢ ـ **إجمالية**: هي مصادر الأحكام الشرعية كالكتاب والسنة والإجماع والقياس من حيث العلم بحجيتها ومنزلتها في الاستدلال ووجوه دلالة النص.

---

(١) أمثلة الأدلة التفصيلية :

١ ـ قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣)، دليل تفصيلي، أي جزئي يتعلق بمسألة خاصة وهي : نكاح الأمهات، ويدل على حكم معين لها وهو حرمة نكاح الأمهات.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ (الإسراء: ٣٢)، دليل تفصيلي، أي جزئي يتعلق بمسألة خاصة هي الزنا، ويدل على حكم معين لها وهو حرمة الزنا.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ (الأنفال: ٦٠)، دليل تفصيلي أي جزئي يتعلق بمسألة خاصة هي إعداد القوة ويدل على حكم معين هو وجوب إعداد القوة.

٤ ـ حديث : «**العَمْدُ قود**»، دليل تفصيلي أي جزئي يتعلق بمسألة خاصة وهي القتل، ويدل على حكم معين لها وهو وجود القصاص.

٥ ـ الإجماع على أن ميراث الجدة السدس دليل تفصيلي، أي جزئي يتعلق بمسألة خاصة وهي ميراث الجدة، ويدل على حكم معين لها وهو وجوب إعطاء الجدة السدس.

القواعد الأصولية :

القواعد الأصولية تنبني عليها الفروع التشريعية ولا يثبت الحكم إلا بدليل، فلا يجوز إثبات القاعدة الأصولية بدليل فيه ضعف كالحديث الحسن.

أدلة القواعد الأصولية:

العلماء استدلوا لإثبات القواعد الأصولية بأدلة ترجع إلى أربعة أنواع:

١ ـ **نصوص من كتاب الله** : فالقاعدة الأصولية «لا تكليف إلا بمقدور عليه»، دليلها قوله تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

٢ ـ **نصوص نبوية** : فالقاعدة الأصولية «الأمر يقتضي الوجوب»، دليلها قول النبي ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**»(١).

٣ ـ **اللغة العربية وعلومها** : فالقاعدة الأصولية «الأمر يقتضي الفور»، دليلها أن ذلك يفهمه أهل اللغة، فلو قال السيد لخادمه: اسقني ماءً فتأخر كان ملوماً.

٤ ـ **العقل**: فالقاعدة الأصولية «إذا اختلف مجتهدان في حكم فأحدهما مخطئ إذا كانا نقيضين»، دليلها العقل، فإن العقل يحكم باستحالة صدق النقيضين(٢).

القواعد: قضايا كلية ينطبق حكمها على الجزئيات التي تندرج تحتها فتعرف بها حكم هذه الجزئيات.. (انظر مثال ١ ومثال ٢ في عمل الأصولي).

عمل الأصولي: يبحث في الأدلة (٣) الإجمالية أي الكلية ليتعرف منها على

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٣٦، ومسلم، إمارة ١٠٣.

(٢) الواضح في أصول الفقه، د. محمد سليمان الأشقر، ص ١١.

(٣) الأدلة :

١ ـ أدلة شرعية مُجْمَع عليها: القرآن والسنة. =

ما فيها من أحكام كلية ليضع القواعد التي يطبقها الفقيه على الأدلة الجزئية حتى يصل لمعرفة الحكم الشرعي[1] .

مثال ١:

قاعدة (الأمر يفيد الوجوب إلا إذا صرفته قرينة عن ذلك):

هذه قاعدة ينطبق حكمها على جميع النصوص الجزئية التي تندرج تحتها، مثل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة: ١). ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور: ٥٦).

إذاً جميع صيغ الأمر المجردة تندرج تحت هذه القاعدة ـ كوجوب الوفاء بالعقود، ووجوب الصلاة، ووجوب إيتاء الزكاة، وطاعة الرسول ﷺ[2] .

مثال ٢:

قاعدة (النهي يفيد التحريم إلا إذا وجدت قرينة تصرفه عن التحريم):

تنطبق هذه القاعدة على النصوص الناهية المجردة. ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ (الإسراء: ٣٢). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (النساء: ٢٩).

ومن هنا نرى حرمة ما تعلقت به صيغ النهي فيكون حكم الزنا الحرمة ـ وحرمة أكل أموال الناس بالباطل.

عمل الفقيه: يبحث في الأدلة التفصيلية ليتعرف على الأحكام التي جاء بها، مستعيناً بما قرره علم الأصول من قواعد الاستنباط ومناهج الاستدلال.

كيف يتوصل المجتهد إلى استنباط الفقه؟

= ٢ ـ أدلة اتفق عليها الجمهور: الإجماع، القياس.

٣ ـ أدلة حولها اختلاف: الاستحسان، الاستصحاب، المصالح المرسلة، عمل أهل المدينة، سد الذرائع، شرع من قبلنا، العرف، قول الصحابي.

(١) تيسير أصول الفقه، د. مصطفى فرج فياض، طبعة دراسية، الوجيز، د. زيدان، ص١٢٥ .

(٢) سيأتي تفصيل لهذه القاعدة بذكر آراء الأصوليين ، هل الأمر يفيد الوجوب؟

إذا أراد المجتهد أن يعرف حكم الصلاة : قرأ قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ فيقول : ﴿ أَقِيمُوا ﴾ صيغة أمر مجردة وقاعدة (الأمر يفيد الوجوب إلا لقرينة صارفة) تنطبق عليها، فينتج عن ذلك أن القيام بالصلاة واجب .

أصول الفقه اصطلاحاً :

العلم بالقواعد والأدلة الإجمالية التي يتوصل بها إلى استنباط الفقه[1] .

مثال توضيحي لما سبق :

سُئِل الفقيه عن رجلٍ صلى بغير وضوء . . ما حكم صلاته ؟

الإجابة عن هذا السؤال في هذا الرسم التوضيحي [2] :

القضية «سؤال من أي مسلم»	الحكم «الفقيه الذي يجيب»	الدليل « الذي وضعه الأصولي»
صلى بغير وضوء	**صلاته باطلة**	**ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**

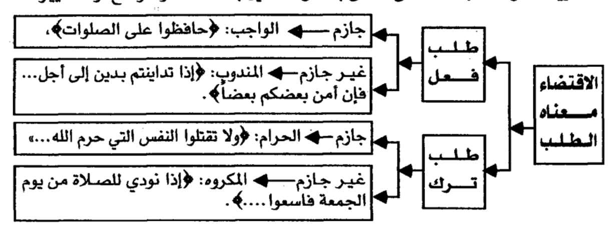
---

(١) الوجيز، د . عبدالكريم زيدان، ص١١، طبعة دار التوزيع والنشر، طبعة ١٩٩٣م .

(٢) يمكن الإجابة عن أي سؤال بهذه الطريقة المبسطة .

الحكم الشرعي

■ تعريفه: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو الوضع أو التخيير.



■ التخيير: (المباح) التسوية بين الفعل والترك دون ترجيح: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه...﴾ - ﴿إذا حللتم فاصطادوا...﴾.

■ الوضع: السبب - الشرط - المانع - الصحة - الفساد.

مباحث الحكم الشرعي

- الحكم الشرعي خطاب الله للمكلفين
  - اقتضاء
    - أمر: ١ - واجب ٢ - مندوب
    - ترك: ١ - مكروه ٢ - حرام
  - تخيير
    - إباحة
  - وضع
    - سبب
    - شرط
    - مانع
- الحاكم هو الله سبحانه وتعالى
- المحكوم فيه (الفعل):
  ١ـ أن يكون معلوماً للمكلف.
  ٢ـ العذر بالجهل.
  ٣ـ أن يكون في قدرة المكلف.
  ٤ـ المشقة وأنواعها.
- المحكوم عليه الإنسان وأهليته
  - ١ - أهلية الوجوب
    - حالة نقصان من بداية الحمل إلى الوضع
    - حالة تمام من بعد الوضع إلى الممات ولاتقبل تغيير
  - ٢ - أهلية الأداء
    - من الحمل إلى الوضع (عديم الأهلية)
    - من الوضع إلى التمييز (عديم الأهلية)
    - من التمييز إلى البلوغ (ناقص الأهلية)
    - بعد البلوغ (كامل الأهلية)


أقسام الحكم الشرعي
أولاً : الحكم التكليفي:
١ - يتطلب فعل شيء أو تركه أو إباحته بين الفعل والترك للمكلف.
٢ - أمر يستطيع المكلف فعله وتركه فهو في حدود قدرته واستطاعته لأن من قواعد الشريعة (لاتكليف إلا بمقدور).
تكليفي باعتبار ذاته من خلال الاقتضاء والتخيير
■ إيجاب : هو خطاب الله تعالى الطالب للفعل طلبًا جازمًا،
■ ندب : هو خطاب الله تعالى الطالب للفعل طلبًا غير جازمًا.
■ تحريم : هو خطاب الله تعالى الطالب للترك طلبًا جازمًا،
■ كراهة : هو خطاب الله تعالى الطالب للترك طلبًا غير جازمًا،
■ إباحة : هو خطاب الله تعالى المخير للمكلف بين الفعل والترك.
تكليفي باعتبار متعلقه : الذي تعلق به الإيجاب يسمى واجب - والذي تعلق به الندب يسمى مندوب - والذي تعلق به التحريم يسمى حرام - والذي تعلق به الكراهية يسمى مكروهًا.
■ واجب : هو الفعل الذي طلب الشارع الحكيم فعله طلبًا جازمًا.
■ مندوب : هو الفعل الذي طلب الشارع الحكيم فعله طلبًا غير جازم.
■ حرام : هو الفعل الذي طلب الشارع تركه طلبًا جازمًا.
■ مكروه : هو الفعل الذي طلب الشارع تركه طلبًا غير جازم.
■ مباح : هو ما دل الدليل السمعي على خطاب الشارع بالتخيير فيه بين الفعل والترك من غير بدل.
تكليفي باعتبار الدليل من حيث موافقته للدليل وعدم موافقته
■ رخصة : هي انتقال وتغيير الحكم الشرعي من حكمه الأصلي إلى حكم جديد
أو هي الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر (النطق بكلمة الكفر عند الإكراه - إباحة شرب الخمر إذا غص - إباحة الميتة).
أو هي أسم لما أباحه الشارع عند الضرورة تخفيفًا على المكلفين - فهي حكم استثنائي من أصل كلي - وتنقل الحكم الأصلي من مرتبة اللازم إلى مرتبة الإباحة وغيرها.
■ عزيمة : هي الأحكام التي شرعها الله ابتداءً ليعمل بها المكلفون بموجب دليل ثبت على وفقه أو خلافه لغير عذر (جميع الأحكام - الصلاة - توجه للكعبة - لا تقتلوا النفس)
أو (هو اسم لما طلبه الشارع) .

ثانيًا : الحكم الوضعي :

١ - يقصد به ما جعله الشارع سببًا لوجود شيء أو شرطا له، أو مانعًا منه ليعرف المكلف متى يثبت الحكم الشرعي ومتى ينتفي.

٢ - لا يشترط أن يكون في قدرة المكلف ومن ثم كان منه:

أ - المقدور للمكلف : السرقة والزنا وسائر الجرائم فقد جعلها الشارع أسباب لمسبباتها، فالسرقة سبب لقطع اليد، والزنا سبب للرجم، والوضوء شرط لصحة الصلاة، وكذلك العقود والتصرفات، والبيع سبب لنقل الملكية، والشاهدين شرط لصحة النكاح، وقتل الوارث مورثه مانع من الإرث، وقتل الموصي له مانع من نفاذ الوصية.

ب - من الحكم الوضعي الغير مقدور للمكلف حلول شهر رمضان سبب لوجوب الصيام، دلوك الشمس سبب لوجوب الصلاة، والقرابة سبب للميراث، والأبوة مانعة من قتل الأب إذا قتل ابنه عمدًا.

وضعي باعتبار ذاته

- **السببية** : جعل الشيء واعتباره سببًا، مثل جعل الشارع دخول الوقت سبب لوجوب الصلاة
- **الشرطية** : جعل الشيء واعتباره شرطًا، كجعل الطهارة شرط لصحة الصلاة.
- **المانعية** : جعل الشيء واعتباره مانعًا، فالحيض مانع من وجوب الصلاة.
- **الصحة** : اعتبار الشارع الشيء صحيحًا حينما يستوفي أركانه وشروطه، فاعتبار الصلاة صحيحة إذا أديت على الوجه الذي أمر به مستوفية أركانها وشروطها.
- **الفساد** : (أو البطلان) اعتبار الشارع الشيء فاسد إذا فعل الشيء على وجه غير مشروع مثل اعتبار الحج فاسد إذا أتى به المكلف غير مستوف الأركان والشروط، وكذا الصوم يكون فاسدًا إذا حدث به خلل.

وضعي باعتبار متعلقه

- **السبب** : يلزم من وجوده وجود الحكم ومن عدم عدم الحكم كدخول الوقت بالنسبة للصلاة فتجب.
- **الشرط** : الأمر الذي يتوقف عليه وجود الحكم ويلزم من عدمه عدم الحكم ولا يلزم من وجوده وجود الحكم وهو خارج عن ماهية الشيء (الوضوء شرط لصحة الصلاة).
- **المانع** : يترتب على وجوده حكم يستلزم عدم الحكم أو عدم السبب: الأبوة مانعة من القصاص، والدين مانع للزكاة.
- **الصحيح** : أفعال المكلفين إذا وقعت مستوفية الأركان والشروط حكم الشارع بصحتها، ومعنى صحتها أي تترتب عليها الآثار الشرعية، فالصلاة المستوفية الأركان والشروط تبرأ ذمة المكلف منها.
- **الفاسد والباطل** : كل عبادة أو تصرف فقد بعض أركانه أو بعض شروطه فهو فاسد أو باطل، فبيع المجنون باطل لخلل في العقد.

المحور الثالث : أقسام الحكم التكليفي

(الواجب - المندوب - الحرام - المكروه - المباح)

سوف نتناول هذه الأقسام من حيث التعريف - أساليب المخاطبة - أقسامه - حكمه - بعض قواعده الأصولية ..

أولاً : الواجب (١)

تعريفه :

هو ما طلب الشارع فعله على وجه اللزوم، بحيث يذم تاركهُ ومع الذم العقاب، ويمدح فاعله ومع المدح الثواب، (عند الجمهور الواجب هو الفرض إلا عند الأحناف).

أساليب المخاطبة (٢) :

١ - صيغة الأمر : ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾، ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ . .

٢ - اسم فعل الأمر : ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ . . ﴾ . .

٣ - الفعل المضارع المقرون بلام الأمر : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . ﴾، ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ . . ﴾ .

٤ - صيغة المصدر : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾، ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾، وهناك ألفاظ تدل على الأمر بمدلولها لا لفظها : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٣٠ .

(٢) تيسير أصول الفقه، د. مصطفى فياض، ص ٣٢، طبعة دراسية .

٥ ـ الخبر المستعمل في معنىٰ الأمر ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٣٣). المقصود أمر الوالدات بإرضاع أولادهن لامجرد الإخبار عن إرضاع الوالدات لأولادهن.

أقسامه وحكمه :

■ **أولاً: باعتبار الوقت الذي يُؤَدَّىٰ فيه :**

١ ـ **مطلق**: ما طلب الشارع دون تعيين وقت أدائه ـ كفارة اليمين في أي وقت ـ قضاء رمضان ـ الحج يجوز للمكلف فعله في أي وقت «عند من يرىٰ ذلك».

٢ ـ **مقيد**: تعيين وقت أدائه ـ الصلاة ـ رمضان ـ والمقيد إما :

أ ـ **أداءً** : أي فعل الواجب مستوفياً الأركان والشروط في الوقت المحدد.

ب ـ **قضاءً**: إذا فعل الواجب بعد خروج الوقت.

جـ ـ **إعادة**: إذا فعل الواجب في وقته ولكن سبقه اتيان فيه خلل، مثل إعادة الوضوء للمقيم.

د ـ **تعجيل** : إذا فعل الواجب قبل وقته المحدد (إخراج زكاة الفطر في أول رمضان).

اقسام المقيد :

١ ـ **موسع**: يسعه الوقت ويسع غيره من جنسه (صلاة الظهر يسع وقتها صلوات أخرىٰ).

٢ ـ مضيق: وقته لا يسع إلا هو فقط من جنسه كصيام رمضان فإذا نوىٰ تطوع في رمضان كان فرضاً عند الحنفية.

٣ ـ الوجهين: لا يسع وقته غير واحد من جهة ويسع غيره من جهة: أشهر الحج لا تسع إلا حجاً واحداً في العام وذلك بسبب يوم عرفة، بينما تسع بعض أعمال الحج من الطواف والسعي.

■ **ثانياً : باعتبار المقدار المطلوب منه** (١) :

* **محدد وحكمه:** هو الذي حدد الشارع له مقداراً محدداً مثل : الصلاة لا تبرأ ذمة المُكلف إلا بأدائها كاملة ، وكذلك النذور والزكاة وأثمان المشتريات والمبيعات والديات (تثبت ديناً في الذمة يُقَاضىٰ به) .

* **غير المحدد:** لم يعين الشارع مقدار ، بل ترك للمكلف فعله مثل : الإنفاق ـ التعاون علىٰ البر ـ إطعام الطعام .

* **حكمه** : (غير محدد لا يجب ديناً في الذمة ولا تجوز المقاضاة عليه كنفقة الزوجة عند من يعتبرها من قبيل الواجب غير المحدد) .

■ **ثالثاً : باعتبار من يجب عليه أداء هذا الواجب :**

* **واجب عيني:** هو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من المكلفين بحيث لا يجزئ قيام مكلف آخر به (صلاة ـ زكاة ـ صوم ـ حج) . . **حكمه** : واجب لا يسقط إلا إذا قام به المكلف .

* **واجب كفائي:** ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين بحيث إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وإذا لم يقم به أحد أثم جميع القادرين (كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ صلاة الجنازة ـ غريق ـ حريق ـ بناء مستشفىٰ ـ الطب والقضاء ـ الزراعة ـ الصناعة ـ الجهاد ـ الإفتاء) .

■ **رابعاً باعتبار تعيين المطلوب وعدم تعيينه :**

* **واجب معين:** هو ما طلبه الشارع بعينه من غير تخيير للمكلف ولا يجوز العدول عنه إلىٰ غيره بأي حال (صلاة ـ حج ـ أجر المستأجر ـ رد المغصوب إن كان قائماً) .

* **واجب غير معين (مخير):** ما طلب الشارع لا بعينه ولكن ضمن أمور معلومة وللمكلف أن يختار واحداً منها لأداء هذا الواجب « فكفارته إطعام عشرة مساكين أو . . . » والواجب تعلق بواحد من هذه الثلاثة كما يناسب ويلائم **وحكمه:** براءة ذمة المكلف إذا أتىٰ بواحد منها ويأثم ويعاقب إن تركها كلها .

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧ وما بعدها .

من القواعد الأصولية للأحكام التكليفية :

هل الأمر يفيد الوجوب؟

أو ما الذي تفيده صيغة الأمر المجردة عن القرائن هل الوجوب أم الندب أم الإباحة؟

الشائع أن الأمر يفيد الوجوب، والحقيقة أن هذه المسألة فيها مباحث كثيرة للأصولين استدلالاً واعتراضاً، ونفياً وإثباتاً، ومع كل دليله، وله اجتهاده ورأيه، فمن قائل بأن الأمر يفيد الوجوب، ومن قائل بغير الوجوب، ومن قائل بالندب، ومن قائل بالإباحة، ونشير إلى مجموعة من الآراء مختصرة(١) :

ومما قاله الأصوليون في هذه المسألة: صيغة الأمر ترد لمعانٍ كثيرة منها(٢) :

١ - **الوجوب:** مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور: ٥٦).

٢ - **الندب:** مثل قوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ (النور: ٣٣).

٣ - **الإباحة:** مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (المائدة: ٢).

٤ - **التهديد:** مثل قوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فُصِّلَت: ٤٠).

٥ - **الإرشاد:** مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

٦ - **التاديب:** مثل قوله ﷺ لعبد الله بن عباس وكان صغيراً: «كُل مما يليك»(٣).

٧ - **التعجيز:** مثل قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣).

---

(١) هذا الاختصار لسببين: ١ - حتى لا يطول البحث ٢ - حتى نترك مجال للبحث والاطلاع.

(٢) الوجيز، د. زيدان، ص ٢٨٧، نقلاً عن الآمدي، جـ٢، ص ٢٠٧، وما بعدها.

(٣) رواه البخاري، أطعمة برقم ٥٣٧٦، ومسلم، أشربة ٢٠٢٢ .

٨- **الدعـاء:** مثل قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا ﴾ (نوح: ٢٨).

٩- **الامتنان:** مثل قوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (الأنعام: ١٤٢).

١٠- **الإكرام:** « مثل قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴾ (الحجر: ٤٦)، ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ (ق: ٣٤).

١١- **الإهانة:** مثل قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٩).

ولما وردت صيغة الأمر في هذه المعاني الكثيرة حصل الاختلاف فيما أُرِيدَ بالأمر!!

والاتفاق حاصل على أن صيغة الأمر ليست حقيقة في جميع هذه المعاني، فهي مجاز في غير الوجوب والندب والإباحة.

والاختلاف في: هل الأمر وضع للدلالة على هذه المعاني الثلاثة، أو على بعضها، أو على واحد منها؟

قال بعض العلماء: إن الأمر مشترك بين هذه المعاني الثلاثة بالاشتراك اللفظي، ولا يتبين المعنى المراد إلا بمرجح.

وقال آخرون: الأمر مشترك بين الإيجاب والندب اشتراكاً لفظياً، ولابد من مرجح لتعيين أحدهما.

وقال آخرون ومنهم الغزالي: لا ندري أهو حقيقة في الوجوب فقط، أو الندب فقط، أو فيهما معاً بالاشتراك، فلا حكم للأمر عند هؤلاء أصلاً بدون القرينة إلا التوقف حتى يتجلى المطلوب بالأمر.

أما عامة العلماء فقالوا: إن الأمر حقيقة في واحد من هذه المعاني عيناً من غير اشتراك ولا إجمال.

واختلف هؤلاء في هذا المعنى الواحد المراد، فقال بعض أصحاب مالك إنه

الإباحة، وفي أحد قولي الشافعي إنه الندب؛ لأن الأمر وضع لطلب الفعل فلابد من رجحان جانبه على جانب الترك وأدناه الندب لاستواء الطرفين في الإباحة.

وقال الجمهور: إنه الواجب أي أن الأمر المطلق وضع للدلالة على الوجوب فهو حقيقة فيه مجاز في غيره فلا يُصار إلى غير الوجوب إلا بقرينة، فإن كانت القرينة تدل على الندب كان موجب الأمر ومقتضاه الندب، وإن كانت القرينة دالة على الإباحة كان موجب الأمر الإباحة وهكذا.

يقول د. عبد الكريم زيدان [1]:

وعلى أساس هذا يجب أن تُفهم النصوص وتستنبط الأحكام والأدلة على صحة ذلك كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿ **لاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (النور: ٦٣).

ووجه الدلالة لهذه الآية أنها مسوقة للتحذير عن مخالفة الأمر بأن تصيب المخالف فتنة او عذاب أليم... ولا يكون في مخالفة الأمر خوف الفتنة أو العذاب إلا إذا كان المأمور به واجباً إذ لا محذور في ترك غير الواجب.

ومن السنة، قول رسول الله ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**».

ما حكم الأمر بعد النهي؟

ذهب الحنابلة، وهو قول مالك وأصحابه، وظاهر قول الشافعي إلى أن الأمر بعد النهي يدل على الإباحة... واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا** ﴾ (المائدة: ٢).

وقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (الجمعة: ١٠).

---

(١) الوجيز في أصول الفقه، د. عبد الكريم زيدان، ص ٢٨٨.

وذهب آخرون أن الأمر بعد الحظر والتحريم يفيد الوجوب، وذهب الحنابلة وهو اختيار الكمال بن الهمام من الحنفية: إن الأمر بعد الحظر يرفع الحظر ويعيد حال الفعل المأمور به إلى ما كان عليه قبل الحظر فإن كان مباحاً كان مباحاً، وإن كان واجباً أو مستحباً كان كذلك، فالاصطياد كان مباحاً قبل التحريم فلما جاء الأمر به بعد زوال سبب التحريم عاد إلى الإباحة، والكسب بأسبابه كان مباحاً قبل النهي عنه عند سماع نداء الصلاة للجمعة، فلما جاء الأمر به بعد زوال المانع إلى الإباحة.

قاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب [1] :

يشترط أن يكون في مقدور المكلف، فمثلاً: تكامل العدد اللازم لأداء صلاة الجمعة هذه ليست في مقدور المكلف، أما الوضوء للصلاة يأخذ الوجوب؛ لأن الصلاة واجبة.

الخلاصة: أن الأمر بواجب أمرٌ بالشيء الذي يتوقف عليه أداء هذا الواجب.

---

(١) الواضح في أصول الفقه، د. الأشقر، ص ٣٩ .

ثانياً : المندوب

تعريفه (١) :

هو ما طلب الشارع فعله من غير إلزام، بحيث يمدح فاعله ويثاب، ولا يذم تاركه ولا يعاقب، وقد يلحقه اللوم على ترك بعضه.

أساليب المخاطبة (٢) :

١ ـ إذا قال الشارع : يسن كذا ـ يندب كذا ـ يستحب كذا . .

٢ ـ القرائن : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور: ٣٣).

أسماء المندوب :

١ ـ مرغب فيه للثواب .

٢ ـ مستحب، إحسان .

٣ ـ نفل أي طاعة غير واجبة .

٤ ـ تطوع أي أن المكلف يفعله قربة لله تعالى .

٥ ـ سنة أي طاعة غير واجبة (ما واظب عليه النبي ﷺ) .

مستحب: ما فعله مرة أو مرتين .

التطوع: ما ينشئه الإنسان باختياره ولم يرد فيه فعل

يقول د. عبدالكريم زيدان في أصول الفقه: « والمندوب يسمى أيضاً السنة والنافلة ـ والمستحب والتطوع ـ والإحسان ـ والفضيلة وكلها بمعنى الفعل من غير إلزام».

---

(١) الوجيز، د. زيدان، مصدر سابق، يقول الشيخ عبد الخالق الشريف : المندوب يحمي الواجب ويتممه، وقد يكون مندوباً بالجزء واجب الكل

(٢) تيسير أصول الفقه، مصدر سابق، ص ٤٦ .

أقسام المندوب :

■ **القسم الأول :**

أ - ما يكون فعله مكملاً ومتمماً للواجبات الدينية، كالأذان والمحافظة على الصلاة في جماعة، وهذه مندوبة جملة ولا يصح تركها (همَّ النبي أن يحرق بيوت من يتركون صلاة الجماعة)(١) .

ب - ما واظب عليه ﷺ ولم يتركه إلا نادراً للدلالة على أنه غير لازم مثل المضمضة في الوضوء، أو صلاة ركعتين قبل الفجر، وهذان النوعان (أ، ب) يطلق عليهما السنة المؤكدة أو سنة الهدي.

حكم النوعين: يثاب الفاعل ولا يأثم التارك، ولكن يستحق اللوم والعتاب، وإذا وصل اتفاق من أهل بلده على الترك (ترك الآذان مثلاً) يجب قتالهم جميعاً لاستهانتهم بالسنة.

■ **القسم الثاني :**

ما كان من الطاعات وفعله النبي ﷺ أحياناً وتركه أحياناً نحو صلاة أربع ركعات قبل العشاء وصيام الاثنين والخميس ويسمى نافلة أو مستحب.

حكمه: يثاب فاعله وتاركه لا يعاقب ولا يلام

■ **القسم الثالث :**

ما فعله الرسول ﷺ من الأمور العادية كبشر، مثل لون الثياب الأبيض، ويطلق عليه السنة الزائدة .

حكمه : من فعله وقصد به الاقتداء برسول الله ﷺ يثاب، ومن تركه لا يُعد مسيئاً، ولا يعاقب ولا يُلام.

---

(١) رواه البخاري، أذان ٢٩، وجوب صلاة الجماعة، ومسلم، مساجد ٤٢، فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها.

قاعدة: هل يجب المندوب بالشروع فيه؟

رأي الحنفية أن قول الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٣).

يدل علىٰ تحريم قطع المندوب بعد شروع المكلف فيه حتىٰ يتمه لئلا يكون بذلك قد أبطل أجر الجزء الذي فعله واستدلوا لذلك بحديث عائشة قالت: «**كنت أنا وحفصه صائمتين فعرض بنا طعام اشتهيناه فأكلنا منه فجاء النبي ﷺ فبدرتني حفصة إليه وكانت بنت أبيها فذكرت ذلك له، فقال أقضيا يوماً آخر مكانه**»(١).

ورأىٰ البعض غير ذلك: أنه معارض بحديث آخر يدل علىٰ أن الأمر فيه ليس للوجوب «**الصائم المتطوع أمير نفسه**»(٢). وعلىٰ هذا فلا يجب قضاء النوافل التي شرع فيها ولم يتمها(٣). ويستثنىٰ من هذه القاعدة الحج والعمرة.

فإن المكلف إذا دخل فيهما بالإحرام حرم عليه رفضهما، ووجب عليه الإتمام إجماعاً، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦).

---

(١) فتح الباري، ٤: ٢١٢، قال ابن حجر: قال الخلال: اتفق الثقات علىٰ إرساله عن عائشة.

(٢) أخرجه أحمد، جزء ٦: ٣٤١، والترمذي، صوم ٣٤، والحاكم، والعمل عليه عن أصحاب النبي ﷺ وسفيان وأحمد والشافعي.

(٣) لكن دلت الأحاديث علىٰ استحباب قضاء ما فات من النوافل كقضاء السنن الرواتب وصلاة الليل والوتر، الواضح في أصول الفقه، د. الأشقر، ص ٤٣.

ثالثاً : الحرام

تعريفه :

هو ما طلب الشارع الكف عنه على وجه الحتم والإلزام، فيكون تاركه قصداً مأجوراً مطيعاً ويُثَابُ، أما فاعله فيكون آثماً عاصياً ويُعَاقَب(١) .

أساليب المخاطبة (٢) :

١ ـ صيغة التحريم وما يشتق منها : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم . . ﴾ ، « **كل المسلم على المسلم حرام..**»(٣)، ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً . . ﴾

٢ ـ صيغة النهي : « وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ . . ﴾ ، ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾ ، «**لاتسأل المرأة طلاق أختها..**»(٤) .

٣ ـ صيغة الأمر بالاجتناب : ﴿ فاجتنبوا . . ﴾ ، « **اجتنبوا السبع الموبقات**»(٥) .

٤ ـ استعمال لفظ لا يحل : ﴿ ولا يحل لهن . . ﴾ ، ﴿ولا يحل لكم أن ترثوا . . ﴾ ، «**لا يحل لمسلم أن يهجر..**»(٦) .

٥ ـ ترتيب عقوبة شرعية على الفعل : ﴿ والسارق والسارقة . . ﴾ ، ﴿والزانية والزاني . . ﴾ ، «**مَنْ بَدَّلَ دينه فاقتلوه..**»(٧) ، «**ما من صاحب كنز لايؤدي زكاته..**»(٨) .

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٤٠ .

(٢) تيسير أصول الفقه، ص ٤٨ ، مصدر سابق.

(٣) رواه مسلم ، بر ٣٢ .

(٤) رواه البخاري، شروط ٨، ١١ ، قدر ٤ ، نكاح ٥٣ ، بيوع ٥٨ ، ومسلم، نكاح ٣٨، بيوع ١٢ .

(٥) رواه البخاري، وصايا ٢٣ ، حدود ٤٤ ، ومسلم، إيمان ١٤٤ .

(٦) رواه البخاري، أدب ٥٧ ، ٦٢ ، استئذان ٩ ، ومسلم ، بر ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٧) أخرجه البخاري، جهاد ١٤٩ ، اعتصام ٢٨ ، استتابة ٢ .

(٨) أخرجه مسلم ، زكاة ٢٦ .

أقسامه :

■ **القسم الأول : الحرام لذاته :**

هو ما حكم الشارع بتحريمه ابتداءً لما يترتب عليه من المضار (الزنا ـ أكل الميتة ـ شرب الخمر ـ السرقة).

حكمه : غير مشروع أصلاً فلا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه لا يصلح أن يكون سبباً شرعياً، فإذا فعله المكلف وقع باطلاً ولا يترتب عليه أثر من الآثار المحمودة، فالزنا لا يترتب عليه ثبوت النسب ولا الإرث، وبيع الميتة لا يترتب عليه انتقال ملكية المبيع إلى المشتري وتملكه له، وعقد النكاح إذا كان محله أحد المحارم يقع باطلاً.

■ **القسم الثاني : الحرام لغيره :**

هو ما يكون مشروعاً في الأصل، واقترن به وصف عارض اقتضى تحريمه، مثل: صوم يوم العيد، والصلاة في الثوب المغصوب وعلى الأرض المغصوبة، والبيع أثناء الجمعة، وبيع الربا، والخطبة على خطبة الغير، فذات الفعل مشروع ولكنه اقترن بمفسدة ومضرة.

حكمه:

أ ـ **الرأي الأول** : مشروع باعتبار أصله وذاته وغير مشروع باعتبار وصفه، فيصلح أن يكون سبباً شرعياً ويترتب عليه الآثار الشرعية، فالصلاة في الأرض المغصوبة صحيحة، وتبرأ ذمة المكلف منها، وهو آثم بالفعل.

ب ـ **الرأي الأخر:** فساد الفعل وعدم ترتب الأثر الشرعي عليه ولهذا فالصلاة في الأرض المغصوبة باطلة وكذا النكاح المقصود به التحليل.

مقارنة :

الحرام لذاته :

١ ـ إن كان محلاً للعقد كبيع الميتة يقع العقد باطلاً، ولا تترتب عليه آثار.

٢ ـ لا يباح إلا عند الضرورة وهي الخشية على النفس أو العقل أو المال أو الدين أو العرض، فأكل الميتة حرام، ولا يباح إلا إذا خشي الهلاك.

الحرام لغيره :

١ ـ إن كان محلاً للعقد مثل البيع وقت الآذان للجمعة يعتبر العقد صحيحاً وتترتب عليه الآثار وهي انتقال الملكية عليه، ولكن العاقد آثم (عند غير الحنابلة والظاهرية).

٢ ـ يباح عند الحاجة وذلك لرفع الحرج والضيق الذي يترتب على ترك العمل بها، كرؤية الطبيب عورة المرأة للعلاج . . ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة: ٦).

١ ـ هل النهي يفيد التحريم؟

صيغة النهي استعملت في عدة معان، منها :

أ ـ **التحريم:** مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الأنعام: ١٥١).

ب ـ **الكراهة:** قول النبي ﷺ: « **لا تصلوا في مبارك الإبل** »[(١)].

جـ ـ **الدعاء:** مثل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

د ـ **التأييس:** مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التحريم: ٧).

هـ ـ **الإرشاد:** مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (المائدة: ١٠١).

ولاختلاف المعاني التي يُستعمل فيها النهي اختلف العلماء في معناه الحقيقي ـ أي في حكمه[(٢)] ـ أي فيما يدل عليه النهي إذا تجرد عن القرائن، قال قوم: إنه يدل على الكراهة، وقال آخرون: مشترك بين التحريم والكراهة، وقال الجمهور: إن موجب النهي هو التحريم ولا يستعمل في غيره إلا على سبيل المجاز، والقرينة هي التي تدل على إرادة هذا المجاز.

---

(١) رواه مسلم، حيض ٩٧، وأبو داود، صلاة ٣٥، وأحمد في المسند، ٤ : ١٥٠ .
(٢) الوجيز، د. زيدان، ص ٢٩٧ .

٢ ـ قاعدة: قد يكون الشيء واجباً حراماً، وقد يمتنع ذلك (١) :

فالسجود واجب إن كان لله ، مُحرَّم إن كان لغير الله ـ الأكل في رمضان حرام في النهار غير حرام في الليل حرام من المريض إذا كان بقصد انتهاك الحرمة حلال بقصد استباحته لما أباحه الله لـه .

٣ ـ قاعدة: ما لا يتم ترك الحرام إلا به فهو واجب :

فلو اشتبه (٢) عليك لحم حرام وجب الكف عن الجميع ؛ لأن ترك اللحم المحرم هذا لا يتم إلا بترك اللحم الحلال الذي معه .

---

(١) الواضح ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) **الشبهة: لغة**: الالتباس ، جمعها : شُبه .

في الشرع: ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام ـ وحق هو أم باطل ـ يقول الإمام أحمد: الشبهة منزلة بين الحلال والحرام ، وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام .

عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»**(رواه البخاري ومسلم) .

الحلال المحض: أكل الزروع والثمار والأنعام والشراب ـ لبس القطن وغيره ـ النكاح ـ عقد البيع الصحيح ـ الميراث ـ الهبة .

والحرام المحض: مثل أكل الميتة وشرب الخمر ولحم الخنزير ـ لبس الحرير للرجال ـ نكاح المحارم ـ الربا ـ الميسر ـ الأموال المغصوبة .

المشتبه فيه: مثل أكل المختلف فيه كالخيل والبغال والحمير والضب ـ وشرب المختلف فيه كالنبيذ الذي يسكر كثيره ـ ولبس جلود السباع .

من أسباب الاختلاف في التحليل والتحريم (جامع العلوم والحكم لابن رجب ، ص ٨٨) :

١ ـ قد يكون النص خفياً فلم ينقله إلا القليل من الناس .

٢ ـ قد يُنقل نصان أحدهما بالتحليل والآخر بالتحريم فيبلغ طائفة منهم أحد النصين دون الآخر أو يبلغ النصان معاً . من لا يبلغه التاريخ فيقف لعدم معرفته بالتاريخ .

٣ ـ ليس فيه نص صريح وإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو مقياس مختلف في أفهام العلماء .

٤ ـ قد يكون فيه أمر ونهي فتختلف افهام العلماء في حمل الأمر على الوجوب أو الندب وفي حمل النهي على التحريم أو التنزيه . =

رابعاً : المكـروه

تعريفه:

هو ما طلب الشارع تركه لا على وجه الحتم والإلزام. . أو هو (ما يمدح تاركه ولا يذم فاعله).

أساليب المخاطبة :

١ ـ صيغة النهي المقترنة بما يدل على الكراهة : ﴿ **لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** . . . ﴾ نهي كراهة وليس نهي تحريم لوجود قرينة ﴿ **وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ** . . . ﴾ (المائدة: ١٠١).

٢ ـ صيغة الأمر المفيدة للترك المصحوبة بقرينة تصرفها عن التحريم إلى الكراهة :
كراهة البيع وقت النداء : ﴿ إذا نودي. . ﴾ ليس للبيع ولكن لوقت العبادة.

٣ ـ صيغة كره أو (أكره، أبغض) كقول رسول الله ﷺ : « **إن الله حرم عقوق الأمهات ـ وكره لكم القيل والقال..** »(١) . و حديث : «**أبغض الحلال إلى الله..**»(٢).

= ٥ ـ قد يقع الاشتباه في الحلال والحرام من وجه آخر وهو أن من الأشياء :
ـ ما يُعلم سبب حله وهو الملك المتيقن ولا تزول إباحته إلا بيقين زوال الملك عنه.
ـ ما يُعلم سبب تحريمه وهو ثبوت ملك الغير وهذا لا يزول تحريمه إلا بيقين العلم بانتقال الملك فيه.
ـ أما ما لا يُعلم له أصل ملك كما يجده الإنسان في بيته ولا يدري هل هو له أو لغيره فهذا مشتبه فيه ولا يحرم عليه تناوله؛ لأن الظاهر أن ما في بيته ملكه لثبوت يده عليه والورع اجتنابه قال ﷺ : «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها**» (رواه البخاري ومسلم).

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، ومسلم في الأقضية، وأحمد في المسند، ورواه الدارمي برقم ٢٧٥١ .

(٢) رواه أبو داود، طلاق ٣، وابن ماجة، طلاق ١، وصححه الحاكم.

أقسامه :

■ **عند الجمهور :**

نوع واحد سواء كانت نفسها دالة على الكراهة : « **إن الله يكره قيل وقال**»، «**أبغض الحلال عند الله الطلاق**»، ، أو كانت الصيغة من صيغ النهي وقامت القرينة على صرفها من التحريم إلى الكراهة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ** . . ﴾، والقرينة هنا قوله تعالى : ﴿**وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا**﴾ .

حكمه : لا يأثم فاعله وإن كان ملومًا . . وتاركه يمدح ويثاب إن كان تركه لله .

■ **عند الأحناف: المكروه نوعان :**

الأول : المكروه تحريماً: ما طلب الشارع من المكلف الكف عنه حتماً بدليل ظني لا قطعي مثل : الخطبة على خطبة الغير ـ البيع على بيع الغير ـ فقد ثبت كل منهما بخبر الآحاد وهو دليل ظني ، وعند التحقيق نجد أن المكروه تحريماً عند الأحناف قسم من الحرام، ولكن ثبت تحريمه بدليل ظني .

حكمه: نفس حكم المحرم عند الجمهور (يستحق فاعله العقاب وإن كان لا يكفر لأنه دليل ظني)

الثاني: المكروه تنزيهاً: ما طلب الشارع الكف عنه طلباً غيرَ مُلزمٍ للمكلف (أكل لحوم الخيل للحاجة في الحروب، الوضوء من سؤر السباع) .

حكمه: فاعله لا يذم ولا يعاقب وإن كان فعله خلاف الأولى والأفضل .

■ **الأحناف :**

نَظروا إلى دليل طلب الكف الإلزامي ، إن كان الدليل قطعي فهو المُحَرَّم، وإن كان الدليل ظني فهو المكروه تحريماً، وإن كان الكف غير إلزامي فهو المكروه تنزيهاً . والدليل من حيث دلالته (قطعي أو ظني)، ومن حيث ثبوته (قطعي أو ظني) .

■ **الجمهور :**

نَظروا إلى طبيعة طلب الكف عن الفعل (إلزاماً فهو المحرم، غير إلزامي فهو المكروه) .

خامساً : المُبـاح

تعريفه:

هو ما خَيَّرَ الشارع المكلف بين فعله وتركه ولا مدح ولا ذم على الفعل أو الترك ويقال له: الحلال ـ المباح ـ وهو غير مأمور به (١).

أساليب المخاطبة:

١ ـ صيغة الأمر المقترنة بقرينة تدل على الإباحة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا. . . ﴾، ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ. . ﴾، منع من الانتشار ثم أمر به ومنع من الاصطياد ثم أمر به، وعلماء الأصول يقولون: الأمر بعد الحظر يفيد رجوعه إلى حكمه الذي كان عليه قبل النهي.

٢ ـ نفي الإثم: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ. . ﴾، ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ. . ﴾.

٣ ـ نفي الجناح: ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ. . ﴾، ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ. . ﴾.

٤ ـ نفي الحرج: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ. . ﴾.

٥ ـ التعبير بلفظ الحل: ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ. . ﴾، ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ. . ﴾.

٦ ـ استصحاب الأصل: الأصل في الأشياء الإباحة. . وخلق ما في السماوات والأرض. . للانتفاع وهذا لا يكون إلا مباحاً.

حكمه: لا يتعلق بفعله ثواب ولا بتركه عقاب بل فعله مماثل لتركه.

---

(١) الشوكاني، ص ٦ ، الشاطبي، جـ ١ ، ص ٤٠ .

ويلاحظ أن المباح[1] :

١ - **يتجه إلى الجزئيات لا إلى الكليات**، فمثلاً الأكل مباح فالمكلف يختار الأنواع وكذا الوقت والتمتع بالطيبات من مأكل وملبس مباح للمكلف حتى ولو تركه لوقت مع القدرة فلا حرج عليه، ولكن لو تركه جملة لكان على خلاف المندوب شرعاً: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته..**»، «**إذا وسع الله عليكم فأوسعوا..**»، إذاً ترك الطيبات بالجملة مكروه وأخذها من حيث الجملة مندوب

٢ - **والتخيير في جزئياتها فعلاً ووقتاً وتركاً مباح حلال** : فاللهو البريء واللعب في البساتين مباح ولكن لو اتخذ عادة وقضى أوقاته فيه يصير مكروهاً، فالكراهة هنا منصبة على الدوام . . ووطء الأزواج زوجاتهم مباح ولكن تركه بالدوام والاستمرار حرام . . فالحرمة منصبة على تركه جملة والإباحة على جزئيات الوطء وأوقاته .

قاعدة : دخول المباح تحت التكليف :

ما نص الشرع على أنه حلال: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ** ﴾ (المائدة: ٩٦)، ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ** ﴾ (المائدة: ١)، ونص الشارع على أنه مأذون به كقول الصحابي: «أَذِن النبي في لحوم الخيل»، وأما المسكوت عنه ولم يدل على أن له حكماً معيناً فبقي على الأصل من أن كل شيء مسكوت عنه فهو مباح[2] ، فهذا لايدخل في الأحكام الشرعية أصلاً، بل «إباحته عقلية»[3] .

---

(١) الوجيز ، د. عبد الكريم زيدان، ص ٤٧ .

(٢) بالإضافة إلى ما ذكرناه في الفصل الثاني من هذا الباب «مقاصد السكوت التشريعي» يذكر د. محمد بكر إسماعيل في كتابه القواعد الفقهية، الباب السادس، القاعدة الثالثة، ص ١٤٤ : «لا يُنسب لساكت قول، لكن السكوت في معرض الحاجة بيان»، ومعنى الفقرة الأولى أنه لا يُنسب لساكت قول لم يقله بالظن والتخمين، أو بتوقع قوله بيع شيء أو بالإذن فيه، والفقرة الثانية معناها: أن السكوت فيما يلزم التكلم به بيان.

(٣) الواضح في أصول الفقه، د. الأشقر، ص ٤٤ .

قاعدة : المباح قد يكون واجباً من حيث الأصل :

أكل أنواع الأطعمة كالفواكه والخبز وغيرها مباح بالنظر إلىٰ كل فرد منها، فالإنسان أن يأكل أو يترك لكن أصل الأكل واجب؛ لأن تركه بالكلية يؤدي إلىٰ الهلاك وقتل النفس، فيجب عليه إحياءً لنفسه.

قاعدة : انقلاب المباح مستحباً أو واجباً أو محرماً أو غير ذلك باختلاف النيات والأحوال:

أكل الطعام مباح لكن إن إستحضر الطاعم نيّة التقوّىٰ علىٰ العبادة أو الجهاد انقلب مستحباً ويؤجر عليه فإن أراد التقوىٰ علىٰ المعصية حرم.

وكذلك : اكتساب المال مباح فإن قصد المسلم كفّ وجهه والإنفاق علىٰ أهله أصبح الاكتساب في حقه مندوباً ويؤجر عليه فإن أراد التقوىٰ علىٰ المعصية حرم.

وينقلب المباح واجباً إذا تعين طريقاً لأداء الواجب كما في قاعدة : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وينقلب المباح حراماً إن كان فعله يؤدي إلىٰ حرام كسقي الزرع ماءً يحتاجه لإحياء نفوسهم.

قاعدة: الأصل في العبادات التحريم والأصل في غيرها الإباحة (١) :

لا يجوز للإنسان أن يفعل فعلاً يقصد به التعبد لله ما لم يكن لذلك الفعل دليل شرعي؛ لأن الله تعالىٰ لا يُعْبَدْ إلا بما شَرَع.

والذي يدَّعي أن الفعل المعين مشروع كعبادة يُقال له هات الدليل علىٰ كونه عبادة، وليس له حينئذ أن يقول إن هذا الفعل غير مشروع، فما دليل عدم مشروعيته؟

بمعنىٰ أن مُثبت العبادة عليه أن يأتي بالدليل؛ لأن الأصل في العبادة المنع والنافي للعبادة لا دليل عليه؛ لأن الأصل معه ومن يوافق الأصل فليس عليه أن يأتي بالدليل.

أما سوىٰ العبادات فالأصل فيها الإباحة وليس التحريم، فالله تعالىٰ خلق الأرض وسخرها لمصلحة بني آدم، فأنواع الطعام والمواصلات والمرافق والأدوات

---

(١) الواضح في أصول الفقه، د. الأشقر، ص ٤٥ ، ٤٦ .

والعادات، وكذلك المعاملات الأصل فيها الإباحة، فمن أباحها فلا يلزمه إقامة الدليل.

ومن ادعى تحريم شيء من ذلك طولب بالدليل، فإن لم يكن معه دليل على التحريم فقوله مردود وهو آثم ومن حرم ما لم يحرمه الله فهو كمن أحل ما حرم الله ودليل القاعدة قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٠).

العام والخاص:

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

اشتهر على ألسنة الأصوليين والفقهاء قولهم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويريدون بهذه العبارة أن العام يبقى على عمومه وإن كان وروده بسبب خاص، كسؤال أو واقعة معينة، فالعبرة بالنصوص وما اشتملت عليه من أحكام، وليست العبرة بالأسباب التي دعت إلى مجيء هذه النصوص، فإذا جاء النص بصيغة عامة لزم العمل بعمومة دون التفات إلى السبب الذي جاء به النص من أجله، سؤالاً كان هذا السبب أو واقعة حدثت؛ لأن مجيء النص بصيغة العموم يعني أن الشارع أراد أن يكون حكمه عاماً لا خاصاً بسببه[(١)].

الأمثلة لذلك:

١ ـ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟»، فقال رسول الله ﷺ: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**»[(٢)]. وهذا الحكم عام حال السعة والاضطرار،

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٣١٩.

(٢) رواه أبو داود، طهارة ٤١، والنسائي، طهارة ٤٦، مياه ٤، صيد ٣٥، ابن ماجة، طهارة ٣٨، صيد ١٨، ومالك، طهارة ١٢، صيد ١٢، والدارمي، وضوء ٥٣، والترمذي، طهارة ٥٢، وقال الترمذي: هذا الحديث حسن صحيح، وسألتُ محمد بن اسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال: حديث صحيح.

والحكم لا يختص بالسائل بل يعم الجميع .

٢ ـ حديث أن النبي ﷺ مر بشاة ميتة فقال : «**هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به؟**»[١]، وهذا : الحكم ليس خاصاً بهذه الشاة، بل حكم عام يشمل كل جلد من حيث طهارته بالدباغة .

٣ ـ آية اللعان نزلت في واقعة قذف هلال بن أمية زوجته؛ إلا أنها عامة في جميع الأزواج إذا قذفوا زوجاتهم[٢] .

---

(١) رواه مسلم، حيض ١٠٠، ١٢٠ .

(٢) راجع علوم القرآن من هذا الباب لتفصيل العام والخاص.

العزيمة والرخصة [1]

العزيمة في اللغة : هي القصد على وجه التأكيد، قال تعالى: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه: ١١٥). أي ليس من آدم عليه السلام قصد مؤكد على عصيان أمر ربه.

العزيمة شرعاً : هي الحكم الوارد على فعل غير منظور فيه للعذر[2]، كوجوب الصلاة تامة في الأحوال العادية، ووجوب صيام رمضان كذلك، وتحريم أكل الميتة.

والرخصة في اللغة : السهولة واليسر.

والرخصة شرعاً : هي الحكم الوارد على فعل لأجل العذر استثناءً من العزيمة[3]، كقصر المسافر للصلاة، وإفطار المريض المقيم، وأكل المضطر للميتة.

أنواع الرخص :

قسمها د. عبدالكريم زيدان كالآتي :

أولاً : إباحة المحرم عند الضرورة، فمثلاً تلفظ بكلمة الكفر بالضرورة مع الاطمئنان القلبي، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ (النحل: ١٠٦)، وكذا أكل الميتة وشرب الخمر للضرورة.

ثانياً : إباحة ترك الواجب: الفطر للمسافر في رمضان والمريض - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان الحاكم طاغية ظالم يقتل.

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٤٩ .

(٢) الواضح في أصول الفقه، د. محمد الأشقر، طبعة دار السلام، ٢٠٠٤م.

(٣) المصدر السابق.. وفي مذكرة أصول الفقه للشنقيطي، العزيمة هي: الحكم الثابت من غير مخالفة دليل شرعي، والرخصة هي: الحكم الشرعي الذي غير من صعوبة إلى سهولة لعذر اقتضى ذلك مع قيام سبب الحكم الأصلي.

ثالثاً : تصحيح بعض العقود التي يحتاجها الناس، مثل : (بيع السلم، أباحه الشارع مع أنـه بيع معدوم، وعقد الاستصناع أباحه الشارع مع أنه بيع معدوم).

حكم الرخصة :

الأصل في الرخصة الإباحة (١) : أي إباحة فعل المحظور وترك المأمور به، فالفطر للمسافر والمريض عملاً بالرخصة والصيام عملاً بالعزيمة، إذا لم يضرهما الصوم وهذه رخصة الترفيه على اصطلاح الحنفية.

وقد يكون الأخذ بالعزيمة أولى مع إباحة الأخذ بالرخصة، كعدم النطق بكلمة الكفر فالعزيمة أولى لأن في ذلك إظهار الاعتزاز بالدين، والصلابة بالحق، وإغاظة الكافرين، وإضعاف نفوسهم، وتقوية معنويات المؤمن.

الدليل: أخذ اتباع مسيلمة الكذاب رجلين مسلمين وذهبوا بهما إليه، فسأل أحدهما: «ماذا تقول في محمد؟»، قال: «هو رسول الله ﷺ».

قال: «فما تقول فيَّ؟»، قال: «أنت أيضاً»، فتركه ولم يمسه بسوء.

ثم سأل الآخر عن محمد، فقال: «هو رسول الله ﷺ.

فقال: «فما تقول فيَّ؟»، قال: «أنا أصم لا أسمع»، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه فقتله، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال:

«أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له»(٢).

وقد يكون الأخذ بالرخصة واجب، كتناول الميتة عند الضرورة حيث إذا لم يأكلها مات جوعاً، فإن لم يفعل كان آثماً لتسببه في قتل نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾.

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٥١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، جـ١، ص ١٨٩ ـ الوجيز في أصول الفقه، د. عبدالكريم زيدان، ص ٥١، طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

الدعاة بين العزيمة والرخصة :

إذا أخذ الدعاة أنفسهم بالرخص لن يفعل الناس شيئاً . . فالدعاة لابد وأن تكون همتهم العزائم . . فعلىٰ الدعاة :

١ ـ أن يأخذوا بعزيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو أدىٰ إلىٰ القتل، وهذا هو الأولىٰ، يدل عليه ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر ينهاهُ فأمر بقتله**»(١)، فَأَمْرُ الحاكم الظالم ونهيه مع احتمال بطشه أولىٰ من سكوت عنه، ولأن الأمر بالمعروف ضرب من ضروب الجهاد، ولا يجوز للأمة أن تتخلىٰ عنه، ولو أدىٰ ذلك إلىٰ قتل بعض الأفراد.

٢ ـ أن يأخذوا أنفسهم بالعزيمة في الصلوات جماعة في المساجد، وخاصة صلاة الفجر.

٣ ـ أن يأخذوا أنفسهم بالعزيمة في صيام جميع التطوع، حتىٰ يقتدي الناس بهم في سلوكهم.

٤ ـ أن يعلموا أنهم امتداد لعمل الأنبياء، وخاصة أتباع النبي ﷺ، فقد قال الله للنبي ﷺ : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ . . .** ﴾ (الأحقاف : ٣٥).

أسباب الرخصة (٢) :

تنحصر أسباب الرخصة في :

١ ـ **الضرورة :** إشراف الإنسان علىٰ الهلاك بسبب الجوع يباح له الأكل من الميتة، قال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (البقرة : ١٧٣).

٢ ـ **رفع الحرج والضيق :** إفطار المسافر والمريض في رمضان مباح لرفع الحرج والضيق عن الناس، قال تعالىٰ : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (الحج : ٧٨).

---

(١) أخرجه الترمذي، والحاكم في المستدرك، وقال : صحيح الإسناد، وفي الترغيب رقم ٣٣٤٦ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) تيسير أصول الفقه، د. مصطفىٰ فياض، ص ٧٤، طبعة دراسية.

فائـدة :

هذه الأشياء ليست من الرخصة:

١ ـ إفطار الحائض ليس رخصة ؛ لأنه حكم ابتدائي وكذا عدم صلاتها .

٢ ـ الحكم الثابت بدليل مرجوح لا يسمىٰ رخصة ، مثل عدم إيجاب الوضوء من مس الذكر الثابت بدليل مرجوح : « **إنما هو بضعة منك**»[١] .

٣ ـ قصر الرباعية في السفر عند الأحناف ليس رخصة ، لأنه حكم ابتدائي لا رخصة فيه لحديث عائشة : « **فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فَأُقِـرَّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر** »[٢] .

---

(١) أخرجه الخمسة ، وصححه الترمذي ، طهارة ٦٢ ، برقم ٨٥ ، وابن حبان ، ، وقال البخاري : هو أصح شيء في هذا الباب .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، ومسلم في صلاة المسافرين ، ومالك في الموطأ ، باب قصر الصلاة في السفر ، رقم ٨ .

المحور الرابع : الحكم الوضعي

الحكم الوضعي: هو خطاب الله بجعل أمراً ما علامة على أمر آخر(١)، وإنما سمي خطاب الله؛ لأن الشرع وضع الخطاب بالأسباب والشروط والموانع.

وقيل: هو جعل شيء سبباً لآخر أو شرطاً له أو مانعاً منه(٢).

والأحكام الوضعية خمسة: السبب - الشرط - المانع - الصحة - الفساد.

أولاً: السبب:

قال الله تعالىٰ: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾ (الإسراء: ٧٨).

فجعل دلوك الشمس (الزوال) سبباً أي علامة بينت بها وجوب الظهر.

وجعل النصاب سبب لوجوب الزكاة...

والإتلاف سبب لوجوب الضمان - والجنابة سبب لوجوب الغسل - والحنث في اليمين سبب لوجوب الكفارة - والنطق بالطلاق سبب لوقوع الفرقة حتىٰ ولم يقصد الفرقة - وعقد البيع سبب لتملك المشتري للسلعة وتملك البائع للثمن.

وهذه الأسباب لم تكن موجبة لهذه الأحكام لذاتها ولكن الشرع جعلها موجبة.

والواضح هنا هذا الجعل المذكورة أمثلته.

تعريف السبب:

وصف ظاهر منضبط يثبت الحكم به من حيث إن الشارع علقه به، وعلامته أنه يلزم من وجوده الوجود ويلزم من عدمه العدم.

---

(١) الواضح في أصول الفقة، د. محمد عبدالله الأشقر، ص ٤٨.

(٢) الوجيز، د. زيدان، ص ٥٥.

يقول د.عبدالكريم زيدان: السبب هو أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم وعدمه علامة على عدم الحكم كالزنا لوجوب الحد.

أقسام السبب:

١ ـ سبب ليس فعلاً للمكلف ولا مقدوراً له، ومع هذا إذا وجد وجد الحكم؛ لأن الشارع ربط الحكم به وجوداً وعدماً فهو أمارة لوجود الحكم وعلامة لظهوره، كدلوك الشمس لوجوب الصلاة.

٢ ـ سبب هو فعل للمكلف وفي قدرته كالسفر لإباحة الفطر، والقتل العمد لوجوب القصاص، وهذا القسم ينظر فيه لأمرين:

الأول: باعتباره فعلاً للمكلف فيكون داخلاً في خطاب التكليف وتجري عليه أحكامه في الفعل او الترك أو التخيير.

الثاني: باعتبار ما رتب عليه الشارع من أحكام أخرى فيُعد من أقسام الحكم التكليفي فالبيع مباح وهذا حكم تكليفي وهو سبب لثبوت ملك البائع للثمن المشتري للمبيع وهذا حكم وضعي ومثل القتل العمد . . . مطلوب الترك جزماً وهذا حكم تكليفي وهو سبب وجوب القصاص وهذا حكم وضعي.

السبب أو العلة:

ما جعله الشارع علامة على الحكم وجوداً وعدماً.

- أما أن يكون مؤثراً في الحكم مثل السفر لإباحة الفطر ـ السُكر لتحريم الخمر ـ الصغر للولاية على الصغير، في هذه الحالة يدرك العقل وجه المناسبة بين السبب والحكم، فالسفر: مظنة المشقة فيناسبه الترخيص ـ والسُكر يفسد العقول فيناسبه الحكم بتحريم الخمر . . . هذا السفر والسُكر يسمى علة ويسمى سبباً.

- وأما أن تكون مناسبته للحكم خفية لا يدركها العقل كجعل الزوال سبب لصلاة الظهر ـ شهود رمضان لوجوب الصيام ـ العقل لا يدرك المناسبة بين الزوال وصلاة الظهر ـ وبين شهود رمضان وبين وجوب الصيام وهذا يسمى سبب فقط وعلى هذا فكل علة سبب وليس كل سبب علة.

ثانياً: الشرط:

ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم، فالطهارة شرط لصحة الصلاة... يلزم من عدمها عدم صحة الصلاة - ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم، فلا يلزم كلما توضأت أن أصلي.

الفرق بين الركن والشرط:

الركن: جزء من الحقيقة، أي من ما هية الشيء[1] كالركوع والسجود في الصلاة.

الشرط: خارج عن ما هية الشيء: الوضوء شرط لصحة الصلاة.

مثال: الإيجاب والقبول في عقد النكاح كل منهما ركن - وحضور الشاهدين شرط لصحته ولكنه خارج عن حقيقته.

الشرط والسبب[2]:

يتفق الشرط والسبب من جهة أن كلاً منهما مرتبط بشيء آخر، بحيث لا يوجد هذا الشيء بدونه وليس أحدهما بجزء من حقيقته، ويختلفان في أن وجود السبب يستلزم وجود المسبب إلا لمانع، أما الشرط فلا يلزم وجوده وجود المشروط فيه.

الشرط نوعان[3]:

١ - شرط وجوب: كالحول فإنه شرط لوجوب الزكاة.

٢ - شرط صحة: كما في الطهارة للصلاة.

وقد يكون الشيء الواحد شرط وجوب وشرط صحة كدخول وقت الصلاة.

ثالثاً: المانع:

هو ما رتب الشارع على وجوده عدم وجود الحكم أو عدم السبب (أي

---

(١) ما هية الشيء: أسبابه ومكوناته مثل: ما هية الصلاة تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، وما هية الصيام: الامتناع عن الطعام والشراب والجماع من الفجر الصادق إلى غروب الشمس، أما الهلال من خارج الماهية.

(٢) الوجيز، د. زيدان، ص ٦٠.

(٣) الواضح في أصول الفقه، د. الأشقر، ص ٥٠.

بطلانه)، أو هو: وصف وجودي ظاهر منضبط يمنع ثبوت الحكم - أي ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه عدم ولا وجود. . . (المانع . . . حال دون الحكم الشرعي . . . توضأت ثم جاء الحيض).

أنواعه:

١ - **مانع للحكم (مانع وجوب)** ما يترتب على وجوده عدم وجود الحكم بالرغم من وجود سببه المستوفي لشروطه، فلو قتل رجل رجلاً عمداً وجب عليه القصاص فإذا علمنا أن القاتل أبٌ للمقتول امتنع القصاص، فيُقال الأبوة مانعة من وجوب القصاص.

٢ - **مانع السبب:** مثل قتل الوارث مورثه، وقيل هناك مانع صحة: فالعدة مانعة من صحة نكاح المرأة إذا وقع العقد أثناءها، وكذا الدين مانع من وجوب الزكاة

رابعاً: الصحة والبطلان (١) :

أفعال المكلفين إذا وقعت مستوفية أركانها وشروطها حكم الشارع بصحتها وإذا لم تقع على هذا الوجه حكم الشارع بعدم صحتها أي ببطلانها.

معنى الصحة:

تكون في العبادات والمعاملات، فالصحيح من العبادات ما وافق الشرع باستكمال الأركان والشروط، أو انعدام الموانع، أي تترتب عليها آثارها الشرعية:

١ - إذا كانت في العبادة برئت ذمة المكلف منها مثل الصلاة المستوفية لأركانها وشروطها.

٢ - إذا كانت من العادات (المعاملات) كعقود البيع - الإجارة - النكاح - تترتب على كل عقد الآثار المقررة له شرعاً، بمعنى أن يكون العقد غير مخالف للشرع بفقد ركن أو شرط أو بوجود مانع مثل: إذا صح عقد النكاح ترتب عليه:

أ - حلٌّ لكل من الزوجين التمتع بالآخر.

ب - استحقت المرأة النفقة والسكنى.

جـ - ثبت نسب ولد المرأة من زوجها.

د - يرث كل من الزوجين الآخر (توارثا بالزوجية).

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٦٤ .

خامساً: الفساد :

الفاسد هو: ما فقد ركناً من أركانه أو شرطاً من شروطه أو وجد مانع من صحته.

مثال: صلىٰ بغير وضوء - أو صلىٰ إلىٰ غير القبلة - أو ترك ركوعاً أو سجوداً(١).

وكذا إذا تزوجت المرأة بغير ولي فنكاحها فاسد أو تزوجها بغير شهود أو تزوجها وهي في عدتها (٢).

الفاسد من العبادات:

لا تبرأ به الذمة، والفاسد من المعاملات لا ينتج آثاره.

ويحرم علىٰ المسلم الإقدام علىٰ عقد فاسد أوعبادة فاسدة وهو يعلم؛ لأن الفاسد منهي عنه شرعاً.

بين الفساد والبطلان:

كل عبادة أو عقد أو تصرف فقد بعض أركانه أو بعض شروطه فهو باطل أو فاسد ولا يترتب عليه أثره الشرعي، وفي اصطلاح جمهور الفقهاء الباطل مرادف للفاسد، فكل عقد حُكم عليه بأنه فاسد فهو عندهم باطل لم ينعقد أصلاً إلا في النكاح.

متى يكون عقد النكاح باطلاً ؟ ومتى يكون فاسداً؟

- **النكاح الباطل** هو ما اجتمعت الأمة علىٰ بطلانه كزواج الرجل أمه أو أخته من الرضاعة.
- **النكاح الفاسد** هو ما اختلفوا في فساده، كالنكاح بغير ولي، أو النكاح بغير شهود يجب المهر إذا حصل فيه دخول، وتجب علىٰ المرأة العدة عند الفرقة ويثبت فيه النسب رعاية لحق الطفل.

---

(١) ترك الركوع أو السجود نسياناً يلزمه ركعة مكان التي نسي فيها الركن (أي يُسقط هذه الركعة من العدد كأنها لم تكن) ولا تفسد الصلاة كلها إلا إذا تعمد هذا الترك (انظر المغني، جـ ٢، ص ٢٢٨).

(٢) الواضح في أصول الفقه، د. الأشقر، ص ٥٣.

أما الأحناف فقد فرقوا بين البطلان والفساد في المعاملات :

- إذا كان الخلل في الركن . . . الحكم البطلان .
- إذا فقد بعض الشروط . . . الحكم الفساد .

الخلاصة :

- **السبب** :(من خارج الماهية) يثبت بوجوده الحكم وينعدم بعدمه الحكم .
- **العلة** : (من داخل الماهية جزء من الماهية) يثبت بوجوده الحكم وينعدم بعدمه الحكم مثل تحليل الخمر .
- **الشروط** :(من خارج الماهية) ليس يثبت بوجوده الحكم .
- **الركن** : (من داخل الماهية) ليس يثبت بوجوده الحكم وينعدم بعدمه الحكم(١) .
- **المانع** : (من خارج الماهية) رتب الشارع على وجوده عدم الحكم أو عدم السبب .

مصطلحات مشابهه لما ذُكر(٢) :

- **الأداء** : هو فعل العبادة في وقتها المحدد لها شرعاً، فإن أدرك المكلف من الصلاة ركعة في الوقت فكلها أداءً .
- **الإعادة** : فعل العبادة في وقتها المحدد لها شرعاً مرة أخرىٰ لنوع من الخلل مفسداً كان أو غير مفسد، والإعادة إن فعلت في الوقت فهي نوع من الأداء إن كان الفعل الأول فاسداً .
- **القضاء** : فعل العبادة بعد وقتها المحدد لها لفساد الأداء أو لتركها في الوقت بالكلية لعذر كترك الحائض الصوم، أو ترك المريض الصوم، ولا يجبُ القضاء إلا بأمر جديد للحديث : «**من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يذكرها**»(٣) . والقضاء يكون في السنن أيضاً وخالف ذلك المالكية، فالنوافل عندهم لا تُقضىٰ بل القضاء خاص بالواجبات .

---

(١) السجود في الصلاة إذا انعدم بطلت صلاته .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٥ . (٣) البخاري، مواقيت ٣٧، ومسلم، مساجد ٣٠٩ .

- **الإكراه :** هو من الأشياء التي ترفع التكاليف الشرعية ، والإكراه هو حمل الغير بالتهديد بأمر فيه ضرر شديد أو يفعل ما لا يرضاه ولا يختار فعله لو خُلي ونفسه ، وهذا الأمر له ضوابطه بحديث : **«رفع الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»**(١) .

الواقع إزاء البطلان والفساد :

بالرغم من هذه الدقة في استنباط الأحكام الفقهيه ، إلا أن الواقع الاندفاع وبسرعة في إصدار الأحكام بالبطلان والفساد على الأعمال ، فتجد انتشار أحكام البطلان والفساد مثل : هذه الصلاة باطلة . . هذا الصيام باطل . . حجك باطل . . وبذلك تُرمىٰ معظم أعمال الناس بالبطلان والفساد . . وهذا أمر لا يجب أن يكون موجوداً ، وأرىٰ أن لذلك أسباباً كثيرة من أبرزها مخالفة الآخر في الرأي الفقهي فيرمي غيره بالبطلان أو الفساد ، حتىٰ لو كان في ذلك مخالفة لنص في الكتاب أو السنة(٢) .

والواجب ألا تصدر أحكام على الأعمال بالبطلان أو الصحة إلا إذا كانت مبنية علىٰ أسس وقواعد أصولية لها أدلتها حتىٰ لا نُبطل أعمالنا وتتفرق أمتنا ، والدليل علىٰ ذلك حديث : **«أخُفِّفت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»** ، قال : **«لم أنس، ما قصرت وما نسيت»**(٣) .

---

(١) رواه ابن ماجة ، طلاق ١٦ ، وابن حبان ، والطبراني ، و الدارقطني ، و الحاكم ، وحسّنه النووي .

(٢) كنت أتحدث في مناسبة زواج في المسجد فذكرت حديث : «واضربوا عليه بالدف» (الغربال) فرد أحد الحضور وقال : ولكن الشيخ فلان قال لا يوجد دف ، فقلت له : الرسول ﷺ قال ، وأنت تقول الشيخ فلان قال؟» ، راجع المسائل الفقهيه في هذا الباب .

(٣) البخاري ، أذان ٦٩ ، سهو ٤ ، إيمان ١٥ ، ورواه مسلم ، مساجد ٩٧ ـ ٩٩ .

المحور الخامس : الأحكام الشرعية

الأحكام الشرعية تُعرف عن طريق الأدلة، وهذه الأدلة تسمىٰ أصول الفقه أو المصادر الشرعية للأحكام، أو أدلة الأحكام، وكلها أسماء مترادفة.

الدليل لغة: ما فيه دلالة وإرشاد إلىٰ أي أمر من الأمور.

في اصطلاح الأصوليين: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلىٰ مطلوب خبري[1]، والمطلوب الخبري هو الحكم الشرعي.

يقول الشاطبي : والأدلة الشرعية لا تنافي العقول؛ لأنها منصوبة في الشريعة لتعرف بها الأحكام وتستنبط منها فلو نافتها لفات المقصود منها، كما أن الاستقراء دل علىٰ جريان الأدلة علىٰ مقتضىٰ العقول بحيث تقبلها العقول السليمة وتنقاد لمقتضاها[2].

الأدلة الشرعية تنقسم إلى :

القسم الأول من حيث الاتفاق والاختلاف :

١ ـ مُجمع عليها: القرآن ـ السنة.
٢ ـ اتفق عليها جمهور المسلمين: الإجماع ـ القياس.
٣ ـ محل اختلاف بين العلماء: العرف ـ الاستصحاب ـ الاستحسان ـ المصالح المرسلة ـ عمل أهل المدينة ـ شرع من قبلنا ـ مذهب الصحابي ـ سد الذرائع.

القسم الثاني من حيث النقل والعقل :

١ ـ أدلة نقلية: كتاب وسنة ـ ويلحق بهما الإجماع ـ مذهب الصحابي ـ شرع من قبلنا.
٢ ـ أدلة عقلية: ترجع إلىٰ النظر والرأىٰ: القياس ويلحق بها الاستحسان ـ المصالح المرسلة ـ الاستصحاب.

---

(١) الآمدي، جـ ١٣، ص ١١، نقلاً عن الوجيز.

(١) الموافقات، للشاطبي، جـ٣، ص ٢٧.

وهذا التقسيم بالنسبة لأصول الأدلة: أما الأنواع كلها تفتقر إلى بعضها، فالرأي لا يكون صحيحاً إلا إذا أسند إلى النقل؛ لأن العقل المجرد لا دخل له في تشريع الأحكام(١).

وسوف نتناول الأدلة الشرعية تفصيلاً لبعضها وإيجازاً للبعض الآخر لأنه إما فُصل في الموسوعة أو نشير إلى المكان الذي فُصل فيه تيسيراً على الباحث.

الدليل الأول: القرآن الكريم:

نذكر في هذا الدليل أحكام القرآن الكريم(٢)، ويمكن تقسيم أحكام القرآن إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أحكام متعلقة بالعقيدة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهذه الأحكام الاعتقادية.

القسم الثاني: أحكام متعلقة بتهذيب النفس وتقويمها وهذه هي الأحكام الأخلاقية (دراستها في علم الأخلاق).

القسم الثالث: الأحكام العملية المتعلقة بأفعال وأقوال المكلفين: وهي المقصودة بالفقه والتي يهدف علم الفقه وأصوله إلى معرفتها والوصول إليها وهذه الأحكام نوعان:

النوع الأول: العبادات كالصلاة والصيام والغرض منها تنظيم علاقة الفرد بربه.

النوع الثاني: تسمى باصطلاح الفقهاء بالمعاملات، وهذه الأحكام يُقصد بها تنظيم علاقات الأفراد ببعضها والجماعات ببعضها ومن هذه الأحكام(٣):

---

(١) الموافقات، للشاطبي، جـ٣، ص ٤١ .

(٢) يراجع علوم القرآن من هذه الموسوعة.

(٣) أصول الفقه للشيخ، عبد الوهاب خلاف، ص٧٠ وما بعدها.

١ ـ أحكام متعلقة بالأسرة: نكاح ـ طلاق ـ النسب والولاية ـ حقوق وواجبات وهذه الأحكام آياتها نحو سبعين آية.

٢ ـ أحكام متعلقة بمعاملات الأفراد المالية: البيع ـ الرهن ـ العقود وكلها (ما يعرف بالقانون بالمدني) آياتها نحو سبعين آية.

٣ ـ أحكام متعلقة بالقضاء والشهادة واليمين: تنظيم اجراءات التقاضي) ويعرف اليوم بقانون المرافعات وهي نحو ثلاث عشرة آية.

٤ ـ أحكام متعلقة بالجرائم والعقوبات وهي تكون القانون الجنائي الإسلامي وآياتها نحو ثلاثين آية ويقصد بها حفظ الناس وأعراضهم وأموالهم وإشاعة الطمأنينة والاستقرار في المجتمع.

٥ ـ الأحكام المتعلقة بنظام الحكم ومدىٰ علاقة الحاكم بالمحكوم وبيان واجبات الحاكم والمحكوم وهي تدخل فيما يُعرف بالقانون الدستوري وآياتها عشر آيات.

٦ ـ الأحكام المتعلقة بمعاملة الدولة الإسلامية للدول الأخرىٰ ومدىٰ علاقتها: السلم والحرب ـ وعلاقة الأجانب (المستأمنين) مع الدولة الإسلامية وتعرف الآن بالقانون الدوليٰ العام والخاص وآياتها نحو خمسة وعشرين آية.

٧ ـ الأحكام الاقتصادية: متعلقة بموارد الدولة ومصارفها وحقوق الأفراد في أموال الأغنياء وآياتها نحو عشر آيات.

والقرآن فيه بيان لجميع الأحكام الشرعية، وقد ذكرها إما مجملة وإما مفصلة، فمن المبادئ والقواعد العامة التي تكون أساساً للتشريع:

١ ـ الشورىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورىٰ: ٣٨).

٢ ـ العدل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠).

٣ ـ الإنسان مأخوذ بجريرته ولا يُسأل عن ذنب غيره: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

٤ ـ العقوبة بقدر الجريمة: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورىٰ: ٤٠).

٥ ـ حرمة مال الغير: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٨).

٦ ـ التعاون على الخير وما فيه نفع الأمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢).

٧ ـ الوفاء بالالتزامات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (السورة).

٨ ـ الحرج مرفوع: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الحج: ٧٨).

٩ ـ الضرورات تبيح المحظورات: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٣).

الدليل الثاني : السنة:

السنة في اللغة: هي الطريقة المعتادة المحافظ عليها .

السنة عند الفقهاء: تُطلق على ما هو مندوب من العبادات ـ وعند بعض الفقهاء ما يقابل البدعة .

السنة عند الأصوليين: ماصدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير .

السنة عند المحدثين : كل ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو ما هم به النبي ﷺ .

الدليل على أن السنة مصدر للتشريع (حجية السنة) :

١ ـ الكتاب : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ ﴾ (النجم) .

٢ ـ الإجماع : أجمع المسلمون من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا على وجوب الأخذ بالأحكام التي جاءت بها السنة والعمل بها .

٣ ـ المعقول : لا يُتصور طاعة لله وانقياد إلى حكمه مع مخالفة رسوله ﷺ ، يقول د. **محمد بكر إسماعيل:** «منزلة السنة من القرآن بمنزلة القرآن من القرآن والاحتجاج بها في الأحكام الشرعية كالاحتجاج به لأنها وحي مثله»[1] .

الأحكام التي جاءت بها السنة:

النوع الأول : أحكام موافقة لأحكام القرآن ومؤكدة لها ، كالنهي عن عقوق الوالدين ، وعن شهادة الزور ، وعن قتل النفس .

النوع الثاني : أحكام مبينة لمعاني القرآن ومفصلة لمجمله ، كبيان مناسك الحج ـ نصاب الزكاة ومقدارها ـ ما يقطع فيه السارق ـ الصلاة وركعاتها وكيفيتها .

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ٤ ، ص ١٢ .

النوع الثالث :أحكام تأتي بها السنة مقيدة لمطلق القرآن : الحديث المشهور عن سعد بن أبي وقاص[(١)] : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١١)، ومنع النبي له من أكثر من الثلث والسنة المشهورة تقيد مطلق الكتاب.

أو مخصصة لعامة، كتخصيص قول الله تعالىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣).

خصص ذلك بقول النبي ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[(٢)].

وخصص عموم قوله تعالىٰ: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٨).

بقول النبي ﷺ: «لا قطع في أقل من ربع دينار»[(٣)].

النوع الرابع :حكم سكت عنه القرآن وجاءت به السنة دل علىٰ ذلك حديث: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه»[(٤)]، ومن ذلك الكثير تحريم الحُمُر الأهلية،

---

(١) البخاري، جنائز ٣٦، ومسلم، وصية ٥، ٦.

(٢) سبق تخريجه كاملاً، رواه الترمذي، طهارة ٥٢، وقال: حسن صحيح، ورواه الخمسة.

(٣) رواه مسلم، حدود ١، والترمذي، حدود ١٦.

(٤) الترمذي، علم ١٠، أبو داود، سنة ٥، ابن ماجة، مقدمة ٣.

وميراث الجدة، يقول د. محمد بكر إسماعيل: «من أراد أن يقرر حكماً من الأحكام فعليه أن يجمع أدلته من القرآن ثم من السنة، ليعرف الحكم معرفة ترفع الإجمال وتزيل الأشكال»(١).

الدليل الثالث: الإجماع:

الإجماع لغة: أجمع القوم على كذا، أي اتفقوا عليه مع العزم والتصميم: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴾ (يونس: ٧١).

في اصطلاح الأصوليين: اتفاق المجتهدين(٢) من الأمة الإسلامية في عصر من العصور على حكم شرعي بعد وفاة النبي ﷺ.

حجية الإجماع:

متى انعقد الاجتماع بشروطه (التي في التعريف) صار حجة قطعية ملزمة للمسلمين، وقد استدل القائلون بالإجماع على حجية الإجماع وهم الجمهور الأعظم بأدلة منها:

١ - **القرآن:** قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء: ١١٥). فقد توعد الله - تعالى - من يخالف سبيل المؤمنين فيكون سبيلهم هو الحق الواجب الاتباع.

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ٤، ص ١٢، وسيأتي تفصيل لذلك في القضايا المعاصرة من هذه الموسوعة (في موضوع القرآنيين).

(٢) المجتهد: من قامت فيه ملكه استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وقد يسمى بالفقيه كما يسمى المجتهدون بأهل الرأي والاجتهاد، أو بعلماء الأمة.

٢ ـ في السنة: حديث: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»(١). وفي رواية: «على خطأ»، هذه أحادية ولكن معناها متواتر فيجب العمل بها.

٣ ـ أن المجتهدين لابد لهم من دليل شرعي، فليس الاجتهاد عن هوىٰ بل وفق منهج.

مستند الإجماع (مشروعية الاجماع):

لابد للإجماع من مستند شرعي وسند الإجماع قد يكون من الكتاب أو السنة:

١ ـ **من الكتاب:** الإجماع علىٰ حرمة نكاح الجدات وبنات الأولاد مهما نزلت درجتهن. سنده: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ .. ﴾ (النساء: ٢٣).

٢ ـ **من السنة:** إجماعهم علىٰ إعطاء الجدة السدس في الميراث؛ لأن الرسول ﷺ أعطىٰ الجدة السدس.

الدليل الرابع: القياس (٢):

القياس لغة: مقارنة شيئاً بشيء لنعرف مقدار كل منهما بالنسبة للآخر، ثم استعمل القياس في التسوية بين الشيئين سواء:

١ ـ تسوية حسية: قست هذه الورقة بهذه الورقة.

٢ ـ أو تسوية معنوية: علم فلان لا يقاس بعلم فلان أي لا يساوية.

في اصطلاح الأصوليين: إلحاق ما لم يرد فيه نص علىٰ حكمه بما ورد فيه نص علىٰ حكمه في الحكم لاشتراكهما في علة ذلك الحكم.

أو هو: تسوية واقعة لم يرد نص بحكمها بواقعة ورد النص بحكمها لتساوي الواقعتين في علة الحكم.

---

(١) الترمذي، فتن ٧، والحاكم، وابن ماجة، فتن ٨، وهو حديث مشهور المتن، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٢) الوجيز، د. زيدان، ص ١٩٥.

والقياس لا يُثبت حكماً إنما يكشف عن حكم كان ثابتاً للمقيس من وقت ثبوته للمقيس عليه لوجود علة الحكم فيه كما هو موجود في المقيس عليه .

أركان القياس:

١ ـ الأصل ويسمىٰ بالمقيس عليه وهو ما ورد النص بحكمه .
٢ ـ حكم الأصل : وهو الحكم الشرعي للأصل المراد تعديته للفرع .
٣ ـ الفرع : المقيس وهو ما لم يرد نص بحكمه .
٤ ـ العلة : وهو الوصف الموجود في الأصل وبناءً علىٰ وجوده في الفرع يُراد تسويته بالأصل في هذا الحكم .

مثال: ورد النص بتحريم الخمر في قوله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (المائدة : ٩٠) .

والخمر عند فريق من الفقهاء اسم للشراب المسكر المتخذ من العنب دون غيره فهو أصل ورد النص بحكمه وهو التحريم ، ونبيذ التمر أو الشعير فرع ، ولم يرد النص بحكمه ، ولكن فيه علة الحكم وهي الإسكار ، فيقاس علىٰ الخمر لاشتراكهما في العلة ويكون له حكم الخمر وهو التحريم .

حجية القياس:

١ ـ القرآن :

قول الله تعالىٰ : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ** ﴾ (الحشر : ٢) . **أي اعتبروا بما جرىٰ لبنىٰ النضير واحذروا يا أصحاب العقول السليمة أن يصيبكم مثل ما أصابهم إن أنتم فعلتم فعلهم ، وهذا هو معنىٰ القياس .**

٢ ـ في السنة :

ـ حديث معاذ المشهور(١): لما أرسله النبي ﷺ قاضياً إلى اليمن وسأله : « بم تقضي؟» أجاب معاذ بالكتاب، ثم بالسنة ثم بالاجتهاد، فأقره النبي ﷺ في هذا الترتيب، وما القياس إلا نوع من أنواع الاجتهاد بالرأي فيكون مشروعاً ودليلاً من أدلة الأحكام.

ـ جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ وقال: «صنعتُ اليوم أمراً عظيماً، قَبَّلْتُ وأنا صائم»، فقال النبي ﷺ: **«أرأيت لو تمضمضت بالماء؟»** فقال: «لا بأس»، قال النبي ﷺ: **«فمه»** أي فماذا عليك أي حسبك هذا(٢).

ـ أتي رجل إلى النبي ﷺ فقال: «إن أمي نذرت أن تحج وإنها ماتت أفأحج عنها؟»، فقال النبي ﷺ: **«لو كان عليها دين أكنت قاضيه عنها؟»**، قال: «نعم»، قال: **«فاقض الله فهو أحق بالقضاء»**(٣).

ـ وفي الحديث الصحيح أن أعرابياً أتى رسول الله فقال: «إن امرأتي ولدت غلاماً أسود وإني أنكرته»، فقال رسول الله ﷺ: **«هل لك من إبل؟»**، قال: نعم، قال: **«فما ألوانها؟»**، قال: حُمُر، قال: **«هل فيها من أورق؟»**، قال: إن فيها أورقاً، قال: **«فأنَّى ترى ذلك جاءها؟»**، قال: يا رسول الله لعل عرقاً نزعه، قال: **«لعل هذا أيضاً عرق نزعه»**(٤).

٣ ـ فعل الصحابة :

ـ اجتهدوا في النوازل والوقائع وأدخلوا العول على أنصبة الورثة، وقاس ابن عباس الجد على ابن الابن في حجب الأخوة وقال: «ألا يتقي الله زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً؟».

---

(١) رواه البخاري، جـ٥، ص ٤٤ .

(٢) أبو داود، صوم ٣٣، والدارمي، صوم ٢١ .

(٣) رواه مسلم، صيام ١٥٦ .

(٤) البخاري، طلاق ٢٦، ومسلم، لعان ١٨ .

- وفي كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسىٰ الأشعري : «الفهم الفهم فيما أدلىٰ إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترىٰ إلىٰ أحبها إلىٰ الله وأشبهها بالحق»(١).

- أما باقي أدلة الأحكام فارجع إليها موضحة ومبسطة وسهلة الفهم في الوجيز د: زيدان أو أىٰ كتاب لأصول الفقه.

(١) أعلام الموقعين، جـ١، ص ٧٧ وما بعدها لتمام الرسالة كاملة.

المحور السادس : مقاصد الشريعة[1]

معرفة مقاصد الشريعة أمر ضروري لفهم النصوص الشرعية على الوجة الصحيح، ولاستنباط الأحكام من أدلتها على وجه مقبول.

ومقصد الشريعة: تحقيق مصالح العباد:

١ ـ بالإيجاد لها .

٢ ـ بحفظها .

وهذه المصالح ثلاثة أنواع:

١ ـ الضروريات .

٢ ـ الحاجيات .

٣ ـ التحسينيات .

أولاً: الضروريات :

وهي المصالح التي تتوقف عليها حياة الناس وقيام المجتمع واستقراره وهي: الدين ـ النفس ـ العقل ـ النسل ـ المال.

ـ **الدين :** شُرع لإيجاده: الإيمان بأركانه، والعبادات، وشُرع للمحافظة عليه: الدعوة إليه ـ الجهاد ـ وعقوبة المرتد ـ والفتوى الباطلة.

ـ **النفس:** شُرع لإيجادها: الزواج، وشرع لحفظها: الطعام والشراب، ومعاقبة المعتدى عليها.

ـ **العقل :** هو هبه الله تعالى وشُرع لحفظه تحريم ما يفسده من مسكر، ومعاقبة من يتناول المخدرات.

ـ **النسل :** شُرع لإيجاده الزواج الشرعي، وشُرع لحفظه: تحريم الزنا ـ

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٣٧٥ باختصار وتصرف.

والقذف ـ وتحريم الإجهاض، ومنع الحمل إلا لضرورة.

- **المال** : شُرع لإيجاده إباحة المعاملات المختلفة، ووجوب السعي، وشرع للمحافظة عليه : تحريم السرقة والحجر على السفيه والمجنون.

ثانياً: الحاجيات:

الأمور التي يحتاج إليها الناس لرفع الحرج والمشقة عنهم، وإذا فاتت لا يختل نظام الحياة، ولكن يلحق الناس المشقة والعنت والضيق، وقد راعت الشريعة ذلك.

- **ففي العبادات** : شرعت الرخص في الصلاة والصيام والاتجاه لغير القبلة في المواصلات إذا غيرت اتجاهها عن القبلة التي بدأ صلاته إليها.
- **وفي المعاملات** : أباح الشرع بيع السلم والاستصناع والإجارات والمزارعة، وشرع الطلاق لاستحالة العشرة.
- **وفي العقوبات** : شرع قاعدة درء الحدود بالشبهات ولذلك كانت نصوص الشريعة قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (الحج : ٧٨)، ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (البقرة : ١٨٥).

ثالثاً: التحسينيات:

هي التي تجعل أحوال الناس تجري على مقتضى الآداب العالية والخلق القويم والفطر السليمة.

- **ففي العبادات** : شُرع ستر العورة ولبس الثياب الجيدة عند المساجد ـ والتقرب بالنوافل صدقات ـ صيام ـ صلاة.
- **وفي المعاملات** : الامتناع عن بيع النجاسات، وعن الإسراف وبيع الإنسان على بيع أخيه.
- **وفي العادات** : ندب إلى الأخذ بآداب الأكل والشرب وترك المآكل الخبيثة.
- **وفي العقوبات** : حرم التمثيل بالقتيل قصاصاً أو في الحروب وحرم قتل النساء والأطفال والرهبان في الحروب.

ما يترتب على هذه المقاصد من مبادئ وقواعد :

١ ـ **الضرر يُزال :** ويتفرع من هذا المبدأ حق الشفعة ـ الأخذ بأساليب الوقاية أيام انتشار الأمراض والأوبئة ـ خيار الرد بالعيب .

٢ ـ **يُدفع الضرر العام بتحمل الضرر الخاص :** من فروع هذه القاعدة القصاص من القاتل ـ قطع يد السارق ـ هدم الجدار المائل في الطريق ـ منع الطبيب الجاهل والمفتي الماجن وتسعير البضائع عند الضرورة .

٣ ـ **يُدفع أشد الضررين بتحمل أخفهما :** من فروع هذه القاعدة تطليق الزوجة للضرر أو العجز عن النفقة ـ وجواز الصلاة بلا طهارة عند العجز التام عنها ـ أو بدون ستر العورة عند تعذر سترها .

٤ ـ **درء المفاسد أولى من جلب المنافع :** من فروعها منع المالك من التصرف في ملكه على نحو يضر بالآخرين ـ منع تصدير بعض السلع إذا كان الناس في حاجة إليها وإن فوت على البعض بعض الربح .

٥ ـ **الضرورات تبيح المحظورات :** من فروعها تناول المحرمات عند الضرورة وتقييد بعض المباحات .

٦ ـ **الضرورات تقدر بقدرها :** من فروعها عدم تناول المحرم عند الضرورة إلا بقدر ما تندفع به الضرورة وما جاز لعذر يبطل بزوال العذر .

٧ ـ **المشقة تجلب التيسير :** ومن فروعها تشريع الرخص ـ وفسخ النكاح إذا وجدت الزوجة عيب في زوجها كانت تجهله وقت العقد .

٨ ـ **الحرج مرفوع :** من فروعها قبول شهادة النساء فيما لا يطلع عليه الرجال .

٩ ـ **لا يجوز ارتكاب ما يشق على النفس** ومن فروعها منع القيام طول الليل ـ الوصال في الصوم ـ الامتناع من النكاح .

المحور السابع : الاجتهاد

تعريف الاجتهاد :

في اللغة : مأخوذ من الجَهد (أوالجُهد) وهو المشقة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل : ٣٨).

وهو : بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال، مثلاً في الزراعة ـ الصناعة ـ تحصيل علم (مذاكرة).

في الاصطلاح : بذل الفقيه وسعه في استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[١]. **يقول الشيخ المراغي :** أن المجتهد والفقيه والمفتي كلها ألفاظ مترادفة في اصطلاح علماء الأصول.

هل أغُلق باب الاجتهاد؟ نذكر أقوال العلماء في ذلك :

١ - **يقول الشيخ المراغي في رسالة الاجتهاد ما نصه :** «إن العلماء الذين حكموا بقفل باب الاجتهاد ووضعوه في صورة المستحيل عادة في هذه الأزمان ومنذ قرون طويلة مضت، هو غلط تأباه قواعد الأصول»[٢].

٢ - **يقول د.عبد الستار فتح الله سعيد :** «إن الاجتهاد شيء جليل عظيم نحتاج إليه أشد الاحتياج في ديننا ودنيانا وإن إغلاق باب الاجتهاد أمر لا تقوم عليه حجة من الإسلام وإنما تنادي به بعض العلماء حين طفح الكيل وكادت معالم الدين تنسخ من الأرض تحت طوفان الأكاذيب والضلالات باسم الاجتهاد والكذب وهو اجتهاد مُضاد للدين، مُضاد للحق مُحرف للأصلين كتاب الله وسنة رسوله»[٣].

---

(١) الوجيز، د. زيدان، ص ٤٠٢ .

(٢) الاجتهاد، للشيخ المراغي، ص ٨، هدية مجلة الأزهر، صفر ١٤١٧هـ.

(٣) إبطال مزاعم الهيروغليفية تُفَسِّر القرآن، تأليف د. عبد الستار فتح الله، ص ٧٣ .

٣ـ **يقول د. محمد رجب البيومي : « إلى الاجتهاد » :** «أصبح الحديث عن وجوب الاجتهاد الآن من قبيل تحصيل الحاصل؛ لأن الاجتهاد موجود فعلاً فيما جد من شئون الحياة وقد صدرت أحكام بشأن شهادات الاستثمار والتأمين ـ ونزع الأعضاء ـ والتشريح الطبي وبنوك الدم ـ واللبن مما لا تستطيع حصره ولولا صدور هذه الأحكام عن طريق الاجتهاد لوقفت أمور الناس ومع ذلك ما نزال نرىٰ بعض الجامدين يقفون في طريق التجديد ويعدونه فتحاً لباب يجب أن يوصد الآن كما أوصد من قبل.

والذين أوصدوا باب الاجتهاد من قبل علماء مقلدون لا يستطيعون أن يستقلوا برأي، وقد جمدوا علىٰ كتب المذاهب التي بين أيديهم، بل اكتفىٰ كل فقيه بما وقع في يده من كتب إمامه وتعصب لها دون أن يقرأ سواها، ومن أشهر هؤلاء ابن الصلاح الذي حارب الاجتهاد وبقسوة وزعم أن تعدي المذاهب الأربعة في الحكم باطل يقضي إلىٰ الضلال»[١].

٤ـ وأقول أن باب الاجتهاد لن يغلق وذلك للآتي :

أ ـ أن الحق سبحانه وتعالىٰ طلب من الرسول أن يجتهد، فقد كان الحق سبحانه وتعالىٰ يترك النبي ﷺ بدون الوحي أو الالهام ليقوم النبي ﷺ بحل القضية باجتهاده ثم يُعدِّل له الحق سبحانه وتعالىٰ، «فإذا أصاب أقره الله تعالىٰ وإن أخطأ عدل له[٢] أو نبهه وترك الحكم الذي اجتهد فيه، كما في أسارىٰ بدر: ﴿ **لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (الأنفال: ٦٨)، والإذن للمتخلفين في غزوة تبوك: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ (التوبة: ٤٣)، ومن ذلك اجتهاده في غزوة بدر وقول الحُباب ابن المنذر: «أهذا منزلٌ أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه؟» قال: «**لا، بل هو الرأي**»، فيقول: «هذا ليس بمنزل»، ويعدل القوم[٣].

---

(١) المجتهدون في مجال التشريع، د. محمد البيومي، جـ١.

(٢) الفقه الاجتهادي وتطوره، الشيخ: محمد علي السايس، ص ٣٠، ٣١.

(٣) لمزيد من الأمثلة (راجع القياس كما مر بك).

ب ـ كما أن النبي ﷺ أذن للصحابة بالاجتهاد ويشهد له حديث معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن.

جـ ـ تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة في حضرته بعد أن انتصر المسلمون في غزوة بني قريظة فطلب النبي حكم سعد بن أبي وقاص الذي قضي بقتل الرجال وسبي النساء والذراري، فقال له النبي ﷺ: «**حكمت فيهم بحكم الله**»، وكذلك اجتهاد الصحابة في قول النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصلِّين العصر إلا في بني قريظة**»، فساروا مسرعين وبعضهم صلى في الطريق، وبذلك يكون النبي ﷺ باجتهاده وإذنه للصحابة بالاجتهاد فقد ضرب لأمته من بعده المثل، ورسم لهم الطريق ليأخذوا أخذه من بعده حتى يكون الفقه الإسلامي بتفاصيله قوياً على مسايرة الزمن ومتابعة نهوض الأمم، وعلى هذا، لم ولن يُغلق باب الاجتهاد.

أهمية الاجتهاد:

١ ـ ليظل التشريع الإسلامي متجدداً مع تجدد الحوادث والوقائع.

٢ ـ كثرة الحوادث والمشكلات، وتعقد المعاملات، فهناك قضايا كثيرة تتطلب حلول شرعية.

٣ ـ يظهر صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤ ـ حاجتنا إلى الاجتهاد لا تقل شأناً عن حاجتنا إلى الماء والهواء فيه تصلح الدنيا والآخرة.

أين مجال الاجتهاد؟

الاجتهاد الصحيح والممنوع (١) : لا يدخل الاجتهاد في الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة كأركان الإسلام، ولا الأحكام المتعلقة بالعقائد، فلا اجتهاد مع نص قاطع أو حكم مُجمع عليه، وكذلك ما ثبت تواتراً ووضحت دلالته لااجتهاد فيه.

---

(١) إبطال المزاعم الهيروغليفية تُفَسِّر القرآن، د. عبد الستار فتح الله، ص ٧٣، ٧٤.

ويكون للاجتهاد مجالان رئيسان :

١ ـ إثبات النصوص بالتحقق من ورودها وثبوتها، وهذا خاص بالسنة النبوية والقرآن.

٢ ـ معرفة صحة دلالة النص على الحكم، فالنص القطعي الدلالة لا يحتاج اجتهاد والظني لا بد فيه من الاجتهاد(١).

شروط المجتهد (٢) :

١ ـ الشروط العامة وهي : الإسلام ـ البلوغ ـ العقل.

٢ ـ الشروط الأساسية (٣) :

ـ معرفة كتاب الله تعالى : معانيه وعلله وأحكامه وغاياته.

ـ معرفة السنة النبوية المطهرة وعلوم الحديث والناسخ والمنسوخ.

ـ معرفة اللغة العربية وفقهها وأصولها.

ـ العلم بأصول الفقه.

ـ معرفة العرف الجاري.

ـ معرفة المنطق وقواعده وأسسه.

ـ المعرفة بمواضع الإجماع ومواضع الاختلاف.

ـ عدالة المجتهد وحسن السيرة والسلوك من وجهة نظر الأخلاق الإسلامية، حتى تثق الناس في الاجتهاد.

ـ المعرفة بمقاصد الشريعة.

---

(١) الواضح، د. محمد سليمان الأشقر، ص ٢٥٥ .

(٢) تيسير أصول الفقه، د. مصطفى فرج، ص ٢٤٦ طبعة دراسية .

(٣) يقول الشاطبي : إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين :
أحدهما : فهم مقاصد الشريعة على كمالها.
والثاني : التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها، انظر : الموافقات، جـ٤، ص ٣٧٢ .

- العلم بظروف الحياة العملية ومشاكلها؛ لأن الغاية المطلوبة تحقيق أحكام الشريعة.
- الاستعداد الفكري.
- صحة النية وسلامة الاعتقاد.

لذلك أعلن أئمة الاجتهاد، التبعية لشريعة الله والبراءة من محض الرأي وهم متفقون اتفاقاً يقينياً على اتباع الرسول ﷺ ولم يتعمد أحدهم مخالفة النبي ﷺ فأثر عنهم أمثال هذه العبارات[١] :

- «إنما أنا متبع لا مبتدع».
- « إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا برأيي عرض الحائط».
- «كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم».
- «لا اجتهاد مع النص».

حكم الاجتهاد :

الاجتهاد واجب على كل من كان أهلاً له بأن قامت فيه ملكه الاجتهاد وتهيأت له أسبابه ووسائله[٢]، وعلى المجتهد أن يصل إلى الحكم الشرعي بطريق النظر والبحث، فإذا وصل إلى الحكم الشرعي وجب عليه اتباعه ولا يجوز تركه تقليداً لغيره فإن أصاب له أجران وإن اخطأ له أجر للحديث : **«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد»**[٣].

الاجتهاد الخاص :

أو الاجتهاد الجزئي[٤] : هو الاجتهاد في واقعة خاصة للوصول إلى معرفة

---

(١) المنهاج القرآني، د. عبد الستار فتح الله، ص ٢٨٣ .

(٢) الوجيز، د. زيدان، ص ٤٠٥ .

(٣) رواه البخاري، اعتصام ٣١ ، ومسلم، أقضية ١٥ .

(٤) الاجتهاد، الإمام الأكبر محمد مصطفى المراغي، ص ١٦ ـ ١٨ .

حكمها الشرعي بالدليل، والقادر على هذا النوع يحرم عليه التقليد في المسألة التي يقدر على الاجتهاد فيها(١).

وقد اختلف العلماء في تجزؤ الاجتهاد وعدمه : فالأكثرون على تجزُئه ومنهم حجة الإسلام الغزالي، وقد استدلوا لذلك بان التقليد في حال القدرة على الدليل فيه ترك للعلم واتباع الريب وهذا منهي عنه بالحديث : **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»**(٢). وقوله : **«استفت قلبك وإن أفتاك المفتون»**(٣).

وفي المستصفى للغزالي : اجتماع هذه العلوم الثمانية (شروط الاجتهاد) إنما يُشترط في حق المجتهد المطلق الذي يفتي في جميع الشرع وليس الاجتهاد عندي منصباً لا يتجزأ بل يجوز أن يُقال للعالم أنه مجتهد في بعض الأحكام دون بعض، فمن عرف أحاديث قتل المسلم الذمي وطريق التصرف فيه فلا يضره قصوره عن علم النحو الذي يعرف قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (المائدة: ٦). المقصود بذلك أرجُلكم بضم وفتح أم أرجُلكم بضم وكسر.

---

(١) شروط المجتهد المطلق للمراغي:
أ ـ أن يكون عالماً بموضع الآية التي يريد الاستدلال بها، ولا يشترط حفظ الكتاب كله.
ب ـ أن يكون عارفاً بموقع كل باب من أبواب الأحاديث.
جـ ـ يلزم معرفة أن الآية التي يستدل بها ليست منسوخة، والحديث كذلك.
د ـ يلزم أن يعرف أن المسألة التي يبحث فيها ليست مُجمعاً فيها على رأي يخالف رأيه.
هـ ـ أن يكون عارفاً باللغة .. انظر: الاجتهاد، ص ١٣، ١٤.

(٢) رواه البخاري، باب تفسير المشبهات، جـ ٧، ص ٢٠٢.

(٣) أحمد ٤/ ٢٢٨، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم عن وابصة مرفوعاً، وفي كشف الخفاء رقم ٣٤٥، والدارمي، بيوع ٢، رقم ٢٥٣٣، والبخاري في التاريخ، وإحدى إسنادي الطبراني ثقات، وحسنه النووي.

وفي كتاب الأحكام للآمدي : بعد أن نص على شروط المجتهد قال : وذلك كله إنما يشترط في المجتهد المطلق المتصدي للحكم والفتوى في جميع المسائل أما الاجتهاد في بعض المسائل فيكفي فيه أن يكون عارفاً بما يتعلق بتلك المسألة وما لابد منه فيها ولا يضره في ذلك جهله بما لا تعلق بها بباقي المسائل الفقهيه فإذا اجتهد في مسألة لا يجوز له التقليد فيها بل يحرُم عليه ذلك .

شروط الاجتهاد الجزئي :

على مريد الاجتهاد في مسألة من مسائل البيع أو الطلاق مثلاً ، أن يعرف آيات البيع والطلاق ، وأحاديث البيع والطلاق ، ويعرف ما نُسخ منها وما بقي ويعرف موانع الإجماع ليتجنب المخالف بعد أن يكون على بصيرة في فهم اللغة وليس عليه أن يحيط بجميع الأدلة وجميع علوم اللغة ، وفنون المنطق والكلام ، وآراء الفقهاء .

هل يجوز لمسلم بعد هذا أن يقول : إن على المسلمين في جميع بقاع الأرض تقليد واحد من الأئمة الأربعة دون سواهم إلا كانوا آثمين جاهلين خارقين للإجماع؟

التقليد :

في اللغة : مأخوذة من القلادة التي يقلد الإنسان بها غيره .

في الاصطلاح : أخذ رأي الغير بلا معرفة دليله ولا قوته كمن يرى جواز فسخ النكاح للعيب ؛ لأن المجتهد الفلاني قال هذا القول دون أن يعرف دليله وقوة هذا الدليل .

حكم التقليد[1] :

إذا عجز المكلف عن معرفة الأحكام عن طريق الاجتهاد فإن عليه أن يعمل كما أمره الله فيسأل أهل العلم عن حكم الله في الواقعة التي يريد معرفة حكمها ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (النحل : ٤٣) .

---

(١) الوجيز ، د. زيدان ، ص ٤٠٧ .

ولا يلزمه أن يسأل عالماً معيناً ولا يتقيد بواحد بعينه؛ لأن الله لم يلزمه بهذا ولا التزام بلا إلزام شرعي والآية أمرته بسؤال أهل العلم لا عالماً معيناً وإنما عليه أن يتخذ الأعلم والأفضل والأورع والأعدل حسب ما يشيع ويُشتهر هذا هو الذي يقدر عليه: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

ولا يجب عليه أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة فيقلده، وصرح العلائي بجواز الانتقال في آحاد المسائل والعمل فيها بخلاف مذهب إمامه الذي يُقلده إذا لم يكن ذلك على وجه التتبع للرخص[١].

وأرى أن ذلك جائز للمقلد حتى ولو كان على سبيل تتبع الرخص[٢] للحديث: **«ما خُيِّر رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً»**[٣].

---

(١) الاجتهاد، للشيخ المراغي، ٢٠ .

(٢) راجع مقدمة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، طبعة دار الشعب، عام ١٩٧٤م.

(٣) رواه البخاري، مناقب ٣٣، ومسلم، فضائل ٧٧، ٧٨ .

ثالثاً : علوم القرآن

علوم : جمع علم، وهو الفهم والإدراك.

القرآن لغة: اسم لكتاب الله عزل وجل.

اصطلاحاً (١) : كلام الله تعالىٰ المنزل علىٰ سيدنا محمد ﷺ، المعجز بأقصر سورة منه، المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، والمحفوظ في الصدور من أول سورة الفاتحة إلىٰ آخر سورة الناس.

شرح التعريف:

كلام الله : يخرج به كلام غيره من سائر المخلوقات لأنه كلام قديم غير مخلوق.

المنزل علىٰ سيدنا محمد: يخرج به المنزل علىٰ غيره من الرسل توراة - إنجيل - صحف إبراهيم..

المعجز بأقصر سورة: يخرج الكلمات التي هي أقل من سورة الكوثر كما يخرج به الحديث القدسي.

المتعبد بتلاوته: يخرج الحديث القدسي فليس معجز وليس متعبد بتلاوته.

المنقول بالتواتر: يخرج منسوخ التلاوة والقراءات الآحادية.

وكان أبو بكر الصديق أول من جمع كتاب الله وسماه مصحفاً.

أسماؤه (٢) :

١ - **القرآن**: إشارة إلىٰ حفظه في الصدور، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩).

---

(١) علوم القرآن، د. الأحمدي عبد الفتاح، طبعة دراسية.

(٢) مختصر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص١٨، ١٩.

٢ ـ **الكتاب** : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة).

إشارة لكتابته في السطور.

٣ ـ **الذِكر**: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩). لما فيه من التذكرة للرسول ولأمته، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٤).

٤ ـ **الفـرقـان**: قال تعـالىٰ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١)، لكونه يفرق بين الحق والباطل.

أوصافه :

ـ **نور ـ مبين**، قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٧٤).

ـ **موعظة ـ شفاء ـ هدى ـ رحمة**، قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧).

ـ **مبارك**، قال تعالىٰ: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (ص: ٢٩).

وللقرآن أوصافٌ تزيد على الخمسين وصفاً.

جمع القرآن بهذه الصورة وترتيبه [١] :

أمر توقيفي من الله تعالىٰ، كان جبريل ينزل علىٰ النبي ﷺ فيقول: يا محمد إن الله يأمرك أن تضع هذه الآية في سورة كذا . .

فضائل القرآن :

عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يؤتى يوم**

(١) مختصر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص ٧٠ وما بعدها.

القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»(١) .

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« خيركم من تعلم القرآن وعلمه »**(٢).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**(٣) .

الترهيب من نسيان القرآن :

نسيان القرآن كبيرة لقوله ﷺ: **«عُرِضَت عليَّ ذنوب أمتي فلم أرَ ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أُوتيها رجل ثم نسيها»**(٤) .

وفي رواية: **«من قرأ القرآن ثم نسيه لقي ربه يوم القيامة أجذم»**(٥).

أجذم يعني: مقطوع اليد.

وفي رواية: **«تعاهدوا القرآن، فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الأبل في عقلها»**(٦) .

---

(١) رواه مسلم ، مسافرين ٢٥٣ .

(٢) رواه البخاري ، فضائل القرآن ٢١ .

(٣) رواه مسلم، مسافرين ٢٤٤، صلاة المسافرين، وفي الترغيب برقم ٢٠٦٦ .

(٤) رواه الترمذي، فضائل القرآن ١٩ ، برقم ٢٩١٦ ، وقال: حديث غريب، ورواه أبو داود، صلاة ، برقم ٤٦١ ، والطبراني في الكبير .

(٥) أخرجه أبو داود رقم ١٤٧٤ ، عن سعد بن عبادة، وأخرجه الدارمي، فضائل القرآن ٣٣٤٠، وعزاه السيوطي في الزيادات على الجامع الصغير لأحمد والدارمي والطبراني والبيهقي.

(٦) أخرجه البخاري ، فضائل القرآن ٢٣ ، ٢٦، ومسلم، صلاة المسافرين ٣٣، وسيأتي تفصيل لذلك في باب الأخلاق عند الحديث عن القرآن.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي :

القــرآن :

- **التعريف** : كلام الله الذي أوحىٰ به بلفظه ومعناه بوحي جلي، وتحدىٰ به العرب ولا يزال التحدي قائماً(١) .
- **نسبه** : لا يُنسب إلا إلىٰ الله تعالىٰ، فنقول: (قال الله تعالىٰ).
- **ثبوته** : قطعي الثبوت ـ متواتر ـ محفوظ بحفظ الله ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر: ٩).
- **تلاوته** : لا تجوز قراءته ولا كتابته إلا بلفظه وصورته، فيه أمر بالاستعاذة والبسملة عدا التوبة.
- **حكمه وفضله** : متعبد بتلاوته بفهم وبغير فهم يثاب قارئه علىٰ كل حرف عشر حسنات، عن عبدالله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»(٢).

الحديث القدسي :

- **التعريف** : وحي بالمعنىٰ دون اللفظ، ولم يقع به التحدي والإعجاز (المعنىٰ من عند الله واللفظ من النبي ﷺ).
- **نسبه** : قد يروىٰ مضافاً إلىٰ الله، وقد يروىٰ مضافاً إلىٰ النبي ﷺ، نسبه إخبارٌ: فيما يرويه عن ربه.
- **ثبوته** : ظني الثبوت، قد يكون حسن ـ صحيح ـ أحاد أو متواتر.
- **تلاوته** : تجوز روايته بالمعنىٰ، وليس فيه أمر بالاستعاذة أو البسملة.
- **حكمه وفضله** : غير متعبد بتلاوته، فلا يجزئ في الصلاة، ويثاب عليه المرء ثواباً عاماً.

---

(١) تعريف مختصر، وقد سبق التعريف الكامل.

(٢) رواه البخاري في التاريخ، والحاكم، والترمذي، فضائل القرآن ١٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، والدارمي، فضائل القرآن ١، وفي الترغيب رقم ٢٠٥٩ .

الحديث النبوي :

لغة: الحديث ضد القديم .

اصطلاحاً: هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو صفة خُلقية، أو ما همَّ به .

- **قول** مثل : «بُني الإسلام على خمس»(١) .
- **فعل** مثل : «صلوا كما رأيتموني أصلي»(٢) .
- **تقرير** مثل : «أقر الذي صلى بالتيمم بعد وجود الماء»(٣) .
- **صفة خِلقية**، مثل : « كان رَبْعَةً » (٤) وصف النبي ﷺ .
- **صفة خُلُقية** ، مثل : «كان خُلُقه القرآن»(٥) .
- **ما هم به**، مثل قوله ﷺ : « هممتُ أن آمر رجل يصلي بالناس ...»(٦)، «لئن أحيانا الله إلى قابل لنصومنَّ التاسع والعاشر»(٧) .

الحديث النبوي قسمان :

أ ـ توفيقي : استنبطه النبي ﷺ بفهمه .

ب ـ توقيفي : تلقى الرسول ﷺ مضمونه .

---

(١) رواه البخاري ، إيمان ١ ، ٢ ، تفسير سورة البقرة، ومسلم، إيمان ١٩ ـ ٢٢ .
(٢) أخرجه البخاري، أذان ١٨ ، ٦٠ ، أدب ٢٧ .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) أخرجه البخاري ، مناقب ٢٣ .
(٥) أخرجه مسلم، مسافرين ١٣٩ .
(٦) أخرجه البخاري ، أذان ٢٩ ، وجوب صلاة الجماعة، ومسلم، مساجد ٤٢ .
(٧) رواه مسلم، صيام ١٣٤ .

بعضاً من آداب تلاوة القرآن (١) :

١ ـ يستحب الوضوء للقراءة ، أما الجنب والحائض(٢) فتحرم عليهما القراءة، ويجوز لهما النظر في المصحف، وإمراره على القلب.

٢ ـ تسن القراءة في مكان نظيف ـ ويستحب أن يستقبل القبلة ـ ويسن له أن يستاك ـ ويسن التعوذ فإذا قطع القراءة للتسليم عاد إليها.

٣ ـ يسن الترتيل ، فعن عبدالله بن مسعود: «لا تنثروه نثر الدقل»(٣).

٤ ـ **«حركوا به القلوب»**(٤) ، وذلك فيما رُوي عن ابن مسعود أيضاً.

٥ ـ لا يكن هم أحدكم آخر السورة، ولا تقرأ في أقل من ثلاث، للحديث: **«لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»**(٥) .

٦ ـ وتسن القراءة بالتدبر والفهم ـ ويقف ويدعو ويستبشر.

٧ ـ لا بأس بتكرار الآية ـ يستحب البكاء والتباكي ـ وتحسين الصوت مسنون.

٨ ـ بين الرفع والخفض للصوت ، روى أبو داود عن أبي هريرة أنه قال: **«كانت قراءة النبي ﷺ بالليل يرفع طوراً ويخفض طوراً»**(٦) .

٩ ـ القراءة من المصحف (٧) أفضل لأن النظر عبادة .

---

(١) سيأتي موجز لآداب التلاوة في باب الأخلاق.

(٢) أجاز العلماء للمعلمة في المدرسة، والتلميذة في حجرة الدراسة، أن تقرأ الآيات سواء من كتاب التربية الإسلامية أو من الحفظ من الذاكرة حتى ولو كانت حائض دفعًا للحرج، ورفعًا للمشقة، كما أنه لا يطلق على الكتاب المدرسي اسم المصحف.

(٣) الدقل : أردأ أنواع التمر.

(٤) سنن البيهقي، جـ٣، ص ١٣ ، ومصنف ابن أبي شيبة، جـ٢، ص٤٠٣، وكنز العمال ٤١١٧.

(٥) شُعب الإيمان ، للبيهقي ، وأبو داود ، صلاة رقم ١٣٩٤ ، والترمذي ، قراءات ٢٩٥٠، وقال: حسن صحيح.

(٦) رواه أبو داود في الصلاة برقم ١٣٢٨ ، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ د. يوسف القرضاوي، ص ١٦٨ ، طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٧) تجوز القراءة من المصحف في النوافل والتراويح فقط، أما في الفريضة فلا يجوز .

المكي والمدني (١) :

العلماء في تعريفهم للمكي والمدني ثلاث مذاهب، الراجح منها هو :

المكي: ما نزل قبل الهجرة .

المدني: ما نزل بعد الهجرة سواء كان بمكة أو بالمدينة أم بسفر من الأسفار، وهناك آيات مستثناه قد تكون نزلت بالمدينة وهي مكية .

كيف تعرف المكي من المدني ؟؟

١ ـ إما سماعي : ما وصل إلينا نزوله بأحدهما مكة أو المدينة .

٢ ـ أو قياسي : كل سورة فيها ﴿ يا أيها الناس﴾ فقط أو كان أولها حروف مقطعة سوىٰ : البقرة ـ آل عمران ـ الرعد ، أو فيها قصة إبليس وآدم (سوىٰ البقرة)، هذه العلامات للسورة المكية . . وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة مكية ، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية ـ وكل سورة فيها ذكر المنافقين سوىٰ العنكبوت فهي مدنية .

أسباب النزول :

تعريف أسباب النزول :

١ ـ هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة حكمه أيام وقوعه ، مثل ما حدث لخولة بنت ثعلبة في الظهار .

٢ ـ أو يوجه سؤال للنبي ﷺ فينزل الوحي ليجيب ، مثل : ﴿ يسألونك عن المحيض﴾ ، ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ . والسؤال قد يتعلق بالماضي كسؤالهم عن قصة يوسف ، وقد يتعلق بالمستقبل كسؤالهم عن القيامة : ﴿يسألونك عن الساعة﴾ .

٣ ـ وهناك آيات نزلت عقب الحادثة مباشرة والسؤال مثل آيات المواريث ـ أهل الكهف ـ ذي القرنين .

نزل القرآن علىٰ قسمين :

---

(١) مختصر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص ٥٤، ٥٥ .

١ ـ قسم نزل ابتداءً (نزل بدون سبب، و هو أكثر القرآن الكريم).

٢ ـ قسم نزل عقب واقعة أو تساؤل، يعني مرتبط بسبب من الأسباب.

الأهداف العامة لنزول القرآن الكريم: هداية الناس إلىٰ المحجة البيضاء، وإقامة أسس الحياة الفاضلة، وتقرير أحوال الماضي ووقائع الحاضر، وأخبار المستقبل.

الفوائد المترتبة على هذا العلم:

١ - معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، والوقوف على المعنى وإزالة الإشكال:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُوا... ﴾ (المائدة: ٩٣).

فَهِمَ بعض الصحابة علىٰ أنها حل لبعض المطعومات، وبالرجوع إلىٰ سبب نزول الآية تبين أن بعض الصحابة سألوا عن إخوانهم الذين كانوا يشربون الخمر وماتوا قبل تحريمها.

ب ـ قال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١١٥).

فَهِمَ البعض علىٰ أن الإنسان يصلي إلىٰ أي وجهة دون الرجوع للقبلة، وتبين بعد الرجوع لأسباب النزول أنها نازلة في نافلة السفر أو فيمن اجتهدوا خطأ في تحديد القبلة.

٢ ـ أن يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص:

وقد اختلف علماء الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟.. والصواب: أن العبرة بعموم اللفظ.. فقد نزلت آيات في أسباب خاصة وأحكامها تتعدىٰ أحكاماً غير أسبابها.. مثال:

أ ـ آية الظهار في خولة بنت ثعلبة.

ب ـ آية اللعان في شأن هلال بن أمية: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... ﴾ (النور: ٦).

جـ ـ حد القذف في حادث الأفك لمن قالوا: « إذن قد يكون السبب خاص، إلا أن الوعيد يتناول كل من باشر ذلك القبيح ».

د ـ وقد يكون جارياً مجرىٰ التعريض، سُئِلَ ابن عباس عن حد السارق والسارقة: خاص أم عام؟ قال: بل عام.

فائـدة:

١ ـ قد يذكر المفسرون أسباباً متعددة للنزول للآية، فإذا قال المفسر: نزلت في كذا، وقال الآخر: نزلت في كذا، فهذا تفسير، وليس سبب نزول، مثال قوله تعالىٰ: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣). قال ابن عمر في إتيان النساء في أدبارهن، وقد جاء عن جابر غير ذلك والمعتمد قول جابر لأنه نَقْلٌ، وابن عمر استنباط، لأن اليهود قالت: إذا جامعها من ورائها كان الولد أحول، فنزلت.

٢ ـ يدخل في أسباب النزول موافقات (١) عمر رضي الله عنه.

س: ماذا لو تعددت الروايات في السبب الواحد ؟؟

١ ـ تُؤخذ الرواية الصريحة الصحيحة.

٢ ـ يؤخذ ما نزل في الشخص الواحد، روىٰ البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت فيَّ أربع آيات:

● **الأولى**: حلفت أمي ألا تأكل ولا تشرب حتىٰ أفارق دين محمد فنزلت: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ...** ﴾ (لقمان: ١٥).

● **الثانية**: أخذتُ سيفاً فأعجبني، فقلت: يا رسول الله هب لي هذا السيف فنزلت: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ...** ﴾ (الأنفال: ١).

● **الثالثة**: أني كنتُ قد مرضت فأتاني رسول الله ﷺ، فقلت: « يا رسول الله، إني أريد أن أوصي، أفأوصي بالنصف؟». فقال: «لا»، فقلتُ:

---

(١) ذكرت هذه الموافقات في فصل البدعة: (ليس من البدع) ارجع إليها إن شئت.

«الثلث؟»، فسكت النبي ﷺ. فكان الثلث، بعدها نزلت في الوصية قوله تعالىٰ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ١٨٠).

- **الرابعة**: أني شربت الخمر مع قوم من الأنصار، فضرب رجل منهم أنفي فأتيتُ رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر.

الـمُحْكَمُ والـمُتشابِه:

قال الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران: ٧).

في مسألة المحكم والمتشابه ثلاثة أقوال:

الأول: إن القرآن كله محكم لقوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ (هود: ١).

الثاني: أن القرآن كله متشابه لقوله تعالىٰ: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا ﴾ (الزمر: ٢٣).

الثالث: وهو الصحيح انقسامه إلىٰ محكم ومتشابه، كما في الآية السابعة من سورة آل عمران.

- والمراد بإحكامه في القول الأول: إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه.
- والمراد بالمتشابه في القول الثاني: كونه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز

وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال:

الـمُحْكَمُ:

- ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل.
- ما وضح معناه.
- ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً.
- ما استقل بنفسه.
- ما لم ينسخ.

المُتَشابِه :

- ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المتقطعة في أوائل السور.
- لم يتضح معناه .
- ما احتمل أوجهاً.
- ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلىٰ غيره.
- ما قد نُسخ .

الناسخ والمنسوخ :

« قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، والناسخ يَرِدْ بمعانٍ منها :

١ ـ **الإزالة** كقوله : ﴿ **فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ** ﴾ (الحج : ٥٢)

٢ ـ **التبديل** كقوله : ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ** ﴾ (النحل : ١٠١).

٣ ـ **التحويل** كتناسخ المواريث بمعنىٰ : تحويل الميراث من واحد إلىٰ واحد.

٤ ـ **النقل من موضع إلى موضع** ، ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه ، وهذا الوجه لا يصح أن يكون في القرآن»(١) .

تعريف النسخ اصطلاحاً (٢) : رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي.

حِكمة النسخ (٣) :

« النسخ من الأشياء التي خص الله بها هذه الأمة لِحِكَمٍ منها :

١ ـ مراعاة مصالح العباد.

---

(١) مختصر الإتقان، للسيوطي، ص ١٣٦ .
(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ، ص ٢٢٤ .
(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٢ .

٢ ـ تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس.

٣ ـ ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال من عدمه.

٤ ـ إرادة الخير للأمة، والتيسير عليها؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر.

ما الذي ينسخ القرآن ؟؟

١ ـ قيل : لا يُنسخ القرآن إلا بالقرآن، قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا .. ﴾ (البقرة: ١٠٦).

٢ ـ وقيل : ينسخ القرآن بالسنَّة لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النجم: ٣). وجعل منه آية الوصية: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ... ﴾ (البقرة: ١٨٠). الآية منسوخة بحديث: «ألا.. لا وصية لوارث»(١).

٣ ـ لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر، أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد، ولا يتعلق النسخ بالاعتقادات أو الآداب الخُلقية، ولا يدخل النسخ في أصول العبادات والمعاملات؛ لأن الشرائع كلها لا تخلو عن هذه الأصول وهي متفقة فيها: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

أقسام النسخ:

الأول: نسخ المأمور به قبل امتثاله:

وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً... ﴾ (المجادلة: ١٢).

---

(١) رواه البخاري، وصايا ٦.

الثاني: نسخ مما كان شرعاً لمن قبلنا :

كآية شرع القصاص والدية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٨).

أو كان أقر به أمراً إجمالياً كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ.. ﴾ (البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٥).

ونسخ صوم عاشوراء بصوم رمضان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ... ﴾ (البقرة: ١٨٣ ـ ١٩٥).
ويسمى هذا نسخاً تجوزاً.

الثالث: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب :

كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٩)، ثم نسخ بإيجاب القتال.

وهذا في الحقيقة ليس نسخاً. . بل هو من قسم المنسأ، كما قال الله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٦).

ما الذي يَنْسَخ .. وما الحكم ؟

١ ـ نسخ القرآن بالقرآن. . متفق على جوازه ووقوعه.

٢ ـ نسخ القرآن بالسنة. .

أ - سنة أحادية . . عدم جواز ذلك عند الجمهور .

ب - السنة المتواترة :

- أجازه مالك وأبو حنيفة .

- منعه الشافعي وأحمد والظاهرية .

٣ - نسخ السنة بالقرآن : أجازه الجمهور (التوجه لبيت المقدس - صيام عاشوراء برمضان) .

٤ - نسخ السنة بالسنة :

- نسخ متواترة بمتواترة جائز .

- نسخ آحاد بآحاد جائز .

- نسخ آحاد بمتواتر جائز .

- نسخ متواتر بآحاد جائز .

أضرُب النسخ في القرآن.. أنواعه وطرقه [1] :

الضرب الأول: ما نسخ تلاوته وحكمه معاً:

كقول عائشة : كان فيما أنزل : «**عشر رضعات معلومات**»[2]، **فنسخن**: «بخمس معلومات»، فتوفى رسول الله ﷺ وهن مما يقرأن من القرآن، وحينما قارب الوفاة نسخت التلاوة أيضاً، وتوفى رسول الله ﷺ ولم يبلغ ذلك كل الناس .

الضرب الثاني: ما نُسخ حكمه وبقيت تلاوته :

وهذا النوع قليل جداً ، وإن أُلِّفَتْ فيه الكتب . .

والسؤال : ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة ؟

---

(١) مختصر الإتقان، السيوطي، ص ١٣٩ .

(٢) رواه مسلم، رضاع ٢٥ .

والجواب:

١ ـ هو كلام الله فيتلى فتثاب عليه.

٢ ـ إن النسخ يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة وتذكيراً للنعمة ورفع المشقة.

الضرب الثالث: ما نسخ تلاوته وبقي حكمه:

وهنا **تساؤل**: ما الحكمة في نسخ التلاوة؟

وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بالحكم وثواب التلاوة؟

والجواب: ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلىٰ بذل النفوس، كما سارع الخليل بذبح ولده بمنام، والمنام أدنىٰ طريق الوحي.

فعن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: «لا تشكوا في الرجم فإنه حق، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألتُ أبيَّ بن كعب فقال: «أليس أتيتني وأنا استقرئها رسول الله؟ فدفعت في صدري وقلت تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون (يتدافعون) تسافد الحمر؟»[(١)].

كيف يُعرف النسخ؟؟

١ ـ يعرف من النقل الصريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا.

٢ ـ قد يُحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر

٣ ـ لا يعتمد في النسخ علىٰ قول عوام المفسرين ولا علىٰ اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده ﷺ والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد.

---

(١) مختصر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص ١٤٠.

النسخ إلى بدل وإلى غير بدل :

١ ـ النسخ إلى غير بدل :

كنسخ الصدقة بين يدي نجوى الرسول ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المجادلة: ١٢)، نُسِخَت: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المجادلة: ١٣).

٢ ـ النسخ إلى بدل (١) :

أ ـ النسخ إلى بدل أخف : قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ...﴾ (البقرة: ١٨٧)، ناسخة لقوله تعالى : ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)، للحديث الذي رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر : « ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ كُتب عليهم إذا صلىٰ أحدهم العتمة أو نام حُرم عليه الطعام والشراب والنساء إلىٰ مثلها فأنزل الله : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ...﴾.

ب ـ النسخ إلى بدل مماثل : كنسخ التوجه إلىٰ بيت المقدس بالتوجه إلىٰ الكعبة : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٤).

جـ ـ النسخ إلى بدل أثقل : كنسخ الحبس في البيوت في قوله تعالىٰ : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ (النساء: ١٥)،

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

بالجلد في قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور : ٢).

شبهات (١) حول النسخ:

الذين ينكرون النسخ أثاروا هذه الشُبه :

الشبهة الأولى: يقول أصحابها إن النسخ يتضمن الإذن فيما نهي عنه أو النهي بما أذن فيه، والفعل إما أن يكون حسناً أو قبيحاً، فإن كان حسناً استحال النهي عنه، وإن كان قبيحاً استحال الإذن فيه، فالنسخ محال عليه سبحانه وتعالى على كلا التقديرين.

الرد: ذهب العلماء في رفع هذه الشبهة إلى مذهبين : فالذين ينكرون تعليل الأحكام يقولون إنها مسندة إلى محض إرادة تعالى من غير باعث، فالله تعالى وهو الحاكم المطلق الفعال لما يريد، فيجوز في حقه أن يضع حكماً ويرفع حكماً لا لغرض ولا لباعث.

قال ابن حزم في كتابه الأحكام: «إن الله تعالى أراد أن يحرم علينا بعض ما خلق مدة، ثم أراد تعالى أن يحرمه علينا ولا علة لشيء في ذلك».

اما رد المحققين : يقولون إن أحكام الله تعالى مراعى فيها مصالح العباد واللطف بهم، وهذه المصالح تختلف بحسب اختلاف الأوقات فقد يكون الفعل مفسدة في وقت ومصلحة في وقت آخر كوجوب وقوف الواحد من المسلمين للعشرة من الكفار حيث اقتضته قلة المسلمين ورفع هذا الوجوب حيث استغنى عنه بكثرتهم.

الشبهة الثانية: قالوا إن النسخ من قبيل البداء.

الرد: قلنا بين النسخ والبداء(٢) فرق أجلى من الشمس، والفارق هو أن

---

(١) **الشبهة:** الالتباس، وفي الشرع ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل، جمعها شُبَه، المعجم الوسيط، شبة ص ٤٩٠ الجزء الأول.

(٢) البداء هو أن يظهر الأمر بدون أمر الله أي من تلقاء نفسه، وهذا محال فكل الموجودات تظهر بالأمر الإلهي، وبدا في الأمر: جد له فيه رأي والبداة: أول الحال والنشأة، والنشأة لا تكون إلا بأمر الله تعالى، انظر: المعجم الوسيط، ص ٤٣ .

البداء يكون في الأمر بالشيء مع عدم العلم بما تؤول إليه حاله وهذا هو المحال عليه تعالى، وأما النسخ فيكون الآمر عند شرعه الحكم الأول عالماً بأنه سيرفعه بعد مدة معلومة وهذا يصح أن يكون من صفاته تعالى.

الشبهة الثالثة(١) : قالوا إن اللفظ الدال على الحكم الأول إما أن يدل على الدوام فإذا جاء الناسخ كان متناقضاً، وإما ألا يدل على الدوام فيكون مطلقاً ويكفي للعمل به مرة واحدة وينقضي بذاته فلا يحتاج إلى النسخ.

الـرد : أنه تعالى يأمرنا بالشيء ولا ينص على دوام ولا عدم الدوام، وإنما يأتي الأمر بصيغة يفهم منها تكرار العمل فنتمثل مقدرين استمراره، فإذا جاء الناسخ يعلم أنه تعالى أمرنا بالأمر وهو يريد العمل به إلى هذا الوقت المعين في عمله وهذا الوقت لا يلزم أن يكون معلوماً لنا إذ لا يترتب على هذا الوقت فائدة.

هل يُعرف النسخ بمجرد التنافي بين ظاهري النصين؟

لا نحكم على النسخ بمجرد ظهور النصين متنافيين ولكن لابد من قيام شاهد على النسخ وأقوى شواهده نص الشارع على ذلك كما قال ﷺ :

- «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(٢).
- «كنتُ نهيتكم عن ادخار لحم الأضاحي فادخروها»(٣).
- «كنتُ نهيتكم عن الانتباذ فانتبذوا»(٤).

يقول ابن تيمية : «والنسخ الواقع في الأحاديث الذي أجمعت عليه الأمة لايبلغ عشرة أحاديث البتة، بل ولا شطرها».

---

(١) هذه الشبهة ذكرها ورد عليها فضيلة الإمام الأكبر : محمد الخضر حسين في كتاب الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، الجزء الثاني، هدية مجلة الأزهر، صفر عام ١٤٢٨، ص٣.

(٢) رواه مسلم، جنائز ٩٧٧ ، أضاحي ١٩٧٧، وفي الترغيب رقم ٥٠٩٩، ٥١٠٠ .

(٣) أخرجه مسلم، أضاحي ١٩٧٧ .

(٤) انتبذ : اعتزل ناحية، وانتبذ مكاناً أو ناحية : اعتزل فيه بعيداً عن القوم، المعجم الوسيط الجزء الثاني ص ٩٧٢ ، ورواه مسلم، أضاحي ١٩٧٧ .

نسخ ما في العقول عن النسخ (١) :

دائماً تُثار القضايا عن عمد أو عن جهل حول موضوع النسخ في الشريعة، وتثار الشبهات وتنطلق الاتهامات لتنال من عظمة الشريعة، فكان لزاماً أن نسد هذه المداخل لتبقى الشريعة الإسلامية منهجاً سليماً صحيحاً يقود البشرية إلى الرقي والتقدم والسمو الأخلاقي.

أولاً: المقدمات:

١ ـ خلق الله تعالى الإنسان بنفخة واحدة ولم يخلقه على فترات، وركب فيه شهوات ورغبات وانفعالات وميول مرة واحدة وليس على فترات أو نتيجة الاكتشافات، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦). ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ (الأنعام: ٣).

٢ ـ جعل الله لهذه الشهوات والرغبات تشريعاً كاملاً نهائياً يوم خلق الإنسان إلى نهاية الحياة: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور: ٢). ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ (النور: ٣٠). ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة: ٣٨).

٣ ـ لم يضع الله تعالى هذا التشريع ـ معاذ الله ـ ليُجرب في الإنسان ثم يكتشف الصواب والخطأ خلال الحياة العملية، فيزيل هذا الحكم ويضع غيره، أو يستبدل هذه الفقرة، أو يخفف هذه العقوبة ويشدد تلك، فهذا مُحال على الخالق العليم الخبير الذي يعلم ما يُصلح الصنعة من بداية الحياة إلى نهايتها، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ (طه: ٥٢). ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم: ٦٤). ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴾ (القمر). ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

ثانياً: النتائج:

١ ـ إن وضع التشريع في صورته النهائية متلازم ومتزامن مع خلق الإنسان،

---

(١) ذكرتُ ما قيل عن مسألة النسخ حتى يكون القارئ على علم بكل جوانبها قبل أن أذكر ما أراه في هذه المسألة لقطع الطريق على ما يُثار من شبهات.

وإن التعديل والتغيير مُحال على الخالق سبحانه وتعالى.

٢ ـ من داخل بعض التشريعات النهائية تجد صُوراً مرحلية أراد الله أن يبينها لنا لهدف أو حكمة أو غاية.

وبالمثال يتضح المقال: التشريع النهائي الذي شرعه الله تعالى هو الصلاة إلى البيت الحرام، ولكن هناك تشريعاً مرحلياً وهو التوجه إلى بيت المقدس لحكمة، فكذلك المرحلة الجامعية للطالب لا تنسخ المرحلة الثانوية أبداً بل هي مكملة لها، وإن وصول الذي يرتقي درجات السلم إلى سطح المبنى لا يلغي الدرجة الأولى للسلم، ففي قوله تعالى: ﴿مَانَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (البقرة: ١٠٦)، لماذا؟، **والجواب**: ليصل التشريع إلى صورته النهائية التي شرعها الله أزلاً من يوم خلق الإنسان.

والخلاصة: إذا سلمنا أن النسخ يعني (إزالة أو تبديل أو تخفيف) حكم ووضع حكم جديد فقد وافقنا من يقولون بالبداء وهذا محال على الله تعالى، وأرى أن يكون تعريف النسخ اصطلاحاً هو: «التطبيق المرحلي للتشريع، وبذلك نكون قد أغلقنا نهائياً أي شبهة حول موضوع النسخ».

أقوال العلماء في قضية النسخ (١):

- هناك من يتوسعون في دعوى النسخ في القرآن الكريم، ويزعمون أن آية كذا في سورة كذا منسوخة على حين لا يوجد دليل قاطع على هذا النسخ.
- وفي مقابل هؤلاء من أنكر النسخ في القرآن بالكلية وهو يروى عن أبي مسلم الأصفهاني الذي يحرص الإمام الرازي على ذكر آرائه ويوجهها ويبدو في كثير من الأحيان أنه يرجحها، وكذا رأى الإمام محمد عبده. وقريب منه رأى العلامة الشيخ محمد الخضري الذي ذكره في كتابه تاريخ التشريع الإسلامي.
- وهناك رأى هو الاعتدال من علماء العصر الذي يقول بالنسخ إذا ثبت دليله الصحيح الصريح الذي يقتنع به العقل ويطمئن إليه القلب».

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟، د. القرضاوي، ص ٣٢٦ طبعة دار الشروق، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م.

رد قاطع يدحض جميع الشبهات حول القرآن :

الشُبهة ـ كما اتضح ـ : ما التبس أمره، فلا يدري أحق هو أم باطل .

أثيرت شبهات كثيرة حول القرآن ـ وما زالت وستظل ـ ولكن ما نتيجة ذلك ؟

١ ـ هذه الشبهات جرّت الأمة إلى النظريات الفلسفية والجدل الكلامي العقيم .

٢ ـ هل أسلم أصحاب هذه الشبهات؟

٣ ـ هل ازداد المؤمنون إيماناً حينما سمعوا الرد على هذه الشبهات؟

٤ ـ هذه الشبهات كلام هلامي إنشائي غير محدد مثل (القرآن مفكك الأجزاء ـ القرآن المكي ليس فيه تشريع ـ القرآن متناقض ـ القرآن من عند محمد ﷺ . . . إلى آخر هذه الشبه) .

٥ ـ النتيجة فشل كل محاولات النيل من القرآن .

المنهج الأمثل في التعامل مع الشبهات :

١ ـ لابد أن يكون الكلام في موضوع الشبهة علمياً دقيقاً محدداً مُدعم بالأدلة والثوابت .

٢ ـ الذي يثير الشبهة لابد أن يدخل دائرة الصراع، لا أن يقول كلاماً سفسطائياً نظرياً .

٣ ـ كيف تثير شبهة حول دستور أنت لا تستطيع أن تأتي بسطر واحد مثله .

دحض الشبهات حول القرآن :

القرآن تحداك، بل تحدى الأنس والجن معك)، فادخل إلى حلبة الصراع والتحدي، والمطلوب منك مثل القرآن كله : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

وظهيراً يعني معيناً ومساعداً، والآن يخفف القرآن التحدي، والمطلوب منك عشر سور مثل القرآن : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (هود : ١٣) .

والآن يخفف القرآن التحدي مطلوب منك سورة واحدة مثل القرآن: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾ (البقرة).

ويقول صاحب نونية القحطاني:

فليأت منه بسورة أو آية ... فإذا رأى النظمين يشتبهان

فلينفرد باسم الألوهية وليكن ... رب البرية وليقل سبحاني

فإذا تناقض نظمه فليلبسن ... ثوب النقيصة صاغراً بهوان

أو فليقر بأنه تنزيل من ... سماه في نص الكتاب مثاني

والآن يخفف القرآن التحدي ويدعو الناس جميعاً حتى لا تقول أنا لا أتقن اللغة العربية فلن أدخل التحدي، لا عذر لك، القرآن تحداك بأقل المخلوقات: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ (الحج: ٧٣).

ولكن خلق الذبابة كبير على البشرية، فهل إذا سلب الذباب منك شيئاً تستطيع أن تعيده مرة ثانية منه؟: ﴿ **وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (الحج).

أنت لا تستطيع خلق ذبابة، فعن أي شبهة تبحث؟ وعن أي نقص تفتش؟ وعن أي عيب تُنقب؟ أما وقد ظهر عجزك الآن فكلامك مردود، وشبهاتك كلها باطلة، وأرى أن الشبهة الآن تدور حول عقلك ونضجه وسلامته، هل تستطيع التفكير السليم؟ نعم، ألهمك الله الصواب؟ أعد المحاولة بصدق ستنجح فتؤمن بالله تعالى رباً وبالقرآن دستوراً: ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ**

كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى (١٢٦) ﴾ (طه).

مسألة خلق القرآن :

كثر القول حول القرآن الكريم في كونه مخلوقاً أم غير مخلوق، وقد عمل على إثارة هذه المسألة النصارى الذين كانوا في حاشية البيت الأموي وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي، الذي نشر الأكاذيب بين المسلمين عن نبيهم، وبث بين علماء النصارى في البلاد الإسلامية طرق المناظرات التي تشكك المسلمين في دينهم وبدأ في ترديد أن القرآن الكريم مخلوق(١).

وقاله المعتزلة وغيرهم واعتنق ذلك الرأي المأمون، وأصدر في عام ٢١٢ هـ أن المذهب الحق هو أن القرآن مخلوق، وأصدر مرسوماً بألا يعين في الدولة إلا من يعتنق ذلك، ولا يُقبل شهادة إلا من يعتنق ذلك، وأخذ العلماء الذين رفضوا ونكل بهم أشد تنكيل، وترك وصية للمعتصم بذلك، وجاء الواثق والوصية بالامتحان قائمة.

وذاق الإمام أحمد صنوف العذاب ولكن صبر واحتسب(٢).

الرأي في هذه المسألة :

١ ـ المعتزلة قرروا أن القرآن مخلوق.

٢ ـ الإمام أحمد : ما كان يرى الخوض في مثل هذه الأمور التي لم يخض فيها السلف الصالح، ولكن لما طلب إليه المتوكل أن يبدي رأيه فبين له أنه يرى أن القرآن غير مخلوق.

---

(١) جاء في القرآن أن عيسى ابن مريم كلمته ألقاها إلى مريم فكان هذا الرجل يبث بين المسلمين أن كلمة الله قديمة فيسألهم : أكلمته قديمة؟ فإن قالوا لا، فقد قالوا أن كلامه مخلوق، وإن قالوا قديمة ادعى أن عيسى قديم.

الرد على هذه الشبهة: لا شك أن ذلك تلبيس؛ لأن معنى كلمة الله، أي أن الله خلقه بكلمة منه كما نص على ذلك في آيات أخرى لا أنه هو ذات الكلمة.

(٢) المحنة وتفاصيلها كاملة، تاريخ المذاهب الإسلامية، للإمام محمد أبو زهرة، ص ٤٦٢ دار الفكر العربي.

٣ـ يقول البيهقي [1] :

أ ـ القرآن كلام الله عز وجل وكلام الله صفة من صفات ذاته ولا يجوز أن يكون شيء من صفات ذاته مخلوقاً ولا محدثاً ولا حادثاً قال الله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل : ٤٠). فلو كان القرآن مخلوقاً لكان الله سبحانه قائلاً له كن والقرآن قوله ويستحيل أن يكون قوله معقولاً له ؛ لأن هذا يوجب قولاً ثانياً وهكذا إلى ما لا نهاية وهو فاسد وبذك فسد أن يكون القرآن مخلوقاً ووجب أن يكون أمراً أزلياً .

ب ـ ﴿ الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) ﴾ (الرحمن). فلما جمع في الذكر بين القرآن الذي هو كلامه وصفته وبين الإنسان الذي هو خلقه ومصنوعه خص القرآن بالتعليم والإنسان بالتخليق فلو كان القرآن مخلوقاً كالإنسان لقال خلق القرآن والإنسان .

جـ ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٤). ففرق بين خلقه وأمره بالواو الذي هو حرف الفصل بين الشيئين المتغايرين فدل على أن قوله غير خلقه . .

٤ ـ عن محمد بن سعيد قال : سألتُ أبا يوسف فقلت : أكان أبو حنيفة يقول القرآن مخلوق؟ فقال : معاذ الله ولا أنا أقوله .

٥ ـ يقول صاحب نونية القحطاني :

من قال إن الله خالق قوله   فقد استحل عبادة الأوثان
من قال إن حروفه مخلوقة   فالعنة ثم اهجره كل أوان
قل غير مخلوقٍ كلام إلهنا   واعجل ولاتك في الإجابة وان

---

(١) الاعتقاد، للبيهقي، ص ٣٨ .

لماذا نزل القرآن منجماً (١) ؟

شرف الله القرآن الكريم بأن جعل له تنزيلات ثلاث :

الأول : النزول إلى اللوح المحفوظ حيث سجل الله في اللوح كل شيء قضاه وقدره ومن هذه الأشياء القرآن قال تعالى : ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)** ﴾ (البقرة). وكان هذا النزول جملة لا مفرقاً.

الثاني : النزول إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة في ليلة القدر : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ** ﴾ (الدخان : ٣).

الثالث : كان بواسطة جبريل على قلب النبي ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً** ﴾ (الإسراء : ١٠٦).

ولقد بيَّن العلماء الحكمة في نزوله منجماً، مفرقاً، ومنها :

١ - **تثبيت قلب النبي ﷺ** وتقويته بكثرة نزول المَلَكْ إليه.

٢ - **التأكد من حفظه وفهمه،** فنزوله خمس آيات خمس آيات أبعد عن النسيان، وصح نزول عشر آيات عن عمر بن الخطاب : «تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً»(٢)، لذا أقول لمن يريد الحفظ أن يحفظ في اليوم خمس آيات(٣).

وإلى هاتين الحكمتين يقول الله تعالى :

﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾ (الفرقان : ٣٢).

---

(١) منجماً : أي مفرقاً يتلو بعضه بعضاً على تؤدة ورفق في ثلاث وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة بمكة وعشر بالمدينة.

(٢) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان.

(٣) راجع الباب الرابع من هذه الموسوعة ستجد جدولاً لحفظ القرآن.

٣ - **التحدي والإعجاز**: فكان القرآن ينزل بالجواب الحق عن أسئلتهم الذي يعجزون عن الإتيان بمثله كسؤالهم عن قصة أهل الكهف.

٤ - **التدرج في التشريع**: مثل تحريم الخمر يقول الله تعالى: ﴿**وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (النحل: ٦٧).

- ثم نزل: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (البقرة: ٢١٩).

- ثم نزل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ (النساء: ٤٣).

- ثم نزل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۞** ﴾ (المائدة).

٥ - **بيان أن القرآن من عند الله وليس كلام بشر**: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾ (هود: ١). ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ (النساء: ٨٢).

ترجمة القرآن :

نذكر نص الفتوىٰ التي أفتي بها **الإمام الأكبر محمود شلتوت**، في بحث من فصلين ومقدمة، ونُشِرَ هذا البحث في مجلة الأزهر المجلد السابع عام ١٣٥٣ هـ ص ١٢٣ وأعيد نشره في هدية الأزهر جمادىٰ الآخرة عام ١٤٢٢ هـ، وسوف نذكر المقدمة ففيها تلخيص، ومن أراد التفصيل فليرجع إلىٰ البحث.

الترجمة : نقل المعنىٰ من لغة إلىٰ أخرىٰ، والترجمة التفسير مطلقاً، ومنه ترجمان القرآن، وفي القاموس : الترجمان : المفسر للكلام.

والترجمة التي يمكن أن يفترضها العقل للقرآن ثلاثة أنواع :

أولها : نقله من أسلوبه إلىٰ أسلوب آخر يضاهيه تمام المضاهاه في خصائصه ومزاياه، ويقوم بوظيفته : الإعجاز والتبليغ، وهذا النوع لا تتناوله قدرة البشر، ولا يدخل تحت حكم شرعي، وقد أخبر الله بعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن، والمثلية المطلقة لا تتحقق إلا بقيام أحد الشيئين مقام الآخر في جميع وظائفه، وهذا الفرض ليس موضع تفكير لأحد من العقلاء، فضلاً عن المسلمين، وليس هناك عاقل تحدثه نفسه بأن يترجم القرآن بهذا النوع من الترجمة، كما أنه ليس هناك مسلم عاقل يزعم علىٰ أحد من المسلمين العقلاء أنه يريد هذا النوع من الترجمة ! .

لهذا يجب أن يستبعد هذا النوع من موضع النزاع ، ويقصر علىٰ النوعين الآخرين :

الثاني : وهو أن يوضع بدل كل لفظ آخر مرادف له من اللغة المنقول إليها بقدر استطاعة المترجم، واستطاعة تلك اللغة.

الثالث : وهو أن يفهم معنىٰ الآية فهماً تاماً دقيقاً، ويؤدي بعبارة اللغة المنقول إليها.

هذان النوعان (الثاني والثالث) هما موضع البحث، ومحل النزاع، ومن المُسَلَّم به بادئ ذي بدء أن هذين النوعين سواء أكانا بلسان القرآن أم بغيره، ممكنان

وواقعان، وما هما عند إمعان النظر الذي يطلب الحق لذاته إلا تفسير وبيان، ونحن جميعاً نعلم أن البيان أو التفسير يُقصر تارة، ويحاذي بترتيبه حسب الإمكان ترتيب الأصل، فيكون الأول منهما، ويطول أخرىٰ، ولا يحاذىٰ به ترتيب الأصل، فيكون الثاني.

ومن المُسَلَّم به أن الترجمة بأحدهما لا يمكن ـ مهما علا كعب صاحبها في البلاغة ـ أن تحمل وجوه الإعجاز التي يحملها القرآن، فلا تكون القرآن المتعبد بتلاوته، المُتَحَدَّىٰ بأقصر سورة منه، ولا تكون مثله، كيف والقرآن في وجوده الذاتي، وعند الله، وعند المسلمين، هو اللفظ العربي المعجز المنقول إلىٰ المسلمين بالتواتر؟

ومن المُسَلَّم به أيضاً أن وجود الترجمة بأحد هذين النوعين بجانب الأصل القرآني المعجز لا يتصور عاقل أنها تطغي علىٰ ما يحمله من وجوه الإعجاز، أو أنها تُغني غناءه فيما قصد منه من إعجاز وتبليغ.

علىٰ أنه من المُسَلَّم به أيضاً أن جهات الإعجاز في القرآن لا تنحصر في بلاغته التي لا يتذوق الوجه المعجز فيها إلا من كان ذا سليقة عربية خالصة، بل من وجوه إعجازه احتواؤه علىٰ أخبار غيبية لا يدركها الإنسان إلا عن طريق الوحي الإلهي، واحتواؤه علىٰ أسس تشريعية، ومبادئ أخلاقية واجتماعية، لم يعهد في تاريخ البشر أن أمياً نشأ في جاهلية يستطيع أن يضعها أو يضع شيئاً منها.

ولا ريب أن الترجمة إذا لم تحتفظ بالوجه البلاغي المعجز فإنها تحتفظ بجهات الإعجاز المستقرة في صلب المعاني الأصلية، وهي جهات عظيمة القدر، جليلة النفع، لها آثارها في امتلاك القلوب فلا ينبغي أن تحجب عن نفوس متطلعة ولا أن تحرم منها الإنسانية».

وبعد هذه الفتوى أذكر تعليقاً على موضوع ترجمة القرآن ذكره الشيخ مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن، يقول فيه : « ولقد كان فيما سَلَفَ يقتحمون للسيادة كل وعر، ويركبون لإظهار دين الله كل خطر، ويلبسون من برود البطولة والعدل وكرم الأخلاق ما يملأ عيون مخالفيهم مهابة وإكباراً، وكانت اللغة

العربية تجر رداءها أينما رفعوا رايتهم، وتنتشر في كل واد وطئته أقدامهم، فلم يشعروا في دعوتهم إلىٰ الإسلام بالحاجة إلىٰ نقل معاني القرآن إلىٰ اللغات الأجنبية، وربما كان عدم نقلها إلىٰ غير العربية وهم في تلك العزة والسلطان من أسباب إقبال غير العرب علىٰ معرفة لسان العرب، حتىٰ صارت أوطان أعجمية إلىٰ النطق بالعربية.

والظاهرة التي نشاهدها الآن في ضرورة تعلم اللغات الأجنبية للأمة العربية حتىٰ تتمكن من إرسال بعثاتها العلمية إلىٰ جامعات الدول الأخرىٰ، او دراسة أمهات الكتب للعلوم الكونية في جامعاتها لأنها بلغة أجنبية لمؤلفين أجانب، هذه الظاهرة دعت إليها الحاجة إلىٰ العلم والثقافة، ونحن نراها تنشر سيطرتها علىٰ تفكير الكثير، وتحدد اتجاهه في الحياة، وتصل إلىٰ درجة الولوع بها، والشغف والتوسع في فنونها، وقد كان لها الأثر البالغ في الأخلاق والعادات والتقاليد مما جعل حياتنا العامة في شتىٰ صورها تخرج عن سمت الإسلام وطابع فضائله، ولم تكن الأم الأخرىٰ في حاجة إلىٰ ترجمة كتبها إلىٰ اللغة العربية لما لها من المكانة العلمية، فلو ظلت دولة الإسلام في طريق نهضتها الأولىٰ علماً وثقافة وسياسة وخلقاً وقوة وسلطاناً ومهابة لرمقها العالم من جميع أطراف المعمورة، وتطلع إلىٰ دراسة اللغة العربية لينهل من معين نتاج الإسلام الفكري، ويروي ظمأه من معارفه، ويستظل بسلطانه، ويحتمي في سيادته، ولرأىٰ في هذا حاجته بمثل ما نرىٰ نحن اليوم حاجتنا إلىٰ لغته.

فالحديث عن ترجمة القرآن من مظاهر ضعف دولته، وحرىٰ بنا أن يتجه نظرنا إلىٰ بذل جهودنا في تكوين دولة القرآن، وتوطيد دعائم نهضتها علىٰ أساس من الإيمان والعلم والمعرفة، فهي وحدها الكفيلة بالسيطرة الروحية علىٰ أجناس البشر وتعريب ألسنتهم وإذا كان الإسلام هو دين الإنسانية كافة، فالشأن في لغته حين نعمل علىٰ تحقيق ما كتبه الله له ولأمته من العزة أن تكون كذلك»(١).

---

(١) مباحث في علوم القرآن، الشيخ مناع القطان، ص ٣١٤، ٣١٥.

الخلاصة: جاءت فتوىٰ **الشيخ شلتوت** أصولية تُحرم ترجمة القرآن الكريم، وجاء تعليق **الشيخ القطان** علىٰ موضوع الترجمة دعوياً يُجرّم ترجمة القرآن لأنه تضييع للأمة.

وأقول: لقد دارت ترجمة القرآن بين التحريم والتجريم فلا يجوز للأمة أن ترتكب محرماً يوصلها إلىٰ جريمة.. أما ترجمة معاني كلمات القرآن وتفسيره أرىٰ أنها من أعظم الأعمال ويجب الحث عليها وأن تكون الترجمة لكل اللغات في العالم.

العام والخاص (١)

العام: لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر وصيغة، كالسماوات مثلاً، وكعلماء البلد(٢).

صيغ العام :

١ - **كل مبتداة** نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦). أو تابعه نحو: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر: ٣٠).

٢ - **الذي والتي وتثنيتهما وجمعهما** نحو: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ (الأحقاف: ١٧). والمراد كل من صدر منه هذا القول.

٣ - **أي.. وما.. ومن شرطاً واستفهاماً وموصولاً** نحو: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء: ١١٠).

٤ - **والمُعَرَّف بأل** نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١). ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ٥). ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، أي كل بيع.

٥ - **واسم الجنس المضاف** نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ (النور: ٦٣).. أي كل أمر الله .

٦ - **أو النكرة في سياق النفي والنهي** نحو: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ (الإسراء: ٢٣)

٧ - **وفي سياق الشرط** نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦)

٨ - **وفي سياق الامتنان** نحو: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

---

(١) مختصر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.

(٢) يقول د. زيدان: «ومن تعريف العام يتبين الفرق بينه وبين المطلق، فالعام يشمل كل فرد من أفراد دفعة واحدة، بينما المطلق لا يتناول ولا يشمل دفعة واحدة إلا فرداً شائعاً أو أفراد شائعة لا جميع الأفراد، الوجيز، ص ٣٠٠ .

أقسام العام: ثلاثة :

الأول : الباقي على عمومه كقوله : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ** .. ﴾ (النساء: ٢٣).

الثاني : العام المراد به الخصوص : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

الثالث : العام المخصوص : وأمثلته في القرآن كثيرة جداً وهي أكثر من المنسوخ نحو: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ (القصص: ٨٨). ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ** .... ﴾ (الشعراء حتى نهاية السورة).

الخــاص :

ومن خاص القرآن كان مخصصاً لعموم السنة وهو قليل نحو: ﴿ **حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ (التوبة: ٢٩). خصّ عموم قول النبي ﷺ: « **أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله** »(١) .

المطلق والمقيد (٢) :

المطلق(٣) : الدال على الماهية (الشيء) بلا قيد وهو مع القيد كالعام والخاص، قال العلماء: متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده .. مثل: اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق، والوصية، كما في قوله: ﴿ **وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ** ﴾ (الطلاق: ٢). وقوله تعالى: ﴿ **شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ** ﴾ (المائدة: ١٠٦)، وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله تعالى: ﴿ **وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ** ﴾ (البقرة: ٢٨٢). ﴿ **فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ** ﴾ (النساء: ٦).

---

(١) رواه البخاري، إيمان ١٧، ٢٨، صلاة ٢٨، زكاة ١، اعتصام ٢، ٢٨، ومسلم، إيمان ٣٢، ٣٦.

(٢) مختصر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.

(٣) **المطلق** : اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه، أو هو اللفظ الدال على فرد أو أفراد غير معينة، وبدون أي قيد لفظي مثل رجل ورجال، وكتاب وكتب. **والمقيد**: هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه مع تقييده بوصف من الأوصاف، مثل: رجل مصري، رجال مصريون، كتب قيمة.

الفصل السادس

ما يلزم المُسلم في يومه
من فقه العبادات

أولاً : الطهارة والصلاة .

ثانياً : مختارات فقهية .

ثالثاً : الزكاة .

رابعاً : المُحرمات من النساء .

الفصل السادس

ما يلزم المسلم في يومه من فقه العبادات

يقوم المسلم في حياته اليومية ببعض الأعمال التي ألزمه الشرع بها.. ويُسعدنا في هذا المقام أن نعرضها بأسلوب مُيسَّر وسهل.. فإن شروط قبول الأعمال: الإخلاص، والموافقة للشرع.. لذلك يجب على المسلم أن يُخلص لله في عباداته، وأن يتعلم تلك العبادات، ويتفقه فيها، حتى تكون موافقة لشرع الله، وبالتالي تُقبل عند الله..

وإنَّ من أهم وأول الأعمال التي يجب على المسلم أن يتقنها ، ويتعلم فقهها هي : الصلاة . . فهي أول ما يُسْأَل عنه العبد يوم القيامة ، فإن صَلُحَتْ صَلُحَ سائر عمله ، وإن فَسَدَتْ فسد سائر عمله . .

أولاً : الطهارة والصلاة

شروط صحة الصلاة :

١ ـ **دخول الوقت** .

٢ ـ **استقبال القبلة:** اجتهد في معرفة القبلة وتحريها بما يُتاح لك .

٣ ـ **ستر العورة:** وعورة الرجل من السرة إلى الركبة وعورة المرأة جميع بدنها ماعدا الوجة والكفين .

٤ ـ **الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر** ، يقول الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾** (المائدة : ٦) .

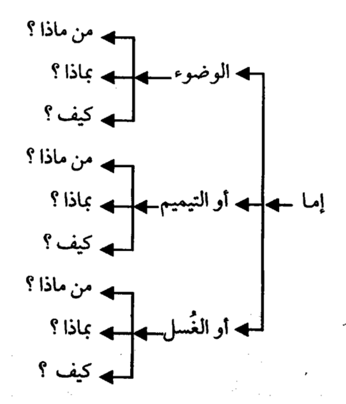
ولحديث عبدالله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول**»(١).

٥ ـ طهارة المكان والثوب والبدن :

أ ـ **طهارة المكان**: تطهير الأرض بإزالة عين النجاسة، ثم بصب الماء عليها، لحديث الأعرابي الذي بال في المسجد، وتُطهر الأرض أيضاً بالجفاف، لحديث عائشة: «**زكاة الأرض يَبَسها**»(٢)، هذا إذا كانت النجاسة مائعة، أما إذا كانت النجاسة لها جرم فلا تطهر إلا بزوال عينها أو تحولها . .

ب ـ **طهارة الثوب** : بالغسل بالماء، فعن أسماء بنت أبي بكر أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ تسأل أن إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض كيف تصنع به؟ قال: «**تَحتّه، ثم تقرضه بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلي فيه**»(٣)، وتطهير النعل والخف يكون بدلكه بالأرض.

جـ ـ **طهارة البدن**.



---

(١) رواه البخاري، وضوء ٢، جيَّل ٢، ومسلم، طهارة ٢، غلول: سرقة من الغنيمة قبل قسمتها.

(٢) رواه ابن أبي شيبة. (٣) رواه البخاري، وضوء ٦٣، ومسلم، طهارة ١١٠ .

الوضوء :

طهارة مائية تتعلق بالوجه واليدين والرأس والرجلين .

أولاً : من ماذا ؟

من الحدث الأصغر (بول ـ غائط ـ ريح ـ وكذا النوم ـ الإغماء ـ المذي) .

ثانياً : بماذا:

بالماء [١] الطهور وهو ماء المطر والثلج والبرد، قال تعالىٰ: ﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ** ﴾ (الأنفال: ١١).

* **ماء البحر** : لحديث أبي هريرة، أنَّ رجلاً سأل رسول الله : «إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإذا توضأنا به عطشنا، افنتوضأ بماء البحر؟»، قال: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[٢].

* **ماء زمزم** : لحديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا بسجل من ماء زمزم فشرب وتوضأ[٣].

* **الماء المستعمل** : المنفصل من أعضاء المتوضيء والمغتسل طهور، للحديث: «**مسح رأسه بما تبقى من وضوء في يديه**»[٤].

* **الماء الذي خالطه طاهر** (صابون ـ زعفران ـ دقيق) إذا ظل علىٰ إطلاقه فهو طهور، وإذا خرج عن إطلاقه كأن تقول ماء بصابون، أو ماء بدقيق، أو ماء ورد كان الماء طاهراً ولا يجوز الوضوء منه .

* **الماء الذي لاقته نجاسة** إذا غيرت النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه لا يجوز التطهر به، وإذا لم تغير النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه (أحد أوصافه) فهو طهور

---

(١) الماء الطهور : طاهر في نفسه مطهر لغيره، الماء الطاهر : طاهر في نفسه وغير مطهر لغيره.

(٢) رواه الخمسة (سبق تخريجه كاملاً) في المباح .

(٣) رواه أحمد ، أخبار مكة للفاكهي، جـ ٢، ص ٣٨، رقم ٥٣٢ .

(٤) رواه أحمد، جـ ٦، ص ٣٥٨، وأبو داود ، جـ ١ / ١٣٠ .

لحديث أبي هريرة: بال أعرابي في المسجد، فقال النبي ﷺ: « دعوه وأريقوا على بوله ذنوباً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»(١).

* **الماء المتبقى من الآدمي بعد الشُرب** (ويسمى السؤر)، ماء طهور سواء من المسلم أو الكافر أو الجنب أو الحائض، أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨).. هي نجاسة معنوية. أما الماء المتبقى (سؤر) ما يؤكل لحمه كالمواشي(٢) والبغال والحمار والسباع وجوارح الطير يجوز الوضوء منه، لحديث عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب سأل صاحب البئر أولَغَت عليك الثعالب الليلة، فقال النبي ﷺ: «**لا تخبره إنه متكلف، لها ما حملت في بطونها، ولنا ما تبقى شراباً وطهوراً**»(٣)، وكذلك سؤر الهرة طهور.

* **أما سؤر الكلب والخنزير فنجس،** للحديث عن أبي هريرة: «**إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً**»(٤). ورواية أحمد ومسلم: «**طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب**».

ثالثاً: كيف؟

كيفية الوضوء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ ..﴾ (المائدة: ٦).

ونوجز فنقول: النية وهي قلبية لا يُتلفظ بها في أي عبادة إلا الحج والعمرة، ثم غسل اليدين ـ المضمضة ـ الاستنشاق ـ غسل الوجه من منبت الشعر إلى أسفل الذقن، وما بين شحمتي الأذن، وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح الرأس أو بعضه، وغسل الرجلين إلى الكعبين ودائماً الابتداء باليمني.

---

(١) رواه البخاري، وضوء ٥٨.

(٢) الذي يقوم على تربية المواشي يقوم بعمل بناء مستطيل ارتفاعه من متر واحد يكون دائماً مملوء بالماء لتشرب منه المواشي (يسمى في اللغة العامية في مصر الحوض) والماء الموجود في داخل هذا الحوض طهور يجوز الوضوء منه.

(٣) الدارقطني عن ابن عمر، ورواه مالك في الموطأ، طهارة ١٤.

(٤) رواه البخاري، وضوء ٣٣، ومسلم، طهارة ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣.

ومن لطائف **الشيخ الشعراوي** أنه قال: من سنن الوضوء غسل الكفين والمضمضة والاستنشاق، يقول: تأخذ الماء في يديك فتنظر إليه فإذا كان لونه طبيعي غسلت يديك، ثم تأخذ الماء للمضمضة فإذا كان طعمه طبيعياً تمضمضت، ثم تأخذ الماء للاستنشاق فإذا كانت رائحته طبيعية استنشقت، وبذلك تتأكد من أوصاف الماء الثلاثة (اللون ـ الطعم ـ الرائحة) قبل الدخول في فرائض الوضوء، فإذا تغيرت أحد هذه الأوصاف تركت الماء قبل أن تدخل إلى الفريضة.

النجاسة:

النجاسة: هي القذارة التي يجب على المسلم أن يتنزه عنها، ويغسل ما أصابه منها: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (المدثر: ٤). ونذكرها هنا للتحرز منها إن شاء الله.

أنواع النجاسات:

١ ـ **الميتة**، وهي ما مات حتف أنفه بدون تذكية[1] شرعية (ما عدا ميتة السمك والجراد وميتة النمل والنحل، فإنها طاهرة إذا وقعت في شيء وماتت فيه لاتنجسه).

٢ ـ **الدم:** خروج الدم من الجرح لا ينقض الوضوء، قال الحسن: ما زال المسلمون يصلون وجراحاتهم تشغب دماً[2]، ولا بأس بالقطرة أو القطرتين تصيب الثياب، ودم البراغيث، والصديد الذي يترشح من الدمامل يُعفى عنه، ويُعفى الجزار من ذلك لكثرة تعرضه لهذا الأمر فيشق عليه تغيير ثيابه طوال اليوم.

٣ ـ **لحم الخنزير.**

٤ ـ **قيء الآدمي وبوله ورجيعه** (الغائط)، **وكذا الودي والمذي**، أما المني فهو طاهر ومستحب غسله أو فركه، لحديث عائشة « **كنت أفرك المني في ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابساً وأغسله إذا كان رطباً**»[3].

---

(١) تذكية: ذبح ـ حديث: ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة، أبو داود والترمذي.

(٢) رواه البخاري، وضوء ٣٤.

(٣) رواه مسلم، طهارة ١٠٥، ١٠٦.

٥ ـ **بول وروث ما لا يؤكل لحمه** (الجلالة) تأكل العذرة، نهىٰ النبي ﷺ عن ركوبها وأكل لحمها وشرب لبنها.

٦ ـ **الخمر**.

٧ ـ **الكلب**.

التيمم:

هو القصد إلىٰ الصعيد [١] لمسح الوجه واليدين بنية استباحة الصلاة ونحوها.

أولاً: من ماذا؟

من الحدث الأصغر أو الأكبر (جنابة أو حيض)، في الحضر أو السفر، إذا وجُد سبب من أسبابه.

أسباب التيمم:

١ ـ **إذا لم يجد الماء أو وجد منه ما لا يكفيه للغسل**؛ لأن التيمم يزيل الحدث الأكبر والوضوء لا يزيل الحدث الأكبر (إذن التيمم بدل من الوضوء والغسل)، لحديث عمران بن الحصين: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فصلىٰ بالناس فإذا هو برجل معتزل قال: «**ما منعك أن تصلى؟**».

قال: «أصابتني جنابة ولا ماء». قال: «**عليك بالصعيد فإنه يكفيك**»[٢].

وروىٰ أصحاب السنن عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «**إن الصعيد طهور لمن لم يجد الماء عشر سنين**».

٢ ـ **إذا كان الماء موجوداً ولكن به جراحة أو مرض** وخاف زيادة المرض أو تأخر الشفاء، لحديث جابر: خرجت في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر علىٰ الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ

(١) الصعيد: وجه الأرض، التراب، المرتفع من الأرض، المعجم الوجيز، مادة: (صعد).
(٢) رواه البخاري، تيمم ٥، ٦، ٩، ومسلم، مساجد ٣١٢.

أُخْبِرَ بذلك، فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العيّ[(١)] السؤال، إنما كـان يكفيه أن يتـيمم ويعصر أويعـصب على جرحه خـرقة، ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده»[(٢)].

٣ ـ **إذا كان الماء شديد البرودة وغلب على ظنه ضرر وعجز عن تسخينه ولو** بالأجر، أو لا يتيسر له دخول الحمام، لحديث عمرو بن العاص: «احتلمتُ في غزوة ذات السلاسل ليلة والبرد شديد، فتيممت وصليت بأصحابي، وذكرتُ ذلك للنبي ﷺ»، فقال: «**يا عـمرو.. صليت بـأصحـابك وأنت جنب؟**»، قلت: تذكرتُ قول الله: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ (النساء: ٢٩). فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً[(٣)]. وهذا إقرار، والإقرار حجة لأنه لا يقر على باطل.

٤ ـ **إذا كـان الماء قـريبـاً منـه وخـاف على نفسـه أو عـرضـه أو مـالـه أو فـوت الرفقة**، أو حال بينه وبين الماء عدو (آدمي أو غيره)، أو احتاج إليه لعجن أو طبخ أو إزالة نجاسة غير معفو عنها، أو عجز عن استخراج الماء لعدم وجود حبل أو آلة، أو خاف إن اغتسل أن يُرمىٰ بما هو بريء منه، (كأن يبيت عند صديق له ويصبح محتلماً يجوز التيمم قطعاً للشكوك).

٥ ـ إذا خشي خروج الوقت باستعمال الماء في الوضوء أو الغسل، فإنه يتيمم ويصلي ولا إعادة عليه.

ثانياً: بماذا؟

التيمم يكون بالتراب الطاهر وكل ما كان من جنس الأرض كالرمل والحجر والجص والصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره، قال تعالىٰ: ﴿ **فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴾ (المائدة: ٦).

---

(١) العيي: الجهل.

(٢) رواه أبو داود، طهارة ١٢٥، وابن ماجة، والدراقطني، وصححه ابن السكن.

(٣) أحمد وأبو داود والحاكم والدراقطني وابن حيان، وفي سبل السلام للصنعاني، ص١٩٧، باب: هل يرفع التراب الحدث أو هو لإباحة الصلاة؟ (سبق تخريجه).

فائدة هامة جداً: يقول أحد مرافقي الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- : «ركبنا الطائرة وأردت التيمم، فقلت له يا شيخنا إن كراسي الطائرة من الجلد، كيف -أجد التراب للتيمم؟

يقول الرجل: فنبهني الشيخ إلى أن الله لا يريد منا أن نضع التراب على وجوهنا.. «اضرب يدك على كرسي الطائرة، إنه الامتثال لأمر الله تعالى وفقط».

ثالثاً: كيف ؟

النية .. يضرب بيده الصعيد الطاهر، وإن كان على السرير فيضرب الوسادة أو نحوها و يمسح بهما وجهه ويديه إلى الرسغين.

ومن السنة لمن تيمم بالتراب أن ينفض يديه وينفخهما منه ولا يعفر به وجهه، وذلك لحديث عمار: «**إنما يكفيك أن تضرب بكفيك في التراب ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما وجهك وكفيك إلى الرسغين**»(1) .

فائدة: حيث إن التيمم بدل الوضوء والغسل: فيباح به ما يباح بالوضوء والغسل، وينقضه ما ينقض الوضوء والغسل، فحكمه حكم الوضوء سواءً بسواء، فيصلي بالتيمم الواحد ما شاء له أن يصلي ما لم يُحْدِث .

الغُسل :

تعميم البدن بالماء، لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا** ﴾ (المائدة: ٦).

أولاً: من ماذا ؟

من الحدث الأكبر .

١ ـ خروج المني بشهوة في النوم أو اليقظة، وهو ما يسمى الاحتلام للرجل أو المرأة، والعبرة أن يجد البلل في ثيابه، فإن لم يجد البلل فلا غسل عليه وإن ذكر احتلاماً.

---

(١) رواه مسلم، حيض ١١٢ .

٢ ـ التقاء الختانين : تغييب الحشفة في الفرج ، وإن لم يحدث إنزال .

٣ ـ انقطاع الحيض والنفاس ، ويجب الغسل أيضاً للموت والكافر إذا أسلم .

ثانياً: بماذا ؟

لا يكون الغسل إلا بالماء (تم الحديث عن الماء في الوضوء) .

ثالثاً: كيف ؟

وردت كيفيات كثيرة للغسل ، وأي كيفية أخذت بها أجزأتك وصح غسلك ، ولكننا نختار ما عليه الجمهور وهو : غسل الفرج ، ثم غسل اليدين والمضمضة والاستنشاق ، ثم صب الماء على البدن من أعلى الرأس ثم الجهة اليمنى فاليسرى إلى أن نصل إلى القدم الأيمن ثم الأيسر ، فأركان الغسل (النية ـ غسل جميع الأعضاء) .

مسائل تتعلق بالغسل :

* المرأة كالرجل ، إلا أنها لا تنفض ضفائرها طالما أن الماء يصل إلى أصول الشعر .
* ويجزئ غسل واحد عن حيض أو جنابة أو عن جمعة وعيد ، بشرط أن ينوي الكل .
* يقوم الغسل عن الوضوء .
* يجوز للجنب والحائض إزالة الشعر ، وقص الأظافر ، والخروج إلى السوق ، والذبح وطهي الطعام ، لحديث عطاء : «**ويحتجم الجنب ويقلم الأظافر ويحلق رأسه، وإن لم يتوضأ**»(١) .
* لا بأس بتنشيف الأعضاء بمنديل ونحوه في الغسل أو الوضوء صيفاً أو شتاءً .
* يجوز للرجل أن يغتسل ببقية الماء الذي اغتسلت منه المرأة والعكس .

---

(١) رواه البخاري ، باب الجُنب يخرج ويمشي ، جـ ١ ، ص ٤٧٢ .

فوائد تحتاج إليها :

١ ـ حبل الغسيل النجس إذا جف يُنشر عليه الثوب الطاهر .

٢ ـ إذا سقط عليك شيء لا تدري هل هو ماء أو بول أو نجاسة ، لا تسأل عنها وإذا سألت لا يُجاب عليك .

٣ ـ إذا أصاب القدم أوالذيل بالليل شيء رطب لا تشمه ولا تتعرف عليه .

٤ ـ طين الشارع لا يجب غسله .

٥ ـ إذا انصرف من صلاته ووجد في ثيابه نجاسة لم يكن يعلمها أو علمها ولكنه نسيها ، فصلاته صحيحه ولا إعادة عليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ (الأحزاب : ٥) .

٦ ـ إذا خفي عليك موضع النجاسة في الثوب وجب غسله كله .

آداب قضاء الحاجة ، ودخول دورة المياه :

لا يستصحب ما فيه اسم الله إلا إذا خيف عليه من الضياع ، و يقدم الرِجل (القدم) اليسرى في الدخول ويقول : «**أعوذ بك من الخبث والخبائث**»(١) .

يكف عن الكلام مطلقاً إلا لحاجة كإرشاد أعمى ـ لا يبول في مُستحمه(٢) ولا في الماء الراكد ـ يزيل ما على السبيلين من نجاسة ـ لا يستنجي بيمينه ـ غسل اليدين بالصابون بعد الاستنجاء .

وعند الخروج يقدم الرِجل اليُمنَى ويقول : «**غفرانك**»(٣) .

---

(١) رواه البخاري، وضوء ٩ ، دعوات ١٤ ، ومسلم، حيض ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) إذا كان في البانيو خرج وتبول ثم عاد.

(٣) رواه أبو داود ، طهارة ١٧ ، وابن ماجة، طهارة ٦٠ ، والدارمي، وضوء ١٧ ، وأحمد ٦/ ١٥٥ ، والترمذي ، طهارة ٥ ، عن عائشة، وقال الترمذي : حديث حسن غريب، ورواه ابن حبان وابن خزيمة والحاكم في صحاحهم، وقال النووي في شرح المهذب : «هو حديث حسن صحيح»، وغرابته لانفراد إسرائيل به، وإسرائيل ثقة حجة .

نواقض الوضوء :

١ ـ كل ما يخرج من السبيلين (البول ـ الغائط ـ الريح من الدبر ـ المني والمذي ـ الودي) .

٢ ـ النوم المستغرق مع عدم التمكن من الأرض .

٣ ـ زوال العقل بالجنون أو إغماء أو بالسكر أو بالدواء .

ما لا ينقض الوضوء :

١ ـ خروج الدم من غير المخرج المعتاد بجرح أو حجامة .

٢ ـ القيء .

٣ ـ إذا شك المتوضئ في الحدث : هل أحدث أم لا؟ لا يضره الشك ، ولاينقض وضؤه .

٤ ـ القهقهة في الصلاة لا تنقض الوضوء .

٥ ـ تغسيل الميت لا يجب منه الوضوء .

ما يجب له الوضوء :

١ ـ الصلاة مطلقاً .

٢ ـ الطواف بالبيت .

٣ ـ مس المصحف ، وقالوا : يجوز للمحدث حدث أصغر (يوجد خلاف) ، أما القراءة بدون مس فهي جائزة اتفاقاً .

ما يستحب له الوضوء :

يستحب ويندب عند (ذكر الله تعالىٰ ـ عند النوم ـ للجنب إذا أراد أن يأكل أو يشرب أو ينام ـ تجديد الوضوء لكل صلاة) .

ما يُباح للمتوضئ :

الكلام المباح أثناء الوضوء مباح ـ إذا شك المتوضئ في عدد الغسلات يبني علىٰ

الأقل ـ وجود الحائل مثل الشمع، أو طلاء الأظافر، أو قشر السمك على أي عضو من أعضاء الوضوء يبطل الوضوء، أما اللون كالحناء لا يؤثر في صحة الوضوء.

وتاجر السمك يعفى عنه بشرط أن يتوضأ قبل أن يبدأ العمل ـ المستحاضة ومن به سلس بول أو انفلات ريح يتوضؤون لكل صلاة ـ يجوز الاستعانة بالغير في الوضوء.

المسح على الخفين والجوربين :

جائز في السفر سواء أكان لحاجة أو غيرها.. قال الحافظ في الفتح (باب المسح على الخفين): متواتر، وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة.

والمسح على الجوربين كالمسح على الخفين، وإذا كان بالجورب أو الخف خروق فلا بأس بالمسح عليه، قال الثوري: «كانت خفاف المهاجرين والأنصار لاتسلم من الخروق كخفاف الناس».

والمسح يكون على ظهر الخف أو الشراب.

وعن علي بن أبي طالب قال: «**رأيتُ رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه**»(١)، ولا بد من لبس الخف أو الجورب على وضوء.

فالمتوضئ بعد أن يتم وضوءه يلبس الخف أو الجورب وله المسح عليها ثلاثة أيام ولياليها إن كان مسافراً، أما إذا كان مقيماً فله أن يمسح يوماً وليلة، إلا إذا أجنب يجب عليه نزعه وتبدأ المدة على الرأي المختار من وقت المسح الأول، وقيل من وقت الحدث بعد اللبس.

المسح على الجبيرة والعصابة :

واجب في الوضوء والغسل بدلاً من غسل العضو المريض أو مسحه، ولايشترط في الجبيرة أن تكون على طهارة، وليس لها زمن معين، ويبطل المسح على الجبيرة بنزعها أو سقوطها أو براءة موضعها، وإن لم تسقط.

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الأوسط فيما نقله عنه ابن حجر في التلخيص، ص ٥٩، ورواه الترمذي، طهارة رقم ٩٨، وقال: حسن صحيح، ورواه أبو داود ١/ ٦٣.

فاقد الطهورين: إذا لم يجد الإنسان الماء والصعيد يصلي بحسب حاله، ولا إعادة عليه.

الحيض :

هو الدم الخارج من قُبل المرأة حال صحتها من غير سبب ولادة.

وقته :

لا يوجد سن معين يتأتى فيه الحيض، بحيث لا تحيض الأنثى قبله أو بعده، يقول ابن تيمية: «فمتى رأت الأنثى الحيض فهي حائض، وإن كانت دون تسع سنين أو فوق خمسين سنة».

مدة الحيض :

لا توجد مدة محددة، فمدته هي الطهر، فقد تحيض المرأة يوماً أو اثنين أو ثلاثة إلى خمسة عشر يوماً وقد لا تحيض، أما إذا استمر الدم ولم ينقطع طوال الشهر أو انقطع اليوم أو اليومين فهو دم استحاضة.

لونه :

من ألوانه (السواد ـ الحمرة ـ الصفرة وهو ماء تراه المرأة كالصديد يعلوه اصفراراً ـ الكدرة التوسط بين البياض والسواد كالماء الوسخ) والصفرة والكدرة حيض في أيام الحيض، وكانت النساء يبعثن إلى عائشة رضي الله عنها بالدرجة[١] فيها الكرسف[٢] فيه الصفرة فتقول: «لا تعجلن حتى ترين القصة[٣] البيضاء»، رواه مالك عن علقمة عن أمه مرجانة مولاة عائشة.

النفاس :

هو الدم الخارج من قُبل المرأة بسبب الولادة، وإن كان المولود سقطاً.

---

(١) الدرجة : وعاء تضع فيه المرأة طيبها ومتاعها.

(٢) الكرسف : القطن.

(٣) القصة : القطنة أن تخرج القطنة بيضاء نقية.

مدتــه :

لا حد لأقل النفاس فيتحقق بلحظة فإذا ولدت وانقطع دمها عقب الولادة أو ولدت بلا دم وانقضى نفاسها يلزمها ما يلزم الطاهرات .

وأقصى مدة للنفاس ٤٠ يوماً وبعدها إن رأت الدم لا تدع الصلاة والعبادات ، والنفساء يحرم عليها ما يحرم على الحائض والجنب ، وتدع الصلاة والصوم والجماع .

الاستحاضة :

هي استمرار نزول الدم وجريانه في غير أوانه .

ولها ثلاثة أحوال :

١ ـ أن تكون مدة الحيض معروفة فتعتبر هذه المدة هي الحيض والباقي استحاضة

٢ ـ أن يستمر الدم ولم يكن لها أيام معروفة ، إما لأنها نسيت عادتها أو بلغت مستحاضة ، أو لا تستطيع تمييز دم الحيض ، في هذه الحالة يكون حيضها ستة أيام أو سبعة أيام على غالب عادة النساء .

٣ ـ ألا يكون لها عادة وتستطيع تميز دم الحيض من غيره ، في هذه الحالة تعمل بالتمييز .

أحكام المستحاضة:

١ ـ لا يجب عليها الغسل إلا إذا انقطع حيضها .

٢ ـ يجب عليها الوضوء لكل صلاة (مثل أصحاب الأعذار) .

٣ ـ أن تغسل فرجها وتشد خرقة أو قطنة دفعاً للنجاسة .

٤ ـ ألا تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة ، فطهارتها ضرورية .

٥ ـ يجوز لزوجها أن يطأها في حال جريان الدم .

٦ ـ لها حكم الطاهرات فتصلي وتصوم وتعتكف وتقرأ القرآن من المصحف وكل العبادات . . والسبب في ذلك أن دم الحيض دم فاسد أما دم الاستحاضة فهو دم طبيعي لذا منعت من العبادات في الأولى دون الثانيــة .

أحكام النساء :

أولاً : حيض الحامل: الغالب أن الأنثىٰ إذا حملت انقطع الدم إذا كان قبل الوضع بيومين مثلاً أو ثلاثة ومعه طلق فهو نفاس، وإذا كان قبل الولادة بزمن كبير فهو حيض وله أحكامه .

وأحكام حيض الحامل، هي نفس حيض غير الحامل إلا في مسألتين :

١ ـ الطلاق : من طلق في الحمل فقد طلق، قال تعالىٰ : ﴿ **فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ (الطلاق : ١) . . لعدتها سواء كانت حائضاً أو طاهراً لأن عدتها بالحمل ولذلك لا يحرم عليه طلاقها بعد الجماع بخلاف غيرها .

٢ ـ أن عدة الحامل لا تنقضي إلا بوضع الحمل سواء كانت تحيض أم لا لقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ (الطلاق : ٤) .

ثانياً: الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض لا تُعد شيئاً .

ثالثاً: تقطُع في الحيض بحيث ترىٰ يوماً دماً ويوماً نقاءً: هناك حالتان :

أ ـ أن يكون هذا مع الأنثىٰ دائماً كل وقتها ، فهذا دم استحاضة .

ب ـ ألا يكون مستمراً مع الأنثىٰ بل يأتيها بعض الوقت ويكون لها وقت طهر صحيح (الدورة علقت)، فمذهب الشافعي أنها ينسحب عليها أحكام الحيض فيكون حيضاً، وهو اختيار ابن تيمية ومذهب أبي حنيفة، وقال صاحب المغني : إن انقطاع الدم إذا نَقُص عن اليوم فليس بطهر .

رابعاً: جفاف في الدم بحيث ترىٰ الأنثىٰ مجرد رطوبة، فإن كان في أثناء الحيض أو متصلاً به قبل الطهر فهذا حيض وإن كان بعد الطهر فليس بحيض .

خامساً: الحائض إذا انقطع حيضها لا يجامعها زوجها إلا بعد أن تغتسل، قال تعالىٰ : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾ (البقرة: ٢٢٢) . . يطهرن : أي ينقطع الحيض، تطهرن : أي اغتسلن .

سادساً: استعمال المرأة ما يمنع حيضها جائز بشرطين :

١ ـ ألا يُخشىٰ الضرر عليها، فإن خُشِيَ الضرر عليها من ذلك فلا يجوز.

٢ ـ أن يكون بإذن الزوج إذا كان له تعلق به، مثل أن تكون معتدة منه، وعليه نفقتها فتستعمل ما يمنع الحيض لتطول المدة وتزداد عليه نفقتها، والأولىٰ عدم استعماله إلا لحاجة.

وأما استعمال ما يجلب الحيض فجائز بشرطين:

١ ـ ألا تتحيل به علىٰ إسقاط واجب فتستعمله قرب رمضان.

٢ ـ أن يكون بإذن الزوج، لأن حصول الحيض يمنعه من كمال الاستمتاع.

سنن الفطرة:

الفطرة: هي الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقة(١).

وهي الطبيعة السليمة التي لم تُشب بعيب: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم: ٣٠).

اختار الله تعالىٰ للأنبياء سنناً وأمرنا بالاقتداء بهم فيها، وجعلها من قبيل الشعائر التي يكثر وقوعها ليُعرف بها أتباعهم ويتميزوا بها عن غيرهم وهذه الخصال تسمىٰ سنن الفطرة، وقد جمعتها السنة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط**»(٢).

وروىٰ عن ابن الزبير عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عشرٌ من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**»(٣).

---

(١) المعجم الوسيط، فطر، جزء ٢، ص ٧٢.

(٢) رواه البخاري، لباس ٥١، ٦٣، ٦٤، ومسلم، طهارة ٤٩، ٥٠.

(٣) أخرجه مسلم، ١: ٢٢٣، وأحمد ٦: ١٣٧ وغيرهم.

الفوائد الجمة[١] للإتيان بهذه السنن :

إذا نفذ الإنسان هذه السنن عادت هذه الفوائد بالخير عليه وعلى المجتمع حتى لو نفذها غير المسلم لاستفاد من معظمها في دنياه الكثير ومن هذه الفوائد :

١ - **اقتداء المسلم بفعل النبي ﷺ**، وامتثال أوامره طاعة وحباً لله تعالى.

٢ - **ناحية صحية** : فقص الأظافر يخلصه مما تحتها من أوساخ وميكروبات وتكرار نقل الميكروبات، وكثافة الشعر في أماكن من الجسم يجعله مرتع للميكروبات والجراثيم.

٣ - **ناحية جمالية** : حينما رأى النبي ﷺ رجلاً . قال : «**أما وجد هذا ما يمشط به رأسه خيرٌ له من أن ياتي ثائر الشعر واللحية؟**»[٢] ، وإتيان سنن الفطرة يُعطي منظراً غير منفر.

٤ - **ناحية نفسية** : لسنن الفطرة أثر نفسي في إزالة القلق ويحل إحساس بالراحة والسعادة، ولذلك قد يقابلك إنسان حدثت له مشكلة نفسية تجده ثائر الشعر طويل الأظافر رث الثياب.

٥ - **التميز** : لكي يتميز أصحاب الشريعة الإسلامية عن غيرهم بهذه الخصال الطيبة.

وأول هذه السنن كما في ترتيب الحديث :

١ - **الختان :** واجب على الرجال، ومكرمة في حق النساء[٣]. وليس بواجب عليهن، واختتان الرجل من شعائر الإسلام، ويتم ذلك في أي وقت والأفضل أن يكون من أول الولادة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعد ما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم**»[٤].

---

(١) الجم : الكثير من الشيء، وفي التنزيل : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر : ٢٠). المعجم الوسيط، جزء ١، ص ١٤٢ .

(٢) رواه مالك في الموطأ ٧، باب إصلاح الشعر، قال أبو عمر : لا خلاف عن مالك في إرساله، وجاء موصولاً بمعناه عن جابر وغيره.

(٣) ختان النساء، راجع الباب الخامس.

(٤) أخرجه البخاري، ٤ : ١٧٢، ومسلم، ٤ : ١٨٣٩ .

والقدوم قيل: آلة النجار أو موضع بالشام.

٢ ـ **الاستحداد**: وهو حلق العانة، وهو مستحب؛ لأنه من الفطرة؛ ولأنه يفحش بتركه فاستحب إزالته وبأي وسيلة أزالة صاحبة فلا بأس، وفي المغني أن الحلق أفضل لموافاته للخبر، ولا يتركها أكثر من أربعين يوماً إلا لعذر شديد، ولايدع أحد يطلع على عورته إلا من يحل له الاطلاع عليها.

٣ ـ **نتف الإبط**: سنة؛ لأنه من الفطرة ويفحش بتركه وإن أزاله بأي وسيلة جاز حلقه بها ونتفه أفضل لموافاته للخبر ويجوز إزالته بالنّورة(١).

٤ ـ **تقليم الأظافر**، مستحب؛ لأنه من الفطرة ويتفاحش بتركه، وربما حك به الوسخ فيجتمع تحتها من المواضع المنتنة فتصير رائحة ذلك في رءوس الأصابع وربما منع وصول الطهارة إلى ما تحته. وفي الحديث قال النبي ﷺ: «**ما لي لا أسهو وأنتم تدخلون علي قُلحاً ورَفغ أحدكم بين ظفره وأنملته**»(٢). والمعني كما في المغني: «أن أحدكم يطيل أظافره ثم يحك بها رفغُة ومواضع النتن فتصير رائحة ذلك تحت أظافره». والقلْحُ: صُفْره تعلو الأسنان ووسخ يركُبها، والرَّفغ: وسخ الظُّفر، وأرى أنه من الأفضل قص الأظافر كل أسبوع، ويستحب غسل رؤوس الأصاب بعد قص الأظافر.

فوائد:

١ ـ واتخاذ الشعر أفضل من إزالته، روى البراء بن عازب قال: «**ما رأيت ذا لمة في حُلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ له شعر يضرب منكبيه**»(٣). واللمة هي: ما ألمت بالأذن، والجمة: الشعر إذا بلغ المنكبين، وأرى انه لا بأس باتخاذ الشعر (تطويله) بشرط ألا يتخذه وسيلة لمحاكاة الفتيات، بل يظل على رجولته

---

(١) النورة: من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس، ويحلق به شعر العانة (انظر: اللسان ـ مادة: نَوَر).

(٢) أخرجه البخاري ١٠ / ٥٩٠١، ومسلم ٤ / ١٨١٨، ١٨١٩ وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري ١٠ / ٥٩٠١، ومسلم ٤ / ١٨١٨، ١٨١٩ وغيرهم.

وهيبته، ويستحب ترجيل الشعر وإكرامه، ويستحب فرق الشعر لفعل النبي ﷺ لذلك للحديث: «**من كان له شعر فليكرمه**»(١).

٢ ـ وأما حلق بعض الرأس فمكروه ويسمىٰ القزع، لحديث النبي ﷺ: «**احلقه كله أو دعه كله**»(٢). وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن القزع، قيل لنافع: ما القزع؟ قال: «أن يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعضه».

٣ ـ ولا تختلف الرواية في كراهة حلق المرأة رأسها من غير ضرورة لحديث أبو موسىٰ: «برئ رسول الله ﷺ من الصالقة والحالقة»(٣)، الصالقة: المرأة تصيح وتولول (المعجم الوسيط).

٤ ـ ويكره نتف الشيب: لنهي النبي ﷺ وقال: «**إنه نور الإسلام**»(٤). ولحديث أنس الذي رواه مسلم: «كنا نكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته».

٥ ـ ويكره حلق القفا لمن لم يحلق رأسه ولم يحتج إليه: قال المروذي: سألتُ أبا عبد الله فقال: «هو مِنْ فِعل المجوس، أما حف الوجه فقال: «ليس به بأس للنساء، وأكرهه للرجال»(٥).

٦ ـ خضاب الشيب:

ـ يستحب خضاب الشيب بغير السواد ويستحب بالحناء والكتم لما روىٰ عن تميم بن عبد الله بن موهب قال: دخلتُ علىٰ أم سلمة فأخرجت لنا شعراً من شعر رسول لله مخضوباً بالحناء والكتم(٦). والكتم: هو نبت يُخلط بالوسمة يختضب به وهو أسود مائل إلىٰ الحمرة، ولحديث أبي هريرة بلفظ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»(٧).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أبو داود ٢: ٤١٦٣ .
(٢) رواه البخاري، لباس ٧٢، ومسلم، لباس ٧٢، ١١٣ .
(٣) أخرجه البخاري ٣، ١٢٩٦، ومسلم ١، ١٠٠ .
(٤) أخرجه أحمد ٢، ٢١٢، وابن ماجة، والترمذي ٢٨٢١، وقال: حسن.
(٥) المغني، لابن قدامة، جـ١، ص ١١٤ .
(٦) أخرجه البخاري ١٠، ٥٨٠٧ فتح .
(٧) أخرجه البخاري ٦، ٣٤٦٢ فتح، ومسلم ٣، ١٦٦٣ .

ـ يكره الخضاب بالسواد، لما جاء أبو بكر بأبيه إلىٰ رسول الله ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً قال رسول الله ﷺ: «**غيروهما وجنبوه السواد**»(١).

ـ الخضاب بالسواد للمرأة : رخص فيه إسحاق للمرأة تتزين لزوجها كما في المغني، الجزء الأول، ص ١١٥ .

٧ ـ يستحب أن يكتحل وتراً وينظر في المرآة ويتطيب، لحديث جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالأثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر**»(٢). والطيب يسر النفس، ويشرح الصدر، وينبه الروح، ويبعث في البدن نشاطاً وقوة، لحديث أنس قال رسول الله ﷺ : «**حُبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»(٣).

٨ ـ قص الشارب وإعفاء اللحية : ويستحب قص الشارب أو إحفاؤه كل أسبوع استكمالاً للنظافة، وترويحاً للنفس، فإن بقاء بعض الشعور في الجسم يولد فيها ضيقاً وكآبة، يقول الشيخ السيد سابق ـ رحمه الله ـ : ويستحب الاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب أو إحفاؤه كل أسبوع». وقد رخص ترك هذه الأشياء إلىٰ الأربعين ولا عذر لتركها بعد ذلك لحديث أنس قال : «**وقَّت لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة ألا يُترك أكثر من أربعين ليلة**»(٤)، أما عن إعفاء اللحية يراجع بداية هذا الباب.

---

(١) أخرجه مسلم ٣، ١٦٦٣، وأحمد ٣، ١٦٠ وغيرهم.
(٢) أخرجه أحمد ١ : ٢٤٧، والترمذي ١٧٥٧، وابن ماجة، وإسناده صحيح.
(٣) رواه أحمد والنسائي، نساء ١، ص ٦١، جـ ٧ .
(٤) رواه مسلم، طهارة ٥١ .

الصلاة

سوف نتناول منها ما تكثر الحاجة إليه، وما تتجدد الأسئلة فيه . .

صلاة الصبي:

وإن كانت غير واجبة عليه، إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره بها، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: « **مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١) .

نسيان الصلاة أو النوم عنها:

من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يذكرها، لحديث أبي قتادة: « **أنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة، فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها**»(٢) .

أوقات الكراهة:

عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: « **لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس**»(٣) .

وعن عقبة بن عامر قال: «ثلاث ساعات نهانا رسول الله ﷺ أن نصلي فيهن أو نقبر فيهن موتانا(٤) : حين تطلع الشمس بازغة (ظاهرة) حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة (وقت تعامد الشمس لا يكون للشيء ظل)، وحين تَضَيَّف (تميل) للغروب حتى تغرب»، رواة الجماعة إلا البخاري .

---

(١) رواه أحمد ٢/ ١٨٠ ـ ١٨٧ ، وأبو داود، صلاة ٢٦ ، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه مسلم، مساجد ٣١١ .

(٣) رواه البخاري، مواقيت ٣٠ ، ٣١ ، مسجد مكة ٦ ، صيد ٢٢ ، صوم ٦٧ ، ومسلم، مسافرين ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ .

(٤) النهي عن الدفن في هذه الأوقات معناه تعمد تأخير الدفن إلى هذه الأوقات، فأما إذا وقع الدفن فيها بلا تعمد فلا يكره.

الصلاة بعد الصبح والعصر:

يجوز قضاء صلاة الفوائت بعد صلاة الصبح والعصر للحديث: «ومن نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها»(١) ، أما صلاة النافلة فيكره ذلك، وأجاز الشافعي صلاة ما له سبب كتحية المسجد وسنة الوضوء في هذين الوقتين.

التطوع أثناء الإقامة:

مكروه للحديث عن أبي هريرة: «**إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة**»، وفي رواية: «**إلا التي أقيمت**»(٢) ، ومن كان في صلاة نافلة أو سنة وأقيمت الفريضة فليخفف حتى يلحق بالفريضة.

فرائض الصلاة وأركانها:

بحيث إذا تخلف فرض منها لا تتحقق، ولا يعتد بها شرعاً ، وهي: (النية ـ تكبيرة الإحرام ـ القيام في الفرض ـ قراءة الفاتحة في كل ركعة ـ الركوع ـ الرفع من الركوع والاعتدال قائماً مع الطمأنينة ـ السجود ـ القعود الأخير، والتشهد ـ السلام).

فائـدة:

بالنسبة للنية : الأَوْلىٰ عدم التلفظ بها فهي عمل قلبي، يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره: ﴿ **قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾(الحجرات: ١٦). أي اتخبرونه بما في ضمائركم، والتلفظ بالنية غير مشروع.

سنن الصلاة:

(رفع اليدين ـ وضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ ـ دعاء الاستفتاح ـ الإسرار بالاستعاذة ـ التأمين بعد الفاتحة ـ تكبيرات الانتقال فإذا نسيها يجزئ عنها تكبيرة الإحرام هيئات الركوع ـ الذكر في الركوع ـ أذكار الرفع والاعتدال ـ كيفية الهوىٰ

---

(١) رواه البخاري، مواقيت ٢٧، ومسلم، مساجد ٣٠٩، ٣١٤، ٣١٥ .

(٢) رواه البخاري، أذان ٣٨، ومسلم، مسافرين ٦٣، ٦٤ .

إلى السجود ـ هيئة السجود ـ مقدار السجود وأذكاره ـ جلوس بين السجدتين ـ جلسة الاستراحة ـ الجلوس للتشهد. .

صلاة التوبة :

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي (أي ركعتين)، ثم يستغفر الله إلا غُفر له**»(١). ثم قرأ: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ(١٣٦)** ﴾ (آل عمران).

من تصح إمامتهم :

الصبي المميز ـ الأعمى ـ القائم بالقاعد والقاعد بالقائم ـ المفترض بالمتنفل والمتنفل بالمفترض ـ والمقيم بالمسافر ـ والمفضول بالفاضل ـ والمتيمم بالمتوضئ ـ والمسافر بالمقيم.

من لا تصح إمامتهم :

لا تصح إمامة معذور(٢) ولا لمعذور مبتلى بغير عذره (كاقتداء من به سلس بمن به انفلات ريح). . هذا عند الجمهور، وقالت المالكية: تصح إمامته للصحيح مع الكراهة، ويجوز أن تؤم المرأة النساء وتقف في وسطهن.

موقف الصبيان والنساء من الرجال :

«كان رسول الله ﷺ يجعل الرجال في مقدمة الصفوف، والغلمان خلفهم، والنساء خلف الغلمان»(٣). فإن كان صبيٌ واحد دخل في الصف مع الرجال.

---

(١) رواه أبو داود، وتر ٢٦، والنسائي، والترمذي، صلاة ١٨١، وابن ماجة، إقامة ١٩٣، وقال: حديث حسن.

(٢) به انطلاق البطن، أو سلسل بول، أو انفلات ريح.

(٣) رواه أحمد وأبو داود، والبيهقي، تحفة المحتاج، جـ١، ص ٤٦٠، رقم ٥٤٩.

القيام في الفرض :

واجب لمن قدر عليه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣٨).

العجز عن القيام في الفرض:

من عجز عن القيام في الفرض يصلي على حسب قدرته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وله أجره كاملاً غير منقوص، ودليلنا من حديث أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: « **إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمله وهو صحيح مقيم**»(١).

القيام في النفل :

يجوز أن يصلي من قعود مع القدرة على القيام إلا أن ثواب القائم أكبر من ثواب القاعد، لحديث ابن عمر : « **وصلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة** »(٢) .

السهو في الصلاة:

سجود السهو سجدتان يسجدهما المصلي قبل التسليم أو بعده للحديث: «**من شك في صلاته فليسجد سجدتين بعدما يُسَلِّم** »(٣).

وسجود السهو يكون:

١ ـ إذا سلَّم قبل إتمام الصلاة، لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ « **صلى إحدى صلاتي العشاء ركعتين ثم سلم وخرجت السُرعان (أول الناس خروجاً) فقال ذو اليدين: يا رسول الله، أقُصرت الصلاة، أم نسيت؟، فقام النبي ﷺ وصلى ما ترك، ثم سلم، ثم كبر، وسجد للسهو**»(٤).

٢ ـ عند الزيادة في الصلاة، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه «أن النبي

---

(١) رواه البخاري ، جهاد ١٣٤ .

(٢) رواه مسلم، مسافرين ١٢٠ .

(٣) رواه البخاري، صلاة ٣١، ومسلم، مساجد ٨٨، ٨٩ .

(٤) رواه البخاري، صلاة ٨٨، سهو ٥٧، مغازي ٥٤ ، أدب ٤٥ ، ومسلم، مساجد ٩٧ .

ﷺ صلى خمساً، فقيل له: أزيدت الصلاة؟ صليت خمساً، فسجد سجدتين بعد ما سلم»(١).

٣ ـ عند نسيان التشهد الأول أو نسيان سنة من سنن الصلاة.

٤ ـ السجود عند الشك في الصلاة.

فائدة:

إذا كان النسيان لركن من أركان الصلاة فعليك أن تسقط من العدد الركعة التي فيها نسيان، لأن سجود السهو لا يجزئ مقام الركن.

مثال: إذا نسيت سجدة في ركعة من الركعات ثم قمت إلى الركعة التي بعدها، فعليك أن تسقط هذه الركعة من العدد لأنك نسيت فيها سجدة والسجدة ركن.. ثم تأتي بهذه الركعة، وبعدها تسجد للسهو.

صلاة الوتر:

من السنن المؤكدة لحديث علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر**»(٢). ويبدأ وقت الوتر بعد صلاة العشاء حتى الفجر.. والوتر يكون بركعة واحدة(٣) أو ثلاث أو خمس.

كيف يصلى الوتر؟:

١ ـ ركعتين معاً وتسليم، ثم ركعة بتشهد وتسليم.

٢ ـ ويجوز ركعتين وتشهد أوسط وركعة وتشهد وتسليم.

٣ ـ ويجوز ثلاث ركعات متتالية بتشهد أخير وتسليم.. كل ذلك جائز.

---

(١) رواه البخاري، صلاة ٢٣، سهو ٢، آحاد ١، ومسلم، مساجد ٩٢، ٩٣، ٩٤.

(٢) رواه أبو داود، وتر ١، والنسائي، قيام الليل ٢٧، وابن ماجة، إقامة ١١٤، وأحمد ١/ ١١٠، ١٤٣، والترمذي، وتر ٥، رقم الحديث ٤٥٣، وقال الترمذي: حديث حسن، وصححه الحاكم.

(٣) كان سعد بن أبي وقاص يوتر بواحدة ويقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الذي لا ينام حتى يوتر حازم**»، (رواه أحمد رجاله ثقات).

لا وتران في ليلة :

قال رسول الله ﷺ: «**لا وتران في ليلة**»(١) فمن صلى الوتر ثم أراد أن يتطوع بعده فليتطوع ولا يصلي الوتر بعد ذلك، لأنه صلاة قبل التطوع .

قضاء الوتر :

يشرع قضاء الوتر لحديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر**»(٢) ، وهذا رأي الجمهور.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن الوتر أو نسيه فليصل إذا أصبح أو ذكر**»(٣) .

ركعتا الفجر :

وهي ركعتا السنة قبل صلاة الفجر، لحديث عائشة عن رسول الله ﷺ: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها** »(٤) .

صلاة الضحى :

عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: « **يصبح على كل سلامى(٥) من أحدكم صدقة، فكل تسبيحه صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة.. ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»(٦) .

---

(١) رواه أبو داود، والنسائي، ليل ٢٩، والترمذي، وتر ١٣، وحسنه، وأحمد ٤/ ٢٨ .

(٢) رواه البيهقي والحاكم، وأحمد في المسند ٦ / ٢٤٣ .

(٣) رواه الخمسة إلا النسائي، سبل السلام، رقم ٣/ ٣٦٠ ، وأحمد ٣/ ٤٤ .

(٤) رواه مسلم، جـ١، ص ٢٠١، واللفظ عند الترمذي، حديث رقم ٤١٦ .

(٥) سلامى: عظام اليدين والجسد ومفاصله، وهي ٣٦٠ عضو.

(٦) رواه البخاري، صلح ١١ ، جهاد ٧٢، ١٢٨، ومسلم، مسافرين ٨٤، زكاة ٥٦ .

القنوت :

القنوت في الصلوات الخمس : شرع جهراً في النوازل لحديث ابن عباس رضي الله عنه : « **قنت رسول الله ﷺ شهراً في كل الصلوات يدعو على رعل وذكوان وعصية** (١) **ويؤمن من خلفه**»(٢) .

القنوت في صلاة الصبح :

عند الأحناف : لا قنوت في صلاة الفجر ، وعند الشافعية : أنه سنة ، ولكل دليله الذي استند إليه ، وكلٌ قد أخذ من رسول الله ﷺ ، ورغم أن القنوت عند الإمام الشافعي سنة ، ولكن عندما ذهب إلىٰ بلد الإمام أبي حنيفة (العراق) ترك القنوت احتراماً لمذهب الإمام أبي حنيفة ، وهو يعلم أن الصلاة بدونه صحيحة ولو كان في الصلاة شيء ما ترك هذا القنوت إرضاء لأي أحد .

* ويشرع القنوت في صلاة الوتر وفي جميع السنن .
* وقت القنوت يجوز قبل الركوع ويجوز بعد الرفع من الركوع ، فإذا قَنَتَ قبل الركوع كبرً ورفع يديه وكبر بعد الفراغ من القنوت .

القراءة من المصحف :

روىٰ الإمام مالك أن ذكوان مولىٰ عائشة كان يؤمها في رمضان من المصحف وهذا مذهب الشافعية ، قال النووي : ولو قلب أوراقه في صلاته لم تبطل .

صلاة المسبوق :

إذا دَخَلتَ المسجد وقد انتهت صلاة الجماعة فقف بجوار أي مصلٍ وكبر وصلِ معه حتىٰ ينتهي من صلاته حتىٰ ولو كان متنفلاً ، ثم أتم صلاتك ، وإذا كنت في المسجد تصلي ودخل إنسان ووقف بجانبك وكبر فارفع صوتك بالقراءة - إن كانت صلاة جهرية - والتكبير وصل صلاتك أنت ويُتِمُ هو صلاته .

---

(١) أسماء قبائل من بني سليم .
(٢) رواه البخاري ، جنائز ٤١ ، ومسلم ، مساجد ٣٠١ .

ما يباح في الصلاة :

- البكاء والتأوة والأنين سواء من خشية الله أم غير ذلك .
- الالتفات عند الحاجة كان النبي ﷺ يلتفت يميناً ويساراً ولا يلوي عنقه خلف ظهره .
- قتل الحية والعقرب والزنابير وكل ما يضر ، لقول رسول الله ﷺ : « **اقتلوا الأسودين في الصلاة» (الحية والعقرب)**(١) .
- المشي اليسير لحاجة كفتح باب في اتجاه القبلة ، أما المشي الكثير فيبطل الصلاة .
- حمل الصبي وتعلقه بالمصلي .
- إلقاء السلام على المصلي ومخاطبته ويجوز له أن يرد بالإشارة على من سلم عليه أو خاطبه ، لحديث جابر « أن النبي ﷺ أرسله إلى بني المصطلق ، فجاء النبي يصلي على بعيره فكلمته وأشار بيده وأومأ برأسه ، فلما فرغ قال : «**ما فعلت في الذي أرسلتك؟ فإنه لم يمنعي من أن أرد عليه إلا أني كنت أصلي**»(٢) .
- التسبيح للرجال والتصفيق للنساء .
- الفتح على الإمام .
- حمد الله عند العطاس .
- السجود على ثياب المصلي أو عمامته لعذر .
- القراءة من المصحف .

مكروهات الصلاة :

- يُكْرَه للمصلي أن يترك سنة من سنن الصلاة .
- العبث بثوبه أو بدنه إلا لحاجة ، ويكره له التخصر في الصلاة .

---

(١) رواه أبو داود، صلاة ١٦٥ ، والنسائي، سهو ١٢ ، وابن ماجة، إقامة ١٤٦ ، والدارمي، صلاة ١٧٨ ، والترمذي، مواقيت ١٧٠ عن أبي هريرة، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم، مساجد ٣٧ .

- رفع البصر إلىٰ السماء، ويكره النظر إلىٰ ما يلهي .
- تغميض العينين، وقد جوزه البعض والمهم في ذلك الخشوع
- الإشارة باليدين عند التسليم .
- تغطية الرجل فمه .
- الصلاة بحضرة الطعام .
- ومدافعة الأخبثين (البول والغائط) .
- الصلاة عند مغالبة النوم .
- الصلاة في مكان خاص من المسجد . . غير الإمام .

مبطلات الصلاة :

- الأكل والشرب عمداً .
- الكلام عمداً في غير مصلحة الصلاة .
- العمل الكثير عمداً .
- ترك ركن أو شرط عمداً بدون عذر .
- التبسم والضحك في الصلاة . . وقيل لا بأس بالتبسم .

كان الكلام مشروعاً في الصلاة، فعن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا صاحبه وهو إلىٰ جنبه حتىٰ نزلت : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٣٨) . فَأُمِرْنَا بالسكوت[١]، وعن ابن مسعود قال: « كنا نسلم علىٰ رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد، فقلنا: يا رسول الله كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا قال : «**إن في الصلاة لشغلاً**»[٢] .

---

(١) رواه البخاري، باب العمل في الصلاة ٢، تفسير سورة البقرة، ومسلم: مساجد ٣٥ .

(٢) رواه البخاري، باب العمل في الصلاة ٢، ١٥، مناقب الأنصار ٣٧، ومسلم، مساجد ٣٤ .

وفي المغني تحت عنوان: «من تكلم عامداً» يقول : «أما الكلام عمداً وهو أن يتكلم عالماً أنه في الصلاة مع علمه بتحريم ذلك لغير مصلحة الصلاة ولا لأمر يوجب الكلام فتبطل الصلاة إجماعاً وكذا قاله ابن المنذر(١)، مستدلاً على ذلك بحديث: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»**(٢).

وأما الكلام غير العمد فيقسم خمسة أقسام:

القسم الأول:

أن يتكلم جاهلاً بتحريم الكلام في الصلاة، فالرأي أنه لا يبطل صلاته؛ لأن الكلام كان مباحاً في الصلاة كما أنه لا يثبت حكم النسخ في حق من لم يعلمه بدليل أن أهل قباء لم يثبت في حقهم حكم نسخ القبلة قبل علمهم فبنوا على صلاتهم وذلك بخلاف الناسي.

ويدل على صحة هذا حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: وا ثكل أماه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ثم قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»**(٣). ولم يأمره النبي ﷺ بالإعادة فدل ذلك على صحتها وهذا مذهب الشافعي.

القسم الثاني: أن يتكلم ناسياً:

١ ـ قيل لا تبطل صلاته كما في حديث ذي اليدين.

---

(١) الإجماع، لابن المنذر، ص ٢٥ .

(٢) رواه مسلم، مساجد ٣٣، ٣٨١ .

(٣) الحديث تقدم.

٢ ـ أن يظن أن صلاته تمت فيتكلم.

فإذا كان الكلام فيما تُتم به الصلاة بنى على صلاته كما أخبر النبي ﷺ في حديث ذي اليدين، ومن تكلم بشيء في غير أمر الصلاة كقوله: يا غلام اسقني ماء فصلاته باطلة.

القسم الثالث:

أن يتكلم مغلوباً على الكلام كأن يتثاءب فقال: هاه، أو يتنفس، فقال آه، قيل تفسد صلاته، وقيل لا تفسد، وفيه تفصيل طويل يُرجع إليه لمن أراد.

القسم الرابع:

أن يتكلم بكلام واجب مثل أن يخشى على صبي أو ضرير الوقوع في هلكة، أو يرى حية تقصد نائماً، أو يرى ناراً يخاف أن تشتعل، ولا يمكن التنبيه بالتسبيح.

عند بعض أصحاب الشافعي تبطل صلاته، والصحيح أنها لا تبطل بهذا الكلام، ووجه صحة الصلاة هنا أنه تكلم بكلام واجب عليه.

القسم الخامس[1]:

أن يتكلم لإصلاح الصلاة: وهذا لا تبطل صلاته، لما ورد في حديث ذي اليدين عن ابي هريرة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر أو العصر فسلم، فقال ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«لم تقصر، ولم أنس»**، فقال: **«بل قد نسيت يا رسول الله»**، فقال النبي ﷺ: **«أحقٌ مايقول ذو اليدين؟»** قالوا: نعم، فصلى ركعتين أخرين ثم سجد سجدتين[2].

وجوّز المالكية الكلام لإصلاح الصلاة بشرط ألا يكثر ولا يُفهم بالتسبيح.

وقال الأوزاعي: «من تكلم في صلاته عامداً بشيء يريد به إصلاح الصلاة لم تبطل صلاته».

---

(١) المغني، لابن قدامة، ص ٢٣٦ .

(٢) رواه البخاري، صلاة ٨٨، سهو ٥ .

وقال في رجل صلىٰ العصر فجهر بالقرآن فقال رجل من ورائه إنها العصر . . لم تبطل صلاته .

ومثل أن يقوم الإمام إلىٰ الركعة الخامسة فيقال له لقد قمت إلىٰ الخامسة فيجلس لأنه انتقل إلىٰ نفل[(١)] .

صلاة المريض :

الأصل الصلاة قائماً ، فإذا مرض الإنسان صلىٰ حسبما يستطيع ، فإن كان يستطيع القيام ولا يستطيع السجود علىٰ الأرض ، صلىٰ علىٰ كرسي ، وإن كان لايستطيع القيام لكن يستطيع الجلوس للتشهد فليفعل ، المهم أن الركن الذي يستطيع أن يأتي به علىٰ وجهه المعروف يفعله ، والذي لا يستطيع فليأت به حسب استطاعته ، أما في حالات المرض الشديدة ، فيصلىٰ حسبما يستطيع حتىٰ ولو يجري حركات الصلاة علىٰ قلبه .

قال النبي ﷺ لعمران بن حصين : «**صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[(٢)] ، وزاد النسائي : «**فإن لم تستطع فمستلقياً**»، قال تعالىٰ : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة: ٢٨٦) .

صلاة أصحاب الأعذار :

صاحب مرض سلسل البول ـ عافانا الله جميعاً ـ يضع خرقة علىٰ العضو حتىٰ لا ينزل البول علىٰ الثياب فينجسها ويصلي حتىٰ ولو كان البول ينزل . . ويشترط أن يتوضأ لكل صلاة بنوافلها ، فإذا صلىٰ انتقض وضوءه .

وكذلك من به انفلات ريح ـ عافانا الله ـ يصلي حتىٰ والريح تخرج ويتوضأ لكل صلاة ، ولا يتوضأ للصلاة إلا بعد دخول وقتها أي لا يتوضأ قبل الأذان .

---

(١) لا يجوز للإمام إذا انتقل إلىٰ ركن (فرض) أن يعود ، بل عليه أن يمضي ويسقط هذه الركعة من العدد.

(٢) رواه البخاري ، تقصير ١٩ .

صلاة المسافر:

يقصر المسافر الرباعية ، لأن أصل فرض الصلاة ركعتين ركعتين فزيدت في الحضر وبقيت في السفر ، لحديث عائشة رضي الله عنها : «**أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فأقرت صلاة السفر، وأتمت صلاة الحضر**»(١) .

مسافة القصر:

قال أبو سعيد الخدري : «**كان النبي ﷺ إذا سافر فرسخاً يقصر الصلاة**»(٢) .

وأصح ما ورد كما قال الحافظ في الفتح : روىٰ أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقي عن يحيىٰ بن يزيد قال : سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة؟ فقال : «**كان النبي ﷺ إذا خرج ثلاثة أميال أو فراسخ يصلي ركعتين**»(٣) .

وقال في المغني : «لا حجة عند من قال : السفر الطويل» .

متى يتم المسافر؟ :

المسافر يقصر الصلاة ما دام مسافراً ، فإن أقام لحاجة ينتظر قضاءها قصر الصلاة كذلك ، لأنه يعتبر مسافراً وإن أقام سنين ، فإذا نوىٰ الإقامة مدة معينة اختار ابن القيم أن الإقامة لا تخرج من حكم السفر سواء طالت أم قصرت ما لم يستوطن المكان الذي أقام فيه .

صلاة التطوع في السفر:

ذهب جمهور العلماء إلىٰ عدم كراهة النفل لمن يقصر الصلاة في السفر لا فرق بين السنة الراتبة وغيرها ، ويرىٰ عبدالله بن عمر وغيره أنه لا يشرع التطوع مع الفريضة لا قبلها ولا بعدها إلا من جوف الليل .

---

(١) رواه البخاري ، صلاة ٦ ، تقصير ٥ ، ومسلم ، صلاة المسافرين ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) رواه مالك ، وأخرج ابن أبي شيبة عن عمر : «أنه كان يقول إذا خرجت ميلاً قصرت الصلاة» ، وإسناده صحيح ، وقد روىٰ هذا في البحر عن داود .

(٣) رواه مسلم ، مسافرين ١٢ ، وفي سبل السلام ٤/ ٤٠٠ (الفرسخ : ثلاثة أميال ، وهي كلمة فارسية معربة)

الجمع بين الصلاتين :

جمع الظهر مع العصر . . وجمع المغرب مع العشاء .

١ ـ والجمع يكون بعرفة والمزدلفة .

٢ ـ يكون في السفر ، فعن كريب عن ابن عباس أنه قال : «**ألا أخبركم عن صلاة رسول الله ﷺ في السفر؟ قال: كان إذا زاغت له الشمس في منزله جمع بين الظهر والعصر قبل أن يركب**»(١) .

٣ ـ يكون الجمع في المطر ، فعن ابن عمر أن النبي ﷺ «**جمع بين المغرب والعشاء في ليلة مطيرة**»(٢) .

وأجاز الشافعية للمقيم الجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء جمع تقديم فقط بشرط وجود المطر .

٤ ـ الجمع بسبب المرض أو العذر ؛ لأن المرض أشد في المشقة من المطر .

فائدة :

إذا جمع في السفر ثم عاد إلى موطنه في وقت الفريضة التي جمعها ، لا إعادة عليه حتى ولو كان في أول وقتها . .

---

(١) رواه مسلم ، صلاة المسافرين٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) مالك في الموطأ ، عن نافع عن ابن عمر ، كان إذا جمع الأمراء بين المغرب والعشاء في المطر جَمَعَ معهم ، كتاب السفر ، حديث رقم ٥ ، وأخرجه النسائي في كتاب الأذان ، رقم ١٧ .

ثانياً : مختارات فقهية

هذه المختارات من الأحكام الفقهية والتي يحتاج إليها الناس، تم اختيارها لهذه الأسباب :

١ ـ حاجة المجتمع إلىٰ التعرف السريع والمبسط علىٰ أحكام بعض المواقف المتكررة.

٢ ـ أو تكون أحكاماً فقهية يشوبها نقص في التطبيق عند بعض الناس.

٣ ـ أو تكون أحكاماً فقهية تطبقها الناس بصورة خطأ، ثم اعتاد الناس عليها.

٤ ـ أو تكون أحكاماً فقهية لآراء غير موثقة شرعاً . .

فمن هذه المختارات :

١ ـ إذا نسي صائم التطوع وأكل أو شرب :

الشائع في وسط كثير من الناس أنه إذا نسي صائم صيام تطوع ثم أكل أو شرب، يظن أن صيامه باطل، فإذا ذَكَّرَهُ أحدهم بحديث : « **من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه** »، يقولون له : هذا بالنسبة لرمضان، أما في التطوع فلا ينطبق عليه هذا الحديث !!

ولتوضيح هذا الأمر نذكر النقاط التالية :

١ ـ هذا الحديث عام وليس خاصاً بصيام الفريضة، ولم يرد دليل علىٰ التخصيص، ولا يجوز تخصيص العام إلا بمخصص، فظل الحديث عاماً لصوم الفريضة وصوم النافلة، وإليك نص الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه** »(١).

(١) رواه البخاري، صوم ٣٠، الصائم إذا أكل وشرب ناسياً ٢٦، وفي اللؤلؤ والمرجان رقم ٧١٠، عن أبي هريرة .

٢ ـ يؤيد هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أم إسحاق أنها كانت عند النبي ﷺ فأُتِي بقصعه من ثريد فأكلت معه، ثم تذكرت أنها صائمة، فقال لها ذو اليدين: «بعد ما شبعتِ؟». فقال لها النبي ﷺ: **«أتمي صومك، فإنما هو رزق الله إليك»**(١).

ومن هذا الحديث يتضح لنا :

أ ـ أنها كانت متطوعة، ولو كان ذلك في رمضان ما كان النبي ﷺليفطر في رمضان وكذا ذو اليدين.

ب ـ من السنة ترك السنة أحياناً فصيامها تطوع (٢) سنة عن النبي وكان صاحب السنة مفطراً.

جـ ـ فيه دلالة على أن المسلم يتطوع بأي نوع من أنواع الطاعات ولا يتهمه غيره أنه يفعل ما لم يفعله النبي ﷺ.

٣ ـ من الناحية العقلية والواقعية: أن مظنة النسيان في التطوع في غير رمضان أكثر من رمضان، ففي رمضان كل الناس صائمون، وإذا همَّ الإنسان أن يأكل أو يشرب ذكَّرَهُ من حوله.

خلاصة الأمر :

من أكل أو شرب ناسياً في تطوع، أو في نذر، أو في رمضان أو في أي صيام طاعة لله فليتم صومه إنما هو رزقٌ ساقه الله إليه.

---

(١) نيل الأوطار، جـ ٤، باب من أكل أو شرب ناسيًا ص ٥٧٠، طبعة دار الحديث، وفي لفظ: **«إذا أكل الصائم أو شرب ناسياً فإنما هو رزقٌ ساقه الله إليه ولا قضاء عليه»**، رواه الدارقطني وقال: إسناده صحيح.

(٢) التطوع : اثنين وخميس، و ١٣، ١٤، ١٥ من كل شهر هجري (الأيام البيض)، ويوم عرفه لغير الحاج، والتسع الأول من ذي الحجة، ويوم عاشوراء، ستة من شوال، أو صوم داود يصوم يوم ويفطر يوم.

٢ ـ صلاة المنفرد خلف الصف :

تصح صلاة المنفرد خلف الصف طالما أنه لم يجد سعة في الصف ولا فرجة، لأن الواجب عليه إتمام الصف الأول، لما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله**»(١).

ويُكره جذب أحد من الصف الذي أمامه، لأنه بذلك يكون قد قطع صفاً وهو مأمور بوصل الصف لا بقطعه، كما أنه تسبب في حركة أثناء الصلاة لغير ضرورة.

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من خطوة أعظم أجراً من خطوة مشاها رجل إلى فرجة في الصف فسدها**»(٢).

وعلى هذا من أتي ولم يجد فرجة في الصف فليصل منفرداً ولا يجذب أحداً من الصف الذي أمامه، لأنه لو جذب واحداً من الذي أمامه يحدث الآتي:

١ ـ إما أن يأتي ثالث فيضطر الذي جُذب أن يعود إلى مكانه حتى لا يترك فرجة في الصف.

٢ ـ أو لا يأتي أحد فيظل فرجة في الصف الأول ويجب على أحدهما سدها، فمن باب أولى عدم إحداث الفرجة ابتداءً، ويترك الصف موصولاً، ويصلي من أتى منفرداً ولا شيء عليه وصلاته صحيحة.

أما «لا صلاة لمنفرد خلف الصف» فالمقصود به:

١ ـ أن يصلي المسلم صلاة غير صلاة الجماعة وهو خلف صلاة الجماعة، كما قال النبي ﷺ للرجل الذي صلى صلاة غير صلاة الجماعة: «**بأي الصلاتين اعتددت**»؟(٣).

---

(١) رواه النسائي، إمامة ٣١، وأبو داود، صلاة ٩٣، وأحمد ٣/ ٩٨، والحاكم وابن خزيمة.

(٢) رواه ابن ماجة، إقامة ٥٠، وأحمد ٦/ ٨٩، والبراز بسند حسن.

(٣) أخرجه أبو داود، صلاة ٤٥، عن عبد الله بن سرجل قال: جاء رجل والنبي ﷺ يصلي الصبح، فصلى الركعتين ثم دخل مع النبي في الصلاة فلما انصرف قال: «**يا فلان أيتهما صلاتك: التي صليت وحدك أو التي صليت معي**» حديث رقم ١٢٦٥.

٢ ـ أو من وجد مكاناً في الصف وأبىٰ الوقوف فيه استكباراً.

ولذا نقول : إذا أقيمت الصلاة وأنت في نافلة فسلم منها أو خففها والحق بالجماعة، للحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة** »(١) . وفي رواية « **إلا التي أقيمت** » .

٣ ـ سجدة التلاوة في فجر يوم الجمعة :

سجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع، لما رواه البخاري عن أمير المؤمنين عمر أنه قرأ علىٰ المنبر يوم الجمعة سورة النحل حتىٰ جاء السجدة وسجد وسجد الناس حتىٰ إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتىٰ إذا جاء السجدة قال: «يا أيها الناس إنا لم نؤمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه» .

وروىٰ الجماعة إلا ابن ماجة عن زيد بن ثابت قال: قرأت علىٰ النبي ﷺ ﴿والنجم..﴾ فلم يسجد، والترك هنا لبيان الجواز.

وروىٰ البزار والدراقطني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سجد في سورة النجم وسجدنا معه، قال الحافظ في الفتح: ورجالة ثقات.

ولقد كره مالك قراءة سورة السجدة في فجر الجمعة، حتىٰ لا يظن العامة وجوب ذلك، أو أن لصلاة هذا اليوم فضلاً عن غيرها، ومن هنا فإن سجدة التلاوة فعلها سنة وتركها سنة، لأن النبي ﷺ فعلها وتركها، ونحن نقتدي به في الفعل والترك.

٤ ـ النهي عن القزع :

وهو حلق بعض الرأس وترك البعض، وإباحة حلق الرجل كل رأسه دون المرأة.. وإن مما عمت به البلوىٰ هذا التقليد السيء لسيئات الغرب وأن ينشر شبابنا هذا المنظر المقزز للنفس .

---

(١) رواه البخاري، آذان ٣٨، مسلم، مسافرين ٦٣، ٦٤، وأصحاب السنن.

فعن عبدالله بن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن القزع»(١).

وعن ابن عمر قال: رأى رسول الله ﷺ صبياً قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»(٢).

٥ ـ دخول الحائض المسجد والمكث فيه (٣):

هذه قضية ثارت وأخذت من الجهد الكثير وتركت شحناء في قلوب وصدور أطرافها وقطعت أواصر محبة وود، كل هذا بحجة حضور المرأة درس العلم.

ونسي هؤلاء أن صلاة المرأة في بيتها أفضل، وفي حجرتها أفضل من صحن دارها، وماذا يضر الإسلام أن تجلس المرأة في بيتها أيام الحيض هذه (٣، ٤، ٥، ٧ أيام) مرة في كل شهر؟ وهل المرأة التي تذهب إلى المسجد في حيضها هل هي أقامت كل الإسلام حتى تنتهك حرمة المسجد!!.

أختاه!!!

اجتهدي في الخمسة وعشرين يوماً الباقين (بعد الحيض) من الشهر في العبادة وخذي قسطاً من الراحة في هذه الأيام (أيام الحيض) التي لا دخل لك فيها.

هذه القضية ظهرت تقريباً في حلول عام ١٩٩٥م حينما أقيمت دروس للنساء في المساجد تسابقت الاتجاهات الإسلامية وخرجت منهم الفتاوى تبيح ذلك بغية زيادة أعدادهن.

واحتجوا لذلك برأي أحد الظاهرية الذين قالوا إن المرأة كانت تَقُمُّ المساجد وتبيت في المسجد وهذا الاستدلال فيه من الاحتمالات الكثير.

١ ـ احتمال أن تكون هذه المرأة بلغت سن اليأس فانقطع حيضها.

٢ ـ احتمال أن تكون هذه المرأة لا تحيض أصلاً وهناك نساء لا تحيض.

(١) رواه البخاري، لباس ٧٢، مسلم، لباس ٧٢، ١١٣.

(٢) رواه البخاري، لباس ٧٢، ومسلم، لباس ١١٣.

(٣) اعرض رأي المانعين وأدلتهم، ورأي المجيزين وأدلتهم مع المناقشة والترجيح.

٣ ـ على فرض أنها كانت تبيت في المسجد[١] احتمال أنها كانت تترك المسجد أيام حيضها، وهنا نقول إن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

٤ ـ هذا الفعل مخالف لصريح الآيات وصحيح السنة.

وعلى هذا فالاستدلال بهذه المرأة استدلال تطرق إليه احتمالات كثيرة، فلايصح الاستدلال به، وهذا هو الدليل الوحيد مع الذين يبيحون مكث الحائض في المسجد، وأصبح بذلك رأيهم عرياناً من الأدلة.

أولاً : رأي المانعين :

أما عن الأدلة التي تمنع مكث الحائض في المسجد فقوية هي وقاطعة وكثيرة، ولا تعارض. . وهاك الأدلة :

١ ـ القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا . .** ﴾ (النساء : ٤٣).

٢ ـ السنة المطهرة :

روى أبو داود عن السيدة عائشة قالت : جاء رسول الله ﷺ وبيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال : «**وجِّهوا هذه البيوت عن المسجد**»، ثم دخل رسول الله ﷺ، ولم يصنع القوم شيئاً رجاء أن ينزل فيهم رخصة فخرج إليهم فقال : «**وجِّهوا هذه البيوت عن المسجد، فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنُب**»[٢].

وعن أم سلمة قالت : دخل رسول الله ﷺ صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته : «**إن المسجد لا يحل لحائض ولا جنب**»[٣].

---

(١) لماذا تبيت في المسجد وهيَ امرأة أليس ذلك من الفتن؟ أن تبيت امرأة بمفردها في مكان عام؟

(٢) أخرجه البيهقي وأبو داود، طهارة ٩٢، وصححه، وابن خزيمة، وفي سبل السلام للصنعاني، رقم ١٣/ ١١٠، ص ١٨٩، مكتبة الإيمان.

(٣) رواه ابن ماجة، طهارة ١٢٦، والطبراني، وصححه ابن خزيمة كما في سبل السلام للحديث السابق، والصَّرْحة : عرصة الدار، والممتد من الأرض.

٣ ـ الفقه وآراء الفقهاء:

الناظر في كتب الفقه يجد :

* **في نيل الأوطار للإمام الشوكاني:** (باب المسجد لا يحل لحائض ولا جنب).

* وفي **المـُغني لابن قدامة، جزء ١:** (فصل إذا توضأ الجنب فله المكث في المسجد) . . في قول أصحابنا وإسحاق وقال أكثر أهل العلم لا يجوز للآية : ﴿وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ..﴾، وللحديث: «**لا أُحلُّ المسجد لحائض ولاجنب**» . . والذين أجازوا للجنب قاسوا على الوضوء لمعاودة الجماع والوضوء يشبه التيمم في ترخيص الحدث ، فأما الحائض إذا توضأت فلا يباح لها المكث لأن وضوءها لا يصح[١] .

* **في سُبل السلام للصنعاني:** (حكم دخول الحائض والجنب المسجد)، وذكر في ذلك رأي الجمهور: لا يجوز للحائض والجنب دخول المسجد، أما العبور فيجوز للآية: ﴿ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ..﴾ .

* **في فقه السنة للسيد سابق،** ما يحرم على الجنب، وذكر منها المكث في المسجد.

* كتاب **الفتاوى النسائية** للشيخ محمد بن صالح العثيمين[٢] : السؤال رقم ٢٠ ص ٣١ : **س٢٠: يقول السائل: ما حكم وجود المرأة في المسجد الحرام وهي حائض لاستماع الأحاديث والخطب ؟؟**

الإجابة : لا يجوز للمرأة الحائض أن تمكث في المسجد الحرام ولا غيره من المساجد، ولكن يجوز لها أن تمر بالمسجد وتأخذ الحاجة منه وما أشبه ذلك كما قال: النبي ﷺ لعائشة حين أمرها أن تأتي بالخمرة (السجادة)[٣] ، فقالت: إنها في المسجد وهي حائض، فقال: «**إن حيضتك ليست في يدك**»، فإذا مرت الحائض في

---

(١) المغْني، لابن قدامة، جـ١ ، ص ١٨٧ .

(٢) طبعة مكتبة العلم بالقاهرة، ١٠ش الشيخ علي الغاياتي، خلف مسرح الجمهورية .

(٣) رواه مسلم، جـ١ كتاب الحيض، الحديث ١١ .

المسجد وهي آمنة من أن ينزل دم على المسجد فلا حرج عليها، أما إن كانت تريد أن تدخل وتجلس فهذا لا يجوز، والدليل على ذلك أن النبي ﷺأمر النساء في صلاة العيد أن يُخرِجْن إلى مصلى العيد العواتق وذوات الخدور والحيض إلا أنه أمر أن يعتزل الحيَّض المصلى.

فدل ذلك على أن الحائض لا يجوز لها أن تمكث في المسجد لاستماع الخطبة أو استماع الدرس والأحاديث.

* **كتاب المرأة المسلمة:** للشيخ محمد بن صالح العثيمين [١] : يقول الفصل الرابع، ص ٥٤ في أحكام الحيض: الحكم الخامس: المكث في المسجد، فيحرم على الحائض أن تمكث في المسجد حتى مصلى العيد يحرم عليها أن تمكث فيه، لحديث أم عطية أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «**يخرج العواتق وذوات الخدور الحيض وفيه يعتزل الحيض المصلى**»[٢].

* **كتاب فتاوى المرأة:** اللجنة الدائمة للإفتاء الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ ابن عثيمين ـ ابن الجبرين[٣] : **السؤال: امرأة نزل منها الدم وهي داخل مسجد رسول الله فمكثت فيه قليلاً حتى انتهى أهلها من الصلاة وخرجت معهم هل تأثم في ذلك؟؟**

الإجابة: إذا كانت لا تستطيع الخروج وحدها فلا حرج عليها، أما إن كانت تستطيع الخروج وحدها، فالواجب عليها البدار بالخروج لأن الحائض والنفساء والجنب لا يجوز لهم الجلوس في المساجد لقول الله جل وعلا: ﴿ **وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ..** ﴾، ولما روي عن النبي ﷺأنه قال: «**إني لا أحل المسجد لحائض ولاجنب**». الشيخ ابن باز.

٤ - **المرأة في أيام الحيض ممنوعة من أعظم الفرائض** الصلاة ـ الطواف ـ الصيام ـ قراءة القرآن هل نطلب منها الأقل في الفرضية[٤] .

---

(١) طبعة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(٢) رواه البخاري، حج ٨١، حيض ٢٣، عيدين ١٥، ٢٠، ومسلم، حج ٢٣٧، عيدين ١٠، ١٢ .

(٣) طبعة الفرقان، الرياض، ص ١٢٧ .

(٤) على اعتبار ممن يقولون أن درس العلم فريضة .

اختاه ! لا تنتهكي حرمة المسجد لأي سبب من الأسباب وبأي مبرر أعانك الله على طاعته في باقي أيام الشهر بعد الحيض، هذا ما أرجحه وأميل إليه، وهذا رأي فريق كبير من العلماء ـ كما ذكرت .

ثانياً : رأي المجيزين :

ولقد ذهب فريق من العلماء إلى أن الحائض تدخل المسجد وتمكث فيه، وأذكر رأيهم وأدلتهم :

الحائض تدخل المسجد وتمكث فيه للأدلة الآتية :

١ ـ أنه لم يأت نهي عن ذلك بدليل صحيح فيبقى الأمر على البراءة الأصلية .

٢ ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **المؤمن لا ينجس** » (١) .

٣ ـ أن أهل الصُّفَّة(٢) كانوا يبيتون في المسجد بحضرة رسول الله ﷺ وهم جماعة كثيرة، ولا شك أن فيهم من يحتلم فما نهوا قط عن ذلك .

٤ ـ إن النبي ﷺ لم ينه عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الحج إلا من الطواف بالبيت فقط(٣) : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)** ﴾ (النساء) .

٥ ـ إن الأحاديث المانعة من دخول الحائض المسجد إما باطلة أو غير مشهورة، إلى غير ذلك من العلل التي ذُكرت في المحلى .

---

(١) البخاري، الفتح ١ : ٥، ٤، ٤٠٦ من حديث أبي هريرة .

(٢) هم فقراء المسلمين في المدينة، وكانوا يتخذون المسجد سكناً لهم، ويأكلون من الصدقات، وكان أبو هريرة منهم .

(٣) المحلى ١ : ١٨٤ ـ ١٨٧ .

٦ ـ إن علياً ـ رضي الله عنه ـ قال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾: «إذا أجنب فلم يجد الماء تيمم، وصلى حتى يدرك الماء، فإن أدرك الماء اغتسل»(١).

٧ ـ أما ما روى من تفسير ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «لا تدخل المسجد وأنت جنب إلا أن يكون طريقك فيه ولا تجلس»، فهو ضعيف؛ لأن في سنده أبا جعفر الرازي(٢)، كما أن سياق الآية في سورة النساء: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾.

يبين أن المراد «حقيقة الصلاة» وهذا مذهب «أبي حنيفة»، وهو كذلك قول أكثر المفسرين، وروى عن مجاهد وقتادة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ فإنه يدل على أن المراد لا تقربوا نفس الصلاة.

إذ المسجد ليس فيه قول مشروع يمنع منه السكر؛ لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ويؤيد ذلك سبب نزول الآية في قصة شرب علي ـ رضي الله عنه ـ الخمر مع عبد الرحمن بن عوف قبل تحريمها(٣).

وقد نقل عن الإمام أحمد أنه يجوز للجنب والحائض أن يمكث في المسجد إذا توضأ(٤).

الخلاصة:

يقول الشيخ: جاسم بن مهلهل الياسين: بعد استعراض أدلة كل فريق ومتابعة طرق بعض الأحاديث: ترجح عندي أنه يجوز للحائض أن تأتي للمسجد وتمكث فيه للاستماع إلى دروس العلم بشرط أن تأمن عدم تلوث المكان، وهذا

---

(١) رواه البيهقي ١ : ٢١٦، وابن ماجة في تفسيره ٥ : ٦٢ .

(٢) انظر إرواء الغليل .

(٣) روائع البيان ١ : ٤٨٠ ـ ٤٨٥ .

(٤) حلية العلماء ١ : ١٧٣، نقل ذلك عن كشف القناع ١ : ١٤٩، وكذلك الإنصاف ١ : ٣٤٧، وفي الإنصاف ١ : ٣٤٦ عن الجنب «ويحرم عليه اللبث فيه إلا أن يتوضأ» .

أصبح الآن لا جهد فيه ولا مشقة على أن تتوضأ وضوءها للصلاة؛ لأن النبي ﷺ أمر الجنب بالوضوء عند النوم، فدل ذلك على ان الوضوء يرفع الجنابة الغليظة وتبقى مرتبة بين المحدث والجنب(١).

أما لغير دروس العلم والحاجة التي قد تدفع الحائض لدخول المسجد كما في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ الذي ذكرناه والذي أمرها فيه النبي ﷺ بأن تأتي له بالسجادة من داخل المسجد، فلا نرى مبرراً لمكث الحائض في المسجد أخذاً من النصوص العامة وخروجاً من الخلاف(٢).

٦ ـ هل مس الفرج ينقض الوضوء؟

وهل فرج الصغير كالكبير، والحي كالميت؟؟

جاء في المُغني لابن قدامة: ومس الفرج (الفرج اسم لمخرج الحدث ويتناول الذكر والدبر وقبل المرأة) عن أحمد فيه روايتان:

الرواية الأولى: مس الفرج ينقض الوضوء، وهو مذهب ابن عمر وسعيد بن المسيب، وعطاء، وعثمان، والشافعي، وخلق كثير وهو المشهور عن مالك، وعمر ابن الخطاب، وأبي هريرة، وابن سيرين، وأبي العالية.

الرواية الثانية: لا وضوء فيه، وذلك عن علي، وعمار، وابن مسعود، وأصحاب الرأي (الأحناف).

الذين قالوا بالوضوء تمسكوا بحديث بسرة بنت صفوان قال: رسول الله ﷺ: **«من مسَّ ذكره فليتوضأ»**(٣).

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ٢١ : ٣٤٤، ٣٤٥، وقد ذكر ابن قدامة في المغني ١ : ١٤٦.

(٢) فقه المرأة من المهد إلى اللحد، د. جاسم محمد مهلهل الياسين، ص ١٣٥، طبعة ٢٠٠٧ شروق للنشر.

(٣) رواه البخاري، علم ٥٣، صلاة ٩، حج ٢١، وقال البخاري: هو أصح شيء في هذا الباب.

والذين قالوا بعدم الوضوء تمسكوا بحديث طلق بن علي، قال رجل: «مسستُ ذكري»، أوقال الرجل يمس ذكره في الصلاة أعليه الوضوء؟ فقال النبي ﷺ: «**لا إنما هو بضعة منك**»(١) . وقال عنه ابن المديني: هو أحسن من حديث بسرة، وقال عنه ابن حجر: أخرجه الخمسة وصححه ابن حبان والطبراني وابن حزم.

وذكر ابن قدامة في المغني هذه الفصول :

* فصل: لا فرق بين بطن الكف وظهره.. قال: الشافعي: ظاهر كفه من يده وكذا ينقض من مسه بذراعه.
* فصل: لا فرق بين ذكره وذكر غيره، فذكر غيره أولىٰ بالمنع، لأن مس ذكر غيره معصية وحاجة الإنسان تدعو إلىٰ مس ذكر نفسه، فإذا انتقض بمس ذكر نفسه فمس ذكر غيره أولىٰ وفي بعض ألفاظ خبر بسرة: «**من مس الذكر فليتوضأ**».
* فصل: ولا فرق بين ذكر الصغير والكبير وبه قال: عطاء والشافعي وأبو ثور أما الأوزاعي فقال: لا وضوء علىٰ مس ذكر الصغير.
* فصل: وفرج الميت كفرج الحي لبقاء الاسم والحرمة، ولاتصاله بجملة الأدمي، وهو قول الشافعي، حتىٰ قالوا في الذكر المقطوع وجهان:

١ ـ بالنقض لبقاء اسم الذكر.

٢ ـ عدم النقض لذهاب الحرمة وعدم الشهوة.

ومع هذا كما قال الشافعي: ولا فرق بين ذكر الصغير والكبير، وفرج الحي والميت، وعلىٰ الأم أن تتوضأ من مس فرج الصغير(٢) ، وإذا وقعت الأم في ضيق وحرج شديد ولم تجد الماء أو صعب فلتأخذ برأي الإمام أحمد بالوضوء من مس الفرج ندباً لا وجوباً، «ورأي الإمام مالك بالوضوء من مسّ الذكر إذا كان بشهوة، أما ابن تيمية فقد حمل الأمر للاستحباب والندب لا للوجوب»(٣)، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود، طهارة ٧٠، والترمذي، طهارة ٦٢، والنسائي، طهارة ١١٨، وصححه ابن حبان، وقال ابن المديني (شيخ البخاري) : هو أحسن من حديث بسرة.

(٢) كلمة الطفل أو الصغير تنصرف إلىٰ الولد أو البنت.

(٣) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية، جـ ٢١، ص ٢٤١.

ثالثاً : الزكـــاة

اهتم الإسلام بعلاج الفقر ففرض الزكاة، حيث قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة : ١٠٣).

ليس هذا فقط . . بل لم تر الدنيا كتاباً قبل القرآن يجعل ترك الحض على رعاية المسكين من موجبات دخول الجحيم والعذاب الأليم . . فكانت هذه الآيات الهادرة بالوعيد والمنذرة بالعذاب . . المزلزلة للقلوب هي التي جعلت مثل أبي الدرداء رضي الله عنه يقول لامرأته يا أم الدرداء إن لله سلسلة لم تزل تغلي بها مراجل النار منذ خلق الله جهنم إلى يوم تُلقى في أعناق الناس، وقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فحضي على طعام المسكين يا أم الدرداء حتى ينجينا الله من نصفها الثاني، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) ﴾ (الحاقة). ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) ﴾ (الفجر) ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) ﴾ (الماعون).

ولذلك نقول للذي لا يملك نصاب الزكاة : إنَّ مسئوليتك عن الزكاة أخطر من الذي يملك النصاب !!

الشروط التي يجب أن تتوافر في المال حتى تجب فيه الزكاة هي:

١ ـ أن يكون المال مملوكاً ملكية تامة للمكلف بأداء الزكاة.

٢ ـ أن يكون المال نامياً أو قابلاً للنماء يدر على صاحبه ربحاً وفائدة أي دخلاً وغلة.

٣ ـ أن يبلغ نصاباً معيناً أي فائضاً عن الحاجة الأصلية للحياة(١).

(١) يقول الشيخ عبد الخالق الشريف : المال المُدخر لشراء الملابس الضرورية، أو إجراء عملية جراحية لا زكاة فيه، أما ما ليس ضرورياً كمال مُدخر لشراء آلات بالمنزل كغسالة فول أوتوماتيك، أو جهاز تكييف فليس من الحاجات الأصلية إلا أن تكون ضرورية لظروف خاصة (زكاة المال، ص ٣٢).

٤ ـ أن يكون المال خالياً من الدين أي يطرح منه الديون الحالّـة .
٥ ـ أن يمر على ملكية المال حولاً كاملاً ما عدا زكاة الزروع والثمار(١) .
٦ ـ أن يكون المال طيباً لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .

نماذج من الأموال غير الخاضعة للزكاة :

١ ـ الأشياء المخصصة لتحقيق المنافع وليس للتجارة ، مثل الحاجات الأصلية للإنسان من مسكن ودابة ولوازم البيت من أجهزة ومعدات وثلاجة وغسالة . . ونحو ذلك .
٢ ـ الأصول الثابتة المقتناة لتقديم الخدمات للتجار والصناع ونحوهم مثل الأرض والمباني والآلات والمعدات والعدد والأدوات ويطلق عليها عروض القنية (٢) للاستخدام والتشغيل .
٣ ـ الديون التي على الغير ولا يرجى تحصيلها (ديون مشكوك في تحصيلها ، أو ديون ظنون ، وتُسمى بالضمار) وتزكى عندما تحصل لحول واحد عند جمهور الفقهاء .
٤ ـ الأموال المحبوسة أو المقيدة لدى البنوك ولدى الناس وتزكى عندما يفرج عنها ولمدة حول واحد عند جمهور الفقهاء .
٥ ـ الأموال التي استغرقتها الديون أو المتبقى منها بعد خصم الديون يكون دون النصاب .
٦ ـ الأموال التي لم تصل النصاب وهو ما يعادل ٨٥ جرام من الذهب أو نصاب الفضة .
٧ ـ التحف والأشياء التذكارية وليست لغرض التجارة أو لدر الإيراد .
٨ ـ مؤخر صداق المرأة الذي لم يُحَصَّل ويزكى عندما يحصل لحول عند جمهور الفقهاء .
٩ ـ الحلي لأغراض الزينة وفي حدود المعتاد ، أما الزيادة فتخضع للزكاة .

---

(١) حولان الحول أن يمر على المال في ملك المالك اثنا عشر شهراً عربيًا ، هذا الشرط بالنسبة للأنعام والنقود والسلع التجارية (يسمى زكاة رأس المال) ، أما الزروع والثمار والعسل والمستخرج من المعادن من كنوز ونحوها لا يشترط لها حول (ويسمى زكاة الدخل) .
(٢) القنية : ما يقتنيه الشخص (الممتلكات الشخصية إذا بيعت) .

أمــوال الزكــاة

حرصت الشريعة الإسلامية على قيام مجتمع قوي متماسك فلا تُسلب أموال الغني ولا تُضيّع الفقير، فوضعت تشريعات تناسب كل زمان ومكان ففي الزكاة تجد أن الأموال الزكوية المحصورة في كتب الفقه كانت محددة كالذهب والفضة والزروع والأنعام.

ومع مرور الأيام وتجدد العصور تظهر أشكال جديدة من أشكال المال ولها عائدات هائلة تفوق العائد من الزروع والأنعام وغيرها ومن أمثلة ذلك: العمارات ـ السيارات ـ الطائرات ـ مزارع الأسماك والدواجن ـ المهن الحرة ـ شركات المحمول.

وسوف تظهر في العصور القادمة أشكال أخرى للمال وعائدات أكثر، فهل تخضع هذه الأموال لوعاء الزكاة؟ وكيف تُحسب زكاتها؟

إن المشروعات الحالية وما يُستجد من مشروعات واختراعات في المستقبل تخضع للزكاة.. للآتي:

أ ـ يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (المعارج: ٢٤)، ويقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ (التوبة: ١٠٣). وهذا عام في كل مال على اختلاف أصنافه وتباين أسمائه واختلاف أغراضه، وكان هذا رد ابن العربي على الظاهرية الذين نفوا وجوب الزكاة في عروض التجارة لعدم ورود حديث صحيح، وقال: من أراد أن يخصه في شيء فعليه الدليل(١).

ب ـ ما حدث من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زكاة الخيل، فقد أخرج عبدالرازق والبيهقي عن يعلى بن أمية قال: ابتاع عبدالرحمن أخو يعلى من رجل من أهل اليمن فرساً أنثى بمائة قلوص (ناقة شابة) فندم البائع ولحق بعمر، فقال غصبني يعلى وأخوه فرساً لي، فكتب عمر إلى يعلى ان الحق بي، فأتاه، فأخبره الخبر فقال: إن الخيل لتبلغ هذا عندكم؟ ما علمت أن فرساً يبلغ هذا، فنأخذ من كل

(١) فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، ص ٤٦١ نقلاً عن شرح الترمذي، جـ٣، ص ١٠٤.

أربعين شاه ولا نأخذ من الخيل شيئاً، خذ من كل فرس ديناراً «فضرب على الخيل ديناراً ديناراً»(١).

جـ ـ إن الله تعالى تكفل بالرزق وقرر حق الفقراء والمحتاجين، فأين حقهم إذا كسدت التجارات؟ وأين حقهم إذا تلفت الزراعات؟ ولذلك ذكر الله تعالى في الآية «المال» حتى تظل الزكاة دائمة إلى الوقت (الذي يطوف الرجل فيه بزكاته) فلا يجد من يأخذها منه لكثرة المال(٢).

الأموال التي يجب فيها الزكاة:

أولاً: زكاة النقدين (الذهب والفضة) والنقود الحديثة (العملات الورقية والمعدنية وغيرها):

نصابها: عن عليّ عن النبي ﷺ قال: «**إذا كانت لك مائتان درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شيء ـ يعني في الذهب ـ حتى يكون لك عشرون ديناراً فإذا كانت لك عشرون ديناراً وحال عليها الحول ففيها نصف دينار، فما زاد فبحساب ذلك**»(٣).

وعن أبي موسى: ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمس أواق من الورق(٤) صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة(٥)، وعلى هذا فيكون:

نصاب الفضة ٥٩٥ جراماً.

ونصاب الذهب ٨٥ جراماً

والعملات الورقية تحسب حسب قيمة نصاب الذهب أو الفضة.

ومقدار الزكاة: ربع العشر (٥, ٢ ٪).

---

(١) نصب الراية، جـ٣، ص ٣٥٩، وراجع فقه الزكاة.

(٢) البخاري فتن ٢٥، من علامات الساعة.

(٣) رواه أبو داود رقم ١٥٧٠ بإسناد صحيح.

(٤) الورق: الفضة.

(٥) رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري برقم ١٤٥٩.

مثال ١: إذا كان لديك مبلغ ثلاثون ألف جنيه وقيمة جرام الذهب مائة جنيه فهل فيها زكاة؟ وكيف تُحسب؟

عدد الجرامات التي يمكن شراؤها بالمبلغ = ٣٠٠٠٠ ÷ ١٠٠ = ٣٠٠جرام من الذهب.

مقدار الزكاة = ٣٠٠٠٠ × ٢٥ ÷ ١٠٠٠ = ٣٠ × ٢٥ = ٧٥٠ جنيهاً.

مثال ٢: إذا كان لديك مبلغ ثمانية آلاف جنيه وقيمة الذهب مائة جنيه فما قيمة الزكاة؟

عدد الجرامات التي يمكن شراؤها = ٨٠٠٠ ÷ ١٠٠ = ٨٠ جراماً من الذهب.

لا زكاة عليها؛ لأنها لم تبغ النصاب وهو ٨٥ جراماً من الذهب.

ثانياً: زكاة الثروة التجارية (عروض [١] التجارة):

١ ـ **دليل وجوبها:** قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ**﴾ (البقرة: ٢٦٧).

٢ ـ شروط وجوب زكاة عروض التجارة: [٢] (بلوغ النصاب ـ حولان الحول).

والناتج من التجارة يتبع الأصل في حوله، ويزكى تبعاً له، ولا يشترط في هذا الناتج حولان خاص به.

ولكن هل يشترط إتمام النصاب في بداية الحول أم في طرفيه أم في آخره أم مع استمراره كل أيام الحول؟

اتفق جمهور العلماء على أن الناتج من التجارة له حكم الأصل، فإذا كان يملك النصاب في أول الحول، فما نتج خلال الحول يتبع الأصل ويُزكى معه.

---

(١) العروض: جمع عرض، كما في التاج، ما خالف النقدين من متاع الدنيا وأثاثها، فقه الزكاة د. القرضاوي، ص ٣١٣.

(٢) اقتبسنا هذا الجزء من كتاب زكاة المال، الشيخ عبدالخالق الشريف لاحتوائه على أسئلة مهمة وعملية، ص ٥٦ وما بعدها.

ونرجح رأي الذين يرون أن شرط النصاب يكون في أول الحول وآخره ولا يشترط وجوده في كل أيام الحول .

ويرىٰ الإمام مالك أنه لو اشترىٰ للتجارة ما ليس نصاباً وتاجر فيه فحال عليه الحول فبلغ نصاباً أن عليه تزكية هذا المال .

٣ ـ مقدار الزكاة ٥ , ٢٪ (ربع العشر) .

٤ ـ ما لا يدخل في احتساب المال الخاضع لزكاة التجارة: لا يدخل في ذلك المبنىٰ الذي به المتجر ، أو ما به من الأثاث أو أرفف وموازين ، أو سيارات تستخدم فيٰ نقل البضائع أو ما يحفظ به كالثلاجات وغيرها ، وإنما يخضع للزكاة ما يشترىٰ بغرض البيع .

٥ ـ كيف يقدر التاجر ماله الخاضع للزكاة [1] ؟

علىٰ التاجر أن يتخذ موعداً يخرج فيه زكاة تجارته لأن مال التجارة متداول يصعب وضع ضابط تاريخي لكل بيعة أو صفقة ولأن الناتج يتبع الأصل كما بينا .

ويقوم التاجر بتقدير المال الخاضع للزكاة على النحو التالي:

المال الموجود بالصندوق أو البنوك

٠٠٠ + قيمة البضاعة الموجودة لديه (وتُقوّم بسعر الجملة وقت احتساب الزكاة)

٠٠٠ + الدين القوىٰ لدىٰ الغير

٠٠٠ + البضاعة لدىٰ الغير ومدفوع ثمنها .

٠٠٠ ـ يطرح الديون للغير والتي عليه .

٠٠٠ + الباقي (المال الخاضع للزكاة) .

٦ ـ هل يُزكى التأمين الابتدائي والنهائي؟

التأمين الابتدائي والنهائي الذي يدفعه التاجر لجهات مختلفة لدخول

---

(١) زكاة المال ، الشيخ عبدالخالق الشريف ، ص ٥٧ .

ممارسات أو مناقصات هو ملك لصاحبه مودع لدى الجهة الإدارية من وزارة أو مصلحة أو جمعية أو أي جهة أخرى، هذا التأمين إما أنه مؤقت فهو كالدين القوى ولمدة قصيرة فيؤدي صاحب هذا التأمين الزكاة مع ماله الحاضر وإما أنه تأمين نهائي لعقد طويل المدة فهو أحد عناصر الربح، وهو لدى جهة إدارية محتفظ به لحين نهاية العقد ولذا فعليه أداء الزكاة عنه - والله أعلم -.

٧ - رجل له أنواع مختلفة من التجارة كيف يؤدي عنها الزكاة؟

مثل هذا عليه أن يجمع ماله كله في أنواع التجارة المختلفة من تجارة في دواب أو حبوب أو سيارات أو مواد غذائية أو غيرها، فإذا استوفت في مجموعها الشروط السابق بيانها وجب فيها الزكاة وكلها مجتمعة لها نصاب واحد .

٨ - رجل يتاجر في الجاموس أو البقر أو في الخضروات أو العسل، وكذلك في الأحجار الكريمة أو الحلي، فهل في ذلك زكاة؟

نُؤكد على أن كل شيء بقصد البيع فيه زكاة حتى لو كان تراباً أو رملاً أو زلطاً أو خضروات أو غير ذلك متى بلغت مضافاً بعضها إلى بعض النصاب وحال عليها الحول.

٩ - رجل غيَّر نوع تجارته أثناء الحول فهل يؤثر ذلك على زكاته؟

لا يقطع تغير الزكاة الحول، فتعتبر التجارة الثانية امتداداً للأولى وإن اختلف النوع.

١٠ - رجل اشترى قطعة أرض للبناء كمسكن له ولأولاده ثم تغيرت نيته إلى البيع، فهل يجب فيها الزكاة؟ ومتى يبدأ احتساب الحول؟

يجب في قيمة هذه الأرض الزكاة منذ تحولت النية، ففي الحال الأولى وهي شراء الأرض لبناء مسكن له ولأولاده لا يجب فيها الزكاة، ومنذ تحولت النية لبيعها وجب فيها الزكاة، ويحتسب الحول منذ تغير النية، فبعد عام قمري تُقَوِّم الأرض ويؤدى عنها زكاة عروض التجارة.

١١ ـ قد يرد سؤال: كيف يُزكي التاجر عن الربح مع أنه لم يتم الحول[١]؟

سبق أن بينا أن الزيادة في مال التجارة تابعة للأصل، وتضاف إليه ويزكيان معاً ولا يشترط في الربح (الزيادة) حولان الحول.

١٢ ـ هل يخرج التاجر زكاته من قيمة ما يتاجر فيه أم من عين السلع التي يتاجر فيها؟

أ ـ جمهور العلماء على أن التاجر يُقوّم تجارته ويضم بعضها إلى بعض ويخرج الزكاة من قيمة ما يتاجر فيه للأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قوّمها قيمة ثم أد زكاتها» أي قوّم ما عندك مما أعد للتجارة.

ب ـ وهناك من يرى أن التاجر مخير في ذلك أي بين إخراجها من قيمة البضائع أو من عينها.

جـ ـ ورأي ثالث أنها تجب من نفس عروض التجارة وليس في قيمتها[٢] والذي يتبين من واقع الحياة ووفقاً للأصول العامة التي يرتكز عليها الفقه الإسلامي في أمر الزكاة هو مراعاة حال الفقير ومصلحته لأنه المقصود أساساً بإخراج الزكاة له، مع عدم إضرار التاجر.

وعلى ذلك نرى الآتي:

ـ الأصل أن تُقوّم أنواع التجارة المختلفة، وتُحسب الزكاة وتخرج مالاً؛ لأن التجارة كلها تقوم على المال، ولأن الفقير أعلم باحتياجه فإذا دفع إليه المال استخدمه فيما هو في حاجة إليه.

ـ إذا كان التاجر يبيع أموراً لفقير في حاجة إليها حقيقة كثياب له ولأولاده أو دواء أو نظارة أو غير ذلك فيمكن للتاجر أن يدفعها إليه من زكاته وفي هذا مصلحة لعموم الفقراء لأنها ستحسب من الزكاة بقيمتها الإجمالية.

ولكن نؤكد على أمور:

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٩ .

(٢) أورد صاحب المجموع الآراء كلها عن الشافعية ٥/ ٢٦٩، فقه الزكاة ١/ ٣٣٧ .

- أن الفقير في حاجة إليها حقيقة لا توهماً وذلك مخافة أن ندفعها له وهو غير محتاج إليها، فيبيعها بأقل من قيمتها.

- أن تكون هذه البضائع مما يشترئ الفقير مثلها وليس من الأمور الغالية الثمن أو التي فيها إسراف وتبذير.

- أن لا يكون المقصود تخلص التاجر من الراكد من بضاعته، ولذا إذا كانت ثياباً مثلاً فتكون من الألوان التي يريدها الفقير لا من ألوان غير مقبولة أو راكدة عند التاجر.

- أن يحتسب سعر هذه البضائع بالتكلفة حتئ لا يربح التاجر من مال الزكاة.

س : ماذا إذا كان الكساد هو حالة السوق ولم يكن لدى التاجر مالاً يخرج منه زكاته؟

ج : قد يحدث في بعض الأحيان نوع من الكساد والركود في السوق حتئ يجد التجار العنت في بيع بضاعتهم، وربما ما يبيعونه يكفي لسداد مرتبات عمالهم ونفقة بيوتهم، وفي هذه الحالة لا حرج من إخراج الزكاة من البضائع طالما أنها مما يحتاجه الفقير وبالشروط السابق بيانها - والله أعلم -.

ولكن إذا اشترئ بضاعة فخسرت تجارته وحال الحول وكان الباقي يبلغ نصاباً فهل عليه زكاة؟

قال صاحب المغني: لو اشترئ بألفين وحال الحول وقيمته ألف فعليه زكاة الألف[1].

ولكن ماذا يفعل التاجر إذا كانت تجارته مما لا يحتاجها الفقير مثل فساتين الزفاف مرتفعة السعر أو السيراميك أو أجهزة المحمول والتكييف، وكان في السوق كساد، وليس لديه من المال إلا ما يكفي نفقات العمل، ونفقاته الشخصية؟

هنا نجد انفسنا امام مسألة لها عدة مؤثرات:

١ - أن المسلم يملك مالاً يبلغ نصاباً.

---

(١) المغني : ٣/ ٨٣.

٢ ـ أن السلعة التي يتاجر فيها لا يحتاجها الفقير .

٣ ـ أن التاجر ليس لديه سيولة نقدية يدفع منها الزكاة الواجبة عليه من تجارته .

وعلى ذلك:

١ ـ إذا كان لهذا التاجر أموال أخرىٰ في تجارة أخرىٰ فعليه أن يدفع منها الزكاة الواجبة عليه من هذه التجارة لأن أصناف التجارة يضم بعضها إلىٰ بعض أو لأنه يدفع ما يحتاجه الفقير .

٢ ـ أما إذا افترضنا أنه ليس لديه ما يسدد منه ، وأن هذه السلع لا يحتاج إليها أصحاب أي سهم من المستحقين للزكاة ، فستبقىٰ الزكاة ديناً في حق صاحب المال يؤديها عند توفر المال لديه ، ونذكره بأن الله مطلع عليه .

وقد وجدت في فقه الشافعية أن الشافعي في القديم كان يرىٰ وجوب الزكاة بثلاثة شروط ، الحول ، والنصاب ، وإمكان الأداء .

وفي الجديد يرىٰ أن (إمكان الأداء شرط في الضمان)(١) .

س: إذا تغيرت أسعار البضائع بين يوم وجوب الزكاة ويوم إخراجها بأي السعرين تحسب؟

ج : تحسب البضائع بسعر يوم الوجوب سواء زادت القيمة أو نقصت(٢) .

س : كيف تزكى الحقوق المعنوية؟

أجابت علىٰ ذلك الهيئة الشرعية العالمية للزكاة علىٰ النحو التالي :

١ ـ الحقوق المعنوية (كالاسم التجاري) والترخيص التجاري ، والتأليف والاختراع ، أصبح لها في العرف قيمة مالية معتبرة شرعاً ، فيجوز التصرف فيها حسب الضوابط الشرعية وهي مصونة لا يجوز الاعتداء

---

(١) المجموع : ٥/ ٣٧٤ ، وإمكان الأداء أي القدرة علىٰ دفع الزكاة لمستحقيها .

(٢) الهيئة الشرعية العالمية للزكاة ، الندوة السابعة لقضايا الزكاة المعاصرة المنعقدة بالكويت ٢٢ ، ٢٤ ذي الحجة ١٤١٧ هـ ـ ٢٩ إبريل مايو ١٩٩٧م ، ص٥٩١ .

عليها، وهذا يتفق وقرار مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن المؤتمر الإسلامي في دورته الخامسة بالكويت عام ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩٩٨م.

٢ ـ لا تجب الزكاة في حقوق التأليف والابتكار في ذاتها لعدم توافر شروط الزكاة فيها، ولكنها إذا استغلت(١) يطبق على غلتها حكم المال المستفاد.

٣ ـ تجب الزكاة في الاسم التجاري والترخيص التجاري والعلامة التجارية إذا اشتريت بنية المتاجرة بها ـ متصلة كانت أو منفصلة(٢) مع توافر بقية شروط زكاة عروض التجارة.

٤ ـ تجب الزكاة ابتداء في البرامج الابتكارية (مثل برامج الحاسوب ـ الكمبيوتر) وما في حكمها مما ينتجه الأفراد أو الشركات بجهود الآخرين بنية تملكها للتجارة(٣).

س : ما هو السعر الذي يقوّم به التاجر بضاعته؟

يقوّم التاجر بضاعته حسب السعر الذي يمكنه الشراء به عادة عند نهاية الحول (القيمة الاستبدالية) وهو يختلف عن كل من سعر البيع (القيمة السوقية) وعن التكلفة التاريخية أو الدفترية(٤).

س : هل تدخل المواد المعدة لتغلف بها السلع عند تقويم التاجر لبضائعه الواجب الزكاة فيها؟

هذه المواد لها حالات:

١ ـ إذا كانت مشتراة بغرض البيع مفردة فتقوم.

---

(١) استغلت: أي استفيد منها وأصبح لها عائدم

(٢) يقصد بكونها متصلة أو منفصلة أي إذا كانت بنية المتاجرة بالاسم التجاري والترخيص التجاري والعلامة التجارية، هذه النية كانت مع الشراء متصلة به أو جاءت بعد ذلك فتعد منفصلة عن عملية الشراء.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق بتصرف، وراجع في ذلك المجموع شرح المهذب ٦/ ٥٠ فقه تفصيل.

٢ ـ أما إذا كانت تستخدم في تغليف البضائع :

ـ فإذا كانت ترفع من قيمة البضائع فتقوّم ضمن بضائعه .

ـ أما إذا كانت لا تزيد كورق التغليف فلا تقوّم[1] .

س : كيف يزكى المال إذا اجتمع سبب آخر للزكاة مع عروض التجارة؟

ج : إذا اجتمع مع عروض التجارة سبب آخر للزكاة كالسوائم (أي يكون له مثلاً مائة من الإبل سائمة اشتراها بغرض البيع وحال عليها الحول) فتزكى زكاة عروض التجارة (أي تقوّم بالسعر الذي يمكن شراؤها به آخر العام هي ونتائجها ويزكي بنسبة عروض التجارة ٥ , ٢٪) .

س: إذا كان لديه قطعة أرض ليبنى عليها بيتاً له ولأولاده ثم رأى أن يبيعها ليشتري بيتاً جاهزاً، وبعد أن باع الأرض وتسلم قيمتها مضى عام ولم يشتر البيت فهل تجب الزكاة في هذا المال؟

ج : الأرض المشتراة لبناء بيت عليها سواء لتأجيرها أو السكنى له ولأولاده لا زكاة فيها ، فإذا باعها وصارت مالاً وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة بعيداً عن السبب الذي حبس من أجله المال .

س: إذا كنت صاحب شركة والقانون يلزمني بالسنة الشمسية، وعلى ذلك يتم حساب أموالي وإجراء الجرد السنوي ويصعب على مثلي أن يتم ذلك بحساب السنة القمرية مرة لإخراج الزكاة ومرة أخرى سنة شمسية لحساب الضرائب والتعامل مع الجهات الحكومية، علاوة على تكرار الجهد وزيادة التكاليف.. فما الحل؟

ج : الأصل في اعتبار حولان الحول مراعاة السنة القمرية ، وذلك في كل مال زكوي اشترط له الحول ، واللجنة أوصت الأفراد والشركات والمؤسسات المالية باتخاذ السنة القمرية أساساً لمحاسبة الميزانيات أو على الأقل أن تعد ميزانية لها خاصة بالزكاة وفقاً للسنة القمرية ، فإن كان هناك مشقة فإن اللجنة ترى أنه يجوز تيسيراً

---

(١) المرجع السابق بتصرف ، وراجع في ذلك المجموع شرح المهذب ٦/ ٥٠ فقه تفصيل .

على الناس أن يستدرك زيادة أيام السنة الشمسية عن أيام السنة القمرية بأن تحتسب النسبة ٥٧٧ , ٢٪ تقريباً(١).

ثالثاً: زكاة الأنعام:

دليل وجوبها: قال رسول الله ﷺ: **«في الإبل صدقتها، وفي الغنم صدقتها، وفي البز صدقته»**(٢).

البز هو القماش أو المتاع الذي أعد للتجارة.

الأصناف التي تُزكى: هي الإبل - البقر - الجاموس - الغنم والماعز.

الشروط: ولا تزكى الأصناف السابق بيانها إلا بشروط يمكن اختصارها على النحو التالي:

١ - أن تكون سائمة (أي ترعى الكلأ المباح في أكثر العام)، وهذا الشرط عند الجمهور أما المالكية فإنهم لا يشترطون السوم في وجوب زكاة النعم بل تجب عندهم سواء أكانت معلوفة أو سائمة.

٢ - أن تبلغ النصاب (وهذا ما نبينه بعد ذلك).

٣ - أن يحول عليها الحول ولكن ما تولد منها في أثناء العام، فإنه لا يشترط لوجوب الزكاة فيه حلول حول جديد لهذا الناتج بل يتبع الأصل ويزكي معه.

٤ - أن تتخذ الماشية لقصد اللبن أو النسل أو السمن ولا تكون عاملة (والعاملة هي التي يستخدمها صاحبها في حرث الأرض أو سقي الزرع)، وهذا على رأي غالب الفقهاء، ولكن المالكية فإنهم لا يشترطون هذا الشرط بل يرون أن الزكاة واجبة في النعم سواء أكانت عاملة أم غير عاملة.

---

(١) أبحاث وأعمال مؤتمر الزكاة الأول ٢٠١ رجب ١٤٠٤، ٣٠/ ٤/ ١٩٨٤م والمؤتمر السابع ٢٢ ذو الحجة ١٤١٧هـ ٢٩/ ٤/ ١٩٩٧م نقلاً عن زكاة المال، للشيخ عبدالخالق الشريف، ص٦٧.

(٢) المجموع شرح المهذب ٦/ ٤٧ وقال: هذا الحديث رواه الدارقطني في سننه والحاكم في المستدرك، وذكره الحاكم بإسنادين ثم قال: هذان الإسنادان صحيحان على شرط البخاري ومسلم، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٧٥٩٨.

ويلاحظ: أن جميع الأنواع أو غيرها من الدواب مثل الخيل أو البغال أو الحمير إذا ربيت بغرض التجارة كانت الزكاة المطلوبة فيها هي عروض التجارة، فَتُقَوَّم في نهاية كل عام ويخرج منها الزكاة ٢,٥٪ ربع العشر إذا توافرت باقي شروط زكاة عروض التجارة.

١ ـ زكاة الإبل :

نصاب الإبل خمس منها: فليس في أقل من خمس زكاة، والقدر الواجب فيها كما يلي:

ـ من ٥ إلى ٩ شاة.

ـ من ١٠ إلى ١٤ شاتان.

ـ من ١٥ إلى ١٩ ثلاث شياه.

ـ من ٢٠ إلى ٢٤ أربع شياه.

ـ من ٢٥ إلى ٣٥ بنت مخاض (وهي التي دخلت في سنتها الثانية).

ـ من ٣٦ إلى ٤٥ بنت لبون (وهي التي دخلت في سنتها الثالثة).

ـ من ٤٦ إلى ٦٠ حقه (وهي التي دخلت في سنتها الرابعة).

ـ من ٦١ إلى ٧٥ جذعة (وهي التي دخلت في سنتها الخامسة).

ـ من ٧٦ إلى ٩٠ بنتا لبون.

ـ من ٩١ إلى ١٢٠ حقنان.

فإذا زادت، ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

٢ ـ زكاة البقر والجاموس :

نصاب البقر والجاموس ثلاثون منها، فليس في أقل من ذلك زكاة، والقدر الواجب فيها كما يلي:

ـ من ٣٠ إلى ٣٩ تبيع أو تبيعة (ما له سنة).

ـ من ٤٠ إلى ٥٩ مسنة (ما لها سنتان) .

ـ من ٦٠ إلى ٦٩ تبيعان .

ـ من ٧٠ إلى ٧٩ مسنة وتبيع .

ـ من ٨٠ إلى ٨٩ مسنتان .

ـ من ٩٠ إلى ٩٩ ثلاث أتباع .

ـ من ١٠٠ إلى ١٠٩ مسنة وتبيعان .

ـ من ١١٠ إلى ١١٩ مسنتان وتبيع .

وهكذا فيما زاد على ذلك ففي كل ثلاثين منه تبيع ، وفي كل أربعين مسنة .

٣ ـ زكاة الغنم والماعز:

ـ من ٤٠ إلى ١٢٠ شاة لها سنة

ـ من ١٢١ إلى ٢٠٠ شاتان

ـ من ٢٠١ إلى ٣٩٩ ثلاث شياة

ـ من ٤٠٠ إلى ٤٩٩ أربع شياة

ـ من ٥٠٠ إلى ٥٩٩ خمس شياة

وهكذا في كل مائة شاةُ وفي الباب تفصيل يرجع فيه إلى كتب الفقه .

رابعاً زكاة الزروع والثمار:

دليل وجوبها : ﴿**كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ (الأنعام: ١٤١).

قال رسول الله ﷺ: «**فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً**»(١). العشر ، أما فيما سقي بالنضح(٢) نصف العشر(٣) .

---

(١) العثرى من الزرع : ما يشرب بجذوره لأنه عثر على الماء في باطن التربة فلم يعد في حاجة إلى سقي .

(٢) النضح : آلة النضح كالماكينة أو الساقية أو الشادوف أو غيرهم .

(٣) رواه الجماعة إلا مسلم، البخاري ١٤٨٣ .

س : هل تخرج الزكاة من كل الزروع؟

اختلف العلماء في الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع على رأيين أساسيين :

أ - **رأي الأحناف:** وهم يرون وجوب الزكاة في كل ناتج الأرض دون ما تفرقة بين حبوب وخضر وفواكه وثمار مما يقصد بزراعته نماء الأرض واستثمارها واستغلالها فلا تجب هذه الزكاة في الحطب والحشائش والشجر غير المثمر ونحو ذلك؛ لأن الأرض لا تنمو بزراعة ذلك بل تفسد بها ويعقب على ذلك د. يوسف القرضاوي : ولكن ينبغي أن يقيد هذا بما إذا لم يصبح ثروة تطلب وتقصد فقد تزرع بعض النباتات للأدوية وقد تستغل بعض الأشجار للصمغ فيجب أن تدخل حينئذ في العموم أي في عموم وجوب الزكاة فيها .

وأساسهم في ذلك مطلق الآيات والأحاديث السابق ذكرها وأنه لم يرد دليل شرعي ثابت يمكن به تخصيص مطلق الآيات أو الأحاديث .

ب - **جمهور الأئمة** : ويرون أن الزكاة واجبة في بعض ما تنتج الأرض واختلفوا في تحديد ذلك :

١ - فيرى فريق منهم ابن عمر أنها واجبة في الحنطة والشعير والتمر والزبيب .

٢ - ويرى الشافعي أنها واجبة في كل ما يقتات ويدخر .

٣ - ومذهب الإمام أحمد أنها في كل ما ييبس ويبقى ويكال .

والأرجح: - والله أعلم - ما ذهب إليه الأحناف لمطلق الآية والأحاديث ولأن كل ما عورضت به الآية والأحاديث من آثار مطعون فيه بقطع أو ضعف ومن ذلك حديث : «ليس في الخضراوات صدقة» قال الترمذي بعد ذكره : «إسناد هذا الحديث ليس بصحيح، وليس يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ [1]، وإنما يروى عن موسى بن طلحة عن النبي ﷺ مرسلاً .

(١) كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الخضراوات ووردت روايات أخرى عند الحاكم والطبراني والدارقطني وأسانيدها كلها ضعيفة .

ولقد أيد الإمام ابن العربي المالكي مذهب أبي حنيفة وقال: «وأقوىٰ المذاهب في المسألة مذهب أبي حنيفة دليلاً وأحوطها للمساكين، وأولاها قياماً بشكر النعمة، وعليه يدل عموم الآية والحديث»(١).

بل يذهب بعض فقهاء الأحناف إلىٰ تفسير الحديث ـ علىٰ فرض صحته ـ فيكون معناه: أنه ليس فيها صدقة تؤخذ بواسطة العمال والجباة، بل أربابها هم الذين يؤدونها بأنفسهم(٢).

س : ما مقدار النصاب في زكاة الزروع؟

١ ـ ذهب أبو حنيفة إلىٰ أن الزكاة تجب في كل ناتج الأرض كثيراً كان أم قليلاً لعموم قوله عليه السلام: «**فيما سقت السماء العشر**» وهو حديث رواه البخاري وغيره؛ ولأنه لا يعتبر له حول فلا يعتبر له نصاب(٣).

٢ ـ ويرىٰ جمهور علماء الأمة أنه لا زكاة في شيء من الزروع والثمار حتىٰ يبلغ خمسة أو سق مستدلين بقول رسول الله ﷺ: «**ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة**»(٤).

تحديد مقدار النصاب بالمقاييس العصرية:

ومقدار النصاب بالمقاييس العصرية كالآتي:

ـ ٥٠ كيلة مصرية(٥).

ـ ١٤٤٠ رطلاً من القمح(٦).

ـ ٦٥٣ كيلو جرام من القمح(٧).

---

(١) شرح الترمذي ٣/ ١٣٥

(٢) فقه الزكاة د. يوسف القرضاوي ١/ ٣٥٨ نقلاً عن بدائع الصنائع ٢/ ٥٩

(٣) فقه الزكاة د. القرضاوي ١/ ٣٦١

(٤) رواه الجماعة راجع البخاري برقم ١٤٥٩

(٥) فقه الزكاة، د. القرضاوي ١/ ٣٧٢ وما بعدها ويراجع الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ٢/ ٨٠٢ وما بعدها.

(٦، ٧) المرجع السابق.

نصاب غير المكيلات:

لكن توجد بعض المنتجات الزراعية لا تقدر بالكيل مثل القطن فكيف يقدر فيها النصاب، **يقول د.القرضاوي**(١): «والرأي الذي أختاره هو اعتباره القيمة فيما لا يوسق ولا يكال؛ لأنه مال زكوىٰ لم ينص الشرع علىٰ نصابه فاعتبر بغيره، وإذا كان لابد من اعتبار النصاب بغيره فليعتبر ما يوسق للنص عليه»، ثم يرىٰ أن ذلك بأوسط ما يوسق أي بقيمة ٦٥٣ كيلو جرام من غلة متوسطة في بلادنا كالقمح أو الأرز.

ومثل ذلك القطن وقصب السكر ونحوهما، ويبين الإمام القرطبي أن محمداً صاحب أبي حنيفة لا يرىٰ في القطن شيئاً دون خمسة أحمال، وكذلك الورس والزعفران، وأبو يوسف يرىٰ قصب السكر كذلك(٢).

زكاة الزيتون:

قال القرطبي(٣): «وممن قال بوجوب زكاة زيت الزيتون الزهري والأوزاعي والليث والثوري وأبو حنيفة وأصحابه وأبو ثور.

قال الزهري والأوزاعي والليث: يخرص(٤) زيتوناً ويؤخذ زيتاً صافياً.

وقال مالك: لا يخرص، ولكن يؤخذ العشر بعد أن يعصر ويبلغ كيله خمسة أوسق.

وقال أبو حنيفة والثوري: يؤخذ من حبه، وكان الشافعي(٥) في القديم يرىٰ في الزيتون زكاة لما روىٰ عن ابن عباس: «في الزيتون الزكاة»، وعن عمر رضي الله عنه أنه جعل في الزيت العشر.

---

(١) فقه الزكاة ١/ ٣٧٥.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ١٠٢.

(٣) تفسير القرطبي ٧/ ١٠٤.

(٤) الخرص: هو تقدير كمية الزرع أو الثمار عن طريق أهل الخبرة من غير وزن أو كيل.

(٥) المجموع ٥/ ٤٥٢.

س : هل يشترط حولان الحول في زكاة الزروع والثمار؟

ج : لا يشترط ذلك لقوله تعالىٰ : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (الأنعام : ١٤١).

بل يتكرر إخراج الزكاة بتكرار الناتج من الأرض إذا بلغ في كل مرة النصاب.

س : متى تجب زكاة الزروع والثمار؟

ج : تجب زكاة الزروع والثمار متىٰ نضجت وصارت ـ بإذن الله ـ في مأمن من الفساد لكمال نموها.

س : ما مقدار الزكاة في الزروع والثمار؟

ج : كما سبق فإن مقدار الزكاة مقدر بحسب سقىٰ الأرض، فما سقيت بدون تعب بالسماء، أو بالعيون أو غير ذلك ففيها العشر وما سيقت بالنضح والآلات ففيها نصف العشر فإذا سقيت الأرض نصف العام بكلفة والنصف الآخر بغير كلفة ففيها ثلاثة أرباع العشر.

س : ماذا لو كانت الأرض تسقى بدون مجهود سوى مجرد فتح القناة لمرور الماء فيها إلى الزرع؟ (أي بدون نضح أو آلة أو غير ذلك).

ج : الذي أراه ـ والله أعلم ـ أن مثل هذه الأرض تعامل في مقدار الزكاة المفروض عليها معاملة ما تسقىٰ بالسماء لأنها سقيت بدون كلفة أو مجهود ، وهذا الريّ يسمىٰ عند المزارعين (الرىٰ بالراحة).

س : هل يُرفع قدر الدَّين والنفقة من الناتج ويزكي الباقي؟

ج : الدين إما أن يكون لأجل النفقة علىٰ الزرع كثمن البذرة وأجرة العامل وغير ذلك، أو لأجل نفقة صاحب الزرع علىٰ نفسه وأهله واختلف في ذلك.

١ ـ فيرىٰ البعض حساب الدَّين الذي لأجل النفقة علىٰ الزرع ثم يزكي الباقي إذا بلغ النصاب .

٢ ـ وقال آخرون تحسب الديون بجميع أنواعها فإذا بلغ الباقي النصاب أدىٰ الزكاة.

٣ ـ وهناك رأي وهو إخراج الزكاة من ناتج الأرض قبل أن يستخرج منه أجور العمال وقيمة البذور وغير ذلك .

ولكل من هذه الآراء أدلتها عن أصحاب رسول الله يمكن مراجعتها في مظانها(١) .

يقول الشيخ عبدالخالق الشريف : والذي يترجح لي ـ والله أعلم ـ أن يخرج كل الدين ، ثم تخرج الزكاة من الباقي وهو ما ذهب إليه ابن قدامة(٢) .

س : ولكن ماذا لو أنفق على الزرع من ماله دون استلاف؟

ج : ذهب د . القرضاوي(٣) إلى رفع ما يصرف على الأرض من بذور وسماد وأجرة العامل وكذا الضريبة العقارية إلا ما يصرف على السقاية مما أخرجت الأرض ، فإذا كان الباقي نصاباً نظر ، هل سيقت هذه الأرض بالسماء فيكون فيها العشر أو سيقت بالآلات فيكون فيها نصف العشر .

مثال ذلك: أرض أخرجت ٢٥ قنطاراً من القطن وثمن القنطار ٣٠٠ جنيه، أنفق صاحبها (ضريبة عقارية + بذور وسماد + أجرة عامل) مبلغ ٣٠٠٠ جنيه (ثلاثة آلاف جنيه) فكيف تحسب الزكاة علماً بأن الأرض سقيت بالآلات؟

١ ـ يقدر ما أنفق بالقناطير من القطن : ٣٠٠٠ النفقة

٣٠٠ ثمن القنطار = ١٠ قناطير

٢ ـ ما أنتجته الأرض ـ ثمن النفقة = الباقي

٢٥ قنطار ـ ١٠ قناطير = ١٥ قنطاراً

---

(١) في كتاب فقه الزكاة د . يوسف القرضاوي ، جـ١ ، ص ٣٩١ وينقل النصوص عن كتاب الأموال ، ص ٥٠٩ وما بعدها لأبي عبيد ، والخراج لأبي يوسف ، ص ١٦٢ وما بعدها ، والمغني لابن قدامة ، جـ٢ ، ص ٧٢٧ ، والمحلي لابن حزم ، جـ٥ ، ص ٢٥٨ ، وكتب الأحناف .

(٢) المغني ٢/ ٧٢٧ .

(٣) فقه الزكاة ١/ ٣٩٥ وما بعدها

٣ ـ وحيث أن الباقي يزيد عن النصاب، والأرض سقيت بالآلات ففيها نصف العشر فتكون الزكاة $\frac{٣}{٤}$ قنطار من القطن.

س : ماذا عن الأرض المستأجرة؟

ج : إذا كانت الأرض مستأجرة بالنقود أو بشيء آخر معلوم فقد اختلف في وجوب الزكاة على من؟

ـ هل على صاحب الأرض بناء على أن العشر حق الأرض؟

ـ أم على المنتفع بالأرض (المستأجر)؟

ـ أم عليهما معاً؟

ولقد تكلم الفقهاء في ذلك، وذهب إلى كل رأي فريق، والذي نرجحه الآتي :

١ ـ يدفع مالك الأرض زكاة على ما يسر الله له من أجر ما عادت عليه الأرض خالصة سالمة من الدين وضريبة الأرض وذلك حسب سقى الأرض المستأجرة.

٢ ـ أما المستأجر فيؤدي زكاة ما أخرج الله له منها من زرع بعد سداد الدين والأجرة ونفقات الزرع.

وبذلك فالجزء الذي طرح من نصيب المستأجر الزارع ـ وهو ما يقابل الأجرة من المحصول والذي أعفى من زكاته ـ دخل في نصيب المالك وأدى عنه الزكاة الواجبة وهو أحق بها وأولى بأدائها من المستأجر في هذا القدر، وبهذا تتم المساهمة العادلة من المالك والمستأجر في أداء الزكاة[١].

مثال ذلك: رجل استأجر قطعة من الأرض وقام بزراعتها بما شاء الله له، فأخرجت له قدراً من الزرع (مثلاً) ١٥ إردباً قمحاً، وكانت الأجرة (٧٥٠) سبعمائة وخمسين جنيهاً، وكان سعر الإردب من القمح مائة وخمسين جنيهاً، فكيف تحسب الزكاة علماً بأن المستأجر قد انفق على الزرع (٣٠٠ جنيه) والأرض تسقى بالآلة.

---

(١) فقه الزكاة ١/ ٤٠٢ وما بعدها .

تحسب الزكاة كالآتي :

أولاً: بالنسبة لصاحب الأرض:

ـ قيمة الإيجار = ٧٥٠ سبعمائة وخمسون جنيهاً .

ـ سعر الإردب = ١٥٠ مائة وخمسون جنيهاً .

ـ إذن قيمة الإيجار تعادل خمسة أرادب من القمح .

فإذا فرضنا أنه ليس عليه ضريبة ولا دين فالزكاة نصف العشر لأن دخله يزيد على النصاب ، والأرض سقيت بالآلة .

ثانياً: بالنسبة للمستأجر:

ـ الأرض أنتجت = ١٥ إردباً قمحاً .

ما دفعه = ٧٥٠ إيجار + ٣٠٠ جنيه مصاريف = ١٠٥٠ جنيهاً (الجملة)

ـ وهي تعادل قيمة (٧) أرادب .

ـ فيكون الباقي (٨) أرادب وهي تزيد على النصاب .

ـ ولما كانت الأرض تسقى بالآلة ففيها إذن نصف العشر أي (٤ ـ ٨) كيلة

خامساً: زكاة العسل والمنتجات الحيوانية :

مثل (الألبان ـ البيض ـ حرير دود القز) .

نصاب العسل:

اختلف في تحديد نصاب العسل ويرى د . يوسف القرضاوي أن يُقدر النصاب بقيمة خمسة أوسق (٦٥٣ كيلو جرام أو ٥٠ كيلة مصري) من أوسط ما يوسق كالقمح باعتباره قوتاً من أوسط الأقوات العالمية .

مثال: إذا كانت كيلة القمح بمبلغ ٤٠ جنيه وثمن كيلو العسل عشرون جنيها فكيف تحسب زكاة العسل؟

قيمة النصاب = ٤٠ × ٥٠ كيلة = ٢٠٠٠ جنيه.

ويكون نصاب العسل = ٢٠٠٠ ÷ ٢٠ = ١٠٠ كيلو جرام من العسل.

الزكاة الواجبة = ١٠٠ × ١ ÷ ١٠ = ١٠ كيلو جرام من العسل.

مقدار الواجب من العسل: يجب في العسل العشر من صافي الإيراد بعد رفع النفقات والتكاليف.

فوائد:

أ - إذا كان لصاحب العسل مناحل في أماكن مختلفة، يُضم بعضها إلى بعض لأنها من جنس واحد.

ب - ماذا إذا كان العسل يُجمع في أكثر من وقت؟

يُجمع العسل الناتج في كل عام بعضه إلى بعض قياساً على ما قاله الشافعية (بالنسبة للزروع).

يقول الشيخ عبدالخالق الشريف: لا مانع إذا كانت كل زراعة (تسمى في العسل قطفة) تبلغ نصاباً أن تؤدى عنها الزكاة.

جـ - إذا كان المنحل للتجارة فحكمه حكم زكاة عروض التجارة

زكاة: الألبان - البيض - حرير دود القز:

ظهر في هذا العصر - تربية الحيوان من أجل اللبن - وتربية الدواجن من أجل البيض وإنتاج الحرير من دود القز، هل فيها زكاة وكيف تُحسب؟

اختلف العلماء في ذلك تأسيساً على القياس إلى رأيين:

الراي الأول: قياسها على النواتج فيؤخذ من صافي إيرادها العشر مثل الزروع والثمار.

الراي الثاني: قياسها على عروض التجارة فتقوّم كل عام مع نتائجها ويؤدي عنها زكاة عروض التجارة.

زكاة السمك :

قال صاحب المجموع(١) : «إن علماء مذهب الشافعية قالوا أنه لا زكاة في السمك» ، ثم قال : وحكى العنبري وغيره عن أحمد روايتين : أحدهما كمذهب الجمهور والثانية أنه أوجب الزكاة إلا في الجواهر كالياقوت والمرجان والزمرد والزبرجد والحديد والنحاس والزجاج وغير ذلك .

إذا بلغت قيمته نصاباً حتى في المسك والسمك .

وقال ابن قدامة في المغنى : «وأما السمك فلا شيء فيه بحال»(٢) .

ولكن صيد السمك الآن وسفن الصيد ومزارع الأسماك تُعطى عائداً كبيراً ، ويؤيد ذلك قول **الشيخ عبدالخالق الشريف** :

أ ـ أن هذا السمك إنما يُجلب بغرض البيع .

ب ـ إنه لا يُشتري ولكنه محض فضل من الله فهو أقرب ما يكون لناتج الأرض .

كيفية حساب زكاة السمك :

١ ـ يحسب قيمة بيع الصيد .

٢ ـ يطرح منه (يخصم منه) التكلفة مثل صيانة السفن وأجور العاملين والرسوم التي تُدفع واستهلاك الشباك وما يُقدم للسمك من طُعم يجذبها نحو الشباك .

٣ ـ ما بقي من قيمة السمك يزكى مثل الناتج من الأرض الزراعية .

٤ ـ أما مزارع السمك فهي مثل مزارع البيض والألبان .

٥ ـ من يشتري السمك بغرض التجارة فزكاته زكاة عروض التجارة .

---

(١) المجموع ٦/ ٧ .

(٢) المغني ٣/ ٢٨ .

رأي في النواتج :

يرىٰ أن النواتج عموماً (مثل ناتج العسل - البيض - السمك - الألبان والصوف . . . إلخ) تُزكىٰ بنسبة ربع العشر(١) .

سادساً: إيراد الأصول الثابتة (عمارات - سيارات،) عروض القنية - زكاة النواتج(٢) (كإيجار العمارات وعائد السيارات وما شابه ذلك) :

- صاحب العمائر التي يؤجرها كيف يؤدي زكاتها؟ أو بمعنىٰ آخر هل الزكاة تجب في قيمة العمائر المؤجرة أم في إيجارها أم فيهما معاً؟
- شركات الطيران كيف تؤدي الزكاة؟ أصحاب السيارات الأجرة (التاكسي) كيف يؤدون الزكاة؟
- أصحاب البواخر كذلك .

مقصود البحث(٣) :

شهد هذا العصر تحولاً كبيراً في الاستثمار، وأصبح هناك استثمار بأموال كثيرة تصل إلىٰ مئات الملايين في إنشاء فنادق، وشراء طائرات وسفن وبناء عمارات وشركات لتأجير السيارات، أو حتىٰ صاحب سيارة تاكسي يقوم بتأجير خدمة التوصيل ومثل هذا كثير .

س: والسؤال كيف يؤدي أصحاب هذه الأنشطة زكاة أموالهم؟

قد يظن البعض أن مثل هذه الأمور لم يبحثها الفقهاء قديماً والواقع غير ذلك، فقد تكلم العلماء عن إيجار الدور ووجوب الزكاة فيها، ولقد بين العلماء أحكام الدور في الإسلام في أحوالها المختلفة :

١ - إذا قصد بامتلاك الدار السكنىٰ وفي هذه الحالة لا زكاة فيها .

---

(١) زكاة المال حسابها، ص ٥٣، ٥٤، الشيخ عبدالخالق الشريف .

(٢) زكاة المال، الشيخ عبدالخالق الشريف، ص ٧٤ وما بعدها .

(٣) زكاة المال، الشيخ عبدالخالق الشريف، ص ٧٥ .

٢ ـ إذا قصد بامتلاك الدار الشراء بمقصد البيع ففي هذه الحالة تعامل معاملة التجارة فتؤدىٰ الزكاة عن الدار بعد تقويمها وإذا توفرت باقي شروط زكاة عروض التجارة.

٣ ـ أما إذا اشتريت الدار بمقصد التأجير فهذه التي سنتحدث عنها.

كيف تؤدى زكاة النواتج أو المستغلات ؟

ما سبق بيانه من الطائرات والسيارات والبواخر التي تؤجر، وكذلك الفنادق التي تؤجر خدماتها وكذلك المستشفيات التي تؤجر غرف العمليات، وحجرات الإقامة والخدمات الطبية، كيف تؤدىٰ هذه الأعمال وأمثالها الزكاة؟

هل الزكاة في العائد فقط أم في رأس المال والعائد؟

عند مراجعة كتب الفقه في أمثال هذه الأعمال نجد أن هناك رأيين:

الأول: أن تُقوم العمائر والفنادق والطائرات والسفن وتؤدىٰ الزكاة عن الأصل مضافاً إليه ما تبقىٰ من الإيراد ويؤدىٰ منها ٥٠ , ٢٪ وهذا الرأي يصعب قبوله لأنه تعامل معها كعروض للتجارة وواقع الأمر أن الفندق أو الطائرة أو السيارة لم يمتلك بغرض البيع وإنما لتقديم خدماته.

الثاني: أن الزكاة لا تؤخذ إلا من الإيراد ومن ذهب إلىٰ هذا الرأي اختلفوا في تحديد قيمة الزكاة وفق هذا الرأي:

١ ـ ربع العشر كزكاة النقود .

٢ ـ العشر أو نصف العشر قياساً علىٰ الزروع.

مناقشة:

يقول د. وهبة الزحيلي: وقد قرر مؤتمر علماء المسلمين الثاني ومؤتمر البحوث الإسلامية الثاني ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م أن الأموال النامية التي لم يرد نص ولا رأي فقهي بإيجاب الزكاة فيها حكمها كالآتي: لا تجب الزكاة في أعيان العمائر الاستغلالية والمصانع والسفن والطائرات وما أشبهها، بل تجب في صافي غلتها عند

توافر شرط النصاب وحولان الحول ومقدار الزكاة هو ربع العشر في نهاية الحول أي ربع عشر صافي الغلة في نهاية الحول (أي ٥٠ , ٢٪) كزكاة التجارة والنقود.

وفي الشركات لا ينظر إلىٰ مجموع أرباح الشركات وإنما ينظر إلىٰ ما يخص كل شريك علىٰ حدة ، ويعلق د. وهبة: وهذا القرار يتفق مع المروي عن الإمام أحمد.

وبمناقشة هذا الأمر نجد أنه عامل المستغلات علىٰ أن الزكاة في الناتج فجعلها في ذلك كزكاة الزروع وعاملها في المقدار الواجب فيها بأنه العشر وهي النسبة التي تؤخذ من زكاة عروض التجارة من رأس المال زائداً الناتج، وبذلك يكون أمر القياس يحتاج إلىٰ دراسة فمن الملاحظ أن الشريعة حين فرضت الزكاة في رأس المال والناتج معاً جعلت النسبة المطلوبة ربع العشر وحين جعلت الزكاة في الناتج فقط ارتفعت هذه النسبة أما أن تكون الزكاة في الناتج والنسبة المفروضة مثل ما يفرض علىٰ رأس المال والناتج فهذا ما يحتاج إلىٰ مناقشة.

الرأي الراجح : يرجح د. القرضاوي أن الذي يُزكَىٰ في هذه الحالة هو إيراد المستغلات، وليس قيمتها، وأن تزكىٰ مثل زكاة الزروع؛ لأن القياس هنا أشبه، وذلك بعد خصم النفقات والديون والضرائب التي يدفعها، وكذلك إعفاء الحد الأدنىٰ لمعيشة المالك ومن يعولهم إذا لم يكن له مورد يعيش منه غير هذا الأصل وحينئذ تصبح نسبتها العشر.

سابعاً: زكاة الرواتب (١) والمهن الحرة (محامين ـ أطباء ـ مهندسين) وكسب عمل :

دليل وجوبها: عموم قوله تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)**﴾ (المعارج). وقوله تعالىٰ: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً...**﴾ (التوبة: ١٠٣). ولقوله ﷺ: «**على كل مسلم صدقة**»، فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق**»(٢).

---

(١) راجع في ذلك بالتفصيل فقه الزكاة د. القرضاوي (١/ ٤٨٧، ٢٥٠)، الفقه الإسلامي وأدلته د. هبه الزحيلي (٢/ ٨٦٥، ٨٦٦)، المغني لابن قدامة ٢/ ٦٢٦.

(٢) البخاري برقم ١٤٤٥ .

ولما روي عن بعض الأصحاب والتابعين أنه كان إذا أعطى العطاء أو المنحة أخذ الزكاة؛ ولأن الراتب من الأموال المستفادة والتي وردت الأدلة على وجوب الزكاة فيها.

المقصود بالرواتب : ما يحصل عليه الموظف كدخل ينشأ عن عمله لدى الغير، ويكون العمل هو الأساس سواء كان هذا العمل ذهنياً أو جسمانياً، وسواء كان صاحب العمل الدولة أو مؤسسة أو شركة أو جمعية أو مدرسة أو غير ذلك.

ويدخل في ذلك أيضاً ما يحصل عليه الموظف عند إحالته للمعاش من مكافأة نهاية الخدمة أو ما يحصل عليه من الصناديق المؤسسة في الوزارات أو المصالح أو الهيئات وكذلك ما يحصل عليه نتيجة عدم حصول إجازات كراتب تعويضي.

كيف تزكى الرواتب؟

اختلف في زكاة الرواتب إلى رأيين:

الأول: أنه لا زكاة في الرواتب وما في حكمها(١) إلا فيما تبقى منه وحال عليه الحول

الثاني: يُزكى مال الرواتب وما في حكمها عند قبضه.

ويرى د. القرضاوي أن الرواتب تُزكى بعد طرح الدين والحد الأدنى لمعيشة من يعول، وهو ما أميل إليه، حيث إنه لا يعقل شرعاً أن يعفى رجل راتبه ألف أو خمسة آلاف كل شهر لأنه ينفق راتبه كله في معيشة مترفة بينما نفرض زكاة الزروع على مسلم أخرجت أرضه بعد المصاريف خمسة أرادب من القمح في أربعة أشهر قيمتها لا تتجاوز ستمائة جنيه أي أن دخله الشهري لا يتجاوز مائة وخمسين جنيهاً.

مقدار الوجوب: والمقدار الواجب هو ربع العشر عملاً بعموم النصوص التي أوجبت الزكاة في النقود سواء التي حال عليها الحول أو المال المستفاد مع بيان أن المسلم إذا زكى كسب عمله عند استفادته أو قبضه لا يُزكيه مرة أخرى عند انتهاء الحول(٢).

---

(١) مفهوم: «وما في حكمها» المكافآت والحوافز والأجر الإضافي والمنح، راجع زكاة المال، الشيخ عبدالخالق الشريف، ص ٧١.

(٢) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي ٢/ ٨٦٦.

الرأي الآخر: يقول د. وهبة الزحيلي: «والمقرر في المذاهب الأربعة أنه لا زكاة في المال المستفاد حتى يبلغ نصاباً ويتم حولاً»(١).

وهذا ما أفتى به **فضيلة الشيخ جاد الحق** - رحمه الله - بأن الدخل الذي مصدره العمل كالأجور والمرتبات وما في حكمها من المعاشات فلا يزكيه من يستفيد ويقبضه يوم يملكه بل يستقبل به حولاً قمرياً، ويشترط أن يبلغ نصاباً، وفائضاً عن حوائجه الأصلية، وأن تكون ذمته خالية من دين يستغرقه أو ينقصه عن النصاب(٢).

زكاة المهن الحرة:

والمهن الحرة مثل عمل الطبيب والمهندس والمحامي والخياط والنجار والمحاسب وغيرهم ويدخل في الحصول على دخل المهن الحرة عنصر المال المتمثل في الأجهزة والمعدات، وكذلك عنصر العمل وهو خبرة الطبيب أو المهندس أو النجار وغيرهم على أن العنصر البشري ليس موظفاً لدى الغير وإنما يقوم بذلك لحساب نفسه.

دليل الوجوب، وكيفية ومقدار الواجب في زكاة المهن الحرة: نستطيع القول بأن القول في زكاة المهن الحرة مثل ما سبق أن بيناه في زكاة الرواتب من حيث دليل الوجوب أو كيفية ومقدار الواجب في زكاة المهن الحرة، وكذلك وقع فيها الخلاف على نحو ما سبق بيانه.

هل يجوز للطبيب - مثلاً - أن يؤدي مقدار الزكاة الواجبة عليه عن مهنته، منفعة يؤديها للفقير كعملية جراحية يجريها له أو عدد من الكشوف الطبية للفقراء؟

تحدث الفقهاء عن ذلك وقالوا إن كل ما جاز التصدق به جاز إخراج الزكاة فيه - سواء كان ذلك من جنس مال وجبت فيه أم لا، واستثنى من القاعدة الأمور التالية:

---

(١) الفقه الإسلامي، جـ٢، ص ٨٦٦ .

(٢) الفتاوى ٢/ ١٧٦ .

١ ـ المنفعة : فلا يجوز أن يخرج بقيمة الزكاة منفعة عين، كأن يسلم من وجبت عليه الزكاة داراً إلىٰ الفقراء ليسكنوا فيها مدة تساوىٰ قيمة ما وجب عليه من الزكاة مالاً؛ لأن الزكاة تمليك.

٢ ـ الأضحية والدماء الواجبة في الحج: لا يجوز فيها القيمة؛ لأن إراقة الدم مقصود فيها.

٣ ـ الكفارة: لا يجوز دفع قيمة عبدلزم عتقه في كفارة؛ لأن عتق الرقبة مقصود لذاته.

وعلىٰ هذا يقاس الأمر فلا يجوز لهذا الطبيب أداء القدر الواجب عليه كزكاة عن مهنته في صورة عملية جراحية أو عدد من الكشوف وبالتالي كل المهن كمهندس يرسم بيتاً لليتامىٰ أو غير ذلك في المهن كلها ـ والله أعلم ـ.

يلخص د.القرضاوي ما سبق فيقول: «أما المال المستفاد من النقود (كالمرتبات والأجور والمكافآت وإيراد ذوىٰ المهن الحرة من الأطباء والمهندسين والمحامين وغيرهم أو إيراد رؤوس الأموال الثابتة كالعمارات السكينة الاستغلالية والمصانع والفنادق وغير الثابتة كالسيارات والطائرات ونحوها) فقد ذهب الجمهور في هذا كله إلىٰ اشتراط الحول وقال أبو حنيفة يُضم المستفاد إلىٰ النقود التي عنده في الحول فيزكيها جميعاً عند تمام حول المال الذي كان عنده إلا أن يكون المستفاد عوضاً عن مال مزكىٰ وصح عن بعض الصحابة خلاف ذلك فأوجبوا تزكية المال المستفاد عند قبضه دون اشتراط الحول»(١).

ثامناً: الركاز وما في حكمها «كنوز ومعادن ونفط»:

المعادن: المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغيرها.

الكنز: المثبت في الأرض من الأموال بفعل الإنسان.

---

(١) فقه الزكاة للقرضاوي، ص ٢٧٩ .

الركاز: يعمهما (يعني المعدن والكنز) لأنه من الركز مراداً به المركوز أعم من كون راكزه الخالق أو المخلوق.

ويرى أبو حنيفة أن كل المعادن المستخرجة من الأرض مما ينطبع بالنار وبتعبير آخر مما يقبل الطرق والسحب فيها حق واجب فأما المعادن السائلة أو الجامدة فلا شيء فيها عندهم.

أما مذهب الحنابلة: فالمعادن التي يتعلق بها الوجوب هو كل ما خرج من الأرض مما له قيمة سواء كان جامداً كالحديد والرصاص والنحاس وغيرها أم من المعادن الجارية كالنفط والغاز والكبريت.

سُئل أبو جعفر الباقر عن الملاّحة فقال: وما الملاّحة؟ فقال السائل: أرض سبخة مالحة يجتمع فيها الماء فيصير ملحاً، فقال: هذا المعدن فيه الخمس، قال السائل: والكبريت والنفط يخرج من الأرض فقال: هذا وأشباهه فيه الخمس(١).

س: هل يشترط للمعدن نصاب؟

ذهب أبو حنيفة إلى وجوب حق المعدن في قليله وكثيره من غير اعتبار نصاب، أما مالك والشافعي وأحمد: لابد من اعتبار النصاب فلا بد أن يبلغ الخارج ما قيمته نصاب من النقود لعموم الأحاديث التي وردت في نصاب الذهب والفضة.

يقول د.القرضاوي: «والصحيح الذي تعضده الأدلة هو اعتبار النصاب وعدم اعتبار الحول»(٢).

تاسعاً: زكاة الحلي:

يجوز للمرأة أن تتحلى بأنواع الحلي المباحة شرعاً بما فيها الذهب والفضة على أن لا تظهر هذه الزينة لغير من ذكروا في سورة النور الآية ٣١، ويدخل في هذا المباح الطوق والعقد والخاتم والسوار والخلخال وكل ما يعتاد لبسه قال ابن حجر: نقل الإجماع على ذلك.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤٧.

وفي وجوب الزكاة في الحلي المعد للزينة خلاف :

١ ـ الموجبون للزكاة في الحلي :

منهم عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمرو، وسعيد بن المسيب، وعطاء، والزهري، والثوري، وأبو حنيفة، واختاره ابن المنذر، ويستند الأحناف في ذلك إلىٰ عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ (التوبة: ١٠٣). ولعدة أحاديث منها حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنه قالت: دخلت أنا وخالتي علىٰ النبي ﷺ وعلينا أسورة من ذهب فقال لنا: «**أتعطيان زكاته؟**»، قالت: فقلنا لا، فقال: «**أما تخافان أن يسوركما الله أسورة من النار أديا الزكاة**»(١).

٢ ـ المسقطون للزكاة في الحلي:

ومنهم من أسقط الزكاة في الحلي منهم عبدالله بن عمر، وجابر بن عبدالله، وعائشة وإسحاق، وأبو عبيدة، ومالك، وأحمد، وكان الشافعي قد قال به ثم توقف عنه، ويرىٰ الدكتور يوسف القرضاوي أنه لا زكاة في الحلي، واستدلوا بأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تلي بنات أخيها في حجرها يلبسن الحلي فلا تخرج عن حليهن زكاة، وحديث: «**ليس في الحلي زكاة**»(٢).

٣ ـ رأي ثالث للشافعية :

حيث يرون أنه لا زكاة في الحلي إلا إذا كان زائداً عن حد الاعتدال أو كان فيه ترف.

---

(١) أبو داود ١٥٦٣ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن امرأة أتت رسول الله ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: «**أتعطين زكاة هذا؟**» قالت: لا، قال: «**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**»، قال: فخلعتهما فألقتهما إلىٰ النبي ﷺ وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله، رواه أحمد بإسناد حسن.

وعن عبدالله بن شداد بن الهاد أنه قال: دخلت علىٰ عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فقالت: دخل علىٰ رسول الله فرأىٰ في يدي فتخات من ورق، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**»، فقلت: أتزين لك يا رسول الله، قال: «**أتؤدين زكاتهن؟**» قلت: لا، قال: «**هو حسبك في النار**»، رواه أبو داود ١٥٦٢ ، وإسناده صحيح.

(٢) قال البيهقي: لا أصل له، وإنما يروىٰ عن جابر من قول غير مرفوع، راجع المجموع ٦/ ٣٢ .

قال في عون المعبود في المسألة أربعة أقوال:

الأول: وجوب الزكاة وهو مذهب جماعة من السلف وأحد أقوال الشافعية عملاً بهذه الأحاديث.

الثاني : لا تجب الزكاة في الحلية وهو مذهب مالك وأحمد والشافعي في أحد أقواله، لآثار وردت عن السلف قاضية بعدم وجوبها في الحلية ولكن بعد صحة الحديث لا أثر للآثار.

والثالث : أن زكاة الحلية عاريتها كما روى الدراقطني عن أنس وأسماء بنت أبي بكر.

والرابع : أنها تجب في الزكاة مرة واحدة رواه البيهقي عن أنس وأظهر الأقوال دليلاً وجوبها لصحة الحديث(١).

ويعلق الإمام الخطابي بقوله: الظاهر في الآيات يشهد لقول من أوجبها والأثر (الحديث) يؤيده، ومن أسقطها ذهب إلى النظر ومعه طرف من الأثر والاحتياط أداؤها.

الترجيح (٢) : والذي أرجحه الزكاة في الحلي ما بلغ النصاب، ولقد رأيت بحثاً أجرته إدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد السعودية يرجحون هذا الأمر رغم انتشار المذهب الحنبلي هناك، ولعل كلمة الإمام الخطابي السابق الإشارة إليها تبين أن رأى الوجوب يشهد له الظاهر من الآيات والأثر وهذا الأسلم والله أعلم.

س : على من تجب زكاة الحلي إذا أخذنا برأي وجوبها؟

ج : تجب زكاة الحلي على الزوجة لا على الزوج إذا كانت ملكيتها له ملكية تامة، ولا مانع في هذه الحالة من إخراج الزوج للزكاة نيابة عنها من ماله الخاص.

عاشراً: زكاة الدين :

عندما نتكلم عن زكاة الدّين فإننا ننظر من جانب الدائن وكذلك من جانب المدين.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبو داود عند الحديث ١٥٦١ .

(٢) الشيخ عبدالخالق الشريف، مصدر سابق، ص ٣٦ .

أولاً: الدائن (صاحب الدين):

١ ـ يرىٰ بعض العلماء أن الدائن لا زكاة في ماله الذي لدىٰ الغير؛ لأن المال ليس في يده حقيقة، وغيره هو الذي يتصرف فيه وينتفع به، فكان ملكه عليه غير تام.

٢ ـ وهناك رأي آخر نُسب له في كتاب الأموال إلىٰ النخعىٰ: «أن زكاة الدين الذي يُمطله صاحبه علىٰ الذي يأكل مهنأه ـ أي علىٰ الذي ينتفع به ويتصرف فيه بالفعل ـ فإذا كان لك دين عند تاجر ينميه ويستفيد منه ويماطل في دفعه فزكاته علىٰ هذا الرأي واجبة عليه لا عليك.

٣ ـ أما جمهور الفقهاء فيرون أن الدين نوعان:

أ ـ دين مرجو الأداء بأن كان علىٰ موسر مقر بالدين فهذا يعجل الدائن زكاته مع ماله الحاضر، روىٰ أبو عبيد ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وجابر وغيرهم.

ب ـ دين غير مرجو أخذه بأن كان علىٰ معسر لا يرجىٰ يساره، أو علىٰ جاحد بلا شاهد ولا بينه عليه ففيه مذاهب:

- يزكيه عند القبض لما مضىٰ من السنين وهو رأي علىٰ وابن عباس.
- يزكيه إذا قبض لسنة واحدة وهو رأي الحسن وعمر ابن عبدالعزيز وإليه ذهب مالك.
- أن لا زكاة عليه فيما مضىٰ من السنين ولا زكاة سنته أيضاً وهو ما ذهب إليه أبو حنيفة.

والذي أميل إليه[1] ـ والله أعلم. بالحق هو الآتي:

١ ـ ما كان دين تجارة وهو ما يكون بين التجار بعضهم مع بعض والمدين قادر علىٰ السداد، وكذلك ما أعطي كقرض لشخص في ضيق أو توسعة عليه لمدة قصيرة وكان معروفاً بالوفاء مثل هذا يعامل معاملة ما لديه من مال حاضر.

٢ ـ ما كان علىٰ معسر، أو شخص غير معترف بدينه، أو أعطىٰ قرضاً لشخص علىٰ مدة طويلة أو في ظروف عسرة، فهذا لا يزكي إلا بعد قبض المال

(١) المصدر السابق، ص ٦٩ .

واستلامه ويزكيه عن سنة واحدة سابقة مهما طالت مدة بقاء المال طرف المدين وهذا ما ذهب إليه الإمام مالك .

ثانياً: المدين :

ذكر الدكتور يوسف القرضاوي أن العلماء اختلفوا في زكاة المال الذي في حيازة المدين تأسيساً على هل الزكاة عبادة أم حق للفقراء والمساكين؟ فمن رأى أنها عبادة ألزم من في يده المال، ومن رأى أنها حق للفقراء والمساكين قال حق صاحب الدين مقدم، ثم قال: ابن رشد: «والأشبه بغرض الشرع إسقاط الزكاة على المدين». وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء.

والذي يترجح لي خصم الدين من مال المدين قبل إخراج الزكاة فإن كان ما تبقى نصاباً أخرج الزكاة وإلا فلا، ولكن نُذكر بأن الحيل للتهرب من الزكاة باطلة والله أعلم بسر خلقه.

حادى عشر: زكاة الأسهم :

س : ما هو السهم؟

ج : السهم هو الجزء من رأس المال بالشركات المساهمة أو التوصية بالأسهم، ويمكن بيعه للغير دون موافقة باقي أصحاب رأس المال، وله قيمة اسمية وقيمة حقيقية تظهر في بورصة الأوراق المالية، ويتحمل صاحب السهم في الخسارة كما يأخذ من الربح.

س : كيف تزكى الأسهم؟

ج : في واقع الأمر لم يقدم الفقه الإسلامي المعاصر رداً شافياً في أمر زكاة الأسهم، حيث لم يناقش الفقهاء الاحتياط القانوني والاحتياط النظامي ومخصصات الاستهلاك وإعادة تقييم الأصول الثابتة وأثر ذلك على قيمة الأسهم.

ولكن أشار العلماء إلى أن الأسهم تزكى بتقدير قيمتها حسب سعر السوق آخر كل حول ويضاف إليها الربح الناتج فإذا بلغت قيمة الأسهم مضافاً إليها الربح نصاباً أو يكمل النصاب مع مال آخر عند صاحب الأسهم، فيزكي هذا المال بنسبة

٢,٥٠٪ (ربع العشر) بعد إعفاء الحاجات الأصلية أو الحد الأدنى للمعيشة(١).

ومن العلماء من فرق بين الأسهم حين تكون بشركات تجارية وحينما تكون في شركات صناعية، ورتب على ذلك أن الزكاة تؤخذ من أسهم الشركات التجارية بنسبة ٢,٥٠٪ من قيمة الأسهم مضافاً إليها ربحها، أما في الشركات الصناعية فتؤخذ من الربح بمقدار العشر(٢).

ومن العلماء من فرق بين من اتخذ أسهمه للمتاجرة بها بيعاً وشراء فالزكاة الواجبة فيها هي إخراج ربع العشر (٢,٥٠٪) من القيمة السوقية بسعر يوم وجوب الزكاة كعروض التجارة، أما من اتخذ أسهمه للاستفادة من ريعها السنوي فزكاتها كما يلي:

١ ـ إن أمكنه أن يعرف عن طريق الشركة أو غيرها مقدار ما يخص السهم من الموجودات الزكوية للشركة فإنه يخرج زكاة أسهمه (٢,٥٠٪).

٢ ـ أما إن لم يعرف فهناك من يرى أن يضم ريعه إلى سائر أمواله من حيث الحول والنصاب ويزكي (٢,٥٠٪).

٣ ـ ومنهم من يرى إخراج ١٠٪ من الربح فور قبضه(٣).

زكاة السندات:

السند تعهد مكتوب من الحكومة أو الشركة أو البنك لحامله بسداد مبلغ مقدر من قرض في تاريخ معين نظير فائدة مقدرة لا تزيد ولا تنقص(٤).

ويرى العلماء أن السند دين وتتم تزكيته وفقاً لرأي الفقهاء في الدين وما عليه الجمهور هو أن الدين المرجو والذي يكون على موسر قادر على السداد يزكى كل عام وأما أن فائدة السندات ربوية محرمة فهذا لا يعفي الأصل من أداء الزكاة (وهذه الزيادة لا زكاة فيها ويجب التخلص منها والتوبة إلى الله).

---

(١) أحكام الزكاة: عبدالله ناصح علوان، ص ٢٠.

(٢) فقه الزكاة د. القرضاوي، جـ١، ص ٥٢٣/ ٥٢٣.

(٣) أبحاث مؤتمر الزكاة الأول، ٢٩ رجب ١٤٠٤هـ.

(٤) هذه الزيادة فائدة ربوية محرمة (فقه الزكاة ١/ ٥٢٢).

مسائل متعلقة بما سبق
من تقدير الزكاة ووجوبها وما يتعلق بذلك [١]

س: هل الزكاة واجبة على الفور؟

الزكاة واجبة الأداء فوراً، لدفع حاجة الفقير ولقوله تعالى: «فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ» وقال بعض الفقهاء: وله تأخير الزكاة لانتظار أحوج أو أصلح أو قريب أو جار لأنه تأخير لغرض ظاهر وهو أن يحوزها الأفضل كما سبق.

س: هل يجوز تقديم الزكاة قبل الحول؟ (تعجيل إخراجها)[٢].

يرى كثير من الفقهاء أنه متى وجدت الحاجة إلى تعجيل إخراج الزكاة قبل الحول جاز ذلك، وحدد البعض ذلك بحولين (عامين) ومنهم من أجاز لأكثر من ذلك فمثلاً لو حدث في بلدة حريق أهلك مجموعة كبيرة من الدور بما يملك أصحابها فيجوز إخراج زكاة أكثر من عام لقضاء مصالحهم وحوائجهم الضرورية والمعيشية.

وأرى - والله أعلم - عدم التوسع في ذلك إلا في الحالات الضرورية خاصة إذا كانت الدولة هي التي تقوم بتحصيل الزكاة، خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى عدم سد حاجة الفقراء والمساكين في الأعوام التالية.

س: ما حكم زكاة السنوات السابقة التي لم يؤدها المكلف؟

الزكاة حق في المال واجبة على صاحب المال؛ لذا فإن على المسلم الذي لم يؤد الزكاة عن سنوات سابقة لجهل أو غير ذلك، أن يقوم باحتسابها إذا استطاع ذلك أو يقدرها إذا لم يستطع ثم يقوم بإخراجها لأن الزكاة حق لله واجب الأداء.

---

(١) هذه المسائل ذكرها الشيخ عبدالخالق الشريف في كتابه زكاة المال، ص ٨٥ وما بعدها.

(٢) اجاز د. القرضاوي ذلك للمجاهدين في فلسطين ضد الاحتلال (راجع الفتوى في ملحق فلسطين من هذه الموسوعة)

س: هل في مال الصبي زكاة؟

١ ـ قال مالك والشافعي وأحمد: نعم في مال الصبي زكاة، واجب على ولي أمره أداؤها وعليه أن يعمل بهذا المال بما يؤدي إلى تنميته وزيادته حتى لا تأكله الصدقة للحديث: «**ألا من ولي يتيماً له مال فليتجر له، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة**»(١).

٢ ـ وقال أبو حنيفة: لا زكاة في مال الصبي إلا إذا كان زرعاً أما باقي الأمور فلا زكاة فيها.

٣ ـ وقال الحسن ومجاهد: لا تجب الزكاة في مال الصبي.

وقد قرأت **للأستاذ عبدالله ناصح علوان** قوله: «وأرى إن كان مال الصغير أو المجنون جامداً غير مستثمر موضوعاً بيد الموصي على سبيل الأمانة فيؤخذ بمذهب أبي حنيفة حتى لا يتناقص المال بإخراج الزكاة كل عام، وإن كان مالاً ينمى في مشاريع استثمارية وفي مؤسسات تجارية فيؤخذ بمذاهب باقي الأئمة، وفي هذا التفصيل نكون قد نظرنا إلى مصلحة اليتيم من جهة ومصلحة الفقير من جهة أخرى»(٢).

وقد ناقش **د.يوسف القرضاوي** آراء الأئمة وذهب إلى الوجوب وفقاً لرأي الأئمة الثلاثة وفند الأدلة التي أوردها المخالفون.

والذي أميل إليه ما ذهب إليه الأستاذ عبدالله ناصح علوان؛ وذلك لأن المجلس الحسبي يضع الأموال في بنوك ولا يأذن باستثمارها إلا في أعمال ربوية بالبنوك وهذا محرم، وإذا كان الحديث أرشد إلى العمل في مال اليتيم فإن هذا الأمر

---

(١) الترمذي ٦٤١ في الزكاة، باب ما جاء في زكاة اليتيم ورواه الدارقطني والبيهقي، وله شواهد مرسلة عند الشافعي وغيره.

عن أنس قال: قال رسول الله: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة.

رواه الطبراني في الأوسط وقال: أخبرني سيدي وشيخي أن إسناده صحيح مجمع الزوائد ٣/ ٦٧.

(٢) أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة، ص ١٢

القهري بحبس المال في البنك، مع تحري الحلال من طرف الموصي بعدم أخذ الربا فيصبح العمل برأي الأحناف فيه رحمة باليتيم، وأما ماله - أي مال اليتيم - الذي يعمل في زراعة أو تجارة فيؤخذ منه الزكاة - والله أعلم - .

س: وماذا عن مال المجنون؟

القول في وجوب الزكاة في مال المجنون يقاس على ما أوضحناه في مال اليتيم .

س: هل تسقط الزكاة بالموت؟

الراجح أن الزكاة لا تسقط بالموت، بل يجب أن تؤدى من التركة قبل التوريث؛ لأن الزكاة حق المال، والمطلوب من الورثة الحرص على إخراجها إذا كانت قد وجبت على ميتهم حتى لا يسأل عنها يوم الحساب .

س: هل تجب الزكاة في أموال الوقف للفقراء أو المساجد أو اليتامى؟

هذه الأموال لا تجب فيها الزكاة لأن جميعها ينفق في سبيل الله .

س: رجل حصل على أمواله من سرقة أو رشوة أو يانصيب أو قمار أو ربا أو اختلاس أو كون ثروته من بيع المخدرات وأمثال ذلك، هل يؤدي الزكاة على هذه الأموال؟

هذه الأموال جميعها لا زكاة فيها؛ لأنها أموال حرام يجب تفريغ الذمة بالتخلص من هذا المال برده إلى أصحابه أو ورثتهم فإذا لم يتمكن من معرفتهم أو الوصول إليهم فعليه إنفاقه في عمل عام لا يدخل فيه بناء المساجد أو شراء المصاحف أو كتب العلوم الشرعية والله سبحانه وتعالى غني لا يقبل صدقة من مال حرام، قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله صدقة من غلول»(١)، وقد أمرنا الله تعالى بتحري الإنفاق من الطيب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧).

---

(١) رواه مسلم، والغلول: هو المال الذي يؤخذ من الغنائم دون استحقاق.

وعلىٰ هذا فجميع المال الحرام يجب التخلص منه برده لأصحابه أو في الأمور العامة كما بينا ولا تجب فيه الزكاة، بل ويشترط مع هذا التوبة إلىٰ الله والندم علىٰ ما سبق والعزم علىٰ عدم العودة لذلك مستقبلاً.

س: هل يجوز للدائن إسقاط الدين الذي له علىٰ المدين وخصم ذلك من زكاته؟

هناك آراء:

١ ـ لا يجزئه ذلك وهو رأي أبي حنيفة وأحمد والشافعي في أصح الوجوه؛ لأن الزكاة تمليك للمستحق، وهنا لم يتم التمليك.

٢ ـ يجزئه ذلك، وهو مذهب عطاء.

٣ ـ وقال الحسن البصري: إذا كان ما أعطاه مالاً (أي قرضاً) يجزئه، أما إذا كان تجارة لا يجزئه.

والذي أميل إليه هو رأي الحسن البصري، بمعنىٰ إذا كان الدين عبارة عن مال أعطاه قرضاً علىٰ مدين، وقد أصبح معسراً عن السداد، جاز له أن ينزله من زكاته؛ لأنه لم يربح من وراء ذلك، وحتىٰ لا يؤدي إفلاس بعض المدينين وعجزهم عن السداد إلىٰ امتناع بعض أصحاب المال عن إقراض المحتاجين، ولأن المحتاج المدين له أن يأخذ من الزكاة، أما إذا كان الدين مترتباً علىٰ عمل تجاري فالذي أراه عدم جواز ذلك، حيث إن هذا الأمر يحتوي علىٰ جزء هو ربح، كما أن التجارة يتعرض صاحبها للربح والخسارة[1] ـ والله أعلم ـ.

ويخشىٰ كثير من العلماء أن يكون هذا الباب طريقاً يقي به أصحاب الأموال أموالهم بسداد ما لهم من دين عند الآخرين بسدادهم من الزكاة التي عليهم.

س: هل يجوز التوكيل في دفع الزكاة؟

اتفق العلماء علىٰ أنه يجوز التوكيل في أداء الزكاة بشرط النية من الموكل أو المؤدىٰ، ويجوز للموكل أن يعطي زوجته أو ولده الفقير من هذه الزكاة إن كانوا من

(١) راجع أحكام الزكاة علىٰ ضوء المذاهب الأربعة للشيخ عبدالله ناصح علوان، ص ٨٢، وكتاب الاستدانة للشيخ عبد الخالق الشريف، ص ١٤٨ وما بعدها.

المستحقين، ما لم يشترط عليه دافع الزكاة أن يعطيها لأناس معينين أو لجهات معينة، وعند الحنفية يجوز توكيل الذمي غير المسلم.

وعلىٰ مؤدي الزكاة إذا دفع مال الزكاة إلىٰ جهة لتوصيل الزكاة لمستحقيها أن يتوخىٰ أهل الأمانة والتقوىٰ المشهود لهم بذلك.

س: هل يجوز استثمار مال الزكاة؟

صرح المالكية أن تفريق مال الزكاة واجب علىٰ الفور، وأما بقاؤها عند رب المال وكلما جاءه مستحق أعطاه منها علىٰ مدار العام فلا يجوز، وهذا ما يراه الشافعية وغيرهم، وعلىٰ هذا الرأي لا يجوز استثمار مال الزكاة في مشاريع استثمارية تجارية إذا وجد في المجتمع من يستحقون الزكاة؛ لأن هذا الاستثمار يؤخر إيصال الزكاة إليهم كما يعرض أموال الزكاة للهلاك بسبب الخسارة.

أما إذا فاضت أموال الزكاة وكثرت عن حاجة المحتاجين، يجوز استثمار أموال الزكاة لصالح مصارفها الشرعية مع الضمان.

س: ما حكم استخدام الحِيَل للتهرب من الزكاة؟

يستخدم بعض الناس حيلاً يظنون أنها شرعية حتىٰ يتخلصوا من دفع الزكاة، كأن يتنازل عن جزء من ملكه إلىٰ أحد أولاده فلا يكمل أحدهما النصاب، أو يهبه لزوجته قبل حلول الحول ثم يسترده بعد فترة فلا يكمل الحول عنده أو عندها، أو أي حيلة أخرىٰ فما حكم ذلك؟

لتوضيح هذا الأمر نذكر بالآتي:

١ ـ الزكاة عبادة مثل الصلاة، ويجب فيها النية، حتىٰ تكون مقبولة عند الله.

٢ ـ هذا الذي يأتي بالحيلة ليتهرب من الزكاة، أما يعلم أن الله مطلع عليه، وأنه سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ (البقرة: ٩)، لذلك فكل هذه الحيل وغيرها باطلة شرعاً، بل فاعلها يحمل إثم عدم دفع الزكاة؟، وإثم ما فعل.

س: هل إذا دفع الضرائب بنية الزكاة تصح؟

لا يصح ذلك، ولا يغني الأمر عن ضرورة إخراج الزكاة لأن لها مصارفها المحددة شرعاً، ولكن يخصم ما يدفع للضرائب من المال قبل إخراج الزكاة عليه، فتكون الضرائب من جملة المصروفات الواجب خصمها من وعاء الزكاة لا من الزكاة.

س: هل في المال المدخر للحج أو الزواج زكاة؟

إذا ادخر المسلم مالاً للحج أو الزواج وبلغ النصاب وحال عليه الحول، وجب في هذا المال الزكاة ٥, ٢٪ (ربع العشر).

س: هل يجوز للمزكي ان يخرج القيمة؟

والسؤال يتضمن الاستفسار عن جواز إخراج قيمة الزكاة أم عين الزكاة بمعنىٰ لو وجب علىٰ مسلم زكاة عدد من كيلات القمح فهل من الواجب إخراجها عيناً أم يجوز إخراجها نقداً؟

- ذهب الشافعية وبعض المالكية والحنابلة إلىٰ عدم جواز إخراج قيمة الزكاة بحال وأن هذا لا يجزئ.
- وذهب الأحناف وبعض روايات المالكية والحنابلة إلىٰ جواز ذلك مستدلين بالأثر المروىٰ عن معاذ بن جبل حيث طلب أن يأخذ من أهل اليمن الثياب في الصدقة مكان الذرة والشعير، فإن ذلك أهون عليهم وخير لأصحاب رسول الله ﷺ.

ويرىٰ كثير من العلماء أن رأي الأحناف أرجح وأليق بعصرنا للأسباب الآتية:

١ ـ أن جمع الزكاة عيناً فيه تكلفة في التخزين والنقل.

٢ ـ أن جمع الزكاة عيناً فيه تكلفة للمحافظة علىٰ النعم، وإطعامها وحراستها.

٣ ـ إن إخراج الزكاة قيمة أيسر في الحساب.

٤ ـ أن إخراج الزكاة قيمة يحقق الحكمة من إخراجها وهي سد حاجة الفقير وسهولة إنفاقها فيما شرعت من أجله.

س: تاجر اعتاد أن يخرج زكاة ماله أقمشة أو لحوماً يوزعها على الفقراء فهل يجوز ذلك؟

تعددت آراء العلماء هل تخرج الزكاة من عين المال المزكى وجنسه أو تخرج عنه القيمة من نقد أو شيء في القيمة من طعام وغيره على التفصيل الذي سبق آنفاً.

وعلى هذا فإن هذا الرجل إما أن يكون تاجراً في الأقمشة أو في اللحوم فإن كان كذلك فالخلاف في المسألة واضح على الأساس السابق.

أما إذا كان يتاجر في أمور أخرى فيأتي السؤال لماذا ينحرف عن إخراج قيمة الزكاة طالما أنه سوف يشتري بالمال أقمشة أو لحوماً ثم يوزعها، مع العلم أن إخراج قيمة الزكاة (نقداً) أصلح للفقير حيث أنه يستطيع أن يحولها سواء إلى أقمشة أو لحوم أو غيرها كشراء دواء لمريض عنده، أو سداد دين عليه، أو شراء كتب وأدوات مدرسية لولده، أو شراء أطعمة أرخص سعراً تصلح له لمدة أطول، أو شراء أقمشة تتناسب مع حاجته، ونضيف بأن شراء الأقمشة أو اللحوم هو فرض لذوق مخرج الزكاة يتحكم به في الفقير، ولعل هذا من الموروثات يوم كان المجتمع من الفقر الشديد بحيث كان الفقير ربما لا يأكل اللحم إلا مرة أو مرتين في العام، أما القول بأن معاذ بن جبل ـ رضي الله ـ أخذ الأقمشة من أهل اليمن بدلاً من الزروع والماشية فهذا عائد إلى مصلحة أهل المدينة قدرها جامع الزكاة لا مخرج الزكاة.

والذي نخلص إليه:

١ ـ إذا كان هذا التاجر يبيع أقمشة أو لحوماً فالخلاف في إخراج زكاة ماله من نوع تجارته أو قيمته مؤسس على ما سبق بيانه وبالضوابط السابق بيانها.

٢ ـ أما إذا كان سيشتري من مال الزكاة أقمشة أو لحوماً فالأصل أن تخرج الزكاة مالاً للفقير لأنه أعلم بحاجته، ولأن الزكاة تمليك يجب أن تملك للفقير.

٣ ـ أما إذا كان هناك جهة رسمية هي التي ستجمع الزكاة وترى أمراً آخر فهذا متروك لها لتقدير مصلحة الفقير ـ والله أعلم ـ.

س: هل في المال المغصوب وما شابهه زكاة؟

وربما يرد هذا السؤال وله نظائره في عصرنا الحديث كالأموال التي توضع تحت الحراسة، أو الأموال التي لأصحابها في شركات توظيف الأموال ولا سلطان لهم عليها، كذلك الأموال التي يدفعها المتهم كفالة إلىٰ حين الانتهاء من القضية أو ما شابه ذلك. فهل في هذه الأموال زكاة؟

أجاب الشافعية أن الشافعي رأىٰ في القديم أنه لا زكاة في ذلك، وأنه رأىٰ في الجديد وجوب الزكاة فيها، ومن الشافعية من فرق بين عودة هذا المال بنماء فأوجب فيه الزكاة أو بدون نماء فلا تجب فيه.

والراجح :أن الملك في هذه الأموال لصاحبها ناقص والأرجح أنه لا زكاة فيها فإذا عادت إليه زكاها عن سنة سابقة كالدين عند المالكية ـ والله أعلم ـ.

س: ما حكم زكاة المال الغائب؟

قال في المجموع: «المال الغائب إن لم يقدر عليه لانقطاع الطريق أو انقطاع خبره فكالمغصوب».

س: هل في صداق المرأة زكاة؟

إذا قبضت المرأة صداقها وكان من الأموال التي تجب فيها الزكاة ومضىٰ عليه الحول وقد بلغ نصاباً وجب عليها أداء الزكاة فإذا كان مهر المرأة (صداقها) أربعين شاة سائمة (أو غير سائمة علىٰ رأىٰ المالكية) أو نصاب ذهب أو نصاب فضة ومضىٰ حول علىٰ تملكها لهذا النصاب، وجب عليها أداء الزكاة حسب المبين فيما سبق.

ولكن إذا كان مهرها مما لا زكاة فيه كحجرة نوم لها أو سيارة تركبها فلا زكاة في ذلك، وكذلك لو أخذت مهرها واشترت به مالا تجب فيه الزكاة فلا زكاة عليها.

ولكن ماذا لو كان مهرها قد اُتفق عليه وبقىٰ ديناً في ذمة الزوج؟

هذا حكمه حكم زكاة الدين فيرجع إليه.

س: هل في اللقطة زكاة؟

في المغني[١] : واللقطة إذا صارت بعد الحول كسائر مال الملتقط استقبل بها حولاً جديداً ثم زكاها بعده، فإن جاء ربها زكاها للحول الذي كان الملتقط ممنوعاً منها.

س: هل إذا مات الرجل أثناء الحول وانتقل المال إلى الورثة هل ينقطع الحول؟

ذكر الشافعية في ذلك قولين:

أحدهما: يستأنف الورثة حولاً جديداً من حين انتقل إليهم الملك.

الثاني: في القديم وهو أنه يبني على حول الميت لأنه يقوم مقامه[٢] .

والراجح: أنه إذا تم تقسيم التركة وملك كل وارث نصيبه أن يستأنف من هذا الوقت (وقت التملك) حولاً جديداً ـ والله أعلم ـ.

س: إذا باع بضاعة واستلم قيمتها وحال عليه الحول قبل أن يسلم البضاعة لصاحبها فهل يزكي من استلم قيمة هذه البضاعة؟

في ذلك قولان للشافعية، والراجح وجوب الزكاة على البائع؛ لأنه استلم النقود ومضى الحول ولم يفسخ العقد[٣] ـ والله أعلم ـ.

س : ما هي الأموال التي يضم بعضها إلى بعض عند إخراج الزكاة؟

١ ـ لا خلاف في أن جميع عروض التجارة يضم بعضها إلى بعض، فلو كان لتاجر محل للعطارة وآخر للبقالة، وثالث للموبيليا ورابع للمأكولات أو الأدوات الكهربائية وغير ذلك، فإن كل هذا يضم بعضه إلى بعض عند احتساب النصاب وإخراج الزكاة.

٢ ـ ولا خلاف أيضاً في أنه يضم إلى عروض التجارة النقود والأسهم وقيمة السندات.

---

(١) ٣/ ٥١ بتصرف .
(٢) المجموع ٥/ ٢٦٣ .
(٣) المجموع ٦/ ٢٧ .

٣ ـ ولا خلاف في أن أجناس الماشية لا يضم بعضها إلى بعض.

٤ ـ واختلف في ضم النقدين بعضهما إلى بعض أي الذهب والفضة والذي أميل إليه ضم أحدهما إلى الآخر وكذلك النقود تضم إليهما عند احتساب النصاب

٥ ـ واختلف في ضم الحبوب بعضها إلى بعض، فمن العلماء من رأى أن تضم أنواع الحبوب المختلفة في احتساب النصاب كأن يضم القمح إلى الذرة إلى الأرز وهكذا، ومنهم من منع ذلك.

٦ ـ ويضم زرع العام الواحد، وثمرة العام الواحد إلى بعضها في تكميل النصاب.

كان هذا تفصيلاً متوسطاً يناسب ذا الحاجة الذي يبحث عن الحكم وسوف نوجز هذا التفصيل في صورة جدول ليسهل الرجوع إليه.

جدول أنواع الزكوات ونصابها ومقدارها

نوع المال	اسم الزكاة	قيمة النصاب	مقدار الزكاة	فوائد (ملاحظات)
أولاً: الثروة النقدية وتشمل الذهب والفضة ـ البنكنوت ـ الأموال لدى البنوك ـ الأوراق المالية لأغراض التجارة مثل الأسهم والصكوك ـ الحلي لأغراض الاستثمار ـ الدين المرجو (الجيد) الموثوق في سداد صاحبه له	زكاة النقدين	نصاب الذهب ٨٥ جرام ونصاب الفضة ٥٩٥جرام	٢,٥ ٪	حول كامل
ثانيًا: عروض التجارة والصناعة وتشمل البضاعة العملاء والذمم الجيدة ـ المدينون (الجيدة) ـ الأوراق التجارية ـ الأوراق المالية ـ البنوك والنقدية	زكاة عروض التجارة	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ تُقومً البضاعة على أساس القيمة النقدية، وتُقَّوم العملاء والذمم والمدينون على أساس القيمة الجيدة تقوم الأوراق المالية على أساس القيمة السوقية.	

نوع المال	اسم الزكاة	قيمة النصاب	مقدار الزكاة	فوائد (ملاحظات)
ثالثًا : زكاة الأنعام	زكاة الأنعام	لها جداول واردة	تفصيلاً في كتب فقه الزكاة تحدد مقدار الزكاة	
رابعًا : زكاة الزروع والثمار وتشمل المحاصيل والفواكة وما في حكمها كالخضروات وما في حكمها النباتات للزينة النباتات الطبية «أي كل ما ينبت من الأرض وله قيمة»	زكاة الزروع والثمار	٥ أوسق ما يعادل وزنه ٦٥٣ كيلو جرام أو ما يعادل ٥٠ كيلة	١٠٪ (العشر) ما يروىٰ بالمطر والعيون، ٥٪ ما يروىٰ بالساقية والآلات آراء بخصوص نفقات الزراعة (لا تخصم النفقات، تخصم النفقات، تخصم النفقات بشرط ألا تزيد عن الثلث و الأخير هو الأرجح	إذا كان هناك نخل يؤتي ثماره علىٰ دفعات يضم بعضه إلىٰ بعض، اعتبار النصاب وعدم اعتبار الحول
خامسًا : زكاة العسل والمنتجات الحيوانية كالألبان والصوف وغيرها	العسل والمنتجات الحيوانية	٦٥٣ كيلو جرام	١٠٪ من صافىٰ إيراد العسل بعد رفع النفقات والتكاليف	

نوع المال	اسم الزكاة	قيمة النصاب	مقدار الزكاة	فوائد (ملاحظات)
سادسًا : إيراد الأصول الثابتة (عروض القنية)(١) ـ المقتناه بقصد تحقيق الإيراد	زكاة المستغلات وهي أي سلعة تؤجر(٢)	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ من صافي الإيراد بعد طرح النفقات والديون الحالة ووصل النصاب في السنة فيجمع الإيراد في الشهور أو الأسابيع حتى نهاية العام فإذا بلغ النصاب يزكي ويكون حساب العمائر كل عام وذلك بجمع الإيجارات الشهرية حتى نهاية العام.	١ ـ إعفاء حد أدنى للمعيشة. ٢ ـ إعفاء جزء من الدخل يدخر مقابل استهلال رأس المال(٣)

(١) الممتلكات الشخصية إذا بيعت.

(٢) المستغلات : هي أموال لا تجب الزكاة في عينها ولم تتخذ للتجارة ، ولكنها تتخذ للإثمار مثل :
ـ الدور، الدواب التي تكُري (تؤجر). ـ العمارات، وسائل النقل تاكسي وغيره.
ـ المصانع، محلات الفراشة، مزارع. ـ الأبقار، مزارع الدواجن.

(٣) مثلاً : عمارة دخلها في العام ٣٠ ألف جنية يدُخر كل عام نسبة ١٠٪ يعني ثلاثة آلاف فإذا اتلف هذا العقار كان هناك رأس المال المدخر لإعادة بناء العمارة. . . أو شراء الآلة التي تلفت. . . أو بناء المصنع الذي تهدم بناؤه بمرور السنين بحيث يبقي الدخل قائمًا مستمراً كالأرض الزراعية.

نوع المال	اسم الزكاة	قيمة النصاب	مقدار الزكاة	فوائد (ملاحظات)
سابعًا: المرتبات وكسب المهن الحرة وتشمل (المرتبات والأجور ـ المكافآت والحوافز وإيراد المهن الحرة (محامين أطباء ـ مهندسين ـ محاسبين)	زكاة كسب العمل (المال المستفاد)	٨٥ جرام ذهب ونصاب الفضة ٥٩٥جرام	٢,٥٪ من الصافي بعد خصم نفقات الحصول على الإيراد والنفقات والحاجات الأصلية والديون الحالة وأن يصل الصافي النصاب	يتم تجميع وحساب الدخل طوال العام ويزكى في نهاية العام
ثامنًا: الركاز وما في حكمها وتشمل (الكنوز ـ المعادن ـ النفط ونحو ذلك)	زكاة الركاز	٨٥ جرام ذهب	الركاز ٢٠٪ إذا كان بدون تكلفة المعدن ٢ ـ ٥٪ بعد خصم النفقات والتكاليف قياسًا على زكاة عروض التجارة والصناعة.	الصحيح هنا هو اعتبار النصاب وعدم اعتبار الحول، المعدن يقاس على الزرع
تاسعًا: مستخرجات البحر(١) من اللؤلؤ والعنبر والسمك وخلافه	زكاة المستخرجات	٨٥ جرام ذهب ونصاب الفضة(٢) ٥٩٥جرام	٢٠٪ لأنه غنيمة	

(١) فقه الزكاة، د. القرضاوي. وهو من المراجع الأساسية لهذا الباب.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦١ .

نوع المال	اسم الزكاة	قيمة النصاب	مقدار الزكاة	فوائد (ملاحظات)
عاشراً: الحلي لها ٣ حالات:				
١ ـ لأغراض الزينة وفي حدود المعتاد.	ليس عليه زكاة.	—	—	—
٢ ـ لأغراض الزينة وأكثر من المعتاد	زكاة الحلي.	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ من القيمة السوقية فيما زاد.	المعتاد ٨٥ جرام ذهب
٣ ـ لأغراض الاستثمار	زكاة تجارة	—	٢,٥٪ من السعر الحالي	
حادي عشر: الديون على الغير حسب الأحوال الآتية:				
١ ـ دين جديد مرجو تحصيله	زكاة الدين	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ سنوياً عند جمهور الفقهاء	
٢ ـ دين غير مرجو تحصيله (مشكوك فيه)(ظنون)	زكاة الدين	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ في سنة تحصيله فقط عند الجمهور	
ثاني عشر: الأوراق المالية (الاستثمارات) وتشمل:				
١ ـ الأسهم لأغراض التجارة والتداول	زكاة التجارة	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ من سعر السوق للأسهم وأرباحهم	
٢ ـ الأسهم بغرض الحصول على الربح وليس للاستثمار	زكاة المستغلات	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ من صافي الإيراد	
٣ ـ السندات . .	زكاة النقدين	٨٥ جرام ذهب	٢,٥٪ من قيمتها أما الفوائد فهي مال خبيث (ربا) يُتخلص منها	

لمن تُدفع الزكاة ؟ :

مصارف الزكاة :

وهناك تفسيرات وتأويلات كثيرة لهذه الأصناف الثمانية.. لكننا أوردناها هنا بصورة إجمالية.

لم يترك الحق سبحانه وتعالىٰ أمر توزيع الزكاة لنبي أو رسول أو حاكم، بل حددها سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (التوبة: ٦٠).

١ ـ **الفقراء:** هم الذين لا يجدون قوت يومهم.

٢ ـ **المساكين:** هم الذين ليس عندهم ما يكفيهم من الحاجات الضرورية .

٣ ـ **العاملون عليها** : هم الذين يقومون بعمل من أعمال جباية وتخزين وحراسة وتوزيع الزكاة.

٤ ـ **المؤلفة قلوبهم** : ليسوا من الفقراء والمساكين ولكن تعطىٰ لهم الزكاة لتأليف قلوبهم أو كف شرهم عن المسلمين.

٥ ـ **وفي الرقاب:** تحرير العبيد من المسلمين وكذلك لفك أسرىٰ المسلمين.

٦ ـ **الغارمون:** الذين عليهم ديون وتعذر عليهم سدادها أو الذين تحملوا أعباء بسبب الإصلاح بين الناس أو الذين أصابتهم جائحه أو مصيبة أو حادثة ضيعت ما لهم.

٧ ـ **في سبيل الله:** ما ينفق لجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين السفلىٰ وهذا علىٰ رأي الموسعين في تفسير مصرف في سبيل الله ـ طلبة العلم.

٨ ـ **ابن السبيل:** المسلم المسافر وضاع ماله أو نفذ خلال السفر.

ضوابط شرعية عامة للزكاة:

* من الأَوْلَىٰ أن تُعطىٰ الزكاة للفقراء والمساكين من ذوي القربىٰ والجيران لأن

في ذلك صلة الرحم والبر بالجار، كما يجوز نقلها إلى المجاهدين في سبيل الله في مشارق الأرض ومغاربها.

* لا يجوز إعطاؤها لمن يلتزم المكلف بإعالتهم مثل: الأب والأم والزوجة والأولاد وكذلك الجد والجدة ويجوز للزوجة أن تعطى زكاة مالها لزوجها لأنها غير ملزمة بالإنفاق عليه.

* ولا يجوز إعطاء الزكاة لفاسق أو لفتى قادر على الكسب والعمل، أو كافر.

خصائص تميز الزكاة عن غيرها من الفرائض المالية:

١ ـ يجوز أداء الزكاة نقداً أو عيناً وترجح مصلحة الفقراء والمساكين.

٢ ـ يجب عند دفعها أن يستحضر المكلف النية، لأن لكل عمل نية في الإسلام.

٣ ـ لا يجوز التحايل على حق الله في المال مثل أن يتصرف بعمد في أموال الزكاة يتجنب أدائها.

٤ ـ يخضع المسلم للزكاة متى توافر في حالة الشروط سواء كان صغيراً أو يتيماً أو سفيهاً أو غافلاً.

٥ ـ يخضع غير المسلمين في بلاد المسلمين لضريبة التكافل الاجتماعي ويتولى ولي الأمر تحديد مقاديرها، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا.

٦ ـ تصرف الزكاة في بلد المزكي، ولا يجوز نقلها إلا لضرورة معتبرة شرعاً كنقلها لقريب فقير، أو عدم وجود فقير في بلده.

٧ ـ من المفضل التعجيل بأداء الزكاة لحاجة الفقراء والمساكين إليها.

٨ ـ يجوز دفع الزكاة مقدماً إذا كانت هناك ضرورة لذلك أو كان في ذلك مصلحة للفقراء أو المساكين[١].

٩ ـ الزكاة لا تسقط بالتقادم بمضي الزمن، وإذا مات المكلف يقوم الورثة بأدائها قبل توزيع التركة، لأنها دين الله تعالى، وله صفة التميز والأسبقية في الأداء.

---

(١) فتوى د. القرضاوي، سبق ذكرها.

١٠ ـ يجوز تأخير الزكاة لضرورة معتبرة مثل إرسالها إلى الفقراء والمساكين، من صلة الرحم، أو إرسالها إلى المجاهدين خارج البلاد، أو انتظار فقير مستحق

١١ ـ الزكاة ليست ضريبة والضريبة ليست زكاة ولا تغني الضريبة عن الزكاة.

١٢ ـ يجوز فرض ضرائب بجوار الزكاة إذا لم تكف حصيلة الزكاة وبشروط معينة

ونختم هذا المبحث بالسؤال: هل في المال حق سوى الزكاة؟

نعم في المال حقوق سوى الزكاة، ومن هذه الحقوق إجمالاً:

١ ـ الإنفاق على نفسه وعلى من هو مسئول عنهم.

٢ ـ الكفارات ومن هذه الكفارات :

أ ـ كفارة الحنث في اليمين.

ب ـ كفارة الظهار.

جـ ـ كفارة الإفطار عمداً أو ضعفاً في رمضان.

٣ ـ النذر : يقول الله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ (الإنسان: ٧).

٤ ـ الدية والأرش: في القتل الخطأ وغيره

٥ ـ الأضحية والعقيقة.

٦ ـ الصدقات: والصدقات هي المقصودة أساساً بالسؤال المطروح «هل في المال حق سوى الزكاة؟»، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ... ﴾ (البقرة: ١٧٧).

٧ ـ زكاة الفطر: ارجع إليها في بداية هذا الباب تحت عنوان التوسعة والتيسير من مقاصد الشريعة ـ المسألة الأولى.

رابعاً : المُحَرَّمات من النساء

يقول الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (النساء : ٢٣).

* يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ويستثنى من ذلك حالتان :

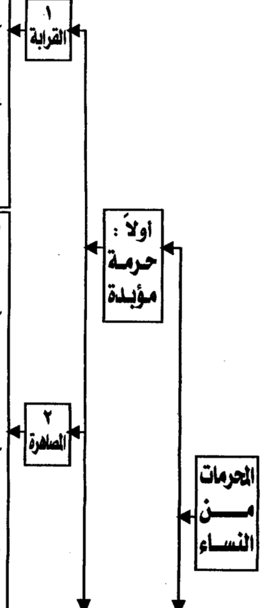
١ ـ يحل للرجل أن يتزوج أم أخيه رضاعاً، بينما يحرم عليه أن يتزوج أم أخيه نسباً.

٢ ـ يحل للرجل أن يتزوج أخت ابنه رضاعاً، بينما يحرم عليه أن يتزوج أخت ابنه نسباً.

* الرضاع من جانب الرجل : الرضاع يحرم من جانب المرضعة وهو أيضاً حُرِم من جانب الرجل (زوجها)الذي كان سبباً في نزول لبنها (رأي الجمهور).

المُحرَّمات من النساء

يقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.(النساء: ٢٣).



١ـ أصول الإنسان:مهما علون في سلسلة النسب يحرم الزواج بالأم والجدة سواء كانت لأب أو لأم ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾.

٢ـ فروع الإنسان مهما نزلن في عامود النسب: يحرم على الشخص الزواج ببنته وبنت البنت وبنت الابن ـ وبنات الأخ وبنات الأخت.

٣ـ فروع الأبوين مهما امتد حبل النسب: يحرم الزواج بأخته وبنت أخيه وبنت أخته سواء كانت الأخوة شقيقة أو لأب أو لأم.

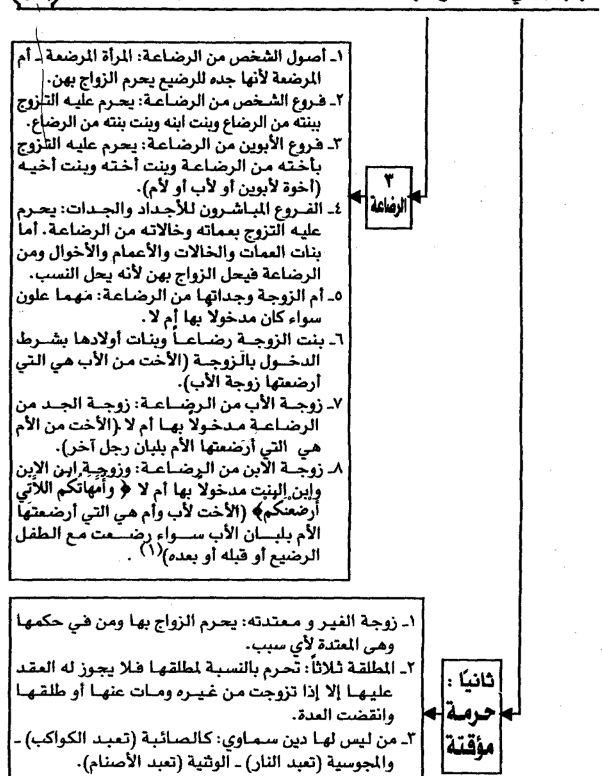
٤ـ الفروع المباشرون للأجداد أو الجدات: يحرم التزوج بالعمة أو الخالة سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم كما يحرم التزوج بعمة أحد أصوله وخالته ﴿ وعماتكم وخالاتكم﴾ ولايدخل في التحريم بنات هؤلاء.

١ـ أصول زوجته مهما علت تلك الأصول. يحرم عليه الزواج بأمها وجدتها من الأب أو الأم سواء دخل بها الزوج أو لم يدخل بها فلا يشترط لتحريم الأصول الدخول بالزوجة ﴿وأمهات نسائكم﴾.

٢ـ فروع زوجته مهما نزلت: يحرم الزواج ببنت زوجته وبنت ابنها وبنت بنتها ﴿ وربائبكم﴾. الربيبة هي بنت زوجة الرجل من غيره. العقد على البنات يحرم الأمهات ـ والدخول بالأمهات يحرم البنات ـ وتحريم الربيبة وارد سواء كانت في حجر الزوج أم لا.

٣ـ زوجة أصوله: زوجة أبيه أو جده من أبيه أو أمه يحرم عليه الزواج بهن ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم...﴾ وزوجة الأصل التي عقد عليها تكون حرام على الفرع سواء دخل بها الأصل أو لم يدخل.

٤ـ زوجة فروعه مهما نزلوا: يحرم الزواج بزوجة ابنه أو ابن ابنه أو ابن بنته ﴿وحلائل أبنائكم﴾ ولا تحرم زوجة الابن بالتبنى.



تابع ...

(١) يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ويستثنى من ذلك حالتان :

١ـ يحل للرجل أن يتزوج أم أخيه رضاعا بينما يحرم عليه أن يتزوج أم أخيه نسباً .

٢ ـ يحل للرجل أن يتزوج أخت ابنه رضاعاً بينما يحرم عليه أن يتزوج أخت ابنه نسباً .

ـ الرضاع من جانب الرجل : الرضاع يحرم من جانب المرضعة وهو أيضاً حُرِم من جانب الرجل (زوجها)الذي كان سبباً في نزول لبنها (رأىٰ الجمهور) .

٤- الجمع بين امرأتين كل منهما محرم للأخرى: كالجمع بين الأختين أو المرأة على عمتها أو خالتها أو ابنة أخيها أو ابنة أختها لنهى النبي عن ذلك.

٥- الزواج بامرأة خامسة: ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَىٰ وثلاث ورباع..﴾ فإذا طلق الرابعة ينتظر حتى تنتهي عدتها.

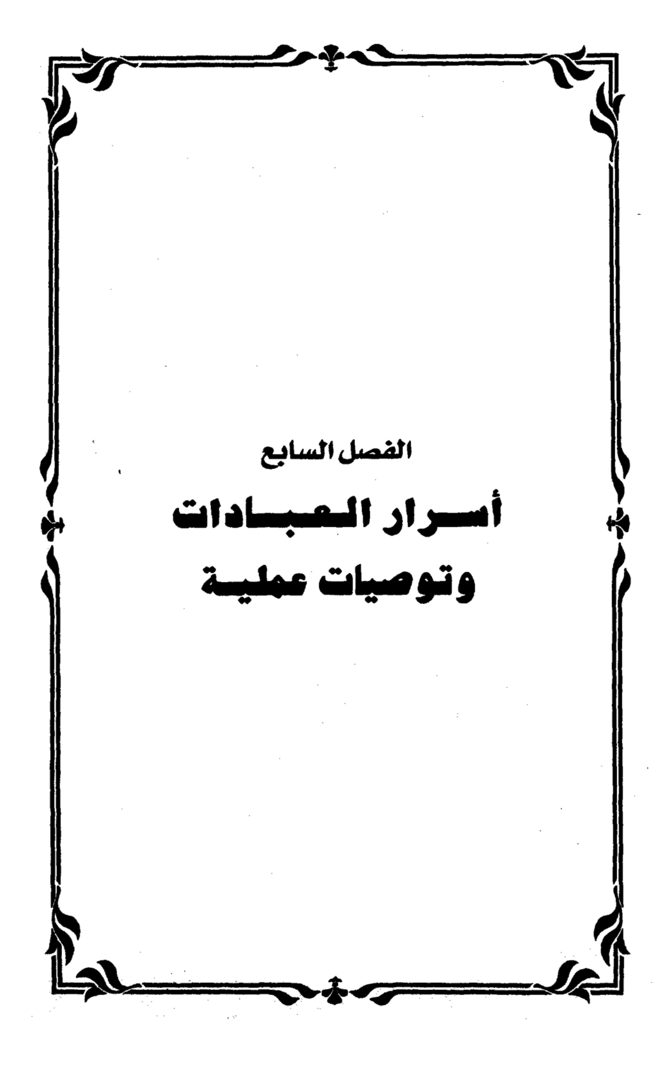
٦- المرأة التي لاعنها زوجها : إلا إذا كذب نفسه وقرر براءتها مما اتهمها. وقال الشافعي لا تحل له أبداً - لأن النبي ﷺ فرق بينهما

٧- لا يجوز للمرأة أن تتزوج من مَلَكَتْه: فإذا ملكت زوجها انفسخ العقد.

٨- زواج الزانية إلا بعد توبة: ﴿مُحْصِنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾- ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾

٩- عقد المُحرم: من أحرم بحج أو عمرة يحرم عليه مباشرة عقود الزواج لنفسه أو لغيره.

* للاستفادة من هذه اللوحات : توضع فوق بعضها .



الفصل السابع

أسرار العبادات وتوصيات عملية

الفصل السابع

أسرار العبادات .. وتوصيات عملية

اهتم الإسلام بالإنسان وكرمه، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: ٧٠).

وهذا شيء طبيعي فهو خليفة الله في الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠).

وهذا الخليفة مُركب من جسم وروح، وهو يحتاج إلىٰ ما يصلح الاثنين معاً، فشرع الله لهذا الخليفة عبادات تُصلح البدن، وتسمو بالروح، لتخلص من حمأة الطين، فتناجي رب العزة طاهرة زاكية.

واعتدل الإسلام في تشريع هذه العبادات بين مطالب البدن والروح فلبىٰ كل رغباته وحوائجه، ووسائل إصلاحه، والنهوض به لصلاحهما معاً، فإذا انفصلتا فسد الجسد وفسدت الروح، وكانت العبادات حركات عادية، وطقوس ومراسيم شكلية تؤدَّىٰ علىٰ شاكلة ما يؤدي من تمارين رياضية.

يقول الشاطبي: «إن للعبادة مقصداً أصلياً، ومقاصد تابعة، فالمقصد الأصلي فيها هو التوجه إلىٰ الواحد المعبود وإفراده بالقصد إليه في كل حال، ويتبع ذلك قصد التعبد لنيل الدرجات في الآخرة أو يكون من أولياء الله، ومن المقاصد التابعة للعبادة صلاح النفس، واكتساب الفضيلة».

اطرق الباب:

يبدأ هذا الصلاح بالتوبة والإنابة والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، واعلم أن تشريع

التوبة رحمة من الله تعالى؛ لأن الله تعالى إذا أغلق باب التوبة انقلب العالم كله إلى مجرمين بمجرد ارتكاب معصية واحدة، ولكن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣).

المصافي الإيمانية للذنوب والخطايا(١):

من منطلق قوله ﷺ: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»(٢)، وفي ضوء قوله ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٣)، تتجه العقول، وتهفو القلوب والنفوس لمعرفة مسالك هذه التوبة ومتطلباتها، ولإدراك سبلها ووسائلها.

وكلما كانت مخاطر الانزلاق والانحراف كبيرة وكثيرة، وجب أن يكون اندفاع المؤمن قوياً في اتجاه البحث والتنقيب عن أسباب الوقاية والتحصن، وعوامل التطهر والتنظف لضمان تزكية النفس وتصفيتها ورجاء تخلصها من أوزارها وذنوبها.

ضرورة ووجوب التصفية:

في هذه الحمأة من الفعل وردته والذنب وتوبته، تتجلى لنا وتنكشف أبعاد اللطف الإلهي والمدد الرباني للعبد المؤمن، حيث لا يدعه يتخبط وحيداً، وقد استحب الخير واختار الهدى، وإنما يهيئ له معارج للتزكية والتصفية، تتحات من خلالها أوزاره وذنوبه كما تتحات أوراق الشجر، بل ويبدل الله سيئاته حسنات مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (الفرقان: ٧٠).

---

(١) أ. فتحي يكن - مجلة الرسالة - مركز الإعلام العربي.

(٢) رواه الترمذي، قيامة ٤٩، وابن ماجة، زهد ٣٠، والدارمي، رقاق ١٨، وأحمد: ٣/ ١٩٨، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٣) رواه مسلم، توبة ٣١.

أولاً : المصافي العبادية ومنها:

١ ـ المصافي اليومية :

من خلال الصلوات الخمس، فرائض وسنناً ونوافل بما من شأنه إزالة آثار ما يمكن أن يقع فيه الإنسان من ذنوب وخطايا في اليوم والليلة، حيث جاءت اللفتة النبوية إليها واضحة جلية في قوله ﷺ : « **مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب بباب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون ذلك يبقي من درنه**»؟ قالوا : لا شيء، قال ﷺ : «**فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن**»(١)، وفي إشارة أخرىٰ يقول رسول الله ﷺ : « **إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**»(٢).

٢ ـ المصافي الأسبوعية:

فإن لم تكف المصافي اليومية في محو الأوزار والذنوب ردفتها المصافي الأسبوعية المتمثلة : بيوم الجمعة ـ اغتسالاً وتطهراً وخطبة وصلاة ـ وما يكتنزه هذا اليوم المبارك من خير عميم . . . وحسبنا في هذا المقام قول الرسول ﷺ : «**إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار**»(٣).

وكذلك قوله ﷺ : «**إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام**»(٤).

ولقد ذكر د. يسري محمد هانئ في كتاب «يوم الجمعة وخطبته» ما يزيد على خمسين خصيصة من خصائص يوم الجمعة(٥) .

٣ ـ المصافي الموسمية :

وتأتي هذه المصافي لتكمل ما عجزت عنه غيرها وما تراكم من ذنوب وخطايا،

---

(١) رواه البخاري، مواقيت ٦ ، ومسلم، مساجد ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٢)رواه مسلم (سبق تخريجه).

(٣) رواه ابن عدي وابن حبان، تخريج أحاديث الإحياء، باب ٥٠٨، جـ٢، ص ٨، وقال الدارقطني : الحديث غير ثابت.

(٤) رواه البيهقي، وابن حبان، وأبو نعيم، وكذلك في فضل صيام يومي الاثنين والخميس، كنز العمال : ٧/ ٧١٠ .

(٥) يوم الجمعة وخطبته في موكب الدعاة، د. يسري محمد هانئ، طبعة دراسية.

كصيام شهر رمضان بدليل قوله ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١)، وستة أيام من شوال وبركات العشر الأوائل من ذي الحجة التي جاء فيها قوله ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام»(٢) وصوم يوم عرفة الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « يكفر السنة الماضية والباقية»(٣).

٤ ـ مصفاة العمر:

المتمثلة بفريضة الحج وما تزخر به من مناسك وأعمال خير وبر اختصرها رسول الله ﷺ بقوله : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٤).
وقوله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(٥).

ثانياً : المصافي الدعوية والجهادية:

ففي المصافي الدعوية قوله ﷺ : «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها»، وفي رواية : «خير من حمر النعم»(٦).

وفي المصافي الجهادية جواب رسول الله ﷺ لمن سأل عما يعدل الجهاد في سبيل الله، حيث قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد»(٧).

ثالثاً : المصافي الخيرية:

كقضاء حاجات الناس، ورفع الظلم عنهم، وتيسير عسرهم وتفريج كربهم

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه مسلم عن أبي قتادة (سبق تخريجه).
(٤) رواه البخاري ، حج ٤ ، محصر ٩ ، ١٠ ، ومسلم، حج ٤٣٨ .
(٥) رواه البخاري، عمرة ١ ، ومسلم، حج ٤٣٧ .
(٦) رواه البخاري، جمعة ٢٩، جهاد ١٠٢ ، ١٤٣ ، فضائل الصحابة ٩ ، مغازي ٣٨، ومسلم، فضائل القرآن ٣٢، ٣٤ .
(٧) رواه الستة إلا أبا داود.

والتخفيف عنهم، والمطالبة بحقوقهم، وكفالة أيتامهم، ورعاية أراملهم، وإيواء مشرديهم بدليل قوله ﷺ : **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»**(١). وقوله ﷺ : **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالقائم الليل الصائم النهار»**(٢).

رابعاً : المصافي الابتلائية:

وقد تكون مصافي الذنوب وكفارات الخطايا من طريق الابتلاء. وقد ورد في ذلك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية منها قوله ﷺ: **«إن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»**(٣).

وقوله ﷺ: **« ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**(٤).

النصب : التعب ، أما الوصب : فهو المرض .

وقوله ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»**(٥).

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً للإفادة من هذه المصافي الإيمانية، ويجعلها كفارات لذنوبنا، وأن لا يقبضنا إليه إلا وهو راض عنا.

وهنا كُتبت لك براءة من الذنب، هيا اصعد من البراءة إلى التقوى. . .

---

(١) رواه مسلم، في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٩٩ .

(٢) رواه البخاري، نفقات ١ ، ومسلم ، زهد ٤١ .

(٣) رواه أحمد: ٥/ ٤٣٧ ، ورجاله ثقات من حديث محمود بن لبيد وفي الترغيب رقم ٣٨٩٥ والترمذي، زهد ٥٧ ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) رواه البخاري، مرضى ١ ، ومسلم ، بر ٥٢ .

(٥) رواه مسلم ، زهد ٦٤ .

من البراءة إلى التقوى (١) :

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) ﴾ (يونس).

إن أولياء الله هم : ١ ـ الذين أمنوا. ٢ ـ وكانوا يتقون.

وهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولهم ـ فضلاً عن ذلك ـ البشرىٰ في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، ولن يخلف الله وعده لهم؛ لأنه لا تبديل لكلمات الله، ومن فاز بذلك فقد نال الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

كيف يكون الإنسان من أولياء الله؟

كيف يصل إلى التقوى؟ ما الطريق؟

أما الطريق : بعد التوبة وإخلاص الدين لله، فيرسمه حديث قدسي شريف رواه الإمام البخاري في أصح كتاب بعد كتاب الله تعالىٰ، والحديث يبدأ مطمئناً لأولياء الله، مُبيناً لهم مباشرة أن من عاداهم فإن الله يعلن عليه الحرب، وذلك لأنهم حزب الله، فالمعادي لهم معادٍ الله، يقول تعالىٰ في هذا الحديث القدسي : «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**»، ومن الطبيعي أن يعلن الله الحرب علىٰ من عادىٰ أولياءه.

وقد أعلن الله الحرب في أسلوب صريح على طائفتين من الناس :

١ - **الطائفة الأولى :** طائفة المرابين، يأمرهم الله بالتوبة ومن شروط توبتهم أن يكتفوا برءوس أموالهم لا يظلمون ولا يظلمون، وإذا لم يتوبوا فإن الله سبحانه يعلنها مدوية : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٩).

---

(١) العبادة أسرار وأحكام، الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود، جـ ١، ص ٥٧، دار الشعب عام ١٩٨١م.

٢ - **والطائفة الثانية :** هؤلاء الذين يعادون أولياء الله بلسانهم أو بفعلهم .

وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، فمن عادىٰ المؤمن المتقي فإن معنىٰ ذلك أن نفسه قد تمحضت للشر ، فكان من جند إبليس ، وكان من أعداء الله .

وبعد ذلك يبين الله سبحانه كيفية الوصول إلىٰ التقوىٰ - بعد التوبة الخالصة النصوح - فيقول سبحانه في الحديث القدسي : **«وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه»**.

والدرجة الأولى بعد درجة البراءة هي درجة القرب.

وهي درجة تُنال بأداء الفرائض ليست صلاة وصياماً وزكاة وحجاً فقط ، وإنما هي كل ما أمر الله به أمراً وجوبياً أو نهي عنه نهياً جازماً ، كل ذلك يسمىٰ في عُرف المنطق السليم فرض ؛ لأنه فرض علىٰ الإنسان أن يأتي ما أمر الله به ، وفرض عليه أن ينتهي عما نهىٰ الله عنه .

اما الدرجة الثانية : فإنها ما عبر الله عنها بقوله في الحديث نفسه.

«وما يزال عبديَ يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه» .

إنها درجة حب الله للإنسان تنال بكثرة النوافل ، وهذه الدرجة الأخيرة لا يتأتي أن يصل الإنسان إليها إلا إذا أدىٰ الدرجة التي قبلها : أي أن درجة الحب لا تتأتىٰ إلا إذا حقق الإنسان درجة القرب .

ثم يرسم الله سبحانه النتيجة الشائقة التي يتمناها كل مسلم : «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها».

أي أن الله سبحانه يسدده ويوفقه ويشمله بعنايته في كل أمر يأتيه وفي كل أمر يدعه ، ولا يقتصر الله سبحانه علىٰ أن يمنحه ذلك فحسب ، بل يعطيه أكثر من ذلك يقول سبحانه في هذا الحديث الذي رواه الرسول ﷺ عن ربه : **«وإن سألني أعطيته ولئن استعاذ بي لأعيذنه»** .

واستجابة الدعاء : سواء كان الدعاء أو الاستعاذة ، تتحقق بتحقيق هذا الجو ،

وهو جو الحب الإلهي للإنسان الذي أسس على أداء الفرائض وكان سببه الإكثار من النوافل. . . **وهذه هي درجة القرب ..**

الأذان :

« يأتي بعدها مثالاً عبادياً لتثبيت معنى التوحيد وإجلال الله تعالى إنه (الأذان)(١) ، وقد شرع للإعلام بدخول أوقات الصلوات المفروضة فهو يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، وينادي به أندى المسلمين صوتاً في كل مكان يوجد به تجمع إسلامي، ولو كان أدنى الجمع من المسلمين بل شرع مع ذلك للمسافر والمنفرد ولو كان في بادية(٢) ، لما يمثله من معان أكبر خطراً من مجرد الإعلام بدخول الوقت.

إن المؤذن حين ينادي بصوته الأعلى : **الله أكبر، الله أكبر،** ثم يكررها يُطلب شرعاً أن يردده معه كل مسلم ومسلمة حين يسمعون هذا القول الأجل لينسكب في مشاعر الجميع وفي أوقات متكررة متقاربة معنى الكبرياء المطلق لله رب العالمين وأنه تعالى فوق كل شيء وأكبر من كل شيء فينبغي أن يعتز المسلم به وحده ويلوذ بحماه وكنفه، ويستعلي فوق أعناق الطواغيت والجبارين بهذا النداء الجهير، الذي أراد الله عز وجل أن يتواطأ عليه المجتمع كله، وأن يظل حتى المنفرد على صلة دائمة به.

فإذا تقرر هذا المعنى عاد النداء الأجل ليملأ الآفاق : **أشهد أن لا إله إلا الله** ـ وهو تذكير يومي بالعهد والميثاق الذي أعطاه العبد لربه بان لا يعبد ولا يطيع إلا ربه الأكبر المتفرد بالكبرياء في السموات والأرض.

ثم يأتي الشق الثاني من الشهادة : **أشهد أن محمداً رسول الله،** وهو إقرار متكرر أيضاً بالطريق الذي تؤخذ عنه العبادة المشروعة، والتي لا تصح إلا بالتلقي عن الوحي الإلهي الذي جاء به المعصوم ﷺ.

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٤٥٥ وما بعدها.

(٢) البخاري، جـ١، ص ١٥٨، كتاب الأذان وفيه حديث أبي سعيد الخدري يخاطب ابن أبي صعصعة الأنصاري: **«إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»، قال أبو سعيد:** «سمعته من رسول الله ﷺ».

ثم يأتي رابعاً الدعوة إلى الصلاة نفسها في جملتين فقط : **حي على الصلاة، حي على الفلاح** ؛ لأن الأذان كما قلنا أبعد مدى وأشمل آثاراً.

ثم يأتي خامساً الدعوة العامة إلى الفلاح المطلق، المتمثل في الاستجابة لهذا الدين الإلهي الأغر، ومُثُله وتعاليمه وفي مقدمتها الصلاة بداهة.

ولذلك يعود الشارع بالمؤذن إلى نقطة البدء ليكرر في الختام التأكيد على تفرده تعالى بالكبرياء، وإعلان التوحيد بصيغة الإقرار والإثبات بعد صيغة الشهادة السابقة : **الله أكبر، لا إله إلا الله.**

معنى هذا : أن الأذان وحده يجري على ألسنة المؤمنين، ويسكب في ضمائرهم، ويغرس في حياتهم ووجدانهم إفراد الله تعالى بالكبرياء (ثلاثين) مرة يومياً، وإفراده تعالى بصفة الألوهية الذي يعني تفرده تعالى بالعبادة والطاعة (خمس عشرة) مرة، وهو نداء لا يتقيد بحدود معبد أو مسجد، وإنما ينطلق ليدخل كل بيت، ويصافح كل سمع، ويطرق كل قلب يريد الهدى.

الأذان والجرس :

أثناء سيري بجوار أحد المساجد ظهراً إنساب إلى داخل نفسي صوت المؤذن بالإقامة الله أكبر قد قامت الصلاة فدخلتُ المسجد وفي أثناء الركعة الأولى سمعت صوت أجراسٍ، وبعد انتهاء الصلاة سألت من بجواري فهو من أهل المكان عن هذه الأجراس، فقال : إنها أجراس الكنيسة التي بجوارنا، فقلتُ : كيف حالنا لو كانت هذه الأجراس شعارنا ونداؤنا للصلاة؟ وماذا تعني أصوات هذه الأجراس؟ هل فيها معنى التكبير والوحدانية والفلاح؟

خرجتُ من المسجد وأنا أردد ألفاظ الأذان والإقامة، وأحس بعد كل لفظ براحة نفسية وطمأنينة وسعادة على نعمة الإسلام.

الصلاة :

وإذا كان هذا شأن الوسيلة في تقرير الأصول العليا فإن المقصد الذي يؤدي إليه (وهو الصلاة) أعظم شأناً وأتم مظهراً.

فقد فرضها الله تعالىٰ علىٰ كل بالغ من الذكور والإناث خمس مرات في اليوم والليلة، وهي تبدأ بالتكبير ويظل كل مصلٍ يكرر هذه الجملة (الله أكبر) في صلوات الفرض فقط (أربعاً وتسعين مرة) عدا ما يقرع سمعه بعددها من صلوات إمامه إذا صلىٰ جماعة، فضلاً عن السنن الراتبة والنوافل المطلقة وهي أضعاف ذلك.

ثم إن العبد يتلو كتاب ربه في صلاته ويحني له ظهره راكعاً ويخر بجبهته ساجداً، ويناجي مولاه معظماً ومسبحاً وحامداً وداعياً، وليس هناك في الوجود أسمىٰ وأجل من هذه الشعيرة في ربط العبد بهذا السلطان الإلهي، وإلهاب نفسه بمعاني عظمته وسموه وتفرده وتزكية النفس باطراد تبعاً لذلك، وتذكيرها بجلاله وهيبته التي تخر لها شم النواصي سجداً.

والصلاة لا تكون محمودة إلا إذا هذبت النفس الإنسانية وطهرتها، ونقت الضمير من أدران الحقد والحسد والإيذاء، وجعلت صاحبها ربانياً لا يعمل إلا لله تعالىٰ، ويحب خلق الله تعالىٰ لله، فلا يبغض ولا يحسد، ويعمل لإصلاح الناس، ولا يظهر منه ما يضر الجماعة أو يفسد المجتمع، ولذلك جعل الله غاية الصلاة وخاصتها أن تؤدي إلىٰ منع الفساد في الجماعة وقال الله تعالىٰ: ﴿ **اتْلُ مَاأُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

وهي تربي روح الإخاء والمساواة فصلاة الجماعة يجلس فيها الأمير بجوار السوقة والشريف بجوار الضعيف والغني بجوار الفقير ويلتقي الناس أمام الله ـ تعالىٰ ـ وحده الذي يستوي عنده الناس أجمعون وهم يحسون وهم في الحضرة الروحية بأن الله تعالىٰ يعلم سرهم وجهرهم وما يخفون وما يبدون وأنه محاسبهم علىٰ مقتضىٰ حكمته.

وكانت الصلاة في الأوقات الخمسة المتفرقة في النهار وطرفي الليل لتجلو صدأ القلوب كلما علاها صدأ، فيبدئ يومه بصلاة الفجر، ويستحضر الله وعظمته، فيشرق النور في قلبه، ويقدم علىٰ العمل بقلب سليم، ويتعامل مع الناس بتلك النفس الطاهرة، حتىٰ إذا أخذ القلب يصدأ أو تعتريه الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ

كانت صلاة الظهيرة ثم صلاة الأصيل، ثم كانت صلاة العشي، ويختم يومه بذكر الله تعالىٰ كما ابتدأه به(١).

« والصلاة تُقام لا تُؤدىٰ علىٰ أيه حال، بل إقام الصلاة تعنىٰ الاعتناء والحرص ومراعاة السنن والفضائل فضلاً عن الواجبات يؤديها المصلىٰ علىٰ أحسن وجه وأتم صورة بطهارة كاملة ونية صادقة وطمأنينة وسكينة » (٢).

والصلاة لا تكون محمودة وتعد عبادة إلا إذا كان فيها تذكير بالله تعالىٰ، فإن سها عنه لا تكون صلاة مقبولة بل يذم صاحبها، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)** ﴾ (الماعون).

وترى الصلاة التي يذم صاحبها يلازمها أمران :

أولهما : السهو عن ذكر الله وبذلك تفقد الصلاة خاصتها وركنها القلبي وجوهرها الذاتي.

وثانيهما : ألا يكون معه الضمير الذي يؤلف بينه وبين الجماعة التىٰ تعيش معه فلا يعاونهم في حياتهم ولا يمد المحتاج منهم، ويقهر اليتيم إذ لا تكون منه الرحمة الواصلة ولا إمداد ذي الحاجة بحاجته، فلا يطعم المسكين ولا يحض علىٰ إطعامه فلا يأتلف مع الناس ولا يألفونه(٣).

هذه هي الصلاة :

فوق مهمتها التعبدية المحضة، ووظيفتها في تربية العقائد والأخلاق، تؤدي عملاً خطيراً في التربية الاجتماعية للأمة المسلمة حين تجعل المسجد محضناً تربوياً لإنضاج العلائق الاجتماعية، تجد ذلك واضحاً في صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيد.

---

(١) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، هدية الأزهر، ذي الحجة عام ١٤٢٥هـ.

(٢) المعاني الخفية في الأربعين النووية، محمد تاتاي، ص ٤٠ دار الوفاء.

(٣) المجتمع الإنساني، مصدر سابق.

الخشوع في الصلاة (١) :

الخشوع إنكسار القلب وتواضعه لله تعالى وذلته وسكون الجوارح من أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون). والأحاديث في ذلك كثيرة وعظيمة نذكر منها :

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المُصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلأه بعزتي، واستحفظه بملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة**»(٢).

وعنه ﷺ قال : «**ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقوم فيصلي ركعتين مُقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة**»(٣).

الصــوم :

يهذب النفس كالصلاة، ولكن لا يتكرر في كل يوم خمس مرات، بل يكون شهراً في كل عام.

وهو شهر الرياضة الروحي والتجرد من اللذات والشهوات طول نهار ذلك الشهر، وطرفاً من الليل.

وإن الصوم أولاً : يهذب النفس، ويربي الضمير الاجتماعي من وجوه كثيرة، فهو أولاً يقوي الإرادة الإنسانية ويجعلها مسيطرة على لذاتها وشهواتها، واللذات والشهوات إذا سيطرت قطعت ما بين الآحاد من علاقات، وكان التنازع بدل التعاون، فالسيطرة عليها سيطرة على أقوى سبب من أسباب التناحر والتباغض والتحاسد.

---

(١) الهداية الربانية، الشيخ عبد الخالق الشريف، جـ٣، ص ٩٥ .

(٢) رواه أحمد في المسند، في الفتح الرباني ٢، ٢٢٨، وله شاهد عند الطبراني في الكبير عن ابن مسعود، وحسنه المنذري .

(٣) رواه مسلم ١، ٢٠٩، رقم ٢٣٤ كتاب الطهارة .

والصوم ثانياً : تجرد روحي يعلو فيه الإنسان عن أسباب الحياة المادية ويتجه إلى الله تعالى ويكون كالملائكة في طهارتهم، بيد أنه يصل إلى مكانتهم بالمجاهدة ومعاندة الغرائز الإنسانية والسيطرة عليها، وذلك يجعل عمله أقوى أثراً وأعظم تقرباً لله؛ لأن ما يجيء بجهاد يكون أبلغ تقرباً.

والصوم ثالثاً : فيه بث روح الرحمة والعطف على الضعيف والمسكين والقرب من الناس في مشاعرهم وإحساسهم كما فيه العلو الروحي إلى الملائكة في علاهم، ذلك أنه يشعر بالجوع فيحس بآلام الجائعين، ولا يدرك آلام الضعفاء إلا من يحس بإحساسهم، وإذا أدرك آلامهم أمدهم بالعون وائتلف معهم، وقد حث النبي ﷺ على معاونة الضعفاء وخصوصاً في رمضان، فقد قال عليه السلام: «**ابغوني في ضعفائكم، إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم**(١)».

ولقد روى أن النبي ﷺ : «**كان أجود ما يكون في رمضان، فإذا جاءت العشرة الأخيرة كان أجود من الريح المرسلة**»(٢).

وهكذا نجد الصوم فيه تربية للضمير، وفيه ائتلاف روحي وتعاون اجتماعي، والزكاة فيها معان اجتماعية أوضح، لأنها تعاون مادي وروحي، فهي من ناحية فريضة شرعية تجبي كما تجبي الضرائب، وهي من ناحية عبادة روحية يتقرب بها العبد إلى الله ويستحق بإعطائها مختاراً محتسباً النية، راجياً بها أن تكون غنماً له لا أن تكون غرماً عليه إذا نوى العبادة عند إعطائها، أما إذا أخذت كرهاً وجبيت قسراً كما تجبي الضرائب واعتبرها صاحبها مغرماً يؤخذ منه ولم يعتبرها مغنماً من الطاعات يغنمه فإنه لا ثواب له؛ لأن الثواب يكون على مقدار النية.

---

(١) النسائي، جهاد ٤٣، وأبو داود، جهاد ٧٠، والترمذي، جهاد ٢٤، رقم ١٧٠٢، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري، بدء الوحي ٥، ٦، صوم ٧، مناقب ٢٣، بدء الخلق ٦، فضائل القرآن ٧، أدب ٣٩، ومسلم، فضائل ٤٨، ٥٠، عن ابن عباس.

الزكاة ومصارفها (١) :

حق للضعفاء في مال الأغنياء، وهي حق الله للجهاد في سبيله والنظرة الأولى لمصارفها تريك ما فيها من معاني التعاون التي تُكون خير مجتمع فاضل، فهي تكون للفقراء والمساكين لكيلا يكون في المجتمع ضعيف لا يعيش عيشة تجعل منه قوة صالحة إن كان فيه، وهي تعطي من الدولة لا من الآحاد، حتى لا يكون في ذلك إذلال للآخذ، إذ أن الدولة هي التي تجمعها وهي التي تنفقها في مصارفها، وكذلك كان يفعل محمد ﷺ ويفعله صحابته الصديقون من بعده.

وهي تصرف لتحرير الرقاب بأن يُعانوا على سداد ما التزم به بعض العبيد في سبيل عتقهم وأن يشتري العبيد من مالها ويعتقون ويصرف منها على كل من انقطع به السبيل ولا يجد مأوى يأوي إليه، ولو كان له مال في أرضه التي غادرها ويصرف منها على الدعوة إلى الإسلام بالحسنى والدفاع عنه بالقول والمجادلة بالتي هي أحسن وتصرف في الجهاد في سبيل الله أي في حاجة الجند وإمدادهم بما يحتاجون إليه من مؤن وذخيرة وتصرف في سداد الدين عن المدينين إذا كانوا قد استدانوا في غير فساد ولم يكن في تصرفهم سرف ولا إفساد ما داموا قد عجزوا عن السداد وصاروا في عسرة يتعذر معها السداد وكذلك تصرف في سداد دين من استدانوا في سبيل صلح أو إصلاح بين الناس، ولو كان السداد لا يتعذر عليهم ليعاونوا في المكارم التي أرادوها، فإن هذا الدين يبني المكارم ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : **«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

وهكذا نجد الزكاة تتجه إلى إيجاد مجتمع فاضل متعاون أدبياً ومادياً وتتجه أيضاً إلى حماية المجتمع من الآفات الداخلية والاعتداء الخارجي فإن معالجة الضعف حماية للمجتمع في داخله وجمع لكل عناصر القوة فيه، وجزء منها صرف لتقوية الجند وإمداده بالمؤنة والسلاح.

(١) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٤٩، وأرى أن الأستاذ الشيخ - رحمه الله - قد سمى فئات تُصرف لهم الزكاة لا يعرفها كثير من الناس بالرغم أنها منضوية تحت المصارف الشرعية للزكاة التي ذكرها القرآن الكريم.

الصدقات :

وهناك غير الزكاة الصدقات المنثورة التي توجب على كل مسلم أن يسد حاجة من يكون في حاجة عاجلة ، فمن يعلم حال فقير يجب عليه أن يعاونه إذا كانت لاتصل إليه معونة الدولة ، أو كان متعففاً لا يحب أن يمد يده ولو إلى الحكام ، فإنه تجب معاونته بطريقة لا تمس نفسه ولا يكون فيها غضاضة عليه ، كأن يعطيه على سبيل الإهداء ويتقبل منه الهدية التي لا تجهده أو يعطيه دينا ولا يطلب منه السداد ، واهل الفضل يفتح الله لهم سبيل الخير من غير من ولا أذىٰ ويأخذون بقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ... ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

والصدقة المنثورة تطفئ نيران القلوب ، وتطفئ الذنوب فقد قال رسول الله ﷺ : **«الصدقة تطفئ المعصية، كما يطفئ الماء النار»**(١).

الكفارات (٢) :

الكفارات التي تكفر الذنوب ، فهي أيضاً تقوية وتهذيب للمجتمع ، ففيها عتق الرقاب ، وفيها إطعام المساكين وكسوتهم ، والكفارات واجب ديني لا يجمعه ولي الأمر ، بل يؤديه المتدين تكفيراً لذنوبه ورفعاً لخطاياه .

ومع كل هذا صدقة الفطر وصدقة الأضحية ، فإنهما لسد حاجة الفقير والمحتاج في عيدين عظيمين من أعياد المسلمين ، وهما بعد أداء فريضة دينية ، فيكون للعبد فرحة بأدائها على الوجه الكامل ، ويجب أن يشترك في هذه الفرحة الأغنياء والفقراء بسد حاجاتهم في هذه الأيام المشرقة ، ولقد ورد النص النبوي بذلك .

---

(١) الترمذي ، إيمان ٨ ، جمعة ٧٩ ، وابن ماجة ، زهد ٣٣ ، وعند الترمذي رقم ٢٦١٦ وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) حرص الإسلام على تطهير النفس من الشح والبخل كما حرص على إيجاد موارد كثيرة لحماية المجتمع من أمراضه ففرض الزكاة ، وحث على الصدقات ، ونوّع الكفارات ، وهذا من عظمة التشريع وأسرار العبادات .

الحج [1]:

هو العبادة الاجتماعية التي يكون بالمال والبدن، فالصوم والصلاة عبادات للبدن، يقوم بها الناس أجمعون ما داموا متدينين يؤدون ما يطلبه الله سبحانه وتعالىٰ منهم وما دامت فيهم قدرة بدنية علىٰ الأداء، أما الزكاة فهي عبادة الأغنياء يؤدون ما عليهم من حقوق للمجتمع، خصوصاً فقراءه، وكذلك الصدقات المنثورة والكفارات، أما الحج فإنه عبادة تجمع بين البدن والمال، فلا تجب إلا حيث تتوفر الاستطاعة البدنية والاستطاعة المالية بالقدرة علىٰ الزاد والراحلة.

والحج لهذا المعنىٰ ـ وهو الجمع بين عبادة البدن وعبادة المال ـ كان فيه المعنيان، وكان فيه تعاون أعظم وأكمل، وفيه تهذيب روحي أوضح وإن لم يكن اقوىٰ فهو من الناحية الروحية يذهب المسلمون من كل فج عميق إلىٰ بيت الله ويشعرون بانهم ضيوفه فيلتقون علىٰ مائدته الروحية علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان وهم يشعرون أنهم وهم في المناسك أقرب إلىٰ الله منهم في أي مكان آخر وإن كانوا دائماً في قرب منه إذا أحسنوا الدعاء والضراعة كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وهم يشاهدون آثار أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فيشعرون بوحدة العبادة في الرسالات كلها، ويشعرون بالوحدة الإنسانية لا بين أهل هذا الجيل والأجيال القابلة فقط، بل يشعرون بهذه الوحدة الإنسانية الروحية بين الحاضرين والماضين فلا يكون نزاع بسبب الماضي، كما تكون مودة ورحمة في الحاضر والناس أمام الله تعالىٰ وفي أرضه المقدسة وحرمه الآمن يشعرون بالمساواة المطلقة أمامه من غير تفرقة بين الأقاليم والأجناس إذ يلبسون جميعاً لباساً واحداً غير مخيط لا يختلف الشكل والناس يختلفون في أشكال ثيابهم من حيث خياطتها وحياكتها فإذا كانت جميعها من نوع واحد ليس هو أعلاها ولا أوسطها، بل من أدناها وهو القطن، ومن غير اختلاف في الشكل فإن الجميع يشعرون بأنهم سواء، وأنهم أمة واحدة مهما تختلف أقاليمهم.

---

(١) المرجع السابق.

ومن الناحية الروحية أيضاً في الحج تكبير الله حيثما حلوا، وحيثما سافروا، وحيثما تغيرت بهم أماكن من مرتفع إلىٰ منخفض أو من منخفض إلىٰ مرتفع، وفي الجملة الحج ذكر دائم لله تعالىٰ في أيام أدائه، وهي أشهر معلومات، وذكر الله هو طب القلوب، وهو الدواء لأدوائها، وهو الذي تقر به النفوس الهالعة.

ومن الناحية المادية يلتقي المسلمون علىٰ اختلاف أجناسهم وألوانهم وأقاليمهم في حرم الله الآمن ويتعرف أهل كل إقليم ما عند أهل الإقليم الآخر من خير يفيض عن حاجتهم وذلك فوق أن التعرف نفسه فيه أنس روحي أدبي، وبهذا التعارف الإقليمي يتحقق قوله تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات: ١٣).

ففي الحج تعارف فِعْلي، والتقاء روحي، وسبيل للتعاون المادي علىٰ تراحم وتواد من غير مشاحة ولا منازعة؛ لأن الزاد المادي فيها يقترن بزاد من التقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ (البقرة: ١٩٧).

هذه إشارات إلى العبادات ننتهي منها إلى نتيجتين[1]:

الأولى: أن العبادات في الإسلام تتجه إلىٰ تربية الوجدان الديني الذي يجعل المؤمن بالإسلام مؤتلفاً مع غيره ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع إنساني متواد متحاب، والمودة والمحبة إذا سكنتا في القلب لا تختصان بأهل دين دون دين آخر بل تكون للجميع.

إن الإسلام إن سادت مبادئه وعلاقاته الإنسانية العامة في العالم كانت معها المودة والمحبة والوئام بين الناس جميعاً، لا فرق بين مسلم وغير مسلم، وإن من يحاول الإفساد فيه يناله عقاب الجماعة لتحمي نفسها منه وتعيش في سلام.

---

(١) المصدر السابق.

الثانية : أن العبادات في الإسلام ليست غايتها مجرد التقوىٰ السلبية، بل إن العبادات في الإسلام تتجه إلىٰ النفع الإنساني في العالم، وإلىٰ إيجاد مجتمع غير متباغض ولا متنازع، وإنها إذا لم تؤد إلىٰ هذه الغاية العالية لا تكون عبادة محسوبة لصاحبها، مرضية من الله، بل تكون محسوبة عليه ولا تنتج خيراً له بل تنتج وبالاً عليه؛ لأنه لم يخلص النية لله تعالىٰ، وأمارة الإخلاص لله فيها أن تكون مطهرة لقلبه، قاضية علىٰ الشر فيه، مؤلفة بينه وبين الناس.

ومن الشرك الخفي المراءاة في العبادة فقد قال ﷺ : **«من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك»**[1].

توضيح مفهوم : العمل عبادة :

وليست العبادات في الإسلام مقصورة علىٰ الصلاة والصوم والزكاة والحج، فإن كل عمل يقصد به وجه الله والقيام بحق الناس استجابة لطلب الله تعالىٰ بإصلاح الأرض ومنع الإفساد فيها يعد عبادة، فالعامل الذي يخلص في عمله ويقوم بواجبه مرضاة لله سبحانه واستجابة لأمره يعد في عبادة مستمرة.

ومن يعمل عملا ينتفع منه الناس يقدم صدقة يثاب عليها، وقد قال ﷺ: **«من زرع زرعاً، أو غرساً فأكل منه إنسان أو دابة كتب له به صدقة»**[2].

وقد حدَّثوا أن عمر بن الخطاب رأىٰ قوماً قابعين في ركن من المسجد بعد صلاة الجمعة فسألهم: من أنتم؟ فقالوا: «نحن المتوكلون علىٰ الله»، فعلاهم عمر بدرته ونهرهم وقال: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة»[3].

وإن الله يقول: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ**﴾ (الجمعة: ١٠).

---

(١) رواه ابن ماجة، زهد ٢١، حديث رقم ٤٢٠٤، وأحمد ٣/ ٣٠، وفي الزوائد: إسناده حسن.
(٢) البخاري، أدب ٢٧، حرث ١، ومسلم، مساقاة ٧ ـ ١٠، ١٢.
(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٠٣، طبعة ١٩٩٠م، مكتبة وهبة.

والسعي على العيال والقيام على شئونهم ورعايتهم من أفضل العبادات المكفرة للذنوب ولذلك قال ﷺ: «من الذنوب ما لا يكفره إلا السعي على العيال»(١).

وبذلك يتبين أمران :

أولهما : إن العبادات في الإسلام ليست تجرداً من الدنيا، ولكنها في العمل لشئون الدنيا أيضاً بسد حاجات الناس، ومد يد المعونة إليهم، وطلب المرضاة من رب العالمين خالق الناس أجمعين.

ثانيهما : أن العامل إذا لاحظ أنه يقوم بخدمة اجتماعية للناس، وأنه يؤذيهم إن امتنع ولم يعمل وأراد أن يعمل لإرضاء الله تعالى ينفع عباده يعلو إلى مستوى تسمو فيه نفسه عن أن يكون خادماً لأحد من الناس بل خادم للكافة يقوم في حدود عمله بقدر طاقته، ويشعر إنه ما دام يعمل فهو يعبد الله تعالى، وإنه إن ترك عمله ينقص من حاجات الناس بمقدار الترك وإن هذا بلا ريب يربط الآحاد بمجتمعهم ربطاً وثيقاً.

السر الأعظم في العبادات كلها :

بعد هذا الحديث المختصر عن أسرار العبادات تجد سراً مشتركاً عظيماً، إنها المساواة في الإسلام.

ولكن ما سبب هذه العظمة؟

يشير إلى ذلك كاتب مسلم فاضل فيقول(٢) : قد يُقال إن الأدب والفلسفة والقوانين تفرض المساواة، فكأن الإسلام لم يأت بشيء جديد في هذا الباب، ولكن المساواة في الإسلام هي وحدها التي ظفرت بها الإنسانية دون ما في الآداب والفلسفة والقوانين، فإن هذه نظريات لم تتعد الحكم العقلي والافتراض المنطقي، ولم يتصل بالواقع منها إلا شيء ضعيف لا غناء فيه، فالناس متساوون في حكم الآداب القديمة والحديثة.

---

(١) رواه مسلم، زكاة ٣٨، وصية ٩ .

(٢) إنه الاستاذ حافظ عامر - رحمه الله - في رسالة الحج وفلسفته وأسراره، انظر : المنهاج القرآني، مصدر سابق، ص٤٦٦ .

ولكن أين حقيقة هذه المساواة في الحياة؟

فما زالت الحوادث قائمة على التفريق، وعلى الغبن، وعلى نهب حقوق الضعفاء وإضافتها للأقوياء زيادة في حقوقهم أو كما جاء في الإنجيل: «من له يُعطى ويُزاد، ومن ليس له يؤخذ منه». ولهذا ترى النظام العالمي كتابة فقط، فهو نظام تام في الكتب والروايات والقوانين، ولكنه ناقص كل النقص مشوه كل التشويه في المجموعة البشرية من أحط الهمج إلى أعلى المتمدنين.

أما الإسلام فجعل المساواة طريقه عملية قبل كل شيء وفرضها في العبادات لتتصل بالضمير وتدخل في التركيب النفسي، وتدرج بها في نظام عجيب من الأضيق إلى الأوسع، وجعلها ثابتة مستمرة لا يصح إيمان المرء إلا بها، ولا يتم إلا بتمامها فالمسلمون متساوون.

- في كلمة الإسلام الأولى هي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذه هي النواة المغروسة في الضمير العام.
- ثم تأتي الصلاة اليومية فهي تساوي بين الجميع في العمل والحركة والكلمة ووضع رؤوسهم جميعاً من الملوك إلى الصعاليك في مستوى واحد عند السجود لله تعالى.
- ثم يأتي الصيام وهو مساواة تامة في الحرمان تلحق أفقر الناس بأغنى الناس.
- ثم يأتي الحج وهو المساواة الكبرى، وهو نهاية الطريقة ونهاية الحكمة، وهو غاية الغايات، ولا نظير له في جميع الأديان ولا في الآداب ولا في القوانين.
- ثم يربط بين الحج والجهاد فيقول: فالحج بهذا النظام هو مناورات حربية روحية على الجميع، زياً واحداً وحركة واحدة، وكلمة واحدة، وطاعة واحدة وتقر في أنفسهم فكرة التضحية حتى بالأهل والمال في سبيل غاية عليا.
- ثم يقول ولو أدركت الأمم الإسلامية هذه الحقائق عن الحج لعاقبت حكوماتها على ترك الحج؛ لأن تاركه يكون كالهارب من الجندية العظمى.

بهذا ترى عظمة الإسلام في أسرار العبادات فاللهم تقبل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم.

الواجبات والتوصيات العملية

نوجزها في هذه المحاور :

١ ـ المحور الأول : ضعف الإيمان .

٢ ـ المحور الثاني : توجيهات شعرية .

٣ ـ المحور الثالث : توصيات فقهية .

المحور الأول : ضعف الإيمان

بعد هذا السمو الروحي ، والترقي في درجات العبادة قد تنتاب الإنسان لحظات ضعف إيماني ، وحتى ينهض من هذا الضعف الإيماني يتطلب ذلك منه أن يعرف الأسباب والعلاج :

أولاً : مظاهر ضعف الإيمان:

١ ـ المعاصي وقسوة القلب فلا يتأثر بموعظة الموت ولا رؤية الأموات .

٢ ـ عدم إتقان العبادات ومن ذلك شرود الذهن أثناء الصلاة وتلاوة القرآن والأدعية .

٣ ـ التكاسل عن الطاعات والعبادات : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ (النساء: ١٤٢). ولا يتأثر بفوات موسم الخير وأوقات العبادة فقد يؤخر الحج وهو قادر ويتأخر عن صلاة الجماعة والجمعة . . . والتكاسل عن النوافل والرواتب يقول النبي : « **لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يخلفهم الله في النار**»[١].

٤ ـ ضيق الصدر : والنبي ﷺ قال : « **الإيمان : الصبر والسماحة**»[٢].

٥ ـ عدم التأثر بآيات القرآن لا بأمره ولا نهيه : فكلما فتح المصحف كاد أن يغلقه .

---

(١) رواه مسلم، صلاة ١٣٠ .

(٢) رواه أحمد : ٥/ ٣١٩ـ ٤ / ٣٨٥ .

٦ ـ الغفلة عن الله في الذكر والدعاء.

٧ ـ عدم الغضب إذا انتهكت محارم الله بل قد يسمع بالخطيئة كما في الحديث الصحيح : **«إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها»**(١).

٨ ـ حب الظهور .

٩ ـ الشح والبخل.

١٠ ـ أن يقول الإنسان ما لا يفعل : **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾** (الصف : ٣).

١١ ـ السرور بضعف المسلمين وفشلهم.

١٢ ـ قلة الورع دائماً يسأل هذا العمل هل هو حرام أم مكروه لا يسأل هل هو حلال.

١٣ ـ احتقار المعروف وعدم الاهتمام بالحسنات حديث : **«لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط»**(٢).

١٤ ـ عدم الاهتمام بقضايا المسلمين.

١٥ ـ انفصام عُرىٰ الأخوة بين المتآخيين .

١٦ ـ عدم استشعار المسئولية في العمل لهذا الدين(٣).

١٧ ـ الفزع والخوف من عند نزول المصيبة.

١٨ ـ كثرة الجدل والمراء.

١٩ ـ التعلق بالدنيا وفقد السمة الإيمانية.

٢٠ ـ المغالاة في الاهتمام بالنفس مأكلاً وملبساً ومشرباً ومركباً.

ثانياً : أسباب ضعف الإيمان:

١ ـ الابتعاد عن الأجواء الإيمانية.

---

(١) رواه أبو داود رقم ٤٣٤٥ ، ملاحم ١٧ .

(٢) رواه مسلم، بر ١٤٤ .

(٣) راجع باب الفهم من هذه الموسوعة.

٢ ـ فقدان القدوة الصالحة، والقعود عن طلب العلم.

٣ ـ وجود الإنسان في وسط يعج بالمعاصي.

٤ ـ الإغراق في الاشتغال بالدنيا.

٥ ـ الانشغال بالمال والزوجة والأولاد .

٦ ـ طول الأمل.

٧ ـ الإفراط في الأكل والنوم والسهر والكلام، قال ﷺ: « **لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»(١).

ثالثاً: علاج ضعف الإيمان:

١ ـ تدبر القرآن.

٢ ـ استشعار عظمة الله.

٣ ـ طلب العلم ولزوم حِلَق الذكر.

٤ ـ الاستكثار من الأعمال الصالحة.

٥ ـ تنويع العبادات.

٦ ـ الخوف من سوء الخاتمة.

٧ ـ الإكثار من ذكر الموت.

٨ ـ تذكر منازل الآخرة.

٩ ـ التفاعل مع الآيات الكونية . . . روىٰ البخاري ومسلم أن رسول الله كان إذا رأىٰ غيماً أو ريحاً عُرف ذلك في وجهه.

١٠ ـ ذكر الله تعالىٰ.

١١ ـ مناجاة الله والانكسار بين يديه.

١٢ ـ قصر الأمل.

١٣ ـ التفكر في حقارة الدنيا.

---

(١) رواه ابن ماجة، زهد ١٩، والترمذي، زهد ٢، وأحمد: ٢/ ٣١٠، وقال الترمذي: حديث غريب.

١٤ ـ تعظيم حرمات الله .

١٥ ـ الولاء والبراء أي مولاة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

١٦ ـ التواضع والإكثار من أعمال القلب مثل محبة الله والخوف منه وحسن الظن به والتوكل والرضا والشكر والاستقامة والإنابة، الخشوع، الزهد، الورع، ومحاسبة النفس، وصمم لنفسك جدول محاسبة خاصاً بك وعلقه بجوارك على السرير .

١٧ ـ الدعاء[1] .

(١) راجع الباب الثالث (موضوع الدعاء) .

المحور الثاني : توجيهات شعرية

أولاً : إليك يا ابن الإسلام [١] :

يا مسلمًا بعرا إسلامه ارتبطا ... هلا وفيت بما مولاك قد شرطاَ؟!
أبا لمعاصي ترى الفردوس دانية؟! ... من يزرع الشوك لم يحصد به الحنطا!
أم تشتري الخلد بالمغشوش من عمل ... وسلعة الله لا تشرى بما خلطا ؟!
وتخطب الحور لم تهد الصداق لها ... ولم تقدم لها عقداً ولا قرطًا ؟!
تبغي الجنان بروح القاعدين، فدع ... عنك المعالى، وابلغ الخبز والأطا ؟!
أما علمت طريق الخلد قد فرشت ... بالشوك، ما فرشت ورداً ولا بسطا؟!
أم تنشد النصر لم تدفع له ثمنًا ... ولم تعد له الأسباب والخططا
للنصر قانونه، والله فصله ... لا تحسب النصر يأتي الناس معتبطًا
من ينصر الله ينصره، فلا أمل ... في النصر إلا لمن وفى بما اشترطا
فاحذر مقالة سوء من عبيد هوى ... يحيون في عالم الأفكار كاللقطا
تقول : ما لبني الإسلام قد هزموا ... ولم يسيروا إلى العلياء غير خطا ؟!
كأنما تجعل الإسلام متهما ! ... والحق أبلج لا يحتاج كشف غطا
الذنب ذنب بني الإسلام، مذ بعدوا ... عن منهج الله أضحى أمرهم فرطا !
قد خاصموا الله إذ خانوا شريعته ... وقل إنتاجهم إذ أكثروا اللغطا
تفرقوا شيعًا شتى وأنظمة ... إذ لم يعد حبلهم بالله مرتبطا
عقد الخلافة قبلا كان ينظمهم ... واليوم عقدهمو قد بات منفرطا
استوردوا من ديار الغرب فلسفة ... أشقت بنيه، وحلت كل ما رُبطا
يا ناشدا للهدى في الغرب معذرة ... إن الهدى حيث وحى الله قد هبطا
من رام شهداً فإن النحل مصدره ... ومن بغى السم فليطلب له الرُقطا[٢]
لم التسول والإسلام ثروتنا ... يغنيك عن مد كف أو سؤال عطا؟

---

(١) د. يوسف القرضاوي، ديوان : نفحات ولفحات .

ونهجه بين كالصبح، لا غبش … أقام فوق الحروف الشكل والنُقطا
قالوا : قديم، فقلنا : الشمس قد قدمت … فغيروها بأخرىٰ أيها البُسطا!
وغيروا الكعبة البيت العتيق، فلم … تعد ملائمة شكلاً ولا نمطا!
نِعْمَ القديم قديم يُستضاء به … بئس الجديد إذا ما ورَّث السقطا!
قل للذي سار خلف الغرب إمعة … يقفو خطاهم صوابًا كان أم غلطا
الغرب أعلن عزل الله من زمن … عن ملكه، ومضىٰ، لا دين لا رُبطا
وبات معبوده مالاً يصول به … في الخمر والجنس والآثام مختبطا
يسعىٰ إلىٰ الرجس كالخنير في شَرَه … مهما رأىٰ القذر استهواه، فالتقطا
أغلىٰ الجمادات، والإنسان أرخصه … وأرخص الناس من بالمشرق ارتبطا!
فما يقيم لغير الشُقر من زِنَة … فلا هنود ولا عُربًا ولا نَبَطا !
مات الملايين جوعًا في مشارقنا … والغرب يغذو الكلاب اللحم والقططا!
والغرب في شرقنا ذكراه مظلمة … من يغرس الظلم يجن البغُض والسخطا

يا ابن الحنيفة دين الحق، ها هو ذا … يدعوك فانهض وشمر عاملاً نشطا
خير الأمور سبيل القصد، فامض به … ولا تمل عنه، لا وكسا ولا شططا
بين المغالاة والتقصير منزلة … هي التي جعلتنا أمة وسطا
فاثبت علىٰ منهج الإسلام في ثقة … مستعليًا يتحدىٰ ضغط من ضغطا
والزم طريق رسول الله في بصر … وفي اعتدال، وجانب خلط من خلطا
واحفظ تراثًا يُجلي روح أمتنا … ولا يعوقك عنه غمط من غمطا
واحذر غزاة لنا في عصرنا جددا … يبدون في صورة الأصحاب والخلطا
وأخطر الغزو غزو لا يريق دما … إلا التسلل للأفكار مخترطًا
يغزو فؤادك في صمت فتتبعه … طوعًا ولا سيف لا أجناد لا شُرطا
واجعل رضا الله كل القصد تنج، فما … يغني رضىٰ الخلق والخلاق قد سخطا؟!
هل يبسطون لما القهار قابضه … أو يقبضون إذا الرحمن قد بسطا ؟!
ولا تبال بقول الناس فيك أذىٰ … فكم علىٰ الله قالوا الزور والشططا!
وما أصابك من ضراء فارض، وقل : … رب احتسبها لنا ذخرًا لنا فُرطًا

ثانياً : إليك يا ابنة الإسلام (١) :

رسالتي يا ابنة الإسلام والحسب … إليك من عقل أستاذ وقلب أب
يا من هُديت إلى الإسلام راضية … وما ارتضيت سوى منهاج خير نبي
يا درة حُفظت بالأمس غالية … واليوم يبغونها للهو واللعب
يا حُرة قد أرادوا جعلها أَمَة … غربية العقل، لكن اسمها عربي
عهد السجود لفكر الغرب قد ذهبت … أيامه فاسجدي لله واقتربي
من كان للغرب عبد الفكر خاضعه … فليس منا ولسنا منه في نسب
هل يستوي من رسول الله قائده … دوماً وآخر هاديه أبو لهب ؟!
وأين من كانت الزهراء أسوتها … ممن تقفت خطى حمالة الحطب ؟!
فلتحذري من دعاة لا ضمير لهم … من كل مستغرب في فكره خرب
أسموا دعارتهم حرية كذباً … باعوا الخلاعة باسم الفن والطرب
هم الذئاب وأنت الشاة فاحترسي … من كل مفترس للعرض مستلب!
هم يبتغونك لحما فيه مأربهم … ويطرحونك عظما غير ذي أرب !
قالوا اختلاط وهل في الاختلاط سوى … وضع الثقاب قريبا من شفا اللهب ؟
فالاختلاط الذي يدعو له نفر … هو انفتاح بلا قيد، بلا حجب
فلينظروا ما جناه الغرب قبلهمو … في النفس في العقل في الأجسام في العصب
ظنوا التحلل فيه حل عقدتهم … هل تطفأ النار بالبترول والخشب ؟!
سبيل ربك، والقرآن منهجه … نور من الله لم يحجب ولم يغب
في ركبه شرف الدنيا وعزتها … ويوم نُبعث فيه خيرُ منقلب
كوني مع الله في سر وفي علن … فالله أكرم مسئول ومصطحب
لوذي به دائماً وادعيه ضارعة … ألم يقل للعباد : ادعون أستجب؟!
وإن هوى بك إبليس لمعصية … فأهلكيه بالاستغفار ينتحب
بسجدة لك في الأسحار خاشعة … سجود معترف لله مقترب
ما أهون الذنب يمحوه المتاب، وما … أقسى الذنوب إذا المغرور لم يتب!
وخير ما يغسل العاصي مدامعه … والدمع من تائب أنقى من السحب

(١) د. يوسف القرضاوي، ديوان: نفحات ولفحات .

المحور الثالث

توصيات فقهية تساعد على وحدة الأمة

إذا وقعت الفتنة بين العلماء فالأمة في خطر لأنه :

١ ـ من الخيانة للأمة أن يحمىٰ وطيس المعركة بين المسلمين، وتنصب المجانيق، وتتقاذف الناس بكلمات أشد من الحجارة، وأنكىٰ من السهام من أجل مسائل تحتمل أكثر من وجه، وتحتمل أكثر من تفسير، فمن يحمل همَّ هذه الأمة؟

٢ ـ أكثر ما يوقع الناس في حفرة الاختلاف وينأىٰ بهم عن الاجتماع والائتلاف: فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة، والآمال العظيمة، وإذا فرغت الأنفس من الهموم الكبيرة اعتركت علىٰ المسائل الصغيرة، واقتتلت فيما بينها علىٰ غير شيء.

٣ ـ كما ينفرد الناس كلهم في صورة الوجه، ونبرة الصوت، وبصمة بنانه، ينفرد كذلك بلون تفكيره وميوله، وإن من العبث كل العبث صب الناس كلهم في قالب واحد في كل شيء وجعلهم نسخاً مكررة.

٤ ـ يقول عمر بن عبد العزيز ـ وهو من أئمة الهدىٰ ـ: «ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رخصة».

٥ ـ إذا أخطأ الشيخ ! ماذا نقول ؟، هل نقول: «جاهل ـ فاسق ـ مبتدع»، أم نقول: «له أجر». . أي هذه العبارات أفضل ؟

٦ ـ لا تتحرج أن تقول لا أعرف:

* دخل رجل علىٰ القاسم بن محمد فسأله عن شيء، فقال القاسم: لاأحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دُفعت إليك لا أعرف غيرك، فقال القاسم: لا تنظر إلىٰ طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه، فقال له شيخ قرشي جالس إلىٰ جنبه: «يا ابن أخي الزمها فو الله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم»(١).

---

(١) مجلة منار الإسلام، جمادىٰ الآخرة، ١٤٢٧هـ، صفحة ٩٧ .

* وحسبك في ذلك أيضاً قول النبي ﷺ للمجادلة : «**ما عندنا من أمرك شيء**» . . سبب نزول سورة المجادلة .

٧ ـ من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه ، فأخطر شيء أن نتجه إلى الأخذ بالرأي الواحد وننفي الصحة عمن سواه ، فالقاعدة تقول : «لا إنكار في مختلفٍ فيه» .

٨ ـ إن المشكلة الكبرى للأمة حقاً في تضييع الأمور المتفق عليها .

٩ ـ بهدوء : إذا قيل لك أو (طُلب منك) أن تكُف عن قول أو فعل شيء بحجة أن هذا الشيء أو الفعل لم يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة . . (ولم يَقُم الدليل على منعه) فعليك أن تطلب من القائل دليل المنع ولا يطلب هو منك دليل الإثبات والفعل . . لأن دليل الفعل والإثبات معك وهو الأصل ، فالأصل في العادات الإباحة ما لم يرد نص ، فأنت في المباح إلا إذا ورد دليل بخلاف ذلك . .

فالذي معه الكل لا يطالب بالجزء . . والذي معه الأصل لا يُطالب بالفرع .

بالمثال يتضح المقال :

ـ يقول لي : «صدق الله العظيم» بدعة . . أقول له : أين دليل المنع ؟ .

ـ يقول لي : المصافحة بعد الصلاة بدعة» . . أقول له : «أين دليل المنع ؟» .

ـ يقول لي : ما سمعنا أن أبا بكر أمسك دُفاً . . أقول له : وما سمعنا أن أبابكر نهى عن الدف . . أين دليل المنع ؟ .

وعلى هذا فالأمور تسير . . فالأصل الإباحة ما لم يرد نص بالمنع .

١٠ ـ اطمئن : أخرج البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه : قال معاذ «اجلس بنا نؤمن ساعة»(١) .

ما الذي يكون في هذه الساعة من الإيمان ؟

ـ يجوز أن تكون ذكر لله تعالى فنذكر الله معاً .

---

(١) أخرجه البخاري ، إيمان ١ .

- يجوز أن تكون قراءة قرآن !! ويجوز أن تكون صلاة !!
- يجوز أن تكون مدارسة لأحوال المسلمين، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١) .
- يجوز أن تكون تواصي بالحق وتواصي بالصبر .
- يجوز أن تكون كلها دعاء ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠) .
- وعليك أن تتخيل أي باب من أبواب الخير فتكون هي هذه الساعة، وأبسط شيء في هذه الساعة أن تمتنع نفوسهم و ألسنتهم وقلوبهم عن الشر . . للحديث: «**المسلم مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٢) .

وأنت مع أي باب من أبواب الخير هذه تكون في سُنَّة ولست في بدعة، فلاتكن في حرج . . واطمئن هنيئاً لك ساعات الإيمان هذه .

١١ - الفقه في الإسلام ليس قوالب جامدة، فالإسلام وضع للمسلم إطاراً لكل شيء . . وإليك بعض النماذج على ذلك :

- وضع الإسلام إطاراً للعقيدة والتفكر والتأمل . . لقول الرسول ﷺ: «**تفكروا في آلاء الله...**»(٣) .
- وآيات كثيرة من القرآن تدعو للتفكر : ﴿**لعلهم يتفكرون**﴾ .
- ووضع إطاراً للطعام والشراب: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا .. ﴾ (الأعراف: ٣١) . ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ... ﴾ (النساء: ٢٩) . المهم ألا تأكل حرام، أو تشرب حرام، لقول رسول الله ﷺ: «**كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به**»(٤) .

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٢، وفي اللؤلؤ والمرجان عن أنس برقم ٢٨ .

(٢) رواه البخاري، إيمان ٤، ٥، رقاق ٢٦، ومسلم، إيمان ٦٤، ٦٥ .

(٣) رواه أحمد في المسند ـ كنز العمال، جـ٣، ص ١٠٦، برقم ٥٧٠٧ .

(٤) رواه الطبراني في الصغير عن ابن عباس، والترمذي، جمعة ٧٩، بلفظ: «لا يربو لحم نبت منه إلا كانت النار أولى به»، وقال الترمذي: حديث حسن غريب .

- ووضع إطاراً للمشي : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (الإسراء: ٣٧).
- ووضع إطاراً للباس والزي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: **«لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»**[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **« من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن إزاري يترخىٰ إلا أن أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ: **« إنك لستَ ممن يفعله خيلاء»**[2].

- ووضع إطاراً للمهر: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ... ﴾ (النساء: ٢٠).
- ووضع إطاراً للعبادة.. صلاة وصيام.. انظر لحديث الثلاثة الذين جاءوا لبيوت أزواج النبي ﷺ، وقول النبي ﷺ: **«أما أنا فأصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء»**[3]، وهذا إطار الاعتدال في العبادة، لا إفراط ولا تفريط، وكما يقول د. يوسف القرضاوي:

بين الإفراط والتفريط منزلة هي التي جعلتنا أمةً وسطا

(١) رواه أبو داود، لباس ٢٨، والنسائي وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأحمد ٢/ ٣٢٥.

(٢) رواه البخاري، لباس ١، ٢، ٥، فضائل الصحابة ٥، ومسلم، لباس ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٨.

(٣) رواه البخاري، نكاح ١.

فهرس

الباب الثاني

الفقه والعبادات

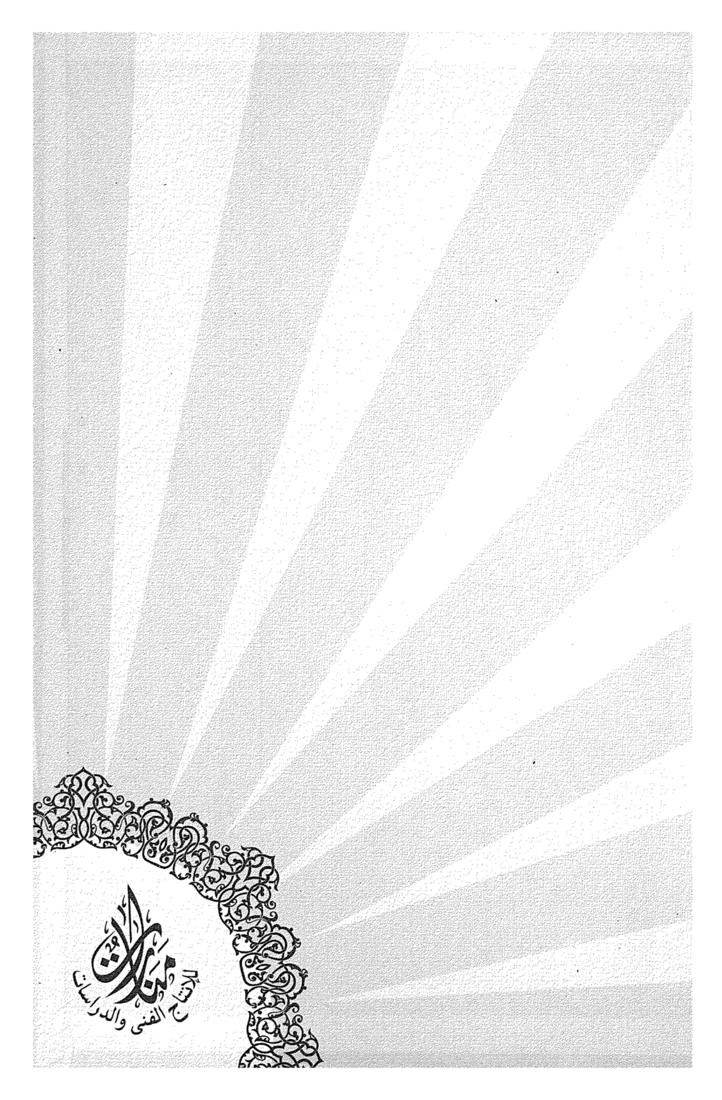


الجزء الأول

صف وإخراج
محمود محمد المتولي عوض حجاز
مصر - المنصورة - مركز طلخا - ميت عنتر
٢٥٢٩٩٠٧ / ٠٥٠ / ٠٠٢ محمول ٠١٢٧٤٠٣٢١٥



٧ شارع أبو القاسم المهدي - الحي السابع
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٠١٠/١٤٥٠٣٧٥


للإنتاج الفني والدراسات

هذه الموسوعة

هذا هو الإسلام

الأستاذ/ محمد مصطفى

إذا طلب منك إنسان - لا يعرف شيئا عن الإسلام أن ترشده إلى كتاب يَعرف الإسلام من خلاله.. وإذا طلب منك مسلم أن ترشده إلى كتاب يفهم الإسلام فهما صحيحًا عمليًا من خلاله.. فإلى أي كتاب سترشدهما رغم ما بينهما من تباين؟

إنها هذه الموسوعة الجديدة فى فكرتها وأسلوبها.. يستفيد منها الإنسان فى أي مكان من أرجاء المعمورة، فكل عبارة فيها تحمل قيمة علمية أو توجيهًا أخلاقيًا أو حلا عمليًا لمشكلة أو رابطة أسرية اجتماعية.

هذه الموسوعة تخاطب الإنسان من حيث كونه إنسان بغض النظر عن انتمائه الفكري والعقيدي، سواء له ديانة أو تشريع، أو ليس له ديانة أو تشريع، سيجد فيها ما ينفعه فى دنياه وما يدفعه إلى إلتزام هذا الدين والدخول فى الإسلام العظيم، كما قال أحد المستشرقين: « إن أوربا كلها إلى الإسلام إن لم يكن دينًا وعقيدة فسلوكًا وأخلاقًا ».

هذه الموسوعة تحتاجها أيضا المراكز الإسلامية فى أوربا وغيرها فهى تغنيها عن كثرة الكتب والكتيبات والنشرات والإرشادات العلمية والعملية.

هذه الموسوعة تضم بين دفتيها أبوابًا شتى من المعرفة منها: « الاعتقاد والتشريع، الأخلاق والمدنية والحضارة، المرأة والأسرة، الفقه وأص... الشرعية، الدعوة والفهم والتفسير، المناسبات، والقضايا المعاصرة».

هذه الموسوعة تجد فيها واقع عملي لهذه العبارة: « إن عمر ر... الفقيه العبقرى لا يحمل داخل عقله فتاوى كالقوالب الجامدة، وإنم... يتحرك فى كل الاتجاهات».

هذه الموسوعة تعطيك مقدمتها ومقدمة الأبواب والخاتمة فوائد... فالمقدمات والخاتمة فيها موضوعات ودُرر عظيمة الفائدة إن شاء ا...

الناشر

